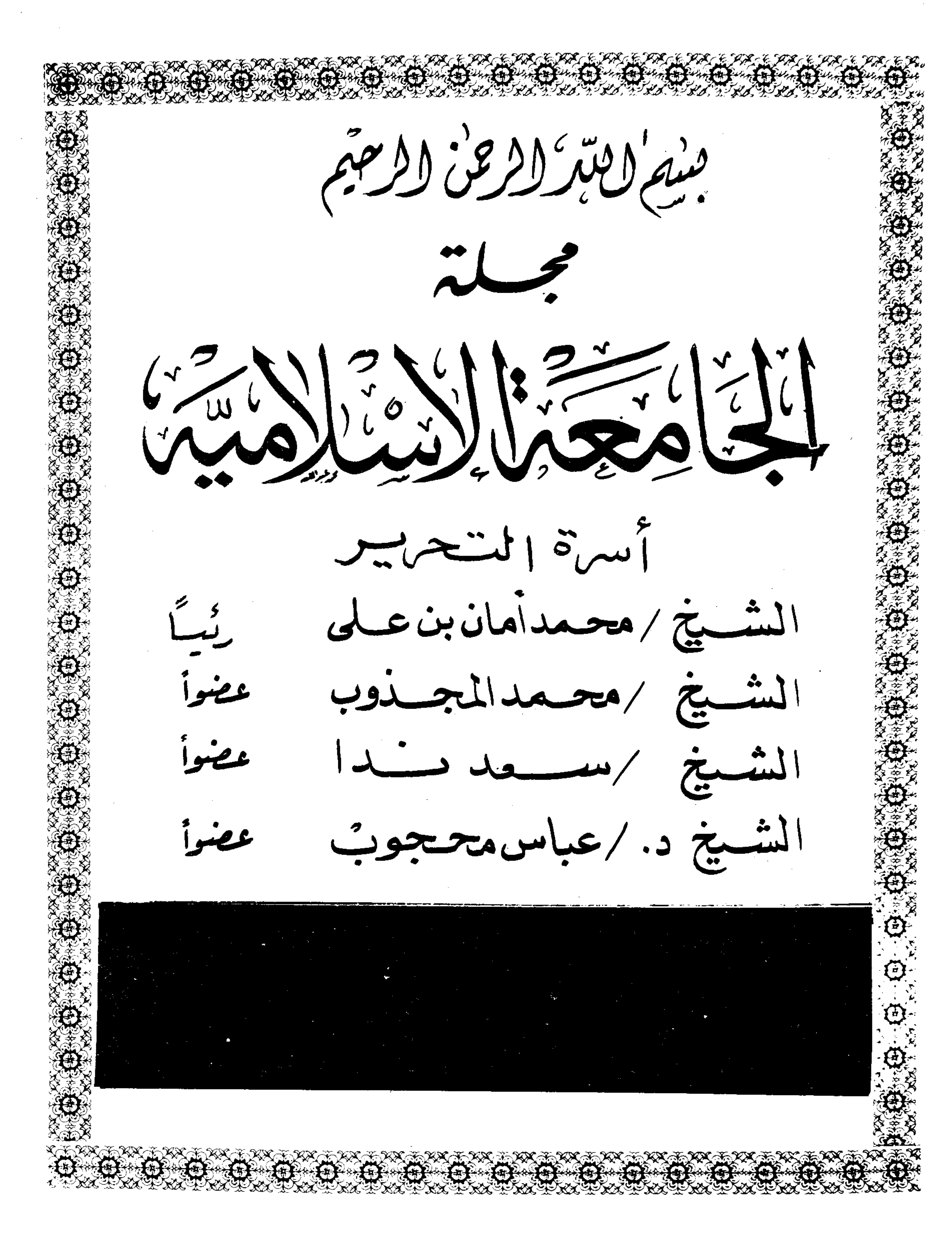
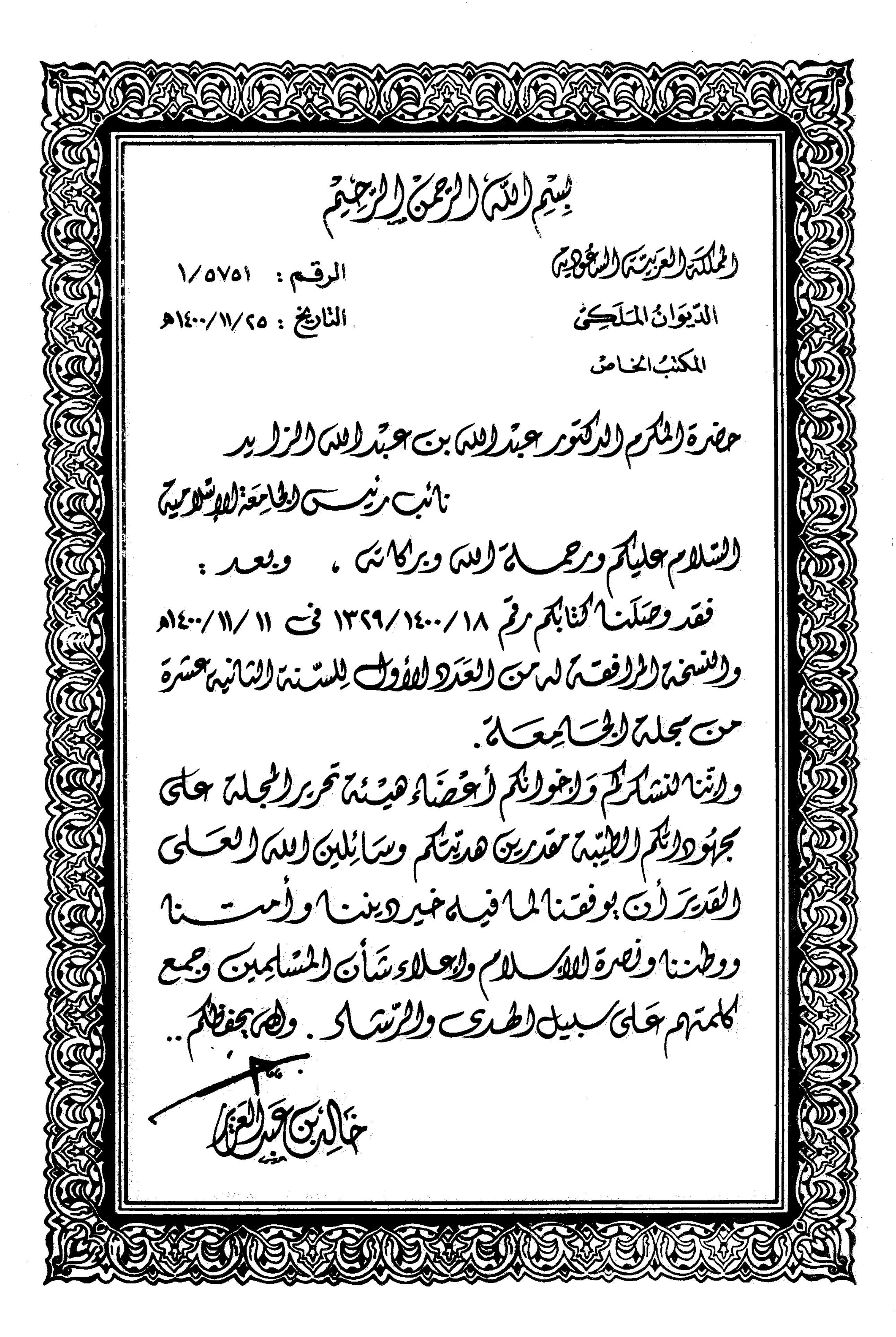


بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة

الجامعة الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الديوان الملكي
المكتب الخاص

الرقم : ١/٥٧٥١
التاريخ : ٢٥/١١/١٤٠٠هـ

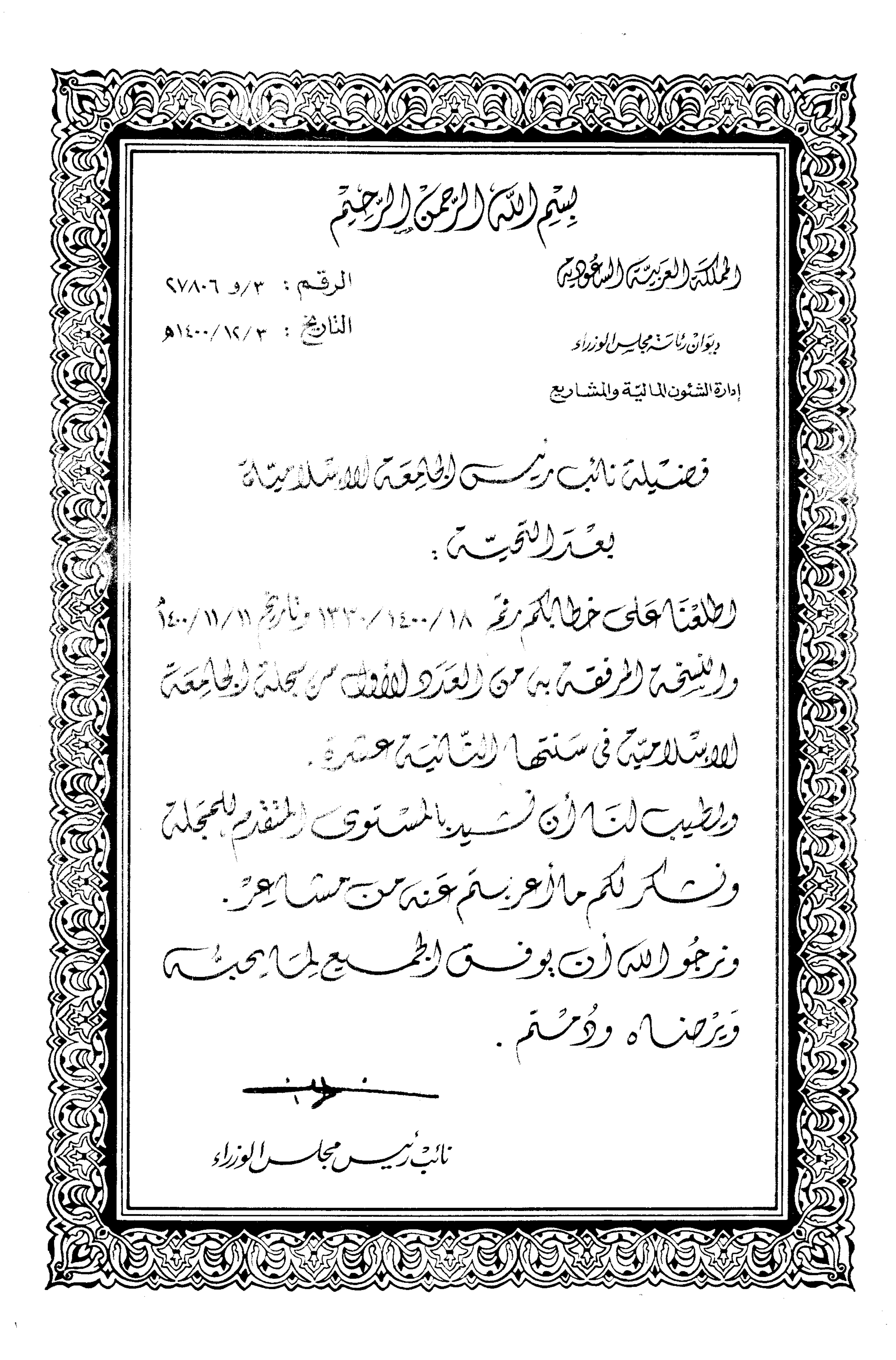
حضرة المكرم الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد
نائب رئيس الجامعة الإسلامية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد وصلنا كتابكم رقم ١٨/١٤٠٠/١٣٢٩ في ١١/١١/١٤٠٠هـ والنسخة المرافقة له من العدد الأول للسنة الثانية عشرة من مجلة الجامعة.

وإننا لنشكركم وإخوانكم أعضاء هيئة تحرير المجلة على مجهوداتكم الطيبة مقدرين هديتكم وسائلين الله العلي القدير أن يوفقنا لما فيه خير ديننا وأمتنا ووطننا ونصرة الإسلام وإعلاء شأن المسلمين وجمع كلمتهم على سبيل الهدى والرشاد. والله يحفظكم..

خالد بن عبد العزيز



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

ديوان رئاسة مجلس الوزراء

إدارة الشئون المالية والمشاريع

الرقم : ٣/و ٢٧٨٠٦

التاريخ : ١٤٠٠/١٢/٣هـ

فضيلة نائب رئيس الجامعة الإسلامية

بعد التحية :

اطلعنا على خطابكم رقم ١٨/ ١٤٠٠/١٣٣٠ وتاريخ ١٤٠٠/١١/١١هـ

والنسخة المرفقة به من العدد الأول من مجلة الجامعة

الإسلامية في سنتها الثانية عشرة .

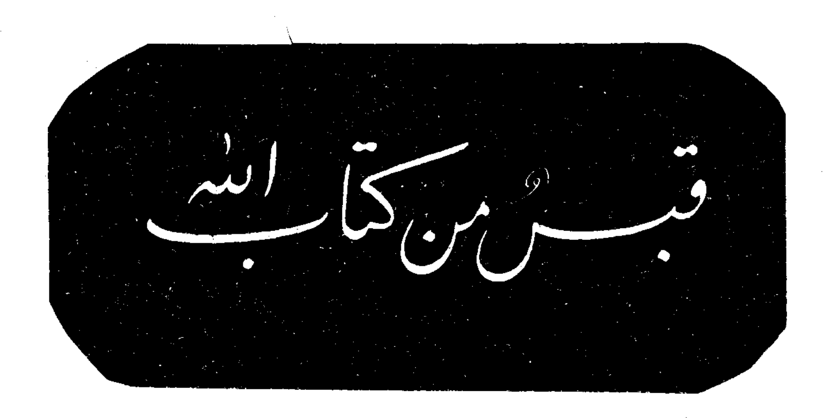
ويطيب لنا أن نشيد بالمستوى المتقدم للمجلة

ونشكر لكم ما أعربتم عنه من مشاعر .

ونرجو الله أن يوفق الجميع لما يحبه

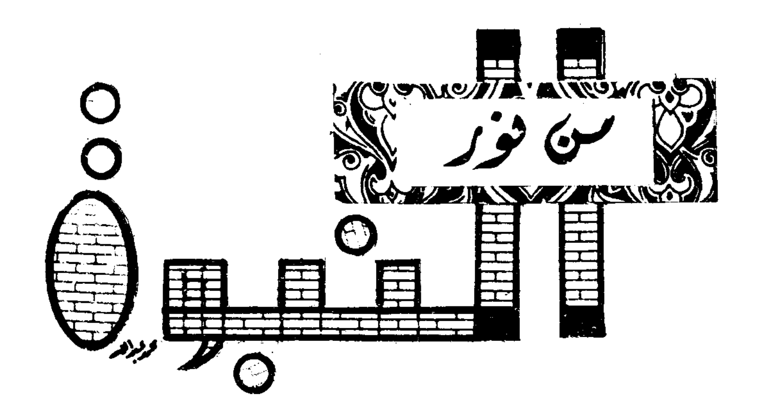
ويرضاه ودمتم .

نائب رئيس مجلس الوزراء



« إنَّما كانَ قولَ المؤمنين إذا دُعُوا إلى اللهِ ورسولِه ليحكمَ بينهم أن يقولوا سَمِعْنَا وأطَعْنَا ، وأولئكَ هُمُ المُفْلِحُونَ (●) وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ ويَخْشَ الله وَيَتَّقْهِ فأولئك هم الفَائِزُونَ (●) »

(ســورة النور آية ٥١ ، ٥٢)



« من نـور النبـوة »

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قـال :

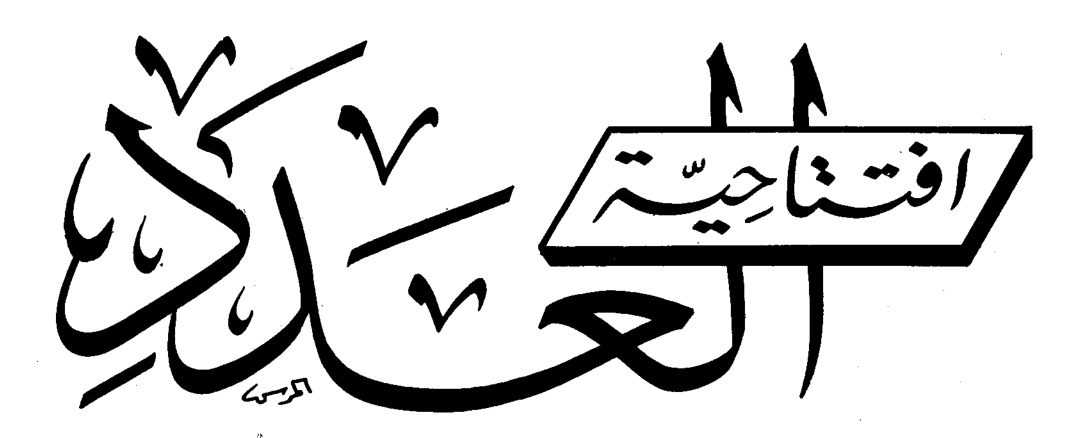
« إن الدينَ يسرٌ ، ولن يُشَادَّ الدينَ أحدٌ إلَّا غَلَبَهُ ، فسَدِّدُوا ، وقَارِبُوا ، واستعينوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشىء من الدُّلْجَةِ »

(أخـرجـه البخــارى)

حكمة العدد

« اشْتَرِ نفسَك اليومَ ، فإنَّ السوقَ قائمةٌ ، والثمن موجود ، والبضائع رخيصة ، وسيأتى على تلك السوق والبضائع يوم لا تصل فيه إلى قليل ولا كثير ، ذلك يوم التغابُن ، يوم يَعضُّ الظالمُ على يديه »

(الإمام ابن قيم الجوزية)



بقلم الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد
نائب رئيس الجامعة الإسلامية

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد الا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فان لى معك أيها القارىء الكريم كلمتين أما الأولى : فإن العالم مر به أحداث لا ينبغى أن تمر دون أن يستفيد منها الناس عبرة لحاضرهم ومستقبلهم ؛ وذلك أن ما يحدث من كروب وبلاء إنما هو بإرادة وحكمة من ربنا عز وجل سببه الانسان فحدث تأديبا له وتنبيها للآخرين . قال تعالى : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » وقال عز من قائل « ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون »

ولنذكر هنا بعض النماذج ، فمن ذلك ما حدث من الزلازل الماحقة في كل من الجزائر - مدينة الأصنام - ثم في جنوب ايطاليا ، ذهبت به ضحايا كثيرة من البشر وشرد به كثير من ديارهم وأموالهم ، ويتمت أطفال وترملت نساء .

كذلك الحروب المدمرة التى تحدث بين الناس هنا وهناك وتأخذ الكثير من المحاربين ومن الأبرياء ، كذلك تزايد صلف اليهود وعدوانهم في فلسطين وفي القدس وتجرؤهم على الآمنين والعزل وانتهاب أموالهم وأراضيهم بين حين وحين كذلك ما يحدث من مجازر بين المسلمين بأيدى الشيوعين في أفغانستان ، ... ، وإراقة الدماء في لبنان وما حول لبنان .

كل ذلك وغيره مما لم نذكره كثير هو من قبيل ما أشرنا إليه إلا أننى أحسب أن أكثر الناس لم يتعظوا ويأخذوا منه درسا يستفاد منه .

ولعل مرد ذلك الى الغفلة الجاثمة على النفوس الآبقة غفلة عن الله والدار الآخرة التى جرت إلى الغفلة عن مصالح الناس حتى في أمور معاشهم وصدق الله القائل « نسوا الله فنسيهم » .

هذا الأمر أردت الإلماح إليه في مطلع حديثى مع القراء الكرام لما له من أهمية بالغة في واقع الناس ومستقبلهم ولعل الله يهدى قلوبنا ويصلح أعمالنا جميعا .

والكلمة الثانية فيما يخص هذه الجامعة فلعل من المفيد أن أنقل القارىء الكريم الى رحابها ليعيش لحظات بين جنباتها لأنها مؤسسة تهمه باعتبارها جامعة لكل المسلمين كما قال صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى لهذه الجامعة وكما هو واقعها بالفعل .

إن للجامعة حاضرا هو ما تضمه من كلياتها الخمس ومعهد ثانوى ومعهد متوسط وشعبة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ودارين للحديث احداهما بمكة المكرمة والثانية بالمدينة المنورة هذا الى جانب قسم الدراسات العليا لكل التخصصات الموجودة في الكليات .

ويوجد فيها زيادة على ذلك المرافق المساندة كالمكتبة العامة والمكتبات الفرعية لكل وحـــدة والمطبعـــة المجهزة بأحـــدث ما وصل إليـــه علم الإنســـان مما علمه الله اياه في هذا الفن ٠ لطبـاعة الكتب والمراجع والدوريـــات الى غير ذلك ٠ وكذلك يوجـــد مجلس لشئـــون الدعوة ، يهتم بكل ما يتصل بالدعوة الى الله في حدود امكاناته واختصاصاته المحددة في لائحته المقرة من المجلس الأعلى للجامعة ؛ مما يهتم به توزيع الكتب لشتى أنحاء العالم وهناك مجلس علمى ملحق به مركز للبحث ٠

ويوجد أيضا عمادة لشئـــون الطـــلاب تهتم بخدمة الطالب والقيام على راحته ، وعمادة لشئـــون القبول والتسجيل تبدأ مع الطالب أكاديميا من أول ورقـة تقدم منـه الى آخر ورقة يأخذها من الجامعة ٠

وقد بلغت ميزانية الجامعة لهذا العام ١٤٠٠ / ١٤٠١ هـ قرابة ثلثمائة مليون ريال وقد بدأت ميزانيتها بثلاثة ملايين عام ١٣٨١ هـ ٠

أما طـــلاب الجامعة في هذا العام فهم أكثر من ستة آلاف طالب كلهم يتلقى من الرعاية ما يمكنه من التحصيل العلمى والتربوى بيسر وسهولة ؛ إذ يتقاضى الطالب مكافأة شهرية تبدأ بثلاثمائة ونيف وتنتهى بحوالى ألف ريال في الدراسات العليا الى جانب البدلات للملابس والمراجع والترحيل من تأمين الوجبات الغذائية ، والمواصلات من الجامعة الى وسط المدينة والعكس يوميا والسكن المجهز بوسائل الراحة والرعاية الصحية المتواصلة ؛ مع منح كل طالب تذكرة سفر جوية ذهابا وايابا الى بلده كل سنة خلال الأجازة الصيفية ٠٠ الى غير ذلك من التسهيلات التى تقدمها الجامعة لطـــلابها ٠

هـــذا ما يخص حـــاضر الجـــامعة باختصـــــار ٠

أما ما يتعلق بمستقبلها من الخير ان شاء الله فيشتمل على :

١ ـ اقامة مشروعها العام وهو ما يسمى بالمدينة الجامعية المتكاملة بكلياتها ومعاهدها ومدارسها ومساكنها للأساتذة والطلاب والموظفين مع المرافق اللازمة لهذه المدينة ٠

والجامعة تتخذ الخطوات اللازمة للبدء في هذا المشروع ، وأول هذه الخطوات العملية التصاميم والاتفاق مع المشرفين على التنفيذ ٠ وهذه الخطوة تمضى بالجامعة الآن الى الامام للالتزام بها قريبا ان شـــاء الله تعـــــالى ٠

٢ ـ انشاء كليات جديدة تتطلبها حاجة المسلمين وسيعلن عنها في حينها وقد انشىء في كلية الدعوة وأصول الدين هذا العام قسم للإعـــلام ستبدأ الدراسة فيه فور ما تستكمل متطلباته ان شـــاء الله تعـــالى ؛

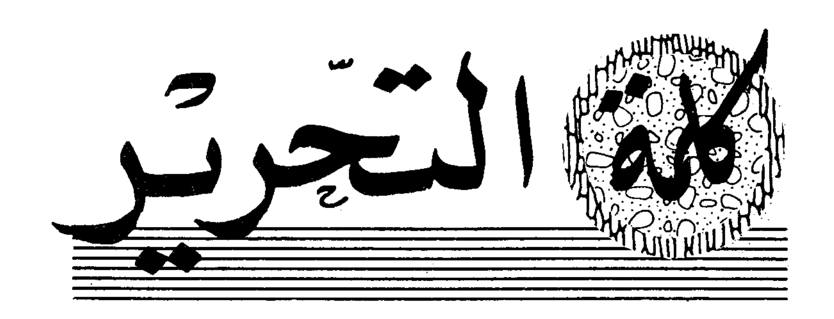
٣ ـ ستسهم الجامعة بحول الله في تعليم الفتاة المسلمة في الدراسات الجامعية والأبحاث ماضية الآن في دراسة هذا المشروع ومتى أخذ حَظَّه من الدراسة رفع الى المجلس الأعلى للنظر في إقراره ٠

٤ ـ انشاء الحـــاسب الآلى ليخـــدم أجهزة الجامعة فنيا واداريا ٠

٥ ـ وهنا تفكير جاد في دراسة انشاء بعض التخصصات العملية كالطب والهنـــدسة استجابة لحـــاجة الأقليـــات المسلمة ليجـــد الطالب المتخرج من الجـــامعة الإســـلامية وسيـــلة عيش كريم

وهو يسهم في أداء الدعـــوة الى الله تعـالى ؛ ونســأل الله أن يقـدر الـذى هو خـــير ٠

واذا ذكرنا الجـامعة الإسـلامية ، فإنا نـذكر الـذى وراء تأسيس هذه الجامعة في ظروف كان المسلمون أشـد ما يكونون حاجة الى مثلها ففى نفس الوقت الذى صدر فيه الأمر بتأسيس الجامعة يصدر قرار من خارج المملكة باضعاف مؤسسة ضخمة مماثـلة فكأن الله تبارك وتعالى أراد أن يكون البديل الصالح هذه الجامعة في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر جلالة الملك سعود رحمه الله بتأسيس الجامعة وتولى رعايتها جلالة الملك فيصل عليهما رحمة الله ومغفرته ، وخلف بخير خلف والحمد لله جلالة الملك خـالد ، وتوالى تعاهدهم لهـا بالرعايـة والدعم وأكـد هذه الرعاية الكريمة بأن أسند الرئاسة العليـا فيها لصاحب السمو الملكى الأمير فهـد ولى عهـده حفظهما الله وبارك في جهودهما ٠ وما زالت هـذه الرعاية تتنامى وتزداد ، ثم تكرم جلالته بتشريف أسرة الجامعة بالزيارة الكريمة الموعود بها يوم الأحـد ٢٩ / ١ / ١٤٠١ هـ على أثر تفضله بافتتاح مشروع التحلية الذى سيمـد المـدينة بالمـاء العذب بالرغم من كثرة مشاغله العديدة لفتة من جلالته الى بالغ العنـاية بأهم مرفق تعليمى أسسته المملكة لأبنـاء العالم الإسـلامى ، أسـأله تعـالى أن يبـارك في جهوده وجهود اخوانـه واعـوانه ٠ وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسـوله محمـد وآلـه وصحبه بـدأ ونهــايةً ٠



الفكر الشيوعى وكيف نقاومه ؟

الشيوعية عقيدة مبنية على أسس فلسفية وعلى فكر له تصوره الواضح في ميادين الاقتصاد والسياسة والتاريخ والاجتماع .

وقد فتنت هذه العقيدة المنحرفة كثيراً من الناس في إيمانهم بالله سبحانه وتعالى ، وما يترتب على هذا الايمان من خضوع لله واستسلام له وتنفيذ لشرعه في الحياة وإعلاء لكلمته في الأرض ، وقد استطاعت هذه العقيدة المنحرفة أن تضلل كثيراً من المسلمين وغير المسلمين وأن تنفذ إلى كثير من البلاد في دساتيرها ومناهجها التعليمية ، ووسائلها الاعلامية ، وإلى أن يحتل مكانة في بعض الجامعات حتى أصبحت من نظريات الحياة التى تدرس والتى يروج لها في أوساط السذج والبسطاء من طلبة العلم ومدعيه ، وأنصاف المتعلمين وتجمعات العمال والاتحادات النسائية والطلابية .

مثل هذه العقيدة الفاسدة لا تواجه أبداً باجراءات سياسية أو اقتصادية أو تربوية ولكنها تواجه من البداية بعقيدة صحيحة مبنية على فكر سليم وتصور كامل يشمل جوانب الحياة كلها في الاقتصاد والسياسة والتربية والاجتماع والتاريخ . وحين نقول عقيدة صحيحة نقصد أن العقائد المنحرفة والمنسوبة للإسلام . والتصورات الناقصة للفكر الإسلامى لا تستطيع أن تقف أمام الفكر الشيوعى . بل إن العقائد المنحرفة تمهد السبيل لانتشار الشيوعية . كما أن المواقف المتعنتة والعواطف الجامحة تؤدى إلى نتائج عكسية يكتسب من ورائها دعاة الشيوعية . والدليل على أن عقائد المنحرفة تعجز أمام الفكر الشيوعى أن أكبر الأحزاب الشيوعية في أوربا متمركزة في معقل المسيحية ومقر البابا . بل إن الحزب الشيوعى الإيطالى كان قاب قوسين أو أدنى من حكم إيطاليا بالرغم من الدعم الأمريكى والصلوات الموجهة من الكاثوليك في العالم .

إن الفكر الإسلامى الذى يمكنه مواجهة الشيوعية هو الفكر الذى يشمل حياة المجتمع الإسلامى ويوجهه فيما أراده الله له .

إن الفكر الشيوعى يقوم أساساً على تقديم المذهب المادى بديلا عن الدين . وعلى التسليم بحقائق يبنى عليها هذا الفكر . وأهمها عدم الاعتراف بغير المادة . فلا موجود إلا المادة . وإن هذه المادة لها صفة الأزلية والقدم . فهى غير مخلوقة ولا يلحقها العدم . وإن هذه الحياة الدنيا وجدت عن طريق الحركة العشوائية لهذه المادة . والتسليم بهذه الأفكار يقتضى عدم الإيمان بما هو غيبى لأنه لا يخضع للمشاهدة والحس والفكر . فالله غير موجود وكذلك الجن والملائكة . وهذا بدوره يقتضى بطلان الأديان التى جاءت بما يعتقده المذهب الشيوعى أنه أوهام أملت الناس في حياة أخرى . وفي البعث والحساب والجزاء وبالتالى فإن الإنسانية لا تستمد تشريعها في مجالات الحياة المختلفة من مصادر خارجة عنه فالانسان هو الذى يشرع لنفسه وهو المسؤول عن نفسه ومصيره . ولأن هذا المذهب لا يؤمن إلا بما هو مادى فهو يعتبر ما يسمى بالروح والعقل والنفس شكلا من أشكال المادة . وأن هذه المادة في حركتها واضطرابها تفسر على أساس القوانين الطبيعيةالتى أوجدت نفسها بنفسها .

هذه الأفكار التى يقوم عليها الفكر المادى الملحد قد تعرضت لمناقشات واسعة دحضت آراءه وأفكاره . بل إن حركة التاريخ والحياة نفسها أثبتت زيف كثير من هذه الأفكار .

لقد تحطمت نظرية عدم وجود غير المادة أمام وجود الفكر والمشاعر والعقل وأمام الماديات التى يتعامل معها العلماء ولا ترى بالحواس . مثل الذرة وجزيئاتها . كما أثبت العلم أن المادة ليست أزلية لأن تاريخها معروف . وأن المادة في أصغر ذراتها وتحللها وعناصرها الدقيقة اعتمدت وتعتمد في وجودها على غيرها . والأزلى هو الذى لا يعتمد في وجوده أو استمراره على غيره . والذى يعتمد في بقائه على شروط معينة أو ظروف معينة لا يمكن أن يكون أزلياً . كالمادة التى أثبت العلماء أنها حادثة ومتحولة ومعتمدة على غيرها . أما أن الحياة وجدت عن طريق المصادفة فهو افتراض يتعارض مع ما يدعيه الشيوعيون من قيام مذهبهم على العلم . ولم يعد عقل في الحياة مهما كان صغيراً أن يقبل تكون الحياة والكائنات من ذرات سابحة في الفضاء . وأكبر دليل على بطلان ذلك ما نراه في الحياة من تناسق وتنظيم وخضوع لقوانين معينة . فالخالق المدبر وراء كل شيء نراه أو نعلمه في الحياة التى لا مجال فيها للمصادفة والعشوائية وإلا لما كان لكل كائن عناصره وقوانينه الدقيقة .

إن الإيمان بوجود خالق لهذا الكون ومدبر يقتضى الإيمان بالملائكة والجن . فالذى خلق من المادة إنساناً نراه ونسمعه يخلق منها ملائكة وجنا لا نراهم ولا نسمعهم . فالنار والنور ماديان وليست المادة وقفاً على ما تدركه حواسنا فقط . فالله وحده هو الذى ليس لوجوده صفة مادية لا واقعا ولا موضوعا فهو منزه عن الشبيه والمماثلة (ليس كمثله شيء) وما عدا الله فهو الذى يماثل غيره تماثلا نسبياً .

والإيمان بالله خالقاً يقتضى الإيمان بالبعث والحساب والجنة والنار . وهذه من البديهيات (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال : من يحي العِظَام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) وكيف لا يؤمن بالبعث من يعترف بالخلق والوجود الأول أن الإيمان بوجود الله وأزليته وخلقه للحياة وما فيها يترتب عليه حتمية خضوع الإنسانية لخالقها في مجال التشريع لشؤون الحياة كلها سياسية واجتماعية واقتصادية . فالإنسان ليس سيد نفسه لأنه محكوم بقوى تتحكم في ذاته ومصيره ووجوده . وله احتياجه الفطرى إلى قوة يستند إليها ويؤمن بها ويحتمى بها ويؤمل فيها . وإلا ما كانت للحياة معنى ولا للعمل هدف . فالانسان محكوم بسنن الله الكونية يجب أن يخضع لها ومحكوم بقوانين بيولوجية يرضخ لها رغماً عنه . وبالتالى فإنه لا بد من أن يخضع في نظام حياته إلى ما يشرعه له خالقه . والإنسان مرتبط بقانون في الحياة هو قانون المحافظة على الحياة . والإيمان بالله في قمة هذا كله لأنه الذى يحقق مصالح الإنسان ويمنح الطمأنينة والأمن والاستقرار وازدهار الحياة وسيادة المثل والقيم الإنسانية .

هذه لمحات عن الفكر المادى الذى لم يثبت أمام المنطق والعقل والعلم والواقع . واعتراف الماديين بمخالفة مذهبهم لما سبق جعلهم يغيرون ويبدلون في فكرهم وفلسفتهم وأسلوبهم . ويمكننا أن نواجههم بعدة وسائل منها :

١ - تغيير واقع المجتمعات الإسلامية التى تمثل الآن المناخ الطيب لانتشار بذور الشيوعية ونمائها . فالشيوعية لم تدخل الآ البلاد التى تعانى مجتمعاتها من اضطراب في الأوضاع وتغير في النظم السياسية وفقدان للشخصية . وقد كان (كارل ماركس) يظن أن الظروف مواتية لقيام الثورة الاشتراكية في انجلترا الآ أن الأوضاع السيئة لحكم القياصرة في روسيا هو الذى عجل بالثورة هناك بحثاً عن البديل فيها . ثم تكرر الأمر أخيراً في فيتنام . والحبشة . واليمن . والصومال . وليبيا . وبعض البلاد حيث استطاع الشيوعيون أن يدخلوا عناصر منهم في أماكن يستطيعون منها إحداث تغيير لصالحهم متى وصلت الأوضاع في سوئها إلى اللحظة التى تجعل الأمة في قناعة بأى نوع من التغيير حتى ولو كان ماركسيا كما حدث وسيحدث في كثير من البلاد .

ولا يمكن تغيير حال الأمم الإسلامية إلا باتخاذ إجراءات أهمها التخلى عن التخبط بين الأنظمة المختلفة من اشتراكية ورأسمالية . وعلمانية . وقومية . وأن ترجع إلى النظام الذى يتناسب مع طبيعتها وفطرتها الإنسانية والمرتبطة بعقيدة هذه الأمم وتاريخها وحقيقتها وهو الإسلام .

٢ ـ توحيد الولاء . فالدول الإسلامية تتعدد ولاءاتها . وتتنوع انتماءاتها بين دول مرتبطة بنفوذ السوفييت . تدور في فلكهم وتجعل ولاءها لهم فوق ولائها للعقيدة . وتظن أنها بذلك تحمى نظامها من الامبريالية واليهودية وغيرها . بينما دول تسير في ركب النفوذ الأمريكى . وترى في أمريكا حامية للعالم محققة للعدالة وقائدة في محاربة الشيوعية . كما أن النفوذ اليهودى بدأ يدخل مباشرة في اللعبة . وارتفعت الأصوات باتخاذ حزام ضد الشيوعية مع دولة اليهود .

إن القوى كلها تتصارع في منطقة العالم الإسلامى خوفاً من الإسلام أولا . ثم محاولة لاحتكار مقدرات الأمم الإسلامية الاقتصادية النامية الواسعة . ثم استغلال قوتها البشرية الضخمة لتكون مخلب قط للجبهة التى تسخرها وتسيطر عليها .

إنَّ تدخل روسيا في أفغانستان ظَنَّهُ كثيرٌ من السذج مفاجأة لأمريكا التى أظهرت ذلك . بينما تمسح طائرات التجسس الأمريكية العالم كله بأجهزة دقيقة تصور بالليل وبالنهار ومن مسافات بعيدة كل حركة ظاهرة في العالم خاصة في المعسكر الاشتراكى . والمسألة لا تتعدى مسألة اقتسام الأدوار وتحديد مناطق النفوذ . وإلا بماذا نفسر إطلاق يد أمريكا في الشرق الأوسط . بينما يسكت الأمريكان عن تحرك الروس في القرن الأفريقى ؟ إن الخلاف لا ينشب بين القوى العظمى على مناطق النفوذ بل ينشب على التعديات من جانب على نصيب الجانب الآخر . وفيما اتفقا عليه . والسذاجة السياسية هى التى تحرك دولا في جانب وأخرى في جانب آخر إلى جانب المصالح .

إن الأمم الإسلامية لكى توقف الخطر الشيوعى لا بد لها أولا من توحيد ولائها بحيث يكون لله ورسوله (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) المائدة ٥٥ ـ ٥٦ .

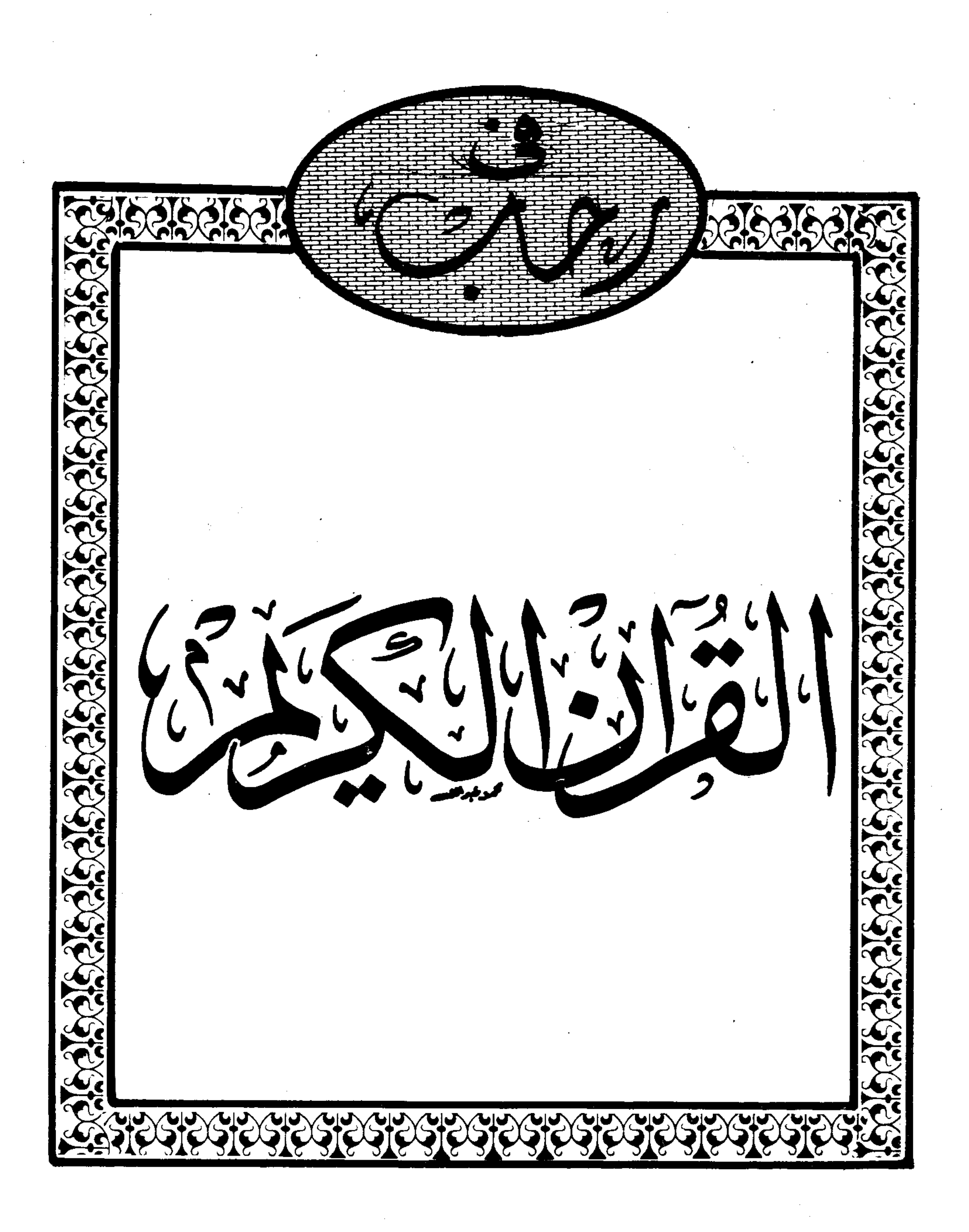
ويقول الله تعالى : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم) الخ الآية .

٣ ـ معالجة الواقع الاقتصادى للأمم الإسلامية . فأغلب الدول الإسلامية تتميز مجتمعاتها بطبقة متميزة وطبقات فقيرة . ولا توزع فيها الثروة القومية توزيعا عادلا . وطبقة الفقراء والمعوزين والمعدمين هى الغالبة . وليس هناك مناخ أفضل للشيوعية من هذا . فحقد الفقراء على الأغنياء وأصحاب الجاه والنفوذ كبير وهو المدخل الذى تتغلغل الشيوعية منه إلى طبقة (البلوريتاريا) وطلاب المدارس وتجمعات المزارعين وغيرهم . ولو قامت هذه المجتمعات على أساس النظام الإسلامى في الاقتصاد والذى يوفر العمل والمسكن والدخل القائم على الجهد ووضع الشخص المناسب في المكان المناسب واختفت مظاهر الرشوة والمحسوبية والتعامل بالأنظمة الربوية في الدول والبنوك والتجارة ـ لو وجد كل ذلك لما كانت المعاناة الاقتصادية التى تعانى منها الدول الإسلامية . ولما كان للشيوعية الفرصة في استغلال هذه الأوضاع السيئة لبث الاضطراب والفوضى في الشعوب المسلمة وحدها .

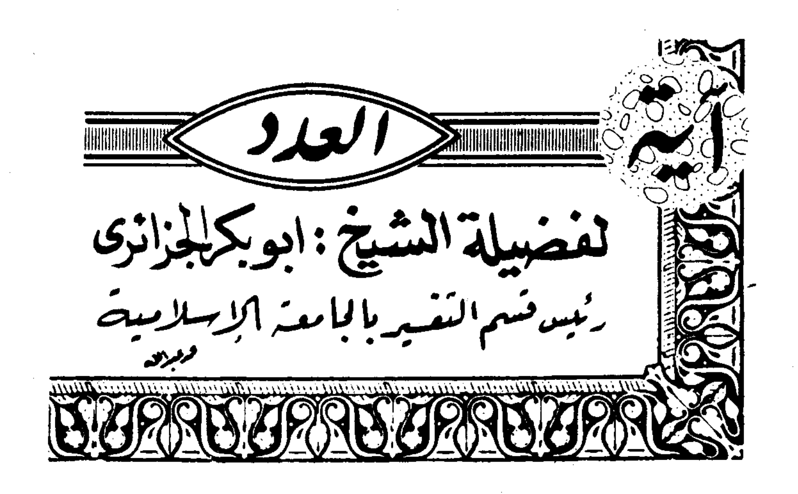
إن مقاومة الشيوعية كما ذكرنا لا تكون بقرارات وسياسات . ولكن بمعرفة المذهب الشيوعى المادى . وتفنيد ادعاءاته بالعقل والعلم والمنطق . وهذا لا يتأتى إلا بتغيير في الظروف ومعرفة تامة بالإسلام والأخذ به نظاما شاملا للحياة في كل جوانبها .

د . عباس محجوب

عضو التحرير


في رحاب
القرآن الكريم





بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير آيـــة من سورة النحـــل

قال الله تعالى :

« ان الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ،
وينهى عن الفحشاء ، والمنكر ، والبغى . يعظكم لعلكم تذكرون »

هذه الآية هى الموفية تسعين آية من سورة النحل والتى هى السورة السادسة عشرة في ترتيب المصحف الكريم . وهى مكية من العناق الأول ، وهذه الآية منها هى أجمع آية في كتاب الله لبيان الخير والشر .

شرح ألفاظ الآية :

إنَّ : حرف توكيد يدخل على الجملة الاسميَّة فيؤكِّد صحة خبرها ويثبته .

الله : هو اسم الجلالة وهو علمٌ على ذات الربّ تبارك وتعالى ؛ ولذا هو يوصف فيقال : الله العزيز الجبار . ولا يوصف به . فلا يقال السَّميعُ الله . أو الرحيم الله .

ومن أحكام هذا الاسم الكريم اللفظية أنه ينطق به مفخّم اللام . الا في حال جر المضاف اليه نحو بسم الله فانه يُرقَّق .

ومن أحكامه الشرعية : أنه يتبرك به فيقال بسم الله عند الشروع في الاعمال الصالحة . ويتوسل به فيقال : اللهم انى أسالك باسمك الأعظم الذى اذا سئلت به أعطيت . واذا دعيت به أجبت . ويحرم ذكره أو حمله في مواضع القذر والنجاسات كالكنف والمراحيض .

الباء : هنا للتعدية ؛ اذ أن فعل (أَمَرَ) يتعدّى الى المفعول الثانى بواسطة الباء فيقال : أمر الامام المسلمين بالجهاد · فالجهاد مجرور بالباء ظاهراً . وفي الباطن هو منصوب لأنه مفعول ثانٍ لِأَمَرَ ·

العدل : لفظ واسع الإطلاق ؛ إذ يفسر بمعانٍ كثيرة . هى دائرة على التوســـط بين شيئين بحيث لا يميل الى أحدهما إفراطاً في جانب أو تفريطًا في آخر · وهو في كل مقام بحسبه · ففى مقام العقيدة : العدل وسط بين الشرك والإلحـــاد . وفي مقـــام الحكم : وسط بين المحاباة والإحجاف . وفي مقام الانفاق : العدل وسط بين التقتير والإسراف ·

ولذا عرفه بعضهم فقال العدل : التوسط في الأمور وهو رأس الفضائل كلها ·

و : الواو حرف عطف لا يقتضى ترتيبا ولا تعقيبا فهو لمجرّد عطف شيء على آخر . فعطف به هنا الاحسان على العدل ·

الاحسان : مصدر أحسن يحسن إحسانا : العمل أتقنه وجوَّده ؛ ويطلق على معانٍ منها : الفضل . والاخلاص . والزيادة في الخير · فيقال أحسن فلان في عمله أو قوله اذا أتقنه وأبعده عن النقص والفساد . كما يقال أحسن فلان الى فلان أو به . اذا عامله بألحُسنِ ضد القُبْح . والاساءة ·

ومن أحكامه : أنه واجب في العبادات . إذ هو إتقانها وتخليصها من شوائب الشرك لله تعالى كما هو واجب بالوالدين وبذى القربى . واليتامى والمساكين وابن السبيل والجار مطلقا .

إيتـــاء : الإيتاء مصدر آتى يؤتى فلاناً كذا إذا أعطاه إياه فهو بمعنى أعطى سواء بسواء غير أنه لم يستعمل غالباً في أداء الحقوق إلا بلفظ «أتى» ولعله إشارة إلى ان المرء اذا أراد ان يعطى حقاً لصاحبه عليه أن يأتى هو بنفسه ويعطيه ذلك الحق . لما في ذلك من مزيد الاحترام والاعتراف . ويكون هذا كالإشارة في قوله تعالى : (وبالوالدين إحساناً) فان الباء هنا بدل عن الى ؛ إذ يقال احسن الى فلان . وأما بفلان فانه إشارة الى الصاق الإحسان به اذ في الإمكان أن يرسل الولد طعامه أو شرابه إلى والده مع خادم مثلا . ولكن الأولى به أن يأتى هو به ليضعه في يد والده أو حتى في فمه ؛ إذ هذا أبلغ في البروأكمل في الإحسان

ذى : اسم بمعنى صاحب وتعرب بالحروف فترفع بالواو . وتنصب بالألف . وتجر بالياء كما هى هنا واذا ثنيِّت قيل فيها : ذوا رفعاً . وذوَىْ نصباً وجرًّا . واذا جمعت قيل فيها : ذوو رفعاً وذوى بكسر الواو نصبا وجراً . وهى دائما بمعنى صاحب . وصاحِبَىْ وأصحاب

القـربى : في الأصل هو مصدر . وهى هنا بمعنى القرابة . والقرابة هى الدّنو في النسب . والقرب في الرحم فَذِى القربى هو صاحب القرابة التى هى دنوٌّ في النسب وقربٌ في الرحم .

و : تقـدم الكلام عليهـا .

ينهى : فعل مضارع ماضيه : نهى عن الشىء إذا منع من فعله . وجيء به هنا مضارعاً كما في قوله : إن الله يأمر . من أجل إفادة الحدوث والتجدد ، اذ امر الله تعالى بالعدل والإحسان وايتاء ذى القربى حقه كنهيه عن الفحشاء والمنكر والبغى ، أمرٌ يتجدد في كل آنٍ ويحدث عند كل تقصير في ترك المأمور به ، أو فعل المنهى عنه .

عـن : حـرف جر ولها معان عدة : وهى هنا للمجاوزة والتّعدية ؛ اذ أنّ فعل (نهى) يتعدى إلى مفعولين الأول بنفسه والثانى بواسطة حرف الجر « عن » يقال نهى الله العباد عن الظلم فالعباد المفعول الأول والثانى الظلم غير أن الظلم وإن كان مفعولا في الباطن فهو مجرور بحرف الجر في الظاهر .

الفحشـاء : الاسم من الفحش . ويطلق لفظ الفحشاء على كل خصلة قبيحة شديدة القبح حتى أطلق في لسان العرب على منع الغنيّ وهو الشح والبخل ، وسؤاله وهو الامتهان والطمع . فالغنىّ إذا سئل مالاً فمنعه بخلًا به قد ارتكب فاحشة شديدة وهى البخل قال الله تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » وهو البخل . كما أن الغنى اذا سأل غيره مالاً كان قد ارتكب فاحشة بسؤاله وهو غنى ؛ لأن الناس يستعظمون سؤاله ويعجبون منه فكان سؤال الغنى فحشاء . يبد ان الفحشاء اذا أطلقت في القرآن تتناول أولا فاحشة الزنى واللواط ثم تعم كل خصلة قبيحة شديدة القبح .

و : تقـدم شرح هـذا الحرف

المنكـر : اسم مفعول من أنكر الشىء ينكره اذا لم يعرفه أو لم يعترف به جائزاً أو صالحاً نافعاً مفيداً . وهو هنا : كل ماأنكره الشرع لفساده وضرره من كل المعتقدات والأقوال والأفعال .

و : تقدم شرحها .

البغى : ظلم الناس والاستطالة والتكبر عليهم . وكل مخالفة للحق فهي ظلم ، والنهى واجب عنها .

يعظكم : يأمركم وينهاكم ناصحاً لكم ، اذ الوعظ هو النّصح والتذكير بما يحمل على التوبة . بفعل الواجب والمندوب ، وترك المحرم والمكروه .

لعلكم : لعل حرف مشبه بالفعل ينصب الاسم ويرفع الخبر . ولها معان منها الترجى كما هى هنا لـه . وقد تكون للتعليل وهى صالحة هنا له أيضا . والضمير في لعلكم للمخاطبين وهم المؤمنون الذين أمرهم الله ونهاهم إعداداً لهم للكمال والسعادة في الدنيا والأخرى .

تذكرون : فعل مضارع مسند الى واو الجماعة . ويقرأ بتشديد الذال وتخفيفها وهما قراءتان سبعيتان . فالتخفيف على إسقاط . إحدى التاءين . اذ الأصل تتذكرون . والتشديد على اسكان التاء الثانية وادغامها في الذال وهذا الحذف والإدغام إنما هو لأجل التخفيف لاغير .

ومعنى تذكرون : تتعظون يقال ذكره إذا وعظه . والأصل تذكيره بما فرط فيه من الواجبات . وبما ارتكبه من المنهيات . مبيّناً له عواقب ذلك . حتى يذكر فاذا ذكر عزم على التوبة . وهو معنى اتعظ . يقال وعظه فاتعظ . أى أثر فيه تذكيره حتى عزم على التوبة وتاب .

معنى الآية الكريمة

يخبر تعالى أنه يأمر عباده في كتابه العزيز بفعل ثلاثة أمور . وترك ثلاثة اخرى ؛إذ كمالهم وسعادتهم متوقفان على ذلك . فالأمور التى أمر بفعلها هى العدل ـ والإحسان ـ وإيتاء ذى القربى ـ والتى نهى عن فعلها هى الفحشاء . والمنكر . والبغى .

ولما كان الامتثال يتوقف على معرفة المأمور به . والمنهى عنه . وجب على المؤمنين معرفة ذلك . وهذا بيانه :

أما العدل فهو أن يعبد الله وحده . ولا يُشرك بعبادته احدا ؛ إذ عبادته تعالى وحده حقٌ له على عباده وجب له عليهم بخلقه إياهم . ورزقهم . وتربيتهم . وحفظهم . وتدبير حياتهم . فتضييع هذا الحق لله تعالى وإهداره ظلم عظيم يتنافي مع العدل الذى أمر الله به عباده في هذه الآية . كما أن إشراك بعض خلقه في عباداته التى وجبت له هضمٌ لحق الله تعالى وظلم لا يتفق مع العدل الواجب القيام به .

وبما أن العدل يشمل أموراً كثيرة كلها مرادة لله تعالى ومحبوبةٌ لهُ فلنبين طرفاً منها لتُعرف ويُمْتَثَل أمر الله تعالى فيها : ـ

١ ـ العدل في الأحكام ؛ لقوله تعالى : « وإذا حكمتم بين الناس أن تَحكُموا بالعدل »
والحكم بالعدل : أن يُعطى من حكم بين اثنين الحقَّ لصاحبه . ويمنع منه الباغى عليه . فالحكم بالعدل في كل القضايا والأمور أمر محبوبٌ لله تعالى مرادٌ له . ولذلك أمر به وواعد خيراً عليه . فقد قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : « إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن . وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وماوَلُوا » (رواه مسلم)

٢ ـ العدل في القول ؛ لأمر الله تعالى به في قوله « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » . فواجب كل من قال مخبراً أو شاهداً أو آمراً أو ناهياً أن يعدل في قوله فلا يحيف ولا يجور . ولا يكذب . ولكن يعدل ويصدق . ولو كان المقول فيه أو له أقرب قريب من القائل .

٣ ـ العدل في العطيّة للأولاد بحيث يسوى بينهم . ولا يفضِّل أحداً على آخر لقوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » وقوله : « سَوُّوا بين أولادكم في العطيّة » .

٤ ـ العدل بين الزوجات . فمن كان له زوجتان فأكثر وجب عليه أن يعدل بينهما في الغذاء ، والكسوة ، والسكن ، والفراش ، وإلا تعرض لوعيد شديد ينال أهل الحيف والجور من الناس ، فقد روى الترمذى بسند صحيح عنه صلىاللهعليهوسلم : « من كانت له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجرّ أحد شقّيه ساقطاً أو مائلا » .

٥ ـ العدل في الرعيه فمن استرعاه الله تعالى أمَّةً فولّاه عليها وجب عليه أن يسوسها بالعدل فيسوى بين أفرادها في الحقوق والواجبات طلباً للعدل فيها وتحقيقا له بين أفرادها ، ولا يتم لحاكم ذلك مهما كان ، ما لم ينفذ أحكام الله تعالى بِرُمَّتها ، فمن أعطاه الله أعطاه ، ومن منعه الله منعه ، ومن اكرمه الله بطاعته وتقواه أكرمه ، ومن أهانه الله بفجوره اهانه .

كل هذا داخل في الامر بالعدل وهو مراد لله ومحبوب له ، ولذا أمر به ، ودعا اليه .

أما الإحسان : وهو الأمر الثانى في الآية فإنه قوام اعمال القلوب والجوارح كلها فلا يتم عملٌ للإنسان ولا يصلح إلا عليه . أخبر رسول الله صلىاللهعليهوسلم بأن الله كتبه في كل شيء ففى حديث مسلم : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة . واذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحة . وليُحِدَّ أحدكم شَفْرته ولْيُرِحْ ذبيحته » .

والإحسان ضد الإساءة والفساد . ولذا افتقرت كل الأعمال والأقوال إليه ، وأعمال القلوب كأعمال الجوارح في الإحسان .

وهو ـ أى الإحسان ـ في العبادات أن تؤدى كاملة صحيحة وذلك باستيفاء شروطها وأركانها واستيفاء سننها وآدابها مع الإخلاص لله تعالى فيها .

وهو ـ أى الإحسان ـ في المعاملات : إن كان للوالدين ، فهو برهما الذى هو طاعتهما في المعروف وإيصال الخير إليهما ، وكف الأذى عنهما ، والدعاء والاستغفار لهما في حياتهما وبعد موتهما ، وإنفاذ عهدهما واكرام صديقهما .

وهو للأقارب برُّهم ، وصلتهم ، ورحمتهم ، والعطف عليهم ، وفعل ما يُحمد فعله معهم ، وترك ما يسىء اليهم ، أو يقبح قوله ، أو فعله معهم .

وهو ـ الإحسان ـ لليتامى : المحافظة على أموالهم ، وحماية حقوقهم ، وتربيتهم وتأديبهم وترك أذاهم ، وعدم قهرهم ، والهشّ في وجوههم ، والبش عند مخاطبتهم .

وهو ـ الإحسان ـ للمساكين سَدُّ جوعتهم ، وستر عورتهم ، والحث على إطعامهم ، وعدم المساس بكرامتهم ، فلا يحتقرون ، ولا يُزْدرون ، ولا يُنالون بسُوء أو يُمسون بمكروه .

وهو لابن السبيل قضاء حاجته ، وسَدُّ خلته ، ورعاية ماله ، وصيانة كرامته ، وإرشاده إن استرشد ، وهدايته إن ضل .

وهو ـ الاحسان ـ للخادم : إعطاؤه أجره قبل أن يجف عرقه ، وعدم إلزامه ما لا يلزمه ، وعدم تكليفه ما لا يطيق ، وصون كرامته ، واحترام شخصيته .

وهـو ـ الإحسـان ـ لعموم الناس : التلطف في القول لهم . ومجاملتهم في معاملتهم . ومخاطبتهم مع أمرهم بالمعروف إن تركوه . ونهيهم عن المنكر إن ارتكبوه . وارشاد ضالهم . وتعليم جاهلهم . وإنصافهم من النفس . والاعتراف بحقوقهم . وكف الأذى عنهم . بعدم ارتكاب ما يضرهم . أو فعل ما يؤذيهم .

وهـو ـ الإحسـان ـ للحيوان إطعامه إذا جاع . ومداواته إن مرض . وعدم تكليفه ما لا يُطيق . وعدم حمله على ما لا يقدر . بالرفق به إن عمل . وإراحته إن تعب .

وهـو ـ أى الإحسـان ـ في الأعمال البدنية الدنيوية بإجادة العمل . وإتقان الصّنعة . وتخليص سائر الأعمال من الغِشّ والفسـاد .

هذا هو الإحسان المأمور به في الآية الكريمة . وهو مأمور به في كل شئ . لتوقف صلاح الأعمال عليه . ومما يساعد على تحقيق هذا المبدأ . أو تنفيد هذا الأمر الإلهى العظيم . مراقبة الله تعالى عند القيام بأىّ فعل . وذلك لإرشاد النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله : « الإحسـان أن تعبد الله كأنك تراه . فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

وأما إيتاء ذى القربى فإنه المطلب الثالث في هذه الآية الكريمة . وهو الاعتراف بحقوق ذوى القربى المالية كالإرث ونحوه . وغير المالية من البرّ والصلة . فهذا الحق يجب أن يعترف به ويسلم الى اهله . طاعةً لله تعالى في أمره به · إن في إيتاء ذى القربى حقَّه . وما يجب له على قريبه من أسباب كمال الأمة وقوّتها وسعادتها . ما يوجد في إقامة العدل . وتعميم الإحسان · إن في إيتاء ذى القربى حقه من تماسك الأفراد . وترابط الأسر ما يجعل الأمة قادرة على إقامة العدل وبذل الإحسان . والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر · وبالجملة فإنَّ هذا المطلب لا يقل أهمية عن المطلبين السّابقين له وهما العدل والإحسان وبتحقيق هذه المطالب الثلاثة والتى هى جماع الخير كله يتم للأمة التى تنشد السعادة والكمال نصف بناء صرح سعادتها وكمالها . ويبقى النصف الثانى متعلقا باجتناب المنهيات الثلاثة . الفحشاء . والمنكر . والبغى . فمتى حققت الأمة تلك المطالب واجتنبت هذه المناهى فقد أقامت صرح حضارتها . وعزتها . وسعادتها . وكمالها .

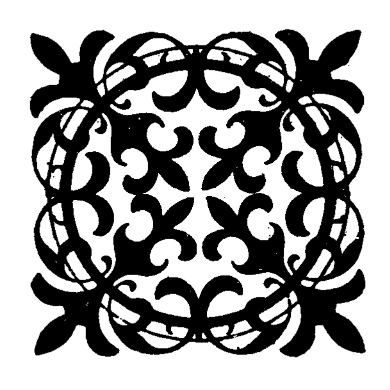
وتسنَّمت ذُرَى الشرف والمجد بين الأمم والشعوب .

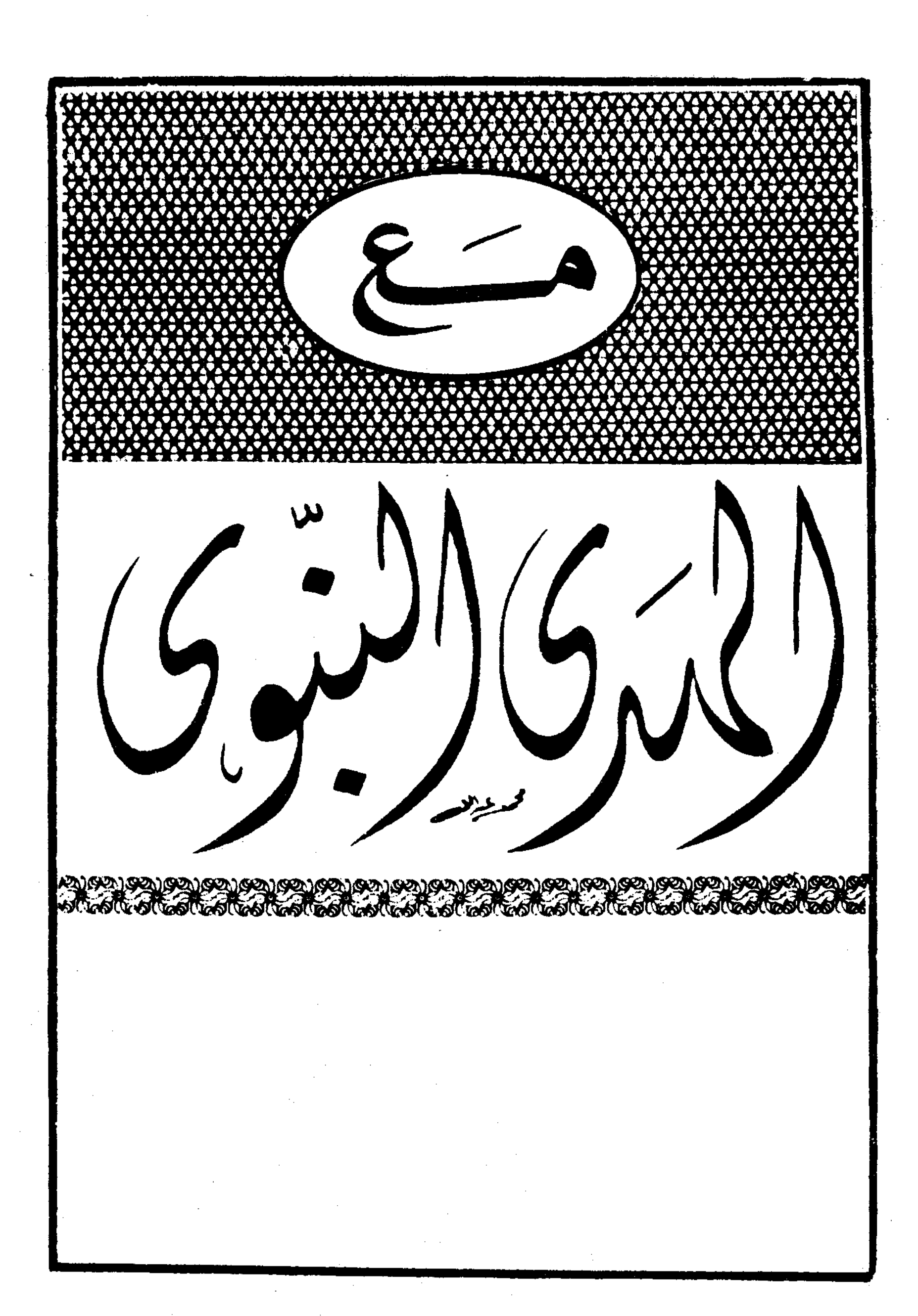
ومما ينبغى التنبيه إليه هنا هو أن السّلب كالإيجاب في التأثير على كمال الأمة وسعادتها . فإن اجتناب المنهيات الثلاثة وهو سلب محض لا يقل خُطُورةً وتأثيرا عن فعل المأمورات الثلاثة والتى هى إيجاب حقيقى . إن المأمورات الثلاثة اذا كانت قد جمعت كل عناصر الخير . فان المنهيات الثلاثة قد جمعت عناصر كل الشر ومن هنا وجب عدم التساهل في أىٍّ منها فعلاً وتركاً . أو سلباً وإيجاباً . فاذا كان إقامة العدل . وتعميم الإحسان . وترابط الأفراد برباط الحب والولاء . دعائم صرح سعادة الأمة وكمالها . فان إشاعة الفَحشاء . وظهور المنكر . وسيادة البَغْى . مُقَوّضات لصرح كمال الأمة . ومدمرات له .

ومن هنا كان النهى عن المنكر ملازماً للأمر بالمعروف . اذ الأمر بالمعروف أمر بالبناء . والنهى عن المنكر نهى عن التخريب والتّدمير . ولذا كان لاغنَى لأحد هما عن الآخر . اذ لافائدة في بِنَاءٍ يُقَامُ اليوم ويُهْدَمُ غداً .

وبالتتبع للآيات القرانية التى ذكر فيها الأمر بالمعروف نجد أن النهى عن المنكر مقرونا بها لا يفارقها بحال . فآية آل عمران يقول تعالى فيها : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » . وآية التوبة يقول تعالى فيها : « التّائبون العابدون الحامدون السائحون . الراكعون الساجدون . الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » . وآية الحج يقول سبحانه وتعالى فيها : « الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » . وكالآيات القرآنية . الأحاديث النبوية .فإنها ما ذكرت الأمر بالمعروف إلاّ مقروناً بالنهى عن المنكر كقوله صلى الله عليه وسلم «لتأمُرُنّ بالمعروف ولتنهوُنّ عن المنكر » ... الحديث ... وقوله : مُرْ بالمعروف وَانْهَ عن المنكر ... الحديث . وذلك أن المعروف بناءٌ . والمنكر هدم . فمن أمر ببناء ولم ينه عن هدمه مع وجود مقتضيات الهدم . كان قد جانب الحكمة . وأخطأ الصواب . إن من أقام صرحا . أو غرس غرساً . وجب عليه حمايته من أيدى العوادى تعدو عليه . وإلا فقد أضاع جهده . وخسر عمله . وبالجملة فإن ترك المنهيات الثلاثة في الآية الكريمة وهى الفحشاء . والمنكر . والبغى . ضرورى لبقاء العدل . والإحسان ودوام التماسك والترابط بين أفراد المجتمع . وإلا فسيزول العدل ويذهب الإحسان . وتتقطع روابط المودة والولاء . وتحلّ الكوارث وينزل البلاء . كما هو مشاهد في حياة الناس اليوم .

والله المستعان ، وعليه وحده التكلان .




مع
الهدى النبوي

عَنِ ٱلْمِقْدَادِ بْنِ مَعْدِي كَرِب عَنْ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

«أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ ٱلْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا ٱلْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»

أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم بإسناد صحيح

وجوب العمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وكفر من أنكرها

لفضيلة الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية .

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد المرسل رحمة للعالمين وحجة على العباد أجمعين وعلى آله وأصحابه الذين حملوا كتاب ربهم سبحانه وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم الى من بعدهم بغاية الأمانة والاتقان والحفظ التام للمعانى والألفاظ رضى الله عنهم وأرضاهم وجعلنا من أتباعهم باحسان .

أما بعد : فقد أجمع العلماء قديما وحديثا على أن الأصول المعتبرة في اثبات الأحكام . وبيان الحلال والحرام في كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ثم سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى . ثم اجماع علماء الأمة . واختلف العلماء في أصول أخرى أهمها القياس وجمهور أهل العلم على أنه حجة اذا استوفي شروطه المعتبرة . والأدلة على هذه الأصول أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر : -

أما الأصل الأول : فهو كتاب الله العزيز وقد دل كلام ربنا عز وجل في مواضع من كتابه على وجوب اتباع هذا الكتاب والتمسك به والوقوف عند حدوده قال تعالى « **اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون** » وقال تعالى « **وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون** » وقال تعالى « **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم** » وقال تعالى « **ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** » وقال تعالى « **وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** » وقال تعالى « **هذا بلاغ للناس ولينذروا به** » والآيات في هذا المعنى كثيرة وقد جاءت الأحاديث الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آمرة بالتمسك بالقرآن والاعتصام به دالة على أن من تمسك به كان على الهدى ومن تركه كان على الضلال ومن ذلك ما ثبت عنه صلى الله

عليه وسلم أنه قال : في خطبته في حجة الوداع « **انى تارك فيكم ما لن تضلوا ان اعتصمتم به كتاب الله** » رواه مسلم في صحيحه وفي صحيح مسلم أيضا عن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « **انى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به** » **فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال** : « **وأهل بيتى أذكركم الله في أهل بيتى أذكركم الله في أهل بيتى** » **وفي لفظ قال في القرآن** « **هو حبل الله من تمسك به كان على الهدى ومن تركه كان على الضلال .** »

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة . وفي اجماع أهل العلم والايمان من الصحابة ومن بعدهم على وجوب التمسك بكتاب الله والحكم به والتحاكم اليه مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مايكفى ويشفى عن الاطالة في ذكر الأدلة الواردة في هذا الشأن .

أما الأصل الثانى : من الأصول الثلاثة المجمع عليها فهو ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله وتقريره ولم يزل أهل العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم يؤمنون بهذا الأصل الأصيل ويحتجون به ويعلمونه الأمة وقد ألفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة وأوضحوا ذلك في كتب أصول الفقه والمصطلح والأدلة على ذلك لا تحصى كثرة فمن ذلك ما جاء في كتاب الله العزيز من الأمر باتباعه وطاعته وذلك موجه الى أهل عصره ومن بعدهم لأنه رسول الله الى الجميع ولأنهم مأمورون باتباعه وطاعته حتى تقوم الساعة ولأنه عليه الصلاة والسلام هو المفسر لكتاب الله والمبين لما أجمل فيه بأقواله وأفعاله وتقريره . ولولا السنة لم يعرف المسلمون عدد ركعات الصلوات وصفاتها وما يجب فيها ولم يعرفوا تفصيل أحكام الصيام والزكاة والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولم يعرفوا تفاصيل أحكام المعاملات والمحرمات وما أوجب الله بها من حدود وعقوبات . ومما ورد في ذلك من الآيات قوله تعالى في سورة آل عمران « **وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** » وقوله تعالى في سورة النساء « **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** »

وقال تعالى في سورة النساء أيضا « **من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا** » وكيف يمكن طاعته ورد ما تنازع فيه الناس الى كتاب الله وسنة رسوله اذا كانت سنته لا يحتج بها أو كانت غير محفوظة وعلى هذا القول يكون الله قد أحال عباده الى شيء لا وجود له وهذا من أبطل الباطل ومن أعظم الكفر بالله وسوء الظن به . وقال عز وجل في سورة النحل « **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليك ولعلهم يتفكرون** » وقال أيضا في آية أخرى« **وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** » فكيف يكل الله سبحانه الى رسوله صلى الله عليه وسلم تبيين المنزل اليهم وسنته لا وجود لها أولا حجة فيها ومثل ذلك قوله تعالى في سورة النور « **قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين** » . وقال تعالى في السورة نفسها « **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون** » .

وقال في سورة الأعراف « **قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** » وفي هذه الآ يات الدلالة الواضحة على أن الهداية والرحمة في اتباعه عليه الصلاة والسلام . وكيف يمكن ذلك مع عدم العمل بسنته أو القول بأنه لا صحة لها أو لا يعتمد عليها . فقال عز وجل في سورة النور « **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** » **وقال في سورة الحشر « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » والآ يات في هذا المعنى كثيرة وكلها تدل على وجوب طاعته عليه الصلاة والسلام واتباع ما جاء به كما سبقت الأدلة على وجوب اتباع كتاب الله والتمسك به وطاعة أوامره ونواهيه وهما أصلان متلازمان من جحد واحدا منهما فقد جحد الآخر وكذب به وذلك كفر وضلال وخروج عن دائرة الاسلام باجماع أهل العلم والايمان وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجوب طاعته واتباع ما جاء به وتحريم معصيته وذلك في حق من كان في عصره وفي حق من يأتى بعده الى يوم القيامة ومن ذلك ما ثبت عنه في الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله » وفي صحيح البخارى عنه رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى قيل يا رسول الله ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » . وخرج أحمد وأبو داود والحاكم باسناد صحيح عن المقدام بن معدى كرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه » .

وخرج أبو داود وابن ماجه بسند صحيح : عن ابن أبى رافع عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندرى ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » .

وعن الحسن بن جابر قال سمعت المقدام بن معدى كرب رضى الله عنه يقول« حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر أشياء ثم قال يوشك أحدكم أن يكذبنى وهو متكىء يحدث بحديثى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا ان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله : أخرجه الحاكم والترمذى وابن ماجه باسناد صحيح . وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه كان يوصى أصحابه في خطبته أن يبلغ شاهدهم غائبهم ويقول لهم رب مبلغ أوعى من سامع ومن ذلك ما في الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خطب الناس في حجة الوداع في يوم عرفه وفي يوم النحر قال لهم فليبلغ الشاهد الغائب فرب من يبلغه أوعى له ممن سمعه . فلولا أن سنته حجة على من سمعها وعلى من بلغته . ولولا أنها باقية الى يوم القيامة لم يأمرهم بتبليغها . فعلم بذلك أن الحجة بالسنة قائمة على من سمعها من فيه عليه الصلاة والسلام وعلى من نقلت اليه بالأسانيد الصحيحة .

وقد حفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سنته عليه الصلاة والسلام القولية والفعلية وبلغوها من بعدهم من التابعين ثم بلغها التابعون من بعدهم ، وهكذا نقلها العلماء الثقات جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن ، وجمعوها في كتبهم وأوضحوا صحيحها من سقيمها ، ووضعوا لمعرفة ذلك قواعد وضوابط معلومة بينهم يعلم بها صحيح السنة من ضعيفها وقد تداول أهل العلم كتب السنة من الصحيحين وغيرهما وحفظوها حفظا تاما كما حفظ الله كتابه العزيز من عبث العابثين والحاد الملحدين وتحريف المبطلين تحقيقا لما دل عليه قوله سبحانه « أنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ولا شك أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحى منزل فقد حفظها الله كما حفظ كتابه وقيض الله لها علماء نقادا ينفون عنها تحريف المبطلين وتأويل الجاهلين ويذبون عنها كل ما ألصقه بها الجاهلون والكذابون والملحدون لأن الله سبحانه جعلها تفسيرا لكتابه الكريم وبيانا لما أجمل فيه من الأحكام وضمنها أحكاما أخرى لم ينص عليها الكتاب العزيز ، كتفصيل أحكام الرضاع وبعض أحكام المواريث وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها الى غير ذلك من الأحكام التى جاءت بها السنة الصحيحة ولم تذكر في كتاب الله العزيز ·

ونذكر بعض ما ورد عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم في تعظيم السنة ووجوب العمل بها ·· في الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد من العرب قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فقال له عمر رضى الله عنه كيف تقاتلهم وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها » فقال أبو بكر الصديق أليست الزكاة من حقها والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر رضى الله عنه فما هو الا أن عرفت أن الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق . وقد تابعه الصحابة رضى الله عنهم على ذلك فقاتلوا أهل الردة حتى ردوهم الى الاسلام وقتلوا من أصر على ردته وفي هذه القصة أوضح دليل على تعظيم السنة ووجوب العمل بها وجاءت الجدة الى الصديق رضى الله عنه تسأله عن ميراثها فقال لها ليس لك في كتاب الله شيء ولا أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى لك بشيء وسأسأل الناس ثم سأل رضى الله عنه الصحابة فشهد عنده بعضهم بأن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى الجدة السدس فقضى لها بذلك وكان عمر رضى الله عنه يوصى عماله أن يقضوا بين الناس بكتاب الله فان لم يجدوا القضية في كتاب الله فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أشكل عليه حكم املاص المرأة وهو اسقاطها جنينا ميتا بسبب تعدى أحد عليها سأل الصحابه رضى الله عنهم عن ذلك فشهد عنده محمد بن سلمة والمغيرة بن شعبه رضى الله عنهما بأن النبى صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بغرة عبدا أو أمة فقضى بذلك رضى الله عنه · ولما أشكل على عثمان رضى الله عنه حكم اعتداد المرأة في بيتها بعد وفاة زوجها وأخبرته فريعة بنت مالك بن سنان أخت أبى سعيد رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم أمرها بعد وفاة زوجها أن تمكث في بيته حتى يبلغ الكتاب أجله قضى بذلك رضى الله عنه وهكذا قضى بالسنة في اقامة حد الشرب على الوليد بن عقبه

ولما بلغ عليا رضى الله عنه أن عثمان رضى الله عنه ينهى عن متعة الحج أهل على رضى الله عنه بالحج والعمرة جميعا وقال لا أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس ولما احتج بعض الناس على ابن عباس رضى الله عنهما في متعة الحج بقول أبى بكر وعمر رضى الله عنهما في تحبيذ أفراد الحج قال ابن عباس يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر . فإذا كان من خالف السنة لقول أبى بكر وعمر تخشى عليه العقوبة فكيف بحال من خالفها لقول من دونهما أو لمجرد رأيه واجتهاده . ولما نازع بعض الناس عبد الله بن عمر رضى الله عنهما في بعض السنه قال له عبد الله هل نحن مأمورون باتباع النبى صلى الله عليه وسلم أم باتباع عمر ولما قال رجل لعمران بن حصين رضى الله عنهما حدثنا عن كتاب الله وهو يحدثهم عن السنة غضب رضى الله عنه وقال إن السنة هى تفسير كتاب الله ولولا السنة لم نعرف أن الظهر أربع والمغرب ثلاث والفجر ركعتان ولم نعرف تفصيل أحكام الزكاة الى غير ذلك مما جاءت به السنة من تفصيل الأحكام . والقضايا عن الصحابة رضى الله عنهم في تعظيم السنة ووجوب العمل بها والتحذير من مخالفتها كثيرة جدا . ومن ذلك أيضا أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما حدث بقوله صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا اماء الله مساجد الله . قال بعض أبنائه والله لنمنعهن فغضب عليه عبد الله وسبه سباً شديداً وقال أقول قال رسول الله وتقول والله لنمنعهن ولما رأى عبد الله بن المغفل المزنى رضى الله عنه وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أقاربه يخذف نهاه عن ذلك وقال له أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف وقال أنه لا يصيب صيدا ولا ينكأ عدوا ولكنه يكسر السن ويفقأ العين ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال والله لا كلمتك أبدا أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن الخذف ثم تعود وأخرج البيهقى عن أيوب السختيانى التابعى الجليل أنه قال اذا حدث الرجل بسنة فقال دعنا من هذا . وأنبئنا عن القرآن فاعلم أنه ضال وقال الأوزاعى رحمه الله السنة قاضية على الكتاب ولم يجيء الكتاب قاضيا على السنة ومعنى ذلك : أن السنه جاءت لبيان ما أجمل في الكتاب أو تقييد ما أطلقه أو بأحكام لم تذكر في الكتاب كما في قول الله سبحانه « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » وسبق قوله صلى الله عليه وسلم ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه وأخرج البيهقى عن عامر الشعبى رحمه الله أنه قال لبعض الناس « انما هلكتم في حين تركتم الآثار » يعنى بذلك الأحاديث الصحيحة وأخرج البيهقى أيضا عن الأوزاعى رحمه الله أنه قال لبعض أصحابه اذا بلغك عن رسول الله حديث فاياك أن تقول بغيره فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبلغا عن الله تعالى « وأخرج البيهقى عن الامام الجليل سفيان بن سعيد الثورى رحمه الله أنه قال انما العلم كله العلم بالآثار . وقال مالك رحمه الله ما منا الا راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر وأشار الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو حنيفة رحمه الله اذا جاء الحديث عن رسول الله صل الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وقال الشافعى رحمه الله متى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فلم آخذ به فاشهدكم أن عقلى قد ذهب وقال أيضا رحمه الله اذا قلت قولا وجاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلافه فأضربوا بقولى الحائط وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله لبعض أصحابه . لا

تقلدنى ولا تقلد مالكا ولا الشافعى وخذ من حيث أخذنا ـ وقال أيضا رحمه الله عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهبون الى رأى سفيان والله سبحانه يقول « فليحذر الذين يخافون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » ثم قال أتدرى ما الفتنة الفتنة الشرك لعله اذا رد بعض قوله عليه الصلاة والسلام أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك وأخرج البيهقى عن مجاهد ابن جبر التابعى الجليل أنه قال في قوله سبحانه فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول قال الرد الى الله الرد الى كتابه والرد الى الرسول الرد إلى السنة وأخرج البيهقى عن الزهرى رحمه الله أنه قال كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنه نجاة وقال موفق الدين بن قدامه رحمه الله في كتابه روضة الناظر : في بيان أصول الأحكام ما نصه والأصل الثانى من الأدلة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة لدلالة المعجزة عل صدقه وأمر الله بطاعته وتحذيره من مخالفة أمره انتهى المقصود وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنه أو يصيبهم عذاب أليم » أى عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » أى فليخش وليحذر من خالف شريعة الرسول باطنا أو ظاهرا : « أن تصيبهم فتنة » أى في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعه « أو يصيبهم عذاب أليم » أى في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك : كما روى الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب اللائى يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها قال فذلك مثلى ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبونى وتقتحمون فيها أخرجاه من حديث عبد الرزاق وقال السيوطى رحمه الله في رسالته المسماه مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ما نصه :

« اعلموا رحمكم الله أن من أنكر أن كون حديث النبى صلى الله عليه وسلم قولا كان أو فعلا بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر وخرج عن دائرة الاسلام وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الكفرة » انتهى المقصود . والآثار عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم في تعظيم السنه ووجوب العمل بها والتحذير من مخالفتها كثيرة جدا وأرجو أن يكون في ما ذكرنا من الآيات والأحاديث والآثار كفاية ومقنع لطالب الحق ونسأل الله لنا ولجميع المسلمين التوفيق لما يرضيه والسلامة من أسباب غضبه . وأن يهدينا جميعا صراطه المستقيم إنه سميع قريب .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه واتباعه بإحسان ... .



بقلم : احمد محمد جمال
أستاذ الثقافة الاسلامية
بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

تارة نجلس الى مأدبة الله في الأرض - وهى القرآن الكريم - وتارةً اخرى نتأمل الأحكام والأخلاق في مدرسة النبوة ... مدرسة (محمد) سيدنا ، وإمامنا ، ومعلّمنا الاول والامثل ، صلى الله عليه وسلم .

ونبدأ بأهم درس في (الإيمان) وما يجب ان يتبعه من عمل صالح ، وأساسِ ذلك وقاعدتِه ... وهى النية : اي ما يضمره المؤمن من هدف أو غرض عندما يعزم على أمرٍ أو ينفذه من فوره ...

يروى الامام البخارى - رحمه الله - في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

● إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ... فهجرته الى ما هاجر اليه (١) .

جاء هذا الحديث تعقيباً على قصة رجل هاجر من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، لا رغبةً في فضيلة الهجرة ، وإنما هاجر ليتزوج امرأة تسمى (أم قيس) كان قد خطبها فأبت ان تتزوجه حتى يهاجر - فهاجر من أجل ذلك . فكانوا يسمونه (مُهَاجِر أمِّ قيسٍ) .

وقد أورد الأمام ابن حجر شارح الصحيح اقوالاً لبعض العلماء عن أهمية هذا الحديث . منها قول الامام البخارى نفسه : (ليس في أخبار النبى صلى الله عليه وسلم شيء اجمع وأغنى واكثر فائدة من هذا الحديث) .

واتفق - كما يقول ابن حجر - الشافعى ، وابن حنبل والمدينى ، وابو داود والترمذى ، والدارقطنى ، على ان هذا الحديث ثلث الاسلام . وقال ابن مهدى : إنه يدخل في ثلاثين باباً من العلم . وقال الشافعى : في سبعين باباً .

(١) صحيح البخارى جـ ١ ص ٩

وقد وجّه البيهقيُّ كون الحديث ثُلُثَ العلم بأن كسب العَبْد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه ، فالنيةأحد اقسامها الثلاثة وارجحها . ومن ثَمَّ ورد : « نيَّة المؤمن خيرٌ من عمله » كما ورد في صحيح مسلم : (يبعثون على نيايتهم) وحديث (جهادٌ ونية) وحديث : (من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو في سبيل الله) وحديث : (رُبَّ قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته) وحديث : (من غزا لا ينوى الا عقالاً فله ما نوى) (١) .

• • •

وقوله صلى الله عليه وسلم : (إنما الاعمال بالنيات) هذا التركيب ـ كما يرى الكرمانى ـ يفيد الحصر عند المحققين فمعناه : كل عمل بنيةٍ . فلا عَملَ الا بنية .

والنية ـ كما هو معروف من اللغة ـ هى القصد . اى عزيمة القلب . أو انبعاث القلب نحو ما يريده العَبْدُ من جلبِ نفعٍ أو دفع مضرة .

● قلت : إن القرآن الكريم يؤكد أهمية النية في العمل مثل قول الله عز وجل : (ربكم أعلم بما في نفوسكم . إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوّابين غفوراً) (٢) وفي قوله أيضاً : (يا أيها النبيُّ قل لمن في أيديكم من الأسرى : إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أُخِذَ منكم) (٣) .

ومفهوم الحديث : أن أعمال الانسان تتبع نيته . وتصدر عنها . فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ... فهجرته الى ما هاجر اليه) .

ويرى بعض العلماء : أن الأقوالَ كالاعمال تصدر عن نيةِ القائل . والحديث يتناولها بأحكامه ـ بدليل الآية القرآنية من سورة الأنعام : (يوحي بعضُهم الى بعضٍ زخرفَ القولِ غروراً) .

ويقول القرطبى : قوله صلى الله عليه وسلم : (إنما لكل امرئٍ ما نوى) فيه تحقيق لاشتراط النية . والإخلاص في الأعمال .

ومما قاله السمعانى ـ في أماليه ـ ان الأكل اذا نوى به آكله القوة على الطاعة يُثابُ عليه .

والهجرة الى الشيء : الانتقال اليه عن غيره . وقد وقعت في الاسلام على وجهين الأول : الانتقال من دار الخوف الى دار الأمان ـ كما حدث ذلك في الهجرة الى الحبشة وابتداء الهجرة الى المدينة . الثانى : الهجرة من دار الكفر الى دار الإيمان . وذلك بعد أن استقر النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة . وهاجر اليها من استطاع من المسلمين بعد ذلك . الى أن أتم الله نعمته بفتح مكة المكرمة . فلم تعد الهجرة مختصة بالمدينة . ولكن بقى عموم الانتقال من دار الكفر الى دار الايمان لمن استطاع الى ذلك سبيلاً .

وقوله : (الى دنيا يصيبها) عامٌ في كل أمر من امور الدنيا ـ ثم جاء قوله : (أو امرأة ينكحها) زيادةً في التحذير . لان الافتتان بالنساء اشد . كما ان سبب الحديث هو قصةُ مهاجِر أم قيس .

(١) المصدر نفسه جـ ١ ص ١١
(٢) سورة الاسْراء آية ٢٥
(٣) سورة الانفال آية ٧٠

اما قوله صلى الله عليه وسلم : (فهجرتُه الى ما هاجر اليه) فالمعنى أنه ليس له ثواب الهجرة إلى الله ورسوله ، وإنما له ما أراد من الحصولِ على ما احبَّ من منفعةٍ ، او الا بتعاد عما خاف من ضرر ٠

واختار الامام الغزالى : انه اذا كان القصد الدنيوى هو الاغلب لم يكن فيه اجر ، او الدينى أجِرَ بِقَدْرِه ـ وان تساويا ـ اى تردد القصدُ بين الأمريْن فلا أجرَ له ٠

ويرى بعض علماء السلف ـ كما نقل الامام الطبرى ـ : أن الاعتبار بالا بتداء ، فان كان ا بتداؤه لله خالصاً لم يضره ما عرض له بعد ذلك من إعجاب وغيره ٠

● ويقول صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : (المسلمُ من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده والمهاجِر من هَجرَ ما نَهىَ الله عنه) (١) ٠

يقول العلامة (ابن حجر) في التعبير باللسانِ دون القول ما يُدخِلُ في ذلك الاستهزاءَ بإخراج اللسان ، وفي ذكْرِ اليد دون غيرها من الجوارح ما يُدخِلُ في ذلك الاستيلاءَ على حق الغير بأى وسيلة أخرى ٠

والهجرة ضربان : ظاهرةٌ وباطنة ـ فالباطنة ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء ، وما يوسوس به الشيطان أو يزيّنه للإنسان من معصية وفسوق ـ والهجرة الظاهرة : الفرارُ بالدِين من الفتن . وكأن المخاطبين بذلك نُبهّوا إلى ألا يَتَّكِلوُا على مجرد الهجرة من ديارهم . حتى يمتثلوا أوامر الشرع فيهجروا ما حرَّم الله وما حرَّم رسوله ٠

ولعل في الحديث تطييباً لقلوب من لم يستطع الهجرة إلى المدينة : بأن حقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه ٠

وقد أخرج ابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (المُهاَجِر من هَجرَ السيئات ، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده) ٠

ونعود إلى تأكيد أثر (النية) وأهميتها حيث نجد أن ابن حجر يقول ما خلاصته تعليقاً على قول الله عز وجل : (ولكن يُؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) ـ أنَّ الايمان بالقول وحده لا يتم إلا بانضمام الاعتقاد اليه ، والاعتقاد فعل القلب ، فقوله : (بما كسبت قلوبكم) أى بما استقر فيها ، والآية وإن وردت في الأيْمان ، فالاستدلال بها في الإيمان واضحٌ للاشتراك في المعنى إذ مدار الحقيقةِ فيهما علىَ القلب ٠

ثم يضيف : أن فيه دليلًا على بطلان قولِ الكرامية : إن الإيمان قولٌ فقط ، ودليلًا على أن الإيمان ينقص ويزيد ٠

ويرى النووى : أن في الآية دليلًا على المذهب الصحيح ، وهو أن أفعال القلوب يُؤاخَذُ بها إن استقرت ـ وأما قوله عليه الصلاة والسلام : (إن الله تجاوز لأمتى عما حدثَّت به أنفسها ما لم تعمل او تتكلم)فمحمولٌ على إذا لم تستقر (٢) ٠

---

(١) صحيح البخارى جـ ١ ص ٥٣

(٢) ص ١٣٥

وأورد البخارى ـ في باب ما جاء في أن الأعمال بالنيةِ والِحسبة قوله عز وجل : (قل كلٌّ يعمل على شاكلته) من سورة الإسراء ـ وقال أى على نيته ـ ثم أضاف الحديث : (نفقة الرجل على أهله يحتسبها ـ صدقة . والحديث : ولكن جهاد ونية وفي رواية أخرى : إذا انفق الرجل على أهله ـ يحتسبها ـ فهو له صدقة وفي ثالثة : إنك لم تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها . حتى ما تجعل فى في امرأتك .

والمراد بالِحسْبة والاحتساب : طلب الأجر والتماس المثوبة من عند الله عز وجل دون رياء ولا سمعة .

يقول ابن حجر ـ نقلا عن ابن المنير ـ إن ما كان من المعانى المحضة كالخوف والرجاء ـ فهذا لا يقال باشتراط النية فيه . لانه لا يمكن أن يقع إلاّ معنويًا . والنية فيه شرطٌ عقلّى . واما الاقوال فتحتاج إلى النية في ثلاثة مواطن :

ـ الأول : التقُّرب إلى الله فراراً من الرياء .

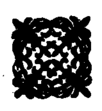
ـ والثانى التمييز بين الألفاظ المحتملة لغير المقصود .

ـ والثالث : قصد الإنشاء ليخرج سَبْقُ اللسان .

أما قوله عز وجل : (قل كلٌّ يعمل على شاكلته) فالشاكلة في الآية هى (النية) كما صح ذلك عن الحسن البصرى وغيره ـ وصح عن مجاهد أنها الطريقة . وهو الأكثر . وقيل أيضا : إنها الدِّين . وهى معانى متقاربة .

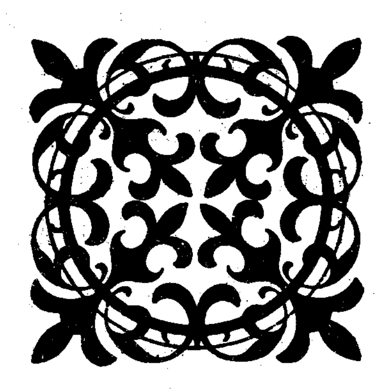
وقد يعجب الإنسان كيف ينفق على أهله ما يجب عليه ثم يكون له ثوابٌ على ذلك . وهنا يقول النووى ـ كما نقل عنه ابن حجر ـ أن الحظ إذا وافق الحق لا يقدح في ثوابه لأن وضع اللقمة في فم زوجته يقع غالباً في حالة المداعبة . ولشهوةِ النفس في ذلك مدخلٌ ظاهر . ومع ذلك إذا وجد القصد إلى ابتغاء الثواب حصل له بفضل الله ـ وأضاف ابن حجر : أن هناك ما هو أصرح من وضع اللقمة في فم الزوجة . وهو قوله صلى الله عليه وسلم : (في بُضْع أحدكم صدقة ـ قالوا : يارسول الله أيأتى أحدنا شهوتَه ويُؤجَر ؟ قال : نعم أرأيتم لو وضعها في حرام ؟ أليس عليه وِزر ـ فكذلك إذا وضعها في حلالٍ فله أجر) أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

والمراد (بالصدقة) في الحديث : ثوابُها ويستفاد منه أن الأجر لا يحصل بالعمل إلا مقروناً بالنية . والأهل هم الزوجة والأولاد والأقارب . ويقول الطبرى : لا منافاة بين كون النفقة واجبةَ وبين تسميتها صدقة . بل هى أفضل من الصدقة .



وقال المهلَّب : إن النفقة على الأهل واجبةٌ بالإجماع .وإنما سمَّاها الشارع (صَدَقَةً) خشيةَ أن يظنوا أنَّ قيامهم بالواجبِ لا أجر لهم فيه ـ وفيه ترغيبٌ للإنفاق على الأهل والأقارب قبل التصدقُ على الأباعد (١) .

وبعد : فنسأل الله التوفيق إلى أنْ تَحْسنَ نَياتُنا وتَخْلُصَ أعمالُنا لله وحدَه .. بلا رياءٍولا سمعةٍ . وأن يتقبلها بقبولٍ حسن .



(١) ملخص من ص ٤٩٨ جـ ٩ من فتح الباري .

الحركة السلفية
ودورها في إحياء السنة

بقلم عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائى
بالدراسات العليا بالجامعة الاسلامية

ابتدأت حركة إحياء السنة في شكلها القوى في اواخر القرن الثالث عشر وتنورت بأشعتها بلاد دهلى وبهار وبنكال وجنوب الهند وشمالها وبلاد السند وكجرات ودكن وسرحد وفنجاب بل تجاوزت الى البلاد الاسلامية ، فكانت مثل تلك الحركة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ٠

وقاد هذه الحركة العلمية والاصلاحية مجددا عصرهما الإمام النواب صديق حسن البوفالى ٠ والإمام السيد نذير حسين المحدث الدهلوى . فخدم الأول علوم السنة بالتأليف والنشر وبذل الأموال الطائلة واحتضان العلم والعلماء بكل جد ونشاط وبكل جود وحماس . وخدم الثانى علوم السنة وإحيائها بتدريس الحديث مدة طويلة تستغرق اثنين وستين عاما . وكانت هذه المدرسة السلفية متأثرة بفكر الامام اسماعيل الشهيد الواضح النير ومنهجه السلفى القويم الذى كان يهدف الى دعوة الناس الى التمسك بالكتاب والسنة على منهج السلف الصالح . وكان شعار أصحاب هذه المدرسة العمل بالحديث وعدم التقيد بالتقليد والاجتناب عن التصوف الشكلى ٠

وبجهود هذين الامامين المتضافرة نشطت حركة إحياء السنة نشاطا كبيرا فكثر المعتنون بعلوم الكتاب والسنة وكثر دعاتها وكثرت المؤلفات في علوم السنة ونشرت كتب السنة بكثرة كاثرة . في عصر انقراض دولة المسلمين الذى بلغت حركة السنة فيه منتهى الضعف ٠

وقد اعترف الامام العلامة رشيد رضا في سنة ١٣٥٣ هـ . بخدمات علماء السنة في الهند . فقال في مقدمة كتاب مفتاح كنوز السنة :

« وهذا كتاب مفتاح كنوز السنة الذى نعرضه اليوم للعالم الإسلامى بلغة الإسلام . أحد نفائس هذه الكتب التى وضعها أحد هؤلاء الأعلام وانما وضعه لهم باحدى لغاتهم وإن عالمنا الاسلامى لهو أحوج اليها من العلم الأوربى . فعسى ان تنتفع به جميع شعوبه وتنهض بهم الحمية الدينية إلى خدمة السنة . قل من يريده حتى أن من المقلدين الجامدين من لا يرى لهذه الكتب فائدة إلا التبرك بها والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عند ذكره وذكرها ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر

لقضى عليها بالزوال من أمصار الشرق . فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر » (١) .

وقد سبق هذا الاعتراف والثناء العاطر في سنة ١٣٤٧ هـ . من العلامة المحقق عبد العزيز الخولى فهو يقول في مفتاح السنة تحت عنوان حال السنة في عصرنا الحاضر :

« ولا يوجد في الشعوب الاسلامية على كثرتها واختلاف أجناسها من وفى الحديث قسطه من العناية في هذا العصر مثل إخواننا مسلمى الهند . أولئك الذين وجد بينهم حفاظ للسنة دارسون لها على نحو ما كانت تدرس في القرن الثالث . حرية في الفهم ونظر في الأسانيد » .

وهذا كان منهج تدريس الحديث وتنقيد الروايات لكل من المحدث السيد نذير حسين الدهلوى والمحدث حسين بن محسن الأنصارى والنواب صديق حسن البوفالى . الذى كان يتجلى فيه روح الاجتهاد وحرية في الفهم ونظر في الأسانيد على المنهج السلفى الذى نرى في مؤلفات الشاه ولى الله الدهلوى والإمام الشوكانى . وإلى ذلك المنهج أشار الاستاذ الخولى فقال :

وان أساس تلك النهضة في البلاد الهندية أفذاذ أجلاء تمخضت بهم العصور الحديثة وانتهجوا في تحصيل العلوم نهج السلف فنبه شأنهم وعلا أمرهم وذاع صيتهم وتكونت جمعيات سلكت سبيلهم وعملت على نشر مبادئهم . فكان لها ذلك الأثر الصالح والسبق الواضح ومن أشهر هؤلاء الأعلام ولى الله الدهلوى صاحب التصانيف في اللغتين العربية والفارسية وأشهرها حجة الله البالغة والسيد صديق حسن خان ملك بهوبال صاحب التصانيف الكثيرة أيضا » .

ثم يقول : « ومن حسناته طبع فتح البارى فى شرح البخارى للحافظ ابن حجر ونيل الأوطار للإمام الشوكانى وتفسير الحافظ ابن كثير مع تفسيره فتح البيان . طبعت هذه على نفقته في المطبعة الأميرية بمصر . فكانت من أنجح وسائل إحياء السنة » .

واستطرد قائلا:وفى الهند طائفة الآن كبيرة تهتدى بالسنة فى كل أمور الدين.ولا تقلد أحدا منهم الفقهاء ولا المتكلمين . وهى طائفة المحدثين » (٢) .

وقد أثنى العلامة محمد منير الدمشقى على علماء أهل الحديث في الهند في كتابه نموذج من الأعمال الخيرية ثناء عاطرا فقال :

« وهى نهضة عظيمة أثرت على باقى البلاد الاسلامية فاقتدى بها غالب البلاد الإسلامية في طبع كتب الحديث والتفسير » (٣) .

كما اعترف الاستاذ الخولى بفضلهم فقال : «طبعوا كثيرا من كتبها النفيسة التى كانت تذهب بها الاهمال وتقضى عليها غير الزمان » (٤) .

---

(١) مقدمة مفتاح كنوز السنة .

(٢) مفتاح السنة : ١٦٥ ـ ١٦٦

(٣) نموذج من الأعمال الخيرية : ٤٦٨

(٤) مفتاح السنة : ١٦٥ ـ ١٦٦

وهذه الكتب التى قام بنشرها أهل الحديث هى : فتح البارى من مصر ومن الهند . وتفسير ابن كثير والسنن للدرامى . والتلخيص الحبير لابن حجر . وبلوغ المرام لابن حجر . والدراية فى تخريج الهداية لابن حجر والأدب المفرد للبخارى . والتاريخ الصغير له . وسبل السلام ومنتقى الأخبار . وشرح خمسين حديثا لابن رجب . وسنن الدارقطنى مع التعليق المغنى لشمس الحق العظيم آبادى . واللآلى المصنوعة للسيوطى . وقيام الليل للمروزى . وذيل اللآلى . والمعجم الصغير للطبرانى . والمقاصد الحسنة للسخاوى . والفوائد المجموعة للشوكانى وغير ذلك من نفائس كتب الحديث والتفسير .

وقد اعترف بفضل حركة أهل الحديث في اعتناء الحنفية بالكتاب والسنة أحد كبار علماء الحنفية وهو العلامة مناظر أحسن الكيلانى من تلامدة العلامة محمد أنور الكشميرى فقال :

« ويعترف أن اعتناء أحناف شبه القارة الهندية بالنبعين الأساسيين للدين (الكتاب والسنة) فيه دخل كبير لحركة أهل الحديث ورفض التقليد . وإن لم يترك عامة الناس التقليد إلا أنه قد تحطم سحر التقليد الجامد والاعتماد الأعمى » (١) .

النواب صديق حسن البوفالى وأصحابه :

إن حركة نشر السنة والدعوة السلفية التى قادها النواب البوفالى كان لها أثر بعيد في تاريخ إحياء السنة في الهند و « كم له أياد بيضاء في خدمة العلم والعلماء وإن جحد فضله الحاسدون وضعفاء العقول المتصنعون » (٢) وقد مر ذكر بعض حسناته في مجال نشر كتب السنة . ومن حسناته أنه قرر لغير واحد من العلماء والدعاة العاكفين على التأليف والدعوة والإرشاد رواتب شهرية تشجيعا لهم وتنويها بأعمالهم . فنشطت حركة التأليف والنشر في مواضيع العقيدة والسنة والدفاع عنهما .

ومن حسناته أنه دعا أسرة سلفية كريمة من اليمن . وجهود المحدث حسين بن محسن الأنصاري في نشر السنة ليست مخفية على أحد .

تلقى النواب علم الكتاب والسنة عن علماء عصره على تلاميذ أسرة الشاه ولى الله الدهلوى أمثال العلامة المفتى صدر الدين الدهلوى . وأسند عن الشيخ محمد يعقوب الدهلوي صنو المحدث إسحق الدهلوى . والمحدث عبد الحق البنارسى تلميذ الشوكانى . وقد أنعم الله عليه بزواجه مع الأميرة شاهجهان بيكم والية دولة بوفال فتولى رئاسة الدولة . ونشط للدعوة السلفية ولنشر السنة وإحيائها فكتب وألف كثيرا . ورتب نظام المدارس ونوه باعلان الجوائز للمشتغلين بالحديث حفظا ودراسة .

---

(١) مجلة برهان ج ٤١ /عدد ٢ . أغسطس سنة ١٩٥٨ م

(٢) نموذج من الأعمال الخيرية : ٣٨٨

آثاره العلميــة :

يعد النواب البوفالى من عظماء الإسلام الذين اشتهروا بكثرة مؤلفاتهم المتنوعة في مختلف العلوم والفنون كالامام السيوطى . بلغ عدد مؤلفاته ٢٢٢ كتابا في العربية والأردية والفارسية . منها : تفسير فتح البيان بالعربية . وتفسير ترجمان القرآن بالاردية . أما مؤلفاته في علوم السنة فهى كثيرة أيضا منها : (١) عون البارى في حل أدلة البخارى وهو شرح التجريد الصريح لصحيح البخارى . للشيخ حسين بن مبارك (في مجلدين) (٢) والسراج الوهاج في كشف مطالب مختصر صحيح مسلم بن الحجاج (في مجلدين) وشرح الأحاديث الوارة في الصحيح بتبويب جديد . وحذف أسانيدها وتبويب الامام النووى (٣) فتح العلام شرح بلوغ المرام فى ٤ أجزاء . اختصره من البدر التمام للمغربى . وحذف مذهب الزيدية وذكر فيه فوائد حديثية أخرى . نسبة الى ولده الشيخ نور الحسن . (٤) الروض الباسم (بالأردية) (٥) ومسك الختام بالفارسية في شرح بلوغ المرام . (٦) الحطة بذكر الصحاح الستة كتاب قيم في بابه . (٧) توفيق البارى في ترجمة الأدب المفرد للبخارى (الى الأردية) وله اتحاف النبلاء باحياء مآثر المحدثين الفقهاء (بالفارسية) والتاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (بالعربية) . وأبجد العلوم (فيه فصول تتعلق بعلم الحديث) (بالعربية) .

أما أصحابه الذين ساهموا معه في نشر السنة والثقافة الاسلامية فهم كثيرون والأخص بالذكر منهم .

(●) الإمام المحدث حسين بن محسن الأنصارى (١٢٤٥ ـ ١٣٢٧ هـ) تلقى العلم عن علماء اليمن وأسند الحديث عن العلامة السيد حسن بن عبد البارى والعلامة السيد سليمان بن محمد بن عبد الرحمن الأهدل وعن الشيخ أحمد بن الامام الشوكانى . درس وأفاد باليمن الى مدة ثم جاء الى الهند عند أخيه العلامة زين العابدين قاضى بوفال . وبقى هناك مدة من الزمن . ثم دعاه النواب البوفالى في عصره فجاء مع اسرته وتوطن ببوفال . وانتشر صيته في الآفاق فبادر اليه طلبة العلم وأهله واستغرفوا من بحار علمه وقل من علماء الحديث في عصره إلا وأسند عنه او استجاز منه . أمثال النواب البوفالى . والمحدث شمس الحق العظيم آبادى والمحدث وحيد الزمان والمحدث بديع الزمان . والمحدث عبد الرحمن المباركفورى وأمثالهم .

ومن آثاره العلمية : تعليقات شتى على سنن النسائى . والتحفة المرضية في حل بعض المشكلات الحديثية . والبيان المكمل في تحقيق الشاذ والمعلل . وله فتاوى في جزءين باسم فتاوى نور العين وله رسائل وبحوث قيمة في علم السنة (١) .

ومنهم العلامة القاضى محمد بشير السهسوانى صاحب صيانة الانسان عن وسوسة دحلان . تلميذ السيد نذير حسين الدهلوى . تولى رئاسة القسم الدينى ببلدة بوفال .

ومنهم : العلامة سلامت الله الجيراجفورى تلميذ السيد نذير حسين الدهلوى . تولى القضاء في الدولة .

---

(١) مقدمة فتاوى نور العين . تذكره علمائى حال ٢٢ ـ٢٣ . نزهة الخواطر : ٨ ـ١١١ . غاية المقصود : ١٧ . عون المعبود . أبجد العلوم : ٨٨٦ .

● راجع لترجمة النواب البوفالى وأسرته ابقاء المنن بالقاء المحن للمترجم نفسه بالأردية . مآثر صديقى (٤ أجزاء) تذكرة علما ئى هند : ٢٥٠ ـ ٢٥١ . جريدة أهل حديث أمر تسر ١٨ ـ١ سنة ١٩٢٠م . وأبجد العلوم واتحاف النبلاء والتاج المكلل (كلها للنواب) .

ومن علماء أسرة النواب البوفالى :

(●) صنوه الكبير العلامة المحدث أحمد بن حسن العرشى (١٢٤٦ - ١٢٧٧ هـ) الذى قصر همته على نشر السنة والسلفية ومن آثاره : الشهاب الثاقب في مبحث الاجتهاد والتقليد ·

(●) وولده : العلامة نور الحسن بن صديق حسن (١٢٧٨ - ١٣٣٠ هـ) تخرج على أبيه وعلى العلماء الموجودين في الدولة ، كان له اشتغال بعلوم السنة والتفسير ، نسب اليه النواب بعض مؤلفاته كفتح العلام وكتاب الغنة · ومن مؤلفاته : الجوائز والصلات من جمع الأسامى والصفات ، ومنتخب عمل اليوم والليلة لا بن السنى . ومنتخب مشارق الأنوار ·

مدرسة المحدث السيد نذير حسين الدهلوى
(١٢٢٠ هـ - ١٣٢٠ هـ)

ازدهرت حركة السنة ازدهارا عجيبا بجهود المحدث السيد نذير حسين الدهلوى فانتشر تلاميذه في أقطار الهند وقصروا همتهم على نشر السنة واحيائها بالتدريس والتأليف والدعوة والارشاد ·

ولد السيد نذير حسين ونشأ بقرية سورج كره من أعمال مونكير (من ولاية بهار) ورحل لطلب العلم إلى البلاد ؛ قرأ على أساتذة عظيم آباد (بتنه) والتقى هناك بزعماء حركة الجهاد الإمامين الشهيدين السيد أحمد بن عرفان والشاه اسماعيل الدهلوى ؛ ثم رحل الى دهلى وتلمذ على أساتذتها . ولازم المحدث اسحاق الدهلوى ثلاثة عشر عاما وتشبع بعلومه واستغرف من بحار علمه وفاق أقرانه في العلم والفضل . فاستخلفه الشيخ محمد اسحاق مسنده عند هجرته الى مكة المكرمة سنة ١٢٥٨ هـ فعكف على هذا المسند الشريف للدرس والافادة ولقب بميان صاحب . لقب علماء أسرة الشاه ولى الله الدهلوى . ثم اشتهر بشيخ الكل في الكل . وأعطته الحكومة وسام « شمس العلماء » اعترافا بعلمه وفضله ونبوغه في العلوم والفنون ·

يقول فيه تلميذه الشيخ عبد الحى الحسنى : « أجازه الشيخ المذكور» (أى الشيخ محمد اسحاق) ··· فتصدر للتدريس والتذكير والافتاء . ودرس الكتب الدراسية من كل علم وفن . لاسيما الفقه والأصول الى سنة سبعين ومائتين وألف . وكان له ذوق سليم في الفقه الحنفى . ثم غلب عليه حب القرآن والحديث فترك اشتغاله بما سواهما الا الفقه ··· ونفع الله بعلومه خلقا كثيرا من أهل العرب والعجم وانتهت اليه رئاسة الحديث في بلاد الهند ؛ أما تلامذته فعلى طبقات : فمنهم العالمون الناقدون المعروفون فلعلهم يبلغون الى ألف نسمة . ومنهم المقاربون بالطبقة الأولى في بعض الأوصاف . ومنهم من يلى الطبقة الثانية وأهل هاتين الطبقتين يبلغون الى الآلاف (١) ·

وقال المحدث حسين بن محسن الأنصارى : إنه فرد زمانه ومسند وقته وأوانه ومن أجل علماء العصر بل لا ثانى له في اقليم الهند في علمه وحلمه وتقواه وأنه من الهادين والمرشدين الى العلم بالكتاب والسنة والمعلمين لهما . بل أجل علماء هذا العصر المحققين في أرض الهند أكثرهم من تلامذته . وعقيدته موافقة لعقيدة السلف الموافقة للكتاب والسنة (٢) ·

(١) نزهة الخواطر ٨ - ٥٠٠ ·

(٢) نفس المصدر ٨ / ٤٩٩ ·

وأذكر هنا بعض من اشتهر منهم في خدمة السنة والسلفية بالايجاز ؛ وقد برز منهم في صناعة الحديث المحدث شمس الحق العظيم آبادى والمحدث عبد الرحمن المباركفورى وطار صيتهما في الآفاق وسار بتصانيفهما الركبان ولذلك نفصل الكلام فيهما بعض التفصيل ·

مؤلفـاتـــــه :

وقبل أن ؛ نشير الى بعض مؤلفاته . فان الله خلقه لتدريس علوم السنة فلم يلتفت الى الكتابة الا قليلا ؛ ورتب بعض تلاميذه فتاواه في جزءين كبيرين باسم « الفتاوى النذيرية » ولو رتبت أبحاثه وفتاواه كلها لكانت في مجلدات ضخام . وله كتاب جليل في مباحث الاجتهاد والتقليد . « معيار الحق » وقد ذكر مؤلف « الحياة بعد الممات » سبعة وثلاثين بحثا أو كتابا له ·

تـلاميــذه :

الامام المصلح المحدث العارف بالله عبد الله الغزنوى (١٢٣٠ ١٢٩٨ هـ) من كبار دعاة السنة وعلمائها المولعين بالعمل بها ونشرها واحيائها . اوذي في سبيل الله : فأخرج من موطنه غزنه ؛ تخرج على السيد نذير حسين واشتغل بالدرس والافادة ونشر السنة واحيائها ودحض البدع والخرافات في ولاية فنجاب . نفع الله به خلقا كثيرا لا يأتى عليه الاحصاء ورزقه الله اولادا صالحين اشتهروا بعلمهم وفضلهم ودعوتهم الى الله ؛ والأخص بالذكر منهم الامام عبد الجبار الغزنوى تلميذ السيد نذير حسين الدهلوى الذى قضى حياته في نشر السنة والسلفية ·

والأسرة الغزنوية والمدرسة الغزنوية قد اكتسبت شهرة عظيمة في الاوساط الدينية والعلمية لخدماتها العلمية والدينية (١) ·

والشيخ المحدث بديع الزمان بن مسيح الزمان اللكنوى الحيدر آبادى (١٢٥٠ ـ ١٣٠٤ هـ) اشتغل بالتأليف والتصنيف ونقل السنن إلى اللغة الأردية . فمن آثاره : ترجمة وشرح لجامع الترمذى في مجلدين (ولم يتمه) فأتمه صنوه المحدث وحيد الزمان : وترجمة ابن ماجه (ولم يتمه) (٢) .

وصنوه المحدث وحيد الزمان اللكنوى (١٢٦٧ ـ ١٣٣٨ هـ) من مشاهير الهند وكبار تلامذة السيد نذير حسين . قضى حياته في نشر السنة النبوية . وله منة عظيمة على أهل الهند حيث قام بترجمة وشرح كتب السنة الأردية : وقد نشرت هذه الشروح والتراجم في عصره ثم تتابعت طبعاته الى وقتنا الحاضر . ومن آثاره العلمية : شروح وتراجم الكتب الستة : صحيحى البخارى ومسلم وسنن أبى داود والنسائى والترمذى وابن ماجه ومشكوة المصابيح وموطأ مالك . وله أحسن الفوائد في تخريج أحاديث شرح العقائد . واشراق الأبصار في تخريج أحاديث الأنوار . ووحيد اللغات في غريب الحديث ومفرداته : وله

---

(١) نزهة الخواطر ٧ / ٣٠١ ـ ٣٠٢ ؛ وسيرت سيد داود غزنوى ·

(٢) نزهة الخواطر ٨ / ٩٠ ؛ جريدة أهل حديث امر تسر ٤٣/٨٧ ؛ حيات وحيد الزمان ؛ أهل حديث كى علمى خدمات : ١٦٤ . تراجم علما ئى حديث هند ·

تفسير القرآن المسمى بالتفسير الوحيدى (بالأردية) وتبويب القرآن لضبط مضامين القرآن ؛ واصلاح الهداية في فقه الحديث وله غير ذلك (١) .

الشيخ المحدث أمير حسن (١٢٤٣ ـ ١٢٩١) وابنه المحدث أمير أحمد (١٢٦٠ ـ ١٣٠٦ هـ) من كبارعلماء السنة أسندا عن السيد نذير حسين واشتغلا بنشر السنة والدفاع عن حركة المجاهدين .

والشيخ الداعية المحدث الحافظ محمد بن بارك الله اللكهوى (١٢٢١ ـ ١٣١١ هـ) من أجل تلامذة السيد نذير حسين وأحد العلماء السلفيين المشهورين بالفضل والكمال ؛ له مواقف محمودة في نشر الكتاب والسنة . في بلاد فنجاب وبمجهوده وجهود تلاميذه نشطت الحركة السلفية في هذه المنطقة . وله مؤلفات ممتعة ورسائل نافعة في السنة والتوحيد وله تفسير مشهور منظوم باللغة الفنجابية . وله تعليقات على بعض المواضع من سنن أبى داود (٢) .

والشيخ عبد الوهاب الملتانى الدهلوى (١٢٨٠ ـ ١٣١٥ هـ) أحد العلماء المشهورين تخرج على السيد نذير حسين والشيخ منصور الرحمن تلميذ الامام الشوكانى ؛ قضى حياته في الدرس والافادة والتأليف نحو ستين سنة بدهلى ؛ وله مؤلفات ورسائل كثيرة معظمها في الفروع والمسائل الخلافية . وقد اختار فيها موقفا غير ملائم ولشدته وتعنته في هذه المسائل وتركيزه عليها نشأت هناك طائفة كبيرة قد انتهجوا منهجه في هذه الأمور وتسببوا في اساءة الدعوة السلفية . بحيث صارت هذه المسائل الخلافية موضع البحث والمناقشة ومقياس الدين والسلفية ولا تزال آثارها السيئة باقية الى الآن . والسلفية براء من هذا التنطع والجدل والمناقشة الكلامية ؛ وله تعليقات على مشكاة المصابيح وعون المعبود (٣) .

الشيخ المحدث أبو عبد الرحمن محمد الفنجابى (١٣١٥ هـ) كان من جماعة السيخ فهداه الله الى قبول الاسلام على يد الامام عبد المنان المحدث الوزير آبادى فلازمه وأخذ عنه ثم وصل الى دهلى وأسند عن المحدث نذير حسين ثم اشتغل بتصحيح نسخة النسائى وعلق عليه حاشية جديدة ، أسماها الحواشى الجديدة . وبلغ الى كتاب عشرة النساء فوافته المنية سنة ١٣١٥ هـ . فأكملها الشيخ أبو يحي الشاه جهانفورى .

المحدث محمد بن هاشم السورتى السامرودى (١٢٥٦ ـ ١٣١٥ هـ) : أحد العلماء المفلقين في العلوم الأدبية وعلوم القرآن والحديث والفقه . أسند عن المحدث حسين بن محسن الأنصارى والشيخ منصور الرحمن تلميذ الشوكانى والسيد نذير حسين المحدث . قضى حياته في التدريس والتأليف . ومن مؤلفاته : ترجمة صحيح البخاري الى الأردية (سبعة أجزاء) .

---

(١) نزهة الخواطر ٨ / ٥١٥ ـ ٥١٦ ؛ جريدة أهل حديث امر تسر ٣٠٨٧ ؛ حياة وحيد الزمان للاستاذ عبد الحليم الجشتى .

(٢) جريد أهل حديث امر تسر ١٩/٨٩ سنة ١٩٢١ ؛ تاريخ أهل حديث للسبالكوتى : ٤٣٩ ؛ أهل حديث كى علمى خدمات ١٧٢ ـ ١٧٣ .

(٣) من مقدمة تفسير سنارى .

الشيخ أبو النصر عبد الغفار نشتر المهدانوى (م ١٣١٥ هـ) أسند عن المحدث السيد نذير حسين وتصدر للدرس والافادة والتأليف . ومن مؤلفاتــه : ترجمة الأدب المفرد للبخارى الى الأردية أسماها « سليقه » .

والعلامة المحدث الحافظ أبو محمد ابراهيم بن العلى الآروى (١٢٦٤ - ١٣١٩ هـ) : من أخص تلامذة السيد نذير حسين وأحد أركان الدعوة السلفية . وهو أول من فكر من علماء الهند لاصلاح المنهج التعليمى السائد في مدارس الهند . وأسس على فكرته المدرسة الأحمدية بآره سنة ١٢٩٨ هـ وصارت المدرسة أكبر مركز للدعوة السلفية . وكان يعقد المجالس العلمية تحت اشراف المدرسة كل سنة باسم مجلس المذاكرة العلمية . تدرس فيها موضوعات علمية خاصة ؛ ولا تزال المدرسة الأحمدية تؤدى دورها القيادى في مجال التعليم ببلدة دربهكه (من ولاية بهار) ؛ ومن آثاره العلمية : طريقة النجاة في ترجمة الأحاديث من الفصل الأول من المشكوة ؛ (في أربعة أجزاء) وله غير ذلك من المؤلفات . هاجر في آخر عمره الى الحجاز فأخذ عنه علماؤها ؛ وبطريقه انتشر سند السيد نذير حسين الدهلوى في الحجاز كما انتشر سنده بطريق بعض تلاميذه أمثال سعد بن عتيق في بلاد نجد والحجاز (١) .

المحدث محمد سعيد البنارسى (١٢٧٤ - ١٣٢٢ هـ) من كبار تلامذة السيد نذير حسين الدهلوى وأحد دعاة السنة والتوحيد ؛ ولد ونشأفي بيت هندوكى وثنى ؛ فهداه الله الى الاسلام فأسلم ودرس بدار العلوم (ديوبند) ثم فصل منها لعدم تقيده بالمذهب الحنفى الذى هو مذهب الدار ؛ ثم رحل الى دهلى ولازم السيد نذير حسين وتشبع بعلومه ثم اشتغل بالدرس والافادة في المدرسة الأحمدية بآره وأسس المدرسة السعيدية ببنارس . ودرس بها الى وفاته مع اشتغاله بالتأليف والتصنيف . تخرج عليه خلق كثير من شمال الهند وبهار وبنگال وله مؤلفات ورسائل كثيرة أكثرها ردودعنيفة على متعصبى المذهب والمقلدة الجامدين ؛ وله فتاوى في جزءين ؛ وقد رزقه الله أولادا صالحين منهم (٢) .

المحدث محمد أبو القاسم البنارسى : الذي تخرج عليه وعلى السيد نذير حسين الدهلوى وعلى المحدث عبد الرحمن المباركفورى . اشتغل بتدريس الحديث فدرس صحيح البخارى أربعين مرة ؛ وألف مؤلفات قيمة في الرد على من خالف السنة والطريقة السلفية ؛ وكان له اطلاع واسع في علم الحديث مع تساهله في الاستدلال بالاحاديث الواهية ؛ ومن مؤلفاته : الكوثر الجارى في حل مشكلات البخاري ؛ وسواء الطريق في تاريخ أهل الحديث . وحصول المرام في أحاديث النبى عليه الصلاة والسلام ؛ والاسف أن المسائل الخلافية جرته الى ميدان الجدل والمناقشة والمناظرة فلم يستطع أن يقوم بعمل كبير في خدمة السنة كما كان يتوقع منه ويرجى من علمه (٣) .

---

(١) نزهة الخواطر ٤/٨ - ٥ ؛ تذكره علما ئى حال : ٨ ؛ الحياة بعد الممات ٣٤٢ .

(٢) تذكرة السعيد عدد خاص لمجلة نصرة السنة . نزهة الخواطر ٤٣١/٨ - ٤٣٢ . تراجم علما ئى حديث هند ٨ ٢٨٨ . جريدة أهل حديث ٣/٨٦ سنة ١٩١٨ م .

(٣) عدد خاص لمجلة نور التوحيد حول وفاة المترجم له . عدد خاص لمجلة الهدى دربهنگة ص ٥٦ . حياة أبى القاسم امحدث من مجلة المنار ٣/سنة ١٩٧٠ م تراجم علماء حديث أهل هند ٢٩١/٨ .

والمحدث أبو الحسن السيالكوتى (م ١٣٢٥ هـ) ، كان له نصيب وافر في خدمة السنة النبوية ، اشتغل بالدرس والتأليف ، ومن آثاره : فيض البارى في شرح وترجمة صحيح البخارى (بالأردية) وترجمة مشكاة المصابيح الى الأردية ، وترجمة الجزء الخامس والسادس من كتاب تيسير الوصول ، والاكمال في ترجمة أسماء الرجال ، والكلام المبين في ود تلبيسات المقلدين (رد فيه على الفتح المبين للعلامة عبد الحى اللكنوى) ، وفيض الستار في ترجمة كتاب الآثار للامام محمد (الى الأردية) والظفر المبين في الرد على مغالطات المقلدين (الجزء الثانى) ·

والشيخ المحقق أبو يحيى محمد بن كفايت الله (م ١٣٤٢ هـ) من كبار أهل الحديث ، اشتغل بالدرس والتأليف ومن آثاره : الارشاد الى سبيل الرشاد (بالأردية) كتاب جليل في الرد على التقليد ، وفي الحث على اتباع الكتاب والسنة ، وله تكملة الحواشى الجديدة للشيخ أبى عبد الرحمن محمد الفنجابى تلميذ السيد نذير حسين الدهلوى ·

العلامة المحقق المحدث الشيخ محمد بشير بن بدر الدين الفاروقى السهسوانى (١٢٥٠ ـ ١٣٢٦ هـ) من كبار تلاميذ السيد نذير حسين وأحد نوابغ عصره في علم المعقول والمنقول ، قرأ على بعض أفاضل فرنكى محل ، وأخذ الحديث عن السيد نذير حسين في دهلى ، واستجاز من المحدث اليمانى · درس وأفاد في المدارس الهندية وتولى رئاسة المدارس في بوفال ·

ومن مؤلفاته الشهيرة : صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان والكتاب رد على جميع القبوريين والمبتدعين خلفا وسلفا ·

وله ردود عنيفة على الشيخ عبد الحى في مسئلة شد الرحال لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ·

وله البرهان العجاب في مسئلة فرضية أم الكتاب · وله غير ذلك من الكتب القيمة المفيدة ·

والعلامة المحقق المحدث الكبير أبو الطيب محمد شمس الحق بن أمير على العظيم آبادى (١٢٧٣ ـ ١٣١٩ هـ) من كبار محدثى الهند الذين قادوا حركة السنة والسلفية ، وأحد نوابغ العصر ممن يشار اليه بالبنان ، تلقى العلوم على أساتذة عصره في بلدته وفي لكناؤ ومراد آباد ودهلى ، رحل الى دهلى ولازم السيد نذير حسين المحدث الدهلوى ، ثم رجع الى موطنه سنة ١٣٠٢ هـ ، ثم قصد اليه مرة ثانية ولازمه ثلاث سنوات ، قرأ عليه الكتب الستة والموطأ والدارمى والدارقطنى وتفسير الجلالين بكل روية وتدبر ؛ كما استفاد من الشيخ حسين بن محسن الأنصارى وأسند عنه ، ورجع الى موطنه ديانوان ، وعكف عن الدرس والافادة والتأليف ، وقد وهبه الله ملكة راسخة في علوم الكتاب والسنة ، وكان مشغوفا بجمع الكتب النادرة القيمة في علوم السنة ونشرها بعد التعليق عليها ، وأنفق فيها مالا كثيرا ؛ وله منة عظيمة على أهل العلم وخاصة على طلبة الحديث ·

آثـــاره : كانت جهوده مرتكزة في خدمة السنة النبوية فمعظم مؤلفاته في السنة منها :

(١) غاية المقصود في حل سنن أبى داود : وهذا شرح واسع على السنن لم يطبع منه الا الجزء الأول فقط قبل سنة ١٢٠٥ هـ . وتوجد النسخة الخطية منه بمكتبة خدابخش . بتنه (الهند) في ثلاثة مجلدات . تنتهى الى أول كتاب الصلاة . وقد وصل المؤلف في شرحه هذا الكتاب الى باب في الدعاء للميت اذا وضع في قبره . ولم يمهله الأجل المحتوم لإكماله . وأما ما قال البعض أن غاية المقصود قد أتمه المؤلف في اثنين وثلاثين جزءا فلا يصح . وانما كان التقدير أن ينتهى الشرح في اثنين وثلاثين جزءا ولكن ما قدر الله اتمامه .

ويمتاز هذا الشرح العظيم بميزات وخصائص نذكر منها بعضها فيما يلى :

. كتب المؤلف في أول الجزء المطبوع مقدمة نفيسة تستغرق ثمانى عشرة صفحة على القطع الكبير ذكر فيها فوائد شتى تتعلق بالسنن ومؤلفه الامام أبى داود .

ثم بسط الكلام في شرح الأحاديث واعتنى بحل مشكلات الحديث وشرح غريبه اعتناء تاما وذكر المسائل الفقهية المستنبطة عنه مع بيان اختلاف المجتهدين وحججهم وتعيين القــول الراجح عند المؤلف . وقد تجرد فيه تماما عن التعصب الطائفى فرجح من الأقوال والآراء ما استبان له صوابه واعتضده الدليل .

وكذا ترجم لكل راو في أول موضع جاء فيه ذكره . مع بيان اسمه وكنيته ونسبته ولقبه وقد يكون في اسناد الحديث أو متنه اضطراب فيوضحه ويشرح مراد الامام أبى داود بقوله . واعتنى بتخريج كل حديث من السنن في آخر شرحه للحديث مع بيان الصحيح والضعيف منه وذكر وجوه التوفيق بين الروايات التى تبدو بادى الرأى مختلفة أو متباينة . وقد أخذ في كثير من المواضع على الأخطاء التى صدرت من شراح السنن وغيرهم وذكر ما هو الصواب . وأخيرا يسوق المؤلف في شرحه جملة من الروايات التى تتعلق بالباب مع ذكر من خرجها من الأئمة مع التمييز بين الصحيح منها والضعيف .

(٢) عون المعبود على سنن أبى داود : يقع هذا الشرح في أربعة مجلـدات ضخمة طبعت بدهلى (الهند) بين ١٣١٨ ـ ١٣٢٣ هـ . وتوجد نسخة خطية ناقصة منه في مجلدين ضخمين بمكتبة خدا بخش خان (بتنه) .

وقد اشتهر المحدث شمس الحق العظيم آبادى بتأليفه هذا الشرح . إلا أن المجلد الأول منه في الطبعة الأولى قد نشر باسم أخيه الشيخ شرف الحق محمد أشرف العظيم آبادى . والحقيقة أن هذا الشرح من تأليف المحدث شمس الحق وانمـا اسـتعان بأخيه وغيره من العلماء أثناء التـأليف وهم المحـــدث عبد الرحمن المباركفورى صاحب تحفة الأحوذى . والشيخ أبو عبد الله ادريس بن أبى الطيب الديانوى . وخال المؤلف الشيخ الحاج عبد الجبار بن الشيخ العالم نور أحمد الديانوى والشيخ القاضى يوسف حسين خان الهزاروى والشيخ محمد الشاهجهانفورى .

وسبب تأليفه هذا الشرح أنه لما كان يؤلف شرحه الكبير على سنن أبى داود المسمى بغاية المقصود شعر أنه يطول الى ما لا نهاية له وأن هذا العمل يمكن أن لا يتم في حياته . فشرع في تأليف مختصر ينفع العلماء والطلاب ويعينهم في فهم معانى الاحاديث . وها هو عون المعبود أكمله في سبع سنين .

وهذا الكتاب لا يوجد له مثيل في شروح السنن « وكل من جاء بعده من شيوخ الهند وغيره استمد من شرحه . كما قال الشيخ محمد منير الدمشقى (١) .

أما ميزات هذا الشرح فهى نفس خصائص شرحه الكبير غاية المقصود . الا أن المؤلف سلك فيه مسلك الاختصار ولم يبسط القول في المسائل الخلافية مثل ما بسط في غاية المقصود الا في بعض المسائل مثل بحث الجمعة في القرى وعدد تكبيرات العيدين ومسئلة التطليقات الثلاث . والصلاة على الميت الغائب . وتعليم الكتابة للنساء وحديث المجدد والتجديد وتحقيق معناه ؛ وشرح حديث أمارات الساعة وتحقيق ما هو الحق في محمد بن اسحاق صاحب المغازى .

وأكبر ميزة لعون المعبود أن المصنف بالغ في تصحيح متن السنن ومقابلته بالنسخ الموجودة بحيث صار المتن المطبوع مع العون أصح متن للسنن .

(٣) والتعليق المغنى على سنن الدارقطنى في جزءين . طبعه المؤلف على نفقته لأول مرة في الهند .

(٤) غنية الألمعى بحث عن عدة مسائل في الحديث . (٥) النجم الوهاج في شرح مقدمة صحيح مسلم بن الحجاج (٦) المكتوب اللطيف الى المحدث الشريف . . كتبه الى شيخه المحدث السيد نذير حسين الدهلوى في كون الاجازة العامة معتبرة . وسبب ذلك أنه اعترض بعض الحنفية على اعتبار هذه الاجازة (٧) هدية اللوذعى بنكات الترمذى . (٨) تعليق على اسعاف المبطا برجال الموطأ للسيوطى . (٩) نهاية الرسوخ في معجم الشيوخ . (١٠) فضل البارى في شرح ثلاثيات البخارى (١١) النور اللامع في أخبار الصلاة يوم الجمعة على النبى الشافع (١٢) تحفة المتهجدين الأبرار في أخبار صلاة الوتر وقيام رمضان عن النبى المختار . (١٣) اعلام أهل العصر بأحكام ركعتى الفجر (١٤) القول المحقق في تحقيق اخصاء البهائم (١٥) التحقيقات العلى باثبات فرضية الجمعة في القرى (١٦) تنقيح المسائل (مجموع الفتاوى له) وله غير ذلك من الرسائل والمؤلفات في اللغة الفارسية والأردية (٢) .

والعلامة المحدث الحافظ عبد المنان بن شرف الدين الوزير آبادى (١٢٠٧ ـ ١٣٣٤ هـ)

من أجل تلامذة المحدث السيد نذير حسين . ومن كبار أساتذة الحديث في عصره . تصدر لتدريس علوم السنة في فنجاب فأقبل عليه طلاب العلم اقبالا عظيما من أطراف الهند وخارجها . وتخرج عليه علماء كبار وانتشر تلاميذه في الهند ونشروا السنة النبوية . درس الكتب الستة أكثر من خمس وثلاثين سنة . ولم

---

(١) نموذج من الأعمال الخيرية : ٦٢٧ .

(٢) مصادر ترجمته : نزهة الخواطر ١٧٩/٨ ؛ مقدمة اعلام أهل العصر (الطبعة الثانية) ؛ هندوستان كى قديم اسلامى درسكاهين ص ٤٧ المحدث شمس الحق العظيم آبادى حياته وآثاره .

يبلغ أحد في كثرة الدرس والافادة ولم يقاربه من تلاميذ السيد نذير حسين . ومن أشهر تلاميذه العلامة أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسرى . والعلامة محمد ابراهيم مير السيالكوتى . والمحدث عنايت على الوزير آبادى . والمحدث محمد اسماعيل السلفى (١) .

والعلامة المحدث عبد العزيز الرحيم آبادى (١٢٧٠ - ١٣٣٦ هـ) من كبار علماء أهل الحديث وأحد أركان حركة المجاهدين . اشتغل بالدرس والافادة والوعظ والتذكير . تولى ادارة المدرسة الأحمدية بآره بعد الشيخ ابراهيم الآروى . وأنشئت جمعية أهل الحديث الهندية في سنة ١٩٠٦ م على فكرته . وله مواقف محمودة في نشر السنة والسلفية ؛ وله بعض المؤلفات القيمة . منها : سواء الطريق في أربعة أجزاء ؛ جمع فيه أحاديث صحيحة ونقلها الى الأردية مع التعليق عليها تعليقا موجزا . وله حسن البيان فيما في سيرة النعمان للعلامة شبلى النعمانى ؛ دافع فيه عن المحدثين وموقفهم من السنة . وهداية المعتدى في قراءة المقتدى . ألفه بأمر شيخه السيد نذير حسين .

وكانت همته متوجهة الى قيادة التنظيم السرى للمجاهدين في ولاية بهار ؛ فكان يجمع التبرعات ويرسل المعنويات المادية الى ولاية سرحد لتجهيز المجاهدين الذين كانوا بقية السيف لحركة الشهيدين الجهادية ؛ قضى حياته في تنظيم الجهاد وتحرير الهند من برائن الاستعمار البريطانى (٢) .

والعلامة المحقق الشيخ عبد الله بن عبد الرحيم الغازيفورى : (١٢٦٠ - ١٣٣٧ هـ) أحد أركان النهضة السلفية في الهند . ومن كبار الأساتذة ؛ تصدر للدرس والافادة في مدارس الهند في غازيفور وآره ودهلى . وتولى رئاسة المدرسة الأحمدية بآره ؛ وكانت حلقة درسه أكبر حلقة بعد شيخه الدهلوى ؛ تخرج عليه خلق أمثال المحدث عبد السلام المباركفورى . والمحدث عبد الرحمن المباركفورى والعلامة أبو المكارم محمد على المئوى ؛ والمحدث محمد سعيد البنارسى والعلامة محمد داود الغزنوى وآخرون .

وله شرح على مقدمة صحيح مسلم أسماه البحر المواج . وتوجد نسخة خطية منه بمكتبة خدابخش خان في بتنه (الهند) ؛ وله فتاوى في مجلد ضخم ؛ وله مسائل أخرى في المسائل الخلافية (٣) .

والشيخ السيد أحمد حسن الدهلوى : (١٢٥٨ - ١٣٣٨ هـ) أحد كبار علماء السنة المولعين بنشر علوم الكتاب والسنة اشتغل بالتأليف والتصنيف . ومن مؤلفاته : تفسير أحسن الفوائد . وتفسير أحسن التفاسير . وحاشية على بلوغ المرام ؛ وتنقيح الرواة في تخريج أحاديث المشكاة في أربعة أجزاء . وتخريج مسند الامام أحمد بن حنبل (ولم يتمه) (٤) .

---

(١) جريدة أهل حديث أمرتسر ٤١/٦ سنة ١٩١٩ م ؛ تاريخ أهل الحديث للسيالكوتى ؛ مقدمة اتحاف النبيه ؛ ٢٣ نزهة الخواطر ٣١١/٨ - ٣١٢ ؛ تذكره علما ئى حال ٥٥ -٥٦ .

(٢) مقدمة حسن البيان (الطبعة الثالثة) . نزهة الخواطر ٢٥٦/٨ ؛ مجلة الهدى عدد خاص عن دار العلوم الأحمدية .

(٣) نزهة الخواطر ٢٨٧/٨ ؛ تراجم علمائى هند ٣٥٩/٨ ؛ تذكره علمائى أعظم كره ١٩٧ - ١٩٨ ؛ تذكره علمائى هند ٢٦٢ . جريدة أهل حديث أمرتسر ٨٧/ص ١٦٧ . سيرة داود غزنوى ٢٤٠ - ٢٤٤ .

(٤) نزهة الخواطر ٤٤/٨ . مقدمة أحسن التفاسير (الطبعة الجديدة) . تراجم علمائى حديث هند ١٦٢/٨ ؛

العلامة الشيخ أبو سعيد محمد حسين البتالوى : (١٢٥٦ ـ ١٣٣٨ هـ) من أجل تلامذة السيد نذير حسين الدهلوى وأحد نوابغ عصره ؛ قضى حياته في الدفاع عن الاسلام واحياء السنة والسلفية ؛ وهو أول من تنبه لفتنة القاديانية وعكف على ردها وابطالها ؛ وكانت لمجلته « اشاعة السنة » مواقف محمودة في احياء حركة السنة والسلفية ، وله مؤلفات كثيرة ، منها : تعليقات شتى على كتاب الصلاة والمغازى والتفسير من صحيح البخارى ؛ وتعليقات شتى على النصف الأول من مشكاة المصابيح . وله منح البارى في ترجمة صحيح البخارى (١) ٠

العلامة السيد عبد العزيز الحسينى الصمدنى : (م ١٣٤١ هـ) من أخص تلامذة السيد نذير حسين . أسند عن الشيخ حسين بن محسن الأنصارى واشتغل بالتأليف والتصنيف ٠ وله مؤلفات كثيرة ، منها :

عزيز المحدثين في تخريج أحاديث . رسالة هدية الأئمة . ورسالة في الموضوعات وشرح أسماء الرجال ٠

الشيخ فقير الله بن فتح المدراسي : (م ١٣٤١ هـ) من مشاهير علماء الحديث الذين لهم فضل عظيم في نشر الطريقة السلفية في أرجاء الهند . وله جهود طيبة في نشر السنة في مناطق مدراس ٠

وله رسائل ومؤلفات ، منها : الموعظة الحسنة في خطبة الجمعة بكل لسان من الألسنة ٠

العلامة المحدث عبد السلام المباركفورى : (م ١٣٤٢ هـ) من كبار الدعاة الى السنة والسلفية . أسند عن السيد نذير حسين وعن المحدث حسين بن محسن الأنصارى . تولى مسند التدريس في مدرسة صادقفور السلفية . ورحل الى بلاد الهند وأنشأ هناك مدارس . وتصدر للتدريس في المدرسة الرحمانية بدهلى ٠

ومن أهم مؤلفاته :

سيرة البخارى (في الأردية) وهو كتاب قيم نادر في بابه (٢) ٠

الشيخ المحدث عبد الحكيم النصير آبادى : أحد العلماء السلفيين المشتغلين بعلوم السنة . تخرج على السيد نذير حسين واشتغل بالتأليف . من آثاره القيمة . تبويب فقهى لمسند الامام أحمد بن حنبل . بدأت جمعية أهل الحديث الهندية بطبع هذا الكتاب مع شرح وتعليق المحدث أبى سعيد شرف الدين وتخريج المحدث أحمد حسن . ولكن توقف نشره بعد طبع ست وخمسين صفحة ٠

---

(١) نزهة الخواطر ٤٢٨/٨ ، جريدة أهل حديث أمر تسر ٤١/٨٨ ـ٤٢ ، سنة ١٩٢١ م ، تذكرة علمائى حال ٠

(٢) نزهة الخواطر ١٦١/٨ ، تذكره علمائى حديث هند ٣٢٣/٨ ، تذكره علمائى حال ٢٩ ، تراجم علمائى مباركفور ١٦٧ تذكره علمائى أعظم كره ١٥٨ ، مقدمة اتحاف النبيه ٢٢ ٠

والعلامة المحدث أبو تراب رشد الله شاه بن العلامة رشيد الدين شاه : (م ١٣٤٠ هـ) من كبار العلماء المحققين ومن أجل تلامذة الدهلوى . وله دور بارز في نشر السنة والعقيدة السلفية فى بلاد السند . وهو أول من أسس مدرسة سلفية في بلدته وأدخل الكتب الستة في المنهج الدراسى وصنف كتبا عديدة في التوحيد والسنة ورد الشرك والبدعة ؛ منها ؛ كشف الاستار عن رجال معانى الآثار وهو تلخيص معانى الأخبار من رجال معانى الآثار للعينى في ثلاثة أجزاء (١) .

والشيخ المحدث الحافظ عبد الجبار بن الشيخ منشى بدر الدين العمر فورى ثم الدهلوى : (١٢٧٧ ـ ١٣٤٤) أحد كبار علماء السنة المولعين بنشرها واحيائها . لازم السيد نذير حسين وأسند عنه ثم اشتغل بالدرس والافادة والوعظ والتذكير في عدة أماكن . وله مواقف محمودة في الرد على منكر السنة عبد الله الجكرالوى الذى جاء بهذه الفكرة الخبيثة . وكان شاعرا وأديبا في العربية . تولى ادارة التحرير لمجلة ضياء السنة ببلدة كلكتا . وله مؤلفات قيمة . منها : صمصام التوحيد في رد التقليد وتذكير الاخوان في خطبة الجمعة بكل لسان ؛ وتخرج عليه علماء كبار منهم ولده المجاهد الحافظ عبد الستار حسن العمر فوري والمحقق الأديب عبد العزيز الميمنى والشيخ عبد الجبار الكهنديلوى (٢) .

والشيخ المحدث العلامة أبو المكارم محمد على بن العلامة فيض الله المئوى : (١٢٧٦ ـ ١٣٥٢ هـ أحد كبار علماء الهند والمتضلعين من علوم الكتاب والسنة تلمذ على أساتذة عصره وأسند عن المحدث السيد نذير حسين وبذل جهوده لنشر السنة واحيائها ونشر العقيدة السلفية والدفاع عنها . وألف رسائل ومؤلفات أكثرها ردود على مخالفى السنة .

والمحدث الكبير العلامة أبو العلى عبد الرحمن بن الحافظ عبد الرحيم المباركفورى : (م ١٣٥٣ هـ) من مشاهير عصره وأحد كبار محدثي الهند . طار صيته في الآفاق . كان له ملكة راسخة في علوم الشريعة قرأالعلوم على أساتذة عصره ثم لازم الحافظ عبد الله الغازيفورى وأخذ عنه العلوم المتداولة . ولازم السيد نذير حسين الدهلوى وتشبع بعلومه وأسند عنه كما أخذ عن المحدث حسين بن محسن الأنصارى اليمانى واستفاد من المحدث شمس الحق العظيم آبادى حينما كان عنده في أثناء تأليف عون المعبود تصدر للدرس والافادة بقريته مباركفور وأنشأ هناك مدرسة دار التعليم كما أنشأ مدارس سلفية في بعض مدن الهند وقراها . ودرس وأفاد بها الى مدة ثم اختار الانقطاع للتأليف والتصنيف . وقد نشطت بجهوده حركة السنة نشاطا كبيرا .

تـــلامـــذتـــه :

وفي هذه المدة التى تحتوى ثلث عمره في التعليم والتدريس والافادة انتفع به خلق كثير أشهرهم : المحدث عبد السلام المباركفورى ونجله المحدث عبيد الله الرحمانى حفظه الله وأطال الله بقاءه . الذى استعان به المؤلف في شرحه على الترمذى . والعلامة نذير أحمد الأملوى . والشيخ عبد الصمد المباركفورى . والشيخ محمد اسحاق الآروى . والعلامة الدكتور تقى الدين الهلالى المغربى حفظه الله .

---

(١) مقدمة السمط الابريز على مسند عمر بن عبد العزيز ؛ مقدمة هداية المستفيد في ترجمة فتح المجيد (١/ ٩٠ ـ ٩٣) .

(٢) جريدة أهــل حديث أمر تسر ٥/٨٦ سنة ١٩١٨ م ؛ تراجم علمـاء حـديث هند ١٦٠ ؛ تـذكره علماء حال ٣٩ نزهة الخواطر ٢١٧/٨ ـ ٢١٨ .

مؤلفـــاتـــه :

قضى قسطا كبيرا من حياته في التأليف والتصنيف وأعظم عمله كتابه العظيم :

١ ـ تحفة الأحوذى في شرح جامع الترمذى في أربعة مجلدات . والشرح يمتاز من بين شروح الجامع بميزات وخصائص منها :

ان المؤلف ذكر ترجمة كل راو من رواة الجامع بقدر الحاجة والضرورة وأسهب ترجمة بعضهم في بعض المواضع حسب المقام .

وخرج الأحاديث الواردة في الكتاب وبذل غاية جهده في ايضاح مشكلات الأسانيد والمتون وحلها . وذكر الأقوال المعتبرة والمباحث المعتمدة عند الفقهاء المحدثين والسلف الصالح في شرح الأحاديث وتوضيحها . وخرج الأحاديث التى أشار اليها الترمذى في كل باب بقوله : وفي الباب عن فلان وفلان . وذكر ألفاظها مهما أمكن وتكلم في بعضها وأظهر ما فيه من الكلام للأئمة النقاد من المحدثين .

ولم يشر الامـــام الترمذى في كثير من الأبواب الى أحاديث أخرى توافق أصل حديث البـــاب بقوله : « وفي الباب خلاف » فأشار المؤلف بقوله : وفي الباب عن فلان وفلان وخرجها .

وأضاف أحاديث أخرى أطلع عليها المؤلف عند قول الترمذى : وفي الباب عن فلان وعن فلان توسع المؤلف في ذكر مذاهب الفقهاء وبيان اختلافهم فيذكر أقوال العلماء ممن لم يذكرهم الترمذى . والترمذى مشهور بالتساهل في تحسين الحديث وتصحيحه فذكر المؤلف عقب تحسينه أو تصحيحه تصحيح غير واحد من أهل الحديث غير الترمذي أو تحسينهم ليطمئن القلب وينشرح الصدر . مع التنبيه على المواضع التى وقع فيها التساهل والتسامح من الامام الترمذى في تحسينه أو تصحيحه ؛ ويذكر الترمذى في كثير من المواضع اختلاف أهل العلم ولا يذكر الراجح من المرجوح ففى هذه المواضع يظهر المؤلف ما هو الراجح . ويسرد دلائل أقوال الفقهاء التى ذكرها الترمذى بدون دليلها ؛ ثم يبدى رأيه في المسألة فيرجح ما رجحه الدليل ويزيف دلائل الأقوال المرجوحة . ويوضح قول الترمذى في بيان المذاهب . « ذهب قوم من أهل العلم » فيعينهم ويبين مراد الترمذى بلفظ القوم . واذا وقع التساهل عن الترمذى في نقل المذاهب في بعض المواقع فينبه المؤلف على هذا التساهل في أكثر الأحيان ؛ وقد سلك المؤلف في هذا الشرح مذهب المحققين يرجح ما رجحه الدليل بدون تعصب لمذهب فقهى خاص .

٢ ـ مقدمة تحفة الأحوذى في مجلد ضخم . وفي بابين . ذكر في الباب الأول تدوين علوم الحديث وأنواع كتب السنة وأسماء كتب الحديث الموجودة وشروحها مع تعريف كل منها . وذكر في الباب الثانى ترجمة الامام الترمذى وما يتعلق بالجامع وبمصطلحات الترمذى من فوائد ومحاسن . وذكر شروح الترمذى ورواة الجامع على ترتيب أبجدى

٣ ـ أبكار المنن في تنقيد آثار السنن في جزء .

٤ ـ تحقيق الكلام في وجوب القراءة خلف الامام بالأردية في جزءين ٠

٥ ـ خير الماعون في منع الفرار من الطاعون ٠

٦ ـ والمقالة الحسنى في سنية المصافحة باليد اليمنى ٠

٧ ـ كتاب الجنائز ٠

٨ ـ نور الابصار (في اثبات الجمعة في القرى والرد على من أنكرها) ٠

٩ ـ تنوير الأبصار بتأييد نور الابصار ٠

١٠ ـ ضياء الأبصار ٠

١١ ـ والقول السديد فيما يتعلق بتكبيرات العيد (كلها بالأردية) . وله غير ذلك من المؤلفات والرسائل ناقصة أو غير ناقصة أو غير مطبوعة (١) ٠

والشيخ المحدث أحمد الله بن أمير الله البرتابكدهى ثم الدهلوى (م ١٣٦٢ هـ) من مشاهير علماء الحديث المفلقين في علوم الكتاب والسنة . قصر همته على تدريس الحديث طول حياته . وقد نفع الله بدروسه خلقا كثيرا . وقد انتهت اليه رئاسة الحديث في عصره وأكثر علماء أهل الحديث في شبه القارة الهندية أخذوا عنه وتتلمذوا عليه وبواسطته يتصلون بالمحدث نذير حسين الدهلوى ٠

درس بمدرسة حاجى عليجان بدهلى ثم بدار الحديث الرحمانية بدهلى ثم المدرسة الزبيدية وقد تخرج عليه علماء كبار من أهل الحديث . اشتهر منهم : المحدث محمد يونس البرتاب كدهي . والعلامة نذير أحمد الأملوى . والمحدث عبد السلام البستوى رحمهم الله . والحافظ محمد الغوندلوى . والمحدث عبيد الله الرحمانى . والشيخ عبد الغفار حسن الرحمانى . وسيأتى ذكر بعض هؤلاء في ذكر تلاميذ تلامذة السيد نذير حسن (٢) ٠

والشيخ المحدث الحافظ أبو تراب عبد التواب بن العلامة قمر الدين الملتانى (م ١٣٦٦ هـ) : من كبار علماء الحديث في عصره . تتلمذ على السيد نذير حسين واستجاز من العلامة محمد راغب الطباخ الشامى ١٣٧٠ هـ ؛ اشتغل بتدريس السنة ونشر السلفية مع مساعدة حركة المجاهدين . وكان لـــه عناية كبيرة بتصحيح كتب الحديث والتعليق عليها ونشرها ؛ ومن آثاره العلمية : تراجم وشروح مشكوة المصابيح وبلوغ المرام وثمانية أجزاء من صحيح البخارى الى الأردية ؛ وتعليقات على حاشية صحيح مسلم للسندى ؛ وتعليقات على تحفة المودود باحكام المولود ؛ وهو أول من ابتدأ بنشر مصنف ابن أبى شيبة مع تعليقاته عليه ولكن لم يتم طبعه لأجله المحتوم . تخرج عليه خلق أمثال المحقق عطاء الله الفوجيانى (٣) ٠

---

(١) نزهة الخواطر ٢٤٢/٨ . تراجم علماء حديث هند . تذكرة علمائى هند . مقدمة تحفة الأحوذى ٠

(٢) نزهة الخواطر ٤٧/٨ . تراجم علماء حديث هند ١٦/٨ . العجالة النافعة مع التعليقات الساطعة : ١٠٧ ٠

(٣) مقدمة اتحاف النبيه : ٢٢ ـ ٢٣ ؛ نموذج من الأعمال الخيرية : ٨٧ ٠

والعلامة شيخ الاسلام أبو الوفاء ثناء الله الامرتسرى (١٢٨٧ ـ ١٣٦٧ هـ) : عبقرى من عباقرة الاسلام ، داعية كبير وحامل لواء السنة ، دافع عن الاسلام طول حياته ، تلقي العلوم عن المحدث عبد المنان الوزير آبادى وعن أساتذة دار العلوم ديوبند وكانفور وأسند الحديث عن السيد نذير حسين المحدث ؛ أسس دارا للطباعة والنشر وأصدر مجلته الشهيرة جريدة أهل الحديث الأسبوعية في سنة ١٣٢١ هـ التى استمر نشرها أربعا وأربعين سنة حتى وافته المنية ؛ وأسس جمعية أهل الحديث الهندية مع أصحابه ونشط لها طول حياته ؛ ناظر كل الطوائف الكافرة والمضللة ورد على البدع والخرافات والجمود والتقليد وسعى لنشر السنة والسلفية . ألف كثيرا في الرد على الميرزا غلام أحمد القاديانى ولكثرة ردوده عليه ما كان يحصيها المؤلف نفسه ؛ وكتب في الرد على الفرقة الهندوكية « آريه سماج » وعلى المسيحية وعلى منكرى السنة . وله تفاسير القرآن في العربية والأردية (١) .

الشيخ المحدث محمد نعمان بن الحاج عبد الرحمن المئوى الأعظمى (١٢٩٧ ـ ١٣٧١ هـ) : من الأساتذة المشهورين الذين خدموا السنة بتدريسها ، أسند عن السيد نذير حسن الدهلوى وتصدر لتدريس الحديث بجامعة دار السلام عمر آباد بمدراس . وتخرج عليه علماء كبار .

والشيخ العلامة محمد ابراهيم مير السيالكوتى : (م ١٣٧٦ هـ) من كبار علماء الهند وناصرى السنة والعقيدة السلفية ، تتلمذ على المحدث عبد المنان الوزير آبادى وأسند عن المحدث السيد نذير حسين واشتغل بالدرس والافادة والتأليف والوعظ والتذكير وله ردود عنيفة على القاديانية ، ومنكرى السنة وآريه سماج . أصدر مجلة الهادى ، وأسس مدارس ؛ ومن مؤلفاته : تفسير لسور عديدة من القرآن ، وسيرة المصطفى ، والسيرة النبوية ، وعون البارى لحل عويصات البخارى ، وكشف الغمة على اختلاف الأمة ، وغزوات النبى .

وقد تخرج عليه خلق أمثال الشيخ عصمت الله الرحمانى المئوى ؛ والشيخ محمد اسماعيل السلفى ؛ والشيخ أبو حفص العثمانى ؛ وآخرون .

والجدير بالذكر أنه كان من مؤسسى جمعية أهل الحديث الهندية وكان الساعد الأيمن لشيخ الاسلام ثناء الله الامر تسرى في أعماله الدينية والاصلاحية (٢) .

تلاميذ تلامذة السيد نذير حسين المحدث الدهلوى

نذكر هنا بعض علماء الحديث الذين تخرجوا على تلامذة السيد نذير حسين المحدث الدهلوى وساهموا في نشر السنة وإحيائها :

---

(١) سيرت ثنائى لعبد المجيد خادم سوهدروى . ونقوش أبى الوفاء ؛ ياد رفتكان ٤١٧ ، نزهة الخواطر ٨/٩٥ ـ ٩٦ ؛ تاريخ أهل الحديث ٤٣٣ ـ ٤٣٤ .

(٢) تاريخ أهل الحديث للمترجم نفسه .

تلامــذة المحــدث عبـد الوهــاب الملتانى الـدهلوى

(١) **الشيخ العلامة محمد ابراهيم الجوناكدهى (م سنة ١٣٦٠ هـ) :** أحد مشاهير أهل الحديث المشهورين في الأوساط الدينية والعلمية . قضى حياته في التأليف والتصنيف ونشر السلفية واحياء السنة بكل جرأة وحماس وشدة . كان كثير الرد على التقليد والبدع والخرافات ؛ وعلى كل من يراه على الخطأ حتى رد على شيخه عبد الوهاب ردودا عنيفة في بعض المسائل ؛ ومن آثاره : سلسة مؤلفاته المسماة بالمحمديات على الموضوعات الدينية والمسائل الخلافية ؛ وله خطبات محمدى في مجلدات جمع فيها خطب النبى صلى الله عليه وسلم ونقلها الى الأردية ؛ وترجم تفسير ابن كثير واعلام الموقعين لا بن القيم وشرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى وجزء رفع اليدين للبخارى الى الأردية ونشرها من مطبعته المحمدية ؛ وله رسائل أخرى كثيرة ؛ وكان له جريدة اسبوعية أسماها « أخبار محمدى » . وكانت لمناظراته وردوده أثر كبير في ازالة البدع والمنكرات وترك التقليد والجمود على المذهب إلا أن تشدده قد أضر بالدعوة السلفية كثيرا بحيث فهم الناس أن السلفية عبارة عن اثارة الخلافات والاصرار على بعض الفروع ؛ ولذيوع رسائله ومؤلفاته بين عامة الناس وفي أوساط السلفيين بكثرة زاد هذا الضرر ؛ عفا الله عنا وعنه ؛ فان جهوده التى نؤاخذ عليها اليوم كانت في عصر المناظرات والجدل والمناقشة الكلامية ؛ ولعل هذا كان مبررا له لهذا الصنيع (١) .

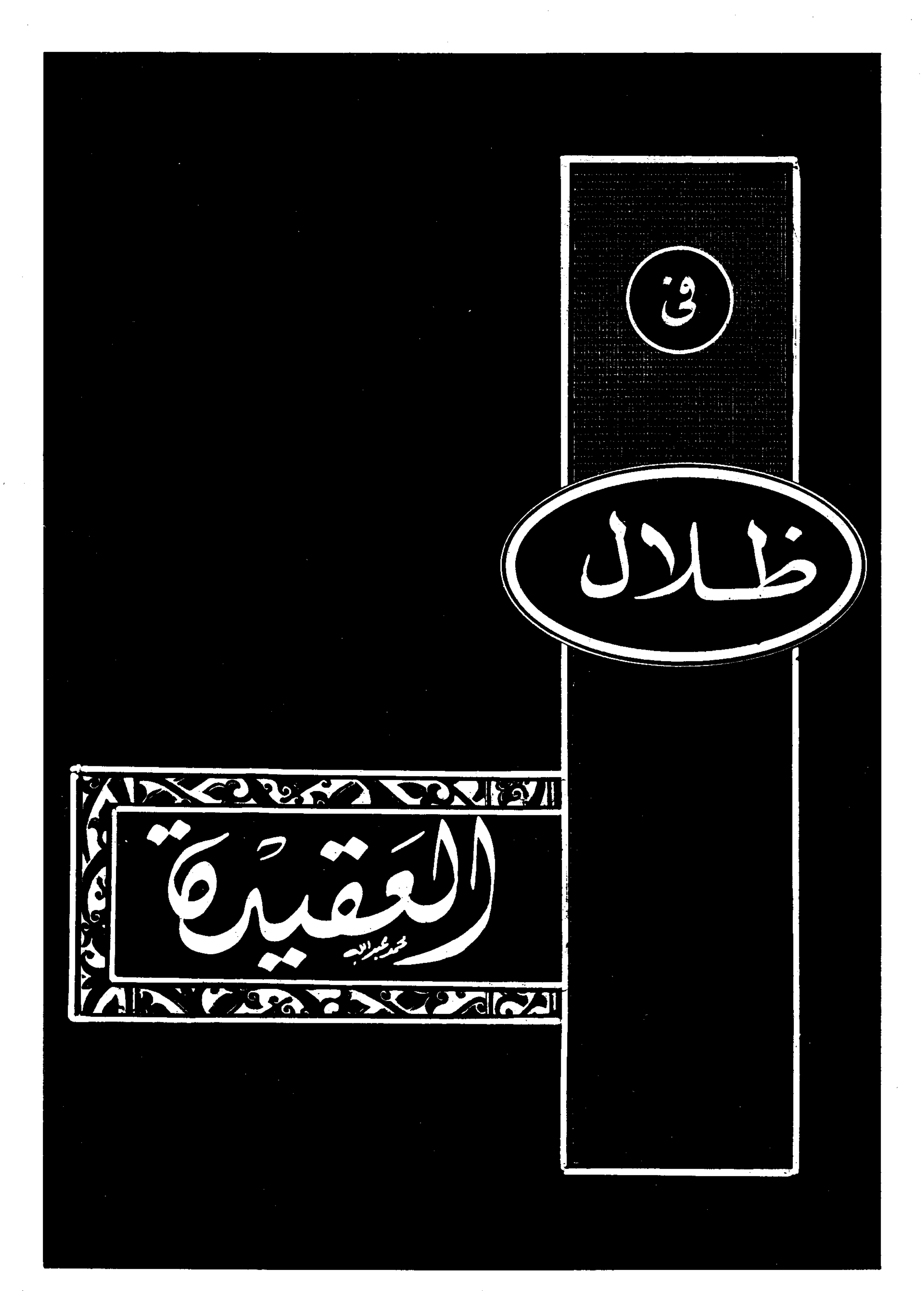
(٢) **والشيخ أحمد بن محمد الدهلوى ثم المدنى :** تخرج على صنوه الشيخ عبد الوهاب واشتغل بنشر السنة والعقيدة السلفية في بلاد الهند ؛ ثم هاجر الى المدينة المنـورة ودرس وافــاد بالحرم المدنى ؛ وأسس دارى الحديث بالمدينة المنورة ومكة المكرمة بمساعدة الحافظ حميد الله الدهلوى السلفى من كبار أثرياء دهلى ؛ ودرس بدار الحديث بالمدينة كتب الحديث ؛ ومن مؤلفاته : تاريخ أهل الحديث ومسائل اللحية ؛ ومناسك الحج (بالأردية) وكيفية صلاة المرأة (بالأردية) .

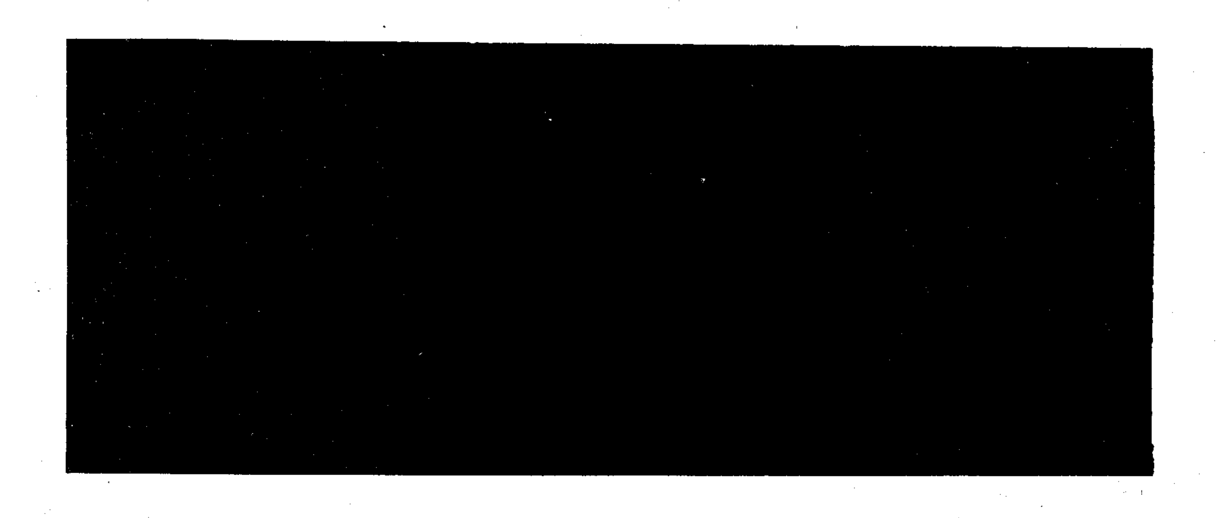
(٣) **والشيخ المحدث عبد الستار بن المحدث عبد الوهاب الملتانى :**تخرج على أبيه واشتغل بالدرس والتأليف في الهند والباكستان قرب نصف قرن . وله مؤلفات منها التفسير الستارى (ستة أجزاء) وتفسير الفاتحة ؛ ونصرة البارى في شرح صحيح البخارى (عشرة أجزاء من البخارى) طبع في المكتبة السعودية بكراتشى ١٩٥٦ م وله رسائل كثيرة في المسائل الخلافية . انتهج منهج أبيه في مؤلفاته . منهج الشدة والتنطع والتركيز على بعض الفروع (٢) .

---

(١) مقدمة تفسير سورة الفاتحة للشيخ عبد الستار .

(٢) تراجم علمائى حديث هند/١٧٤ ـ ١٧٦ مقدمة خطبات محمدى للمترجم نفسه .


في
ظلال
العقيدة



أسلفت في الحلقة الأولى ما يتضمن أن معرفة الله جل وعلا هى المنطلق الذى تصح منه العبادة ، إذ لو أنها قد انبعثت من غيره ، لما انبسطت لها قاعدة ترتكز عليها ، فلا يلبث صاحبها حتى يجدها تهوى به في مكان سحيق ، وتستحيل هباءً منثوراً ، وكيف يعرض الإنسان عن معرفة خالقه وهو سبحانه يوالى عليه نعمه كل لحظة منذ ولادته حتى مماته ؟ وكيف ينصرف عن التعرف على الحى القيوم الذى بيده مقاليد كل شىء ، والذى لايستغنى عنه طرفة عين ، ويسعى الى التعرف على أفراد من البشر أمثاله ، وهم لا يملكون له ـ فضلا عن أنفسهم ـ ضرًا ، ولا نفعاً ، ولا يملكون موتاً ، ولا حياةً ولا نشوراً ؟

ان أول ما يجب على العبد أن يتعرف على ربه سبحانه . ليستطيع أن يحقق الغاية التى من أجلها خلق . وهى التى ذكرها الله عز وجل في قوله « وما خلقت الجن والإنس الا ليعبــدون » (الذاريات آية ٥٦) . اذ لا سبيل الى تحقيق العبادة إلا عن طريق البدء بمعرفة الله تعالى . ولا يمكن للعبد أن يعبد من يجهله . وإلا كان تخبطاً وضربا في تيه بيداء مهلكة .

ومن ثم بدأت أساهم ـ بقدر ما ييسر الله تعالى لى ـ في الكتابة في باب التعرف على الله تعالى باعتباره نقطة البدء في حياة المسلم . بادئا ببيان مفهوم الربوبية في أربع حلقات سابقة . ثم ثنيت ببيان مفهوم أسماء الله تعالى وصفاته في حلقة أولى مضت . وانتهيت فيها من بيان أسماء الله تعالى التى تضمنتها سورة الفاتحة .

وفي هذه الحلقة أعرض ـ بحول الله وقوته ـ بيان أسماء الله تعالى التى تضمنتها سور القرآن الكريم . مشيرا الى ما تكرر من هذه الأسماء في مختلف سور القرآن الكريم . بالصيغة ذاتها . أو بصيغ مختلفة .

وسوف أحاول إن شاء الله تعالى ـ حسبما ييسسر لى سبحانه ـ إلقاء بعض الضوء على هذه الأسماء الكريمة التى تضمنتها سور القرآن الكريم ، ابتداء من سورة البقرة حتى سورة الناس ، وذلك على الوجه التالى :

المحيط :

هو اسم من أسماء الله تعالى ، ورد في القرآن الكريم ثمانى مرات منها ست مرات (١) بلفظ (محيطٌ) بالرفع ، فيما يأتى : ـ

في قوله تعالى : « **والله محيطٌ بالكافرين** » (البقرة آية ١٩) ، وقوله : « **إن الله بما يعملون محيطٌ** » (آل عمران آية ١٢٠) ، وقوله : « **إن الله بما يعملون محيطٌ** » (الأنفال آية ٤٧) ، وقوله : « **إن ربى بما تعملون محيطٌ** » (هود آية ٩٢) ، وقوله :« **ألا إنه بكل شئ محيطٌ** » (فصلت آية ٥٤(، وقوله : « **والله من ورائهم محيطٌ** » (البروج آية ٢٠) .

ومنها مرتان (٢) بلفظ (محيطاً) بالنصب ، فيما يأتى : ـ

في قوله تعالى : « **وكان الله بما يعملون محيطاً** » « النساء آية ١٠٨ » ، وقوله : « **وكان الله بكل شئ محيطاً** » (النساء آية ١٢٦) .

وإحاطة الله تعالى بالشئ معناها : حصره إياه من جميع جوانبه ، مع العلم المطلق بكل دقائقه ، بحيث لا يتصور أن تفلت منه ذرة ، أوما فوقها ، أو ما دونها ، علماً أو إيجاداً ، أو إعداماً .

ففى مثل قوله تعالى : « **والله من ورائهم محيطٌ** » (البروج آية ٢٠) : تمثيل لعدم نجاة المكذبين الكافرين بعدم فَوْتِ المحاط به على المحيط (٣) ، ذلك بأنه سبحانه هو الذى خلق كل شئ ، ومَلَكه ، واستأثر بالتصرف فيه عن قدرة تامة ، وعلم مطلق . لذا يقول سبحانه : « **الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهنّ يتنزَّلُ الأمر بينهنّ لتعلموا أن الله على كل شئ قديرٌ وأن الله قد أحاط بكل شئ علماً** » (الطلاق آية ١٢) .

القدير : (القادر ـ المقتدر) :

القـــديـــر :

هو اسم من أسماء الله تعالى ، ورد في القرآن الكريم خمساً وأربعين مرة (٤) ، منها تسع وثلاثون مرة ورد فيها بلفظ (قديرٌ) بالرفع في مثل قوله تعالى : « **ولو شـاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم**

---

(١) (٢) المعجم المفرس .

(٣) فتح القدير الجزء الخامس ص ٤١٤ ـ بتصرف .

(٤) المعجم المفرس .

إن الله على كل شئ قديرٌ » (البقرة آية ٢٠) . وقوله : « **ألم تعلم أن الله على كل شئ قديرٌ** » (البقرة آية ١٠٦) . وقوله : « **أينما تكونوا يأتِ بكم الله جميعاً إن الله على كل شئ قديرٌ** » (البقرة آية ١٤٨) . وقوله : « **بيدك الخير إنك على كل شئ قديرٌ** » (آل عمران آية ٢٦) . وقوله : « **يخلق ما يشـاء والله على كل شئ قديرٌ** » (المائدة آية ١٧) .

ومنها ست مرات (١) ورد فيها بلفظ (قديراً) بالنصب في قوله تعالى : « **وكان الله على ذلك قديراً** » (النساء آية ١٣٣) . وقوله : « **فإن الله كان عفُوّاً قديراً** » (النساء آية ١٤٩) . وقوله : « **وكان ربك قديراً** » (الفرقان آية ٥٤) . وقوله : « **وكان الله على كل شئ قديراً** » (الأحزاب آية ٢٧) . وقوله : « **إنه كان عليماً قديراً** » (فاطر آية ٤٤) . وقوله : « **وكان الله على كل شيء قديراً** » (الفتح آية ٢١) .

القـادر :

هو اسم من أسمـــاء الله تعالى . ورد في القرآن الكريم اثنتى عشرة مرة (٢) ج منها أربع مرات (٣) (قادرٌ) بالرفع . في قوله تعالى : « **قل ان الله قادرٌ على أن ينزِّل آية** » (الأنعام آية ٣٧) . وقوله : « **قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً** » (الأنعام آية ٦٥) . وقوله : « **أو لم يروا أن الله الذى خلق السماوات والأرض قادرٌ على أن يخلق مثلهم** » (الإسراء آية ٩٩) . وقوله : « **إنه على رجعه لقادرٌ** » (الطارق آية ٨) .

ومنها ثلاث مرات بالجر بلفظ (قادرٍ) في قوله تعالى : « **أوليس الذى خلق السماوات والأرض بقادرٍ على أن يخلق مثلهم** » (يس آية ٨١) . وقوله : « **أو لم يروا أن الله الذى خلق السماوات والأرض ولم يَعْىَ بخلقهن بقادرٍ على أن يحيى الموتى** » (الأحقاف آية ٣٣) . وقوله : « **أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى** » (القيامة آية ٤٠) .

ومنها أربع مرات بصيغة الجمع بلفظ (قادرون) بالرفع . في قوله تعالى :

« **وانا على ذهاب به لقادرون** » (المؤمنون آية ١٨) . وقوله : « **وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون** » (المؤمنون آية ٩٥) . وقوله : « **فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقـادرون** » (المعارج آية ٤٠). وقوله : « **فقدرنا فنعم القادرون** » (المرسلات آية ٢٣) .

ومنها مرة واحدة بصيغة الجمع بلفظ (قادرين) بالنصب . في قوله تعالى :

---

(١) . (٢) المعجم المفهرس .

المقتــدر :

هو اسم من أسماء الله تعالى . ورد (١) في القرآن الكريم أربع مرات . منها مرتان بلفظ (مقتدرٍ) بالجر في قوله تعالى : « **فأخذناهم أخذ عزيز مقتدرٍ** » (القمر آية ٤٢) . وقوله : « **في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدرٍ** » (القمر آية ٥٥) .

ومنها مرة واحدة بلفظ (مقتدراً) بالنصب في قوله تعالى : « **وكان الله على كل شئ مقتدراً** » (الكهف آية ٤٥) .

ومنها مرة واحدة بصيغة الجمع بلفظ (مقتدرون) بالرفع . في قوله تعالى : « **فإنا عليهم مقتدرون** » (الزخرف آية ٤٢) .

واسم (قادر) على وزن (فاعل) . واسم (قدير) على وزن (فعيل) وهى صيغة مبالغة . واسم (مقتدر) على وزن (مفتعل) . وفي اللغة العربية زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

وهذه الأسماء الثلاثة تتضمن جميعها أن الله سبحانه يستطيع أن يفعل كل ما يشاء . ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء . وأمره ـ عندما يريد شيئا ـ إنمـا هى كلمة كن : فيكــون ما يريــد في الحال . وفي هذا يقول سبحانه : « **انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون** » (النحل آية ٤٠) . وقوله : « **سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون** » (مريم آية ٣٥) . وقوله : « **إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون** » (يس آية ٨٢) . وقوله : « **فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون** » (غافر آية ٦٨) . وقولــه : « **وما أمرنا إلا واحــدة كلمح بالبصر** » (القمر آية ٥٠) .

وليس أدل على كمال القدرة المطلقة للقادر . القدير . المقتدر . من أن يوجد سبحانه ما يريده بكلمة كن . فيكون ما يريد كلمح البصر .

العليم : (العالم ـ العلام) :

هو اسم من أسماء الله تعالى بصيغـة المبالغة على وزن فعيل . ورد في القرآن الكريم اثنين وخمسين ومائة مرة (٢) . منها أربعون ومائة مرة بلفظ (عليمٌ)(٣) بالرفع . في مثل قوله تعالى « **فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليمٌ** » (البقرة آية ٢٩) . وقوله : « **ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليمٌ بالظالمين** » (البقرة آية ٩٥) . وقوله : « **فأينما تولوا فثم وجـه الله إن الله واسع عليمٌ** » (البقرة آية ١١٥).

ومنها اثنتان وعشرون مرة (٤) بلفظ عليماً) بالنصب . في مثل قوله تعالى : « **فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما** » (النساء آية ١١) . وقوله : « **ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما** » (النساء آية ٧٠) وقوله : « **وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما** » (النساء آية ١٢٧) .

---

(١) . (٢) . (٣) . (٤) المعجم المفهرس .

العـالم :

هو اسم من أسماء الله تعالى . على وزن (فاعل) . وقد ورد في القرآن الكريم خمس عشرة مرة (١) . منها سبع مرات بلفظ (عالمُ) بالرفع (٢) . في مثل قوله تعالى : « **وله الملك يوم ينفخ في الصور عالمُ الغيب والشهادة** » (الأنعام آية ٧٣) . وقوله : « **عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال** » (الرعد آية ٩) . وقوله : « **ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم** » (السجدة آية ٦) .

ومنها مرة واحدة بلفظ (عالمَ) بالنصب (٣) . في قوله تعالى : « **قل اللهم فاطر السموات والأرض عالمَ الغيب والشهادة** » (الزمر آية ٤٦) .

ومنها خمس مرات بلفظ (عالمِ) بالجر (٤) . في مثل قوله تعالى : « **ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** » (التوبة آية ٩ . والجمعة آية ٨) وقولـه : « **وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** » (التوبة آية ١٠٥) .

ومنها مرتان بصيغة الجمع بلفظ (عالمين) بالنصب (٥) . في قوله تعالى : « **ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين** » (الأنبياء آية ٥١) . وقولـه : « **وكنا بكل شيء عالمين** » (الانبياء آية ٨١) .

العَـلاّم :

هو اسم من أسماء الله تعالى على وزن (فعَّال) . وهو صيغة مبالغة . يدل على سعة العلم وعظمته - وقد ورد في القرآن الكريم أربع مرات . في قوله تعالى : « **قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب** » (المـائدة آية ١٠٩) . وقوله : « **تعلم ما في نفسى ولا أعلم مافي نفسك إنك أنت علاَّم الغيـــوب** » (المـائدة آية ١١٦) . وقوله : « **ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علاّم الغيوب** » (التوبة آية ٧٨) . وقولُه : « **قل إن ربى يقذف بالحق علاّم الغيوب** » (سبأ آية ٤٨) .

وعلم الله تعالى أزلى . وهو صفة من صفاته الذاتية سبحانه . يقتضى علمه بالظواهر والسرائر . واحاطته بكل شيء . فلا يغيب عنه ولا يَعْزُبُ مثقال ذرة في السماوات والأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر (٦) . فيعلم ما يصلح للعباد وما يدبرهم عليه (٧) .

من (١) الى (٥) المعجم المفهرس .

(٦) تيسير الكريم الرحمن الجزء ١ ص ٣٣ .

(٧) المرجع السابق الجزء ٣ ص ٣٢ .

والله العليم سبحانه قد كمل في علمه ، يعلم ما يلج في الأرض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها ، ويعلم ما في السماوات والأرض ، وهو تعالى بكل شئ عليم .

وان العبد اذا استشعر عظمة علم الله ، وسعته ، وشموله لكل ما خلق الله جل وعلا ، فانه يعيش دائما يراقب الله الذى يعلم السر وأخفى ، ويطلب منه دائما أن يزيده بالعلم الذى ينفعه في دينه ودنياه تنفيذا لقوله تعالى : **« وقل ربّ زدنى علما »** (طه آية ١١٤) .

الحكيم :

هو اسم من أسماء الله تعالى ، بصيغة المبالغة على وزن (فعيل) ، ورد في القرآن الكريم سبعا وتسعين مرة (١) ، منها احدى وثمانون مرة بلفظ (حكيم) بالرفع ، في مثل قوله تعالى : **« قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا أنك أنت العليم الحكيم »** (البقرة آية ٣٢) ، وفي قولـه تعالى : **« ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم »** (البقرة آية ١٢٩) ، وقوله : **« هو الذى يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله الا هو العزيز الحكيم »** (آل عمران آية ٦) ، وقوله **« وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير »** (الأنعام آية ١٨) .

ومنها ست عشرة مرة (٢) بلفظ (حكيما) بالنصب في مثل قوله تعالى : **« فريضة من الله ، إن الله كان عليما حكيما »** (النساء آية ١١) وقوله : **« ولله جنود السماوات والأرض ، وكان الله عليما حكيما »** (الفتح آية ٤) ، وقوله : **« وما تشاءون الا أن يشاء الله ، ان الله كان عليما حكيما »** (الانسان آية ٣٠) .

والحكمة هى وضع الشئ في موضعه اللائق به ، فالله تعالى الحكيم الذى له الحكمة التامة التى لا يخرج عنها مخلوق ، ولا يشذ عنها مأمور ، فما خلق سبحانه شيئا الا لحكمة ، ولا أمر بشىء الا لحكمة فالله الحكيم سبحانه حكيم في خلقه ، وأمره ، وتعليمه ما يشاء ، ومنعه ما يشاء .

وحكيم بمعنى مُحْكِم ، والله تعالى مُحْكِمَ للأشياء ، مُتْقن لها ، كما قال سبحانه : **« صنع الله الذى أتقن كل شئ »** (النحل آية ٨٨) (٣) .

التــــوّاب :

هو اسم من أسماء الله تعالى ، بصيغة المبالغة على وزن (فعّال) ، ورد في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة (٤) ، منها ثمانى مرات بلفظ (توَّابٌ) بالرفع ، في مثل قوله تعالى : **« فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم »** (البقرة آية ٣٧) ، وقوله : **« ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم »** (التوبة آية ١١٨) ، وقولـه : **« واتقوا الله إن الله تواب رحيم »** (الحجرات آية ١٢) .

---

(١) ، (٢) ، (٣) المعجم المفهرس ..
(٤) مرجع الزجاج ص ٥٢ .

ومنها ثـلاث مرات (١) بلفظ (تواباً) بالنصب في قوله تعالى : « **إن الله كان تواباً رحيما** » (النساء آية ١٦) ، وقوله : « **واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما**» (النساء آية ٦٤) ، وقوله : « **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً** » (النصر آية ٣) .

والتواب : معناه الذى يتوب على عباده كلما رجعوا اليه ، فيقبل توبتهم .

كما قال تعالى : « **غافر الذنب ، وقابل التوب** » (غافر آية ٣) .

وكما قـال : « **وهو الذى يقبل التوبة عن عبـاده ويعفـو عن السيئات** » (الشـورى آيـــة ٣٥) .

ومعرفة اسم التواب ، يدعو العبد الى الرجوع الى ربه وتوبته من معاصيه باستمرار .

البـارىء :

هو اسم من أسماء الله تعالى على وزن (فاعل) ، ورد في القرآن الكريم ثلاث مرات (٢) : في قوله تعالى : « **إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم** » (البقرة آية ٥٤) ، وقوله : « **فاقتلوا أنفسكم ، ذلكم خير لكم عند بارئكم** » (البقرة آية ٥٤) ، وقوله : « **هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى** » (الحشر آية ٢٤) .

والبارىء : هو المنشىء المخترع للأشياء الموجد لها ، وقيل المميز لبعضها عن بعض (٣) . والبارىء من البَرء .

والبَرْء : هو تنفيذ وإبراز ما قدره وقرره الله تعالى الى عالم الوجود (٤) .

والبَرْء : كذلك هو خلق على صفة ، فكل مبروء مخلوق ، لان البرء من تبرئة الشىء من الشىء ، من قولهم : برأت من المرض ، وبرئت من الدين أبرأ منه ، فبعض الخلق اذا فُصل من بعض سمى فاعله بارئاً . وفي الأيمان : « لا والذى خلق الحبَّة ، وبرأ النسمة » (٥)

وقال أبو علىّ : هو المعنى الذى به انفصلت الصور بعضها عن بعض . فصورة زيد مفارقة لصورة عمرو ، وصورة حمار مفارقة لصورة فرس ، فتبارك الله خالقا بارئا (٦) .

ومعرفة اسم البارىء تجعل العبد يؤمن بأنه سبحانه هو الموجد لكل الأشياء من العدم فلا ييأس على ما فاته ولا يفرح بما آتاه ، وقد قال تعالى : « **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ـ إن ذلك على الله يسير . لكى لاتأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور** » (الحديد آية ٢٢ ، ٢٣) .

---

(١) (٢) المعجم المفهرس .

(٣) فتح القدير الجزء الخامس ص ٢٠٨ .

(٤) تيسير العلى القدير ـ المجلد الرابع ص ٥٩ .

(٥) من حديث البخارى ١١٦/٦ باب فكاك الأسير .

(٦) مرجع الزجاج ص ٣٧ .

البصـــــير :

هو اسم من أسماء الله تعالى بصيغة مبالغة على وزن (فعيل) ، ورد في القرآن الكريم اثنتين وأربعين مرة (١) ، منها احدى وثلاثون مرة (٢)بلفظ (بصير)بالرفع ، في مثل قوله تعالى : « **والله بصيرٌ بما يعملون** » (البقرة آية ٩٦) ، وقوله : « **إن الله بما تعملون بصيرٌ** » (البقرة آية ١١٠) ، وقوله : « **والله بصيرٌ بالعباد** » (آل عمران آية ١٥) ، وقوله : « **والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير** » (المجادلة آية ١) ، وقوله : « **مايمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير** » (الملك آية ١٩) ٠

ومنها تسع مرات (٣) بلفظ (بصيرا) بالنصب ، في مثل قوله تعالى : « **إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيراً** » (النساء آية ٥٨) ، وقوله : « **وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيراً** » (الاسراء آية ١٧) ، وقوله : « **إنك كنت بنا بصيراً** » (طه آية ٣٥) ، وقوله : « **وكان الله بما تعملون بصيرا** » (الفتح آية ٢٤) ٠

والبصير بمعنى مبصر ، فهو سبحانه يرى كل شيء من خلقه دَقَّ أو جَلَّ ، ظهر ، أو خفى ، لاتحجب رؤيته الحواجب التى تحجب عن خلقه الرؤية ، إذ يبصر سبحانه النملة السوداء تدب على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ٠

وإذا استشعر العبد أن ربه البصير يراه ولا يحجب عنه أى شيء من خلقه ، فإنه يراقب ربه ، ولا يكون دائما الا في الموضع الذى يجب أن يراه فيه ٠

الـــواسع ، (المـــوسع) :

(**الواسع**) : اسم من أسماء الله تعالى على وزن (فاعل) ، ورد في القرآن الكريم تسع مرات (٤) منها ثمانى مرات (٥) بلفظ (واسعٌ) بالرفع في قوله تعالى : « **فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم** » (البقرة آية ٢٤٧) ، وقوله : « **والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** » (البقرة آية ٢٦١) ، وقوله : « **والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم** » (البقرة آية ٢٦٨) ، وقوله : « **قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** » (آل عمران آية ٧٣) ، وقوله : « **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** » (المائدة آية ٥٤) ، وقوله : « **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم** » (النور آية ٣٢) ، وقوله : « **إن ربك واسع المغفرة** » (النجم آية ٣٢) ٠

ومنها مرة واحدة بلفظ (واسعاً) بالنصب في قوله تعالى : « **وان يتفرقا يُغْنِ الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما** » (النساء آية ١٣٠) ٠

من (١) الى (٥) المعجم المفهرس .

ويـلاحظ أن اسم (الواسع) اقترن في سبع آيـات ـ من التسع ـ التى ورد فيها باسم (العليم) ، ولعل هذا يشير الى أن الله سبحانه يعطى من فضله الواسع من يشاء عن كمال العلم بمن يستحق هذا العطاء ، سواء أكان هذا العطاء رحمة ، أو مغفرة ، أو ملكا ، أو مالا ، أو علما ، أو أى نوع من أنواع العطاء . وعطاؤه سبحانه . فضلا عن كونه عن كمال العلم ـ فهو مع كمال الحكمة ، وسعة المغفرة ، وفي هذا نجد أن اسمه (الواسع) سبحانه جاء مضافا الى المغفرة مرة واحدة (ان ربك واسع المغفرة) ، وجاء مقترنا باسمه (الحكيم)مرة واحدة كذلك (وكان الله واسعا حكيماً) .

ومعنى (الواسع) الذى يوسع على عباده في دينهم ، ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم .

وقيل : بمعنى أنه يسع علمه كل شئ كما قال تعالى : « **وسع كل شئ علما** » (١) (طـه آية ٩٨)

وقال الفراء الواسع : الجواد الذى يسع عطاؤه كل شىء (٢) .

وقيل : الواسع : واسع الفضل يوسع على من يشاء من عباده ٣) .

وقيل : الواسع الذى يسع خلقه كلهم بالكفاية والجود والأفضال .

وقيل الواسع : واسع الفضل والصفات وعظيمها ، ومن سعته وعلمه وسع لكم الأمر ، وقبل منكم المـــأمور (٤) .

و(الموسع) : اسم من أسماء الله تعالى على وزن (مُفْعِل) ، ورد في القرآن الكريم مرة واحدة بصيغة الجمع ، بالرفع ، في قوله تعالى : « **والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون** » (الذاريات آيـــة ٤٧) .

ومعنى (الموسع) : ذو الوسع والسعة ـ وقيل الموسعون القادرون ، فالموسع أى القادر (٥) .

وقيل الموسع : أى لأرجاء السماء وأنحائها ، وأيضا الموسع على عباده بالرزق الذى ما ترك دابة في مهامه القفار ، ولجج البحار ، وأقطار العالم العلوى والسفلى ، الا وأوصل اليها من الرزق ما يكفيها ، وساق اليها من الاحسان ما يغنيها ، فسبحان من عم بجوده جميع المخلوقات ، وتبارك الذى وسعت رحمته جميع البريات (٦) .

وقيل الواسع : المحيط بكل شئ ، من قولهم : « **وسع كل شئ علما** » **أى أحاط به (٧) .**

---

(١) فتح القدير الجزء الأول ص ١٣١ ، ١٣٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٦٥ :
(٣) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ٩٦ .
(٤) تيسير الكريم الرحمن الجزء الأول ص ٦٢ .
(٥) فتح القدير الجزء الخامس ص ٩١ .
(٦) تيسير الكريم المنان الجزء الثامن ص ٢٨ .
(٧) مرجع الزجاج ص ٥١ .

السميع (والمستمع) :

هو اسم من أسماء الله تعالى . بصيغة المبالغة على وزن (فَعِيل) بمعنى (فاعل) أى سامع (١) .

وقد ورد في القرآن الكريم خمسا وأربعين مرة (٢) . منها اثنتان وأربعون (٣) بصيغة (سميعُ) بالرفع في مثل قوله : « **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** » (البقرة آية ١٢٧) .

وقوله :« **فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم** » (البقرة آية ١٣٧) . وقوله : « **لامبدل لكلماته وهو السميع العليم** » (الأنعام آية ١١٥) . وقوله : « **إن الله سميع بصير** » (لقمان آية ٢٨) . وقوله : « **إنه سميع قريب** » (سبأ آية ٥٠) .

ومنها ثلاث مرات (٤) بصيغة (سميعاً) بالنصب في قوله تعالى : « **إن الله كان سميعا بصيرا** » (النساء آية ٥٨) . وقوله : « **وكان الله سميعا بصيرا** » (النساء آية ١٣٤) . وقوله : « **وكان الله سميعا عليما** » (النساء آية ١٤٨) .

ويلاحظ أن اسم (السميع) سبحانه ورد مقترنا باسم (العليم) اثنتين وثلاثين مرة (٥) وتسع مرات (٦) مقترنا باسم (البصير) . ومرة واحدة (٧) باسم (القريب) . وورد مرتين (٨) مضافا الى (الدعاء) في قوله : « **إنك سميع الدعاء** » (ال عمران آية ٣٨) .

وقوله :« **إن ربى لسميع الدعاء** » (ابراهيم آية ٣٩).

ويُجلّى لنا تمام سمعه ـ سبحانه ـ بكل شيء . ما رواه الإمام أحمد عن عائشة رضى الله عنها قـــالت :

(الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات . لقد جاءت المجادلة الى النبى صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول . فأنزل الله عز وجل : (**قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها) الى آخر الآية . والمجادلة هى : خولة بنت ثعلبة ، وكان زوجها أوس بن الصامت ، وكان امرءاً به لمم ، وكان اذا أخذه لممه واشتد به يظاهر من امرأته .**

وكذلك في رواية أخرى لابن أبى حاتم عن عائشة أنها قـالت : (تبارك الله الذى أوعى سمعه كل شيء ، إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علىّ بعضه ، وهى تشتكى زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى تقول يا رسول الله : أكل مالى ، وأفنى شبابى ، ونثرت لـه بطنى ، حتى اذا كبرت سنى ، وانقطع ولدى ، ظاهر منى . اللهم إنى أشكو اليك . قالت فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية :

. (قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها) (٩) .

أما اقتران اسم (السميع) سبحانه باسم (العليم) واسم (البصير) : فان سمعه مع علمه محيط بهم

---

(١) مرجع الزجاج ص ٤٢ .

من (٢) الى (٨) المعجم المفهرس .

(٩) تيسير العلى القدير المجلد الرابع ص ١٩١ .

. وبصره نافذ فيهم . فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء (١) .

وأما اقتران اسم (السميع) سبحانه باسم (القريب) ، واضافته الى الدعاء . فانه سبحانه وهو فوق عرشه يسمع كل حركة وسكنة ولفظة من خلقه ، وكل دعاء من عباده ، فيجيب من يدعوه لشدة قربه منهم ، فهو عليٌ في قربه قريب في علوه . كما قال تعالى : « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** » (البقرة آية ١٨٦) ، وكما قال : « **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد** » (ق آية ١٦) - وكما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن الذى تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته** » .

المستمع :

وهو اسم من أسماء الله تعالى على وزن (مفتعل) ، وقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة (٢) بصيغة الجمع بلفظ (مستمعون) بالرفع . في قوله تعالى :

« **قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون** » (الشعراء آية ١٥) .

ومعنى (مستمع) أى سامع لموسى وهارون عليهما السلام - وسامع لكل خلقه بلا ريب - وذلك كقوله لهما : « **لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى** » (طه آية ٤٦) أى أنه تعالى يسمعهما - وهو فوق عرشه - ماذا يقولان لفرعون ويراهما وهما تحت حفظه وتأييده (٣) .

وقد قيل إنَّ (سمع) تأتى بمعنى أجاب . وذلك في مثل ما يقول المصلى عند رفعه من الركوع : (سمع الله لمن حمده) أى استجاب (٤) .

العزيز :

هو اسم من اسماء الله تعالى على وزن (فعيل) ، وقد ورد في القرآن الكريم تسعا وثمانين مرة (٥) . منها اثنتان وثمانون (٦) بلفظ (العزيز) أو (عزيز) بالرفع . في مثل قوله : « **إنك أنت العزيز الحكيم** » (البقرة آية ١٢٩) . وقوله : « **لا اله الا هو العزيز الحكيم** » (آل عمران آية ١٨) ، وقوله : « **والله عزيز حكيم** » (المائدة آية ٣٨) . وقوله : « **إن ربك هو القوى العزيز** » (هود آية ٦٦) . وقوله : « **إن الله عزيز ذو انتقام** » (ابراهيم آية ٤٧) . وقوله : « **وإن ربك لهو العزيز الرحيم** » (الشعراء آية ٩) وقوله : « **إن الله عزيز غفور** » (فاطر آية ٢٨) .

ومنها ست مرات (٧) بلفظ (عزيزاً) بالنصب في قوله تعالى : « **ان الله كان عزيزا حكيما** » (النساء آية ٥٦) . وقوله : « **وكان الله عزيزا حكيما** » (النساء ١٥٨) . وقوله : « **وكان الله عزيزاً حكيما** » (النساء ١٥٦) . وقوله : « **وكان الله قويا عزيزاً** » (الأحزاب آية ٢٥) . وقوله : « **وكان الله عزيزاً حكيما** » (الفتح آية ١٩) .

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٥ .

(٢) المعجم المفهرس .

(٣) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٢٠٢ .

(٤) مرجع الزجاج ص ٤٢ .

(٥) . (٦) . (٧) المعجم المفرس .

ومعنى (العزيز) الغالب كل شيء . والذى ذل لعزته كل عزيز . والممتنع فلا يغلبه شيء (١) وهو سبحانه (رب العزة) . وبيده وحده العزة . يعز بها من يشاء . ومن يريد العزة فلا مصدر لها سوى (العزيز) سبحانه : « **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا** » (فاطر آية ١٠) . وقد أثبت الله تعالى لنفسه العزة جل وعلا . ومن عزته أعز رسوله صلى الله عليه وسلم . وأعز كذلك المؤمنين . فقال تعالى : « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » (المنافقون آية ٨) . وقد توعد الله تبارك وتعالى المنافقين الذين يلتمسون العزة عند الكافرين الذين اتخذوهم أولياء من دون المؤمنين . فقال سبحانه : « **بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة ؟ فإن العزة لله جميعاً** » (النساء آية ١٣٨ ، ١٣٩) - وقد اقترن اسم (العزيز) سبحانه بأسماء أخرى لله تعالى على الوجه الآتى : -

١ - اقترن باسم (الحكيم) تسعا وأربعين مرة : واقترانه به يفيد أنه الغالب الذى لا يعجزه شيء سبحانه . وهو الحكيم في أقواله وأفعاله جميعا فيضع الأشياء في محالها التى تناسبها مناسبة كاملة .

٢ - واقترن باسم (ذو انتقام) ثلاث مرات (٢) . واقترانه به يفيد أنه الغالب الذى يقدر على ان ينتقم ممن يستحق الانتقام منه بمنتهى العدل منه سبحانه .

٣ - واقترن باسم (القوى) سبع مرات (٣) : واقترانه به يفيد أنه سبحانه ذو القوة التى لاتغلب فبقوته سبحانه وعزته يوقع بمن يشاء من عقوبته ولا معقب لما يريد سبحانه .

٤ - واقترن باسم (الحميد) ثلاث مرات (٤) : واقترانه به يفيد أنه سبحانه العزيز الغالب الذى لا يضام من لاذ بجانبه المنيع ، المحمود في جميع أقواله . وأفعاله . وشرعه . وقدره (٥) . فهو المحمود في كل حال (٦) .

٥ - واقترن باسم (الرحيم) ثلاث عشرة مرة (٧) : واقترانه به يفيد أنه مع عزته وقوته وغلبته سبحانه ، رحيم بخلقه بمعنى أنه لا يعجل العقوبة على من عصاه بل يؤجله وينظره ، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر . وقال سعيد بن جبير : الرحيم بمن تاب اليه وأناب (٨) وقيل : العزيز الذى قد قهر كل مخلوق ودان له العالم العلوى والسفلى - الرحيم : الذى وسعت رحمته كل شيء ، ووصل جوده الى كل حى - العزيز : الذى أهلك الأشقياء بأنواع العقوبات . الرحيم : بالسعداء حيث أنجاهم من كل شر وبلاء (٩) .

---

(١) ، (٢) مرجع الزجاج ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) ، (٤) المعجم المفهرس .

(٥) تيسير العلى القدير المجلد الرابع ص ٣٧٣ .

(٦) فتح القدير الجزء الخامس ص ٤١٣ .

(٧) المعجم المفرس .

(٨) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٢٠١ .

(٩) تيسير الكريم الرحمن الجزء الخامس ص ٢٤٨ .

٦ ـ واقترن باسم (العليم) خمس مرات ؛ واقترانه به يفيد أنه العزيز الذى لا يمانع ولا يخالف ، العليم بكل شيء ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وكثيرا ما اذا ذكر الله تعالى خلق الليل ، والنهار ، والشمس ، والقمر ، يختم الكلام بالعزة والعلم ، كما في قوله تعالى **(وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم)** (١) ـ كذلك هو العزيز الذى من عزته انقادت له هذه المخلوقات العظيمة ، فجرت مذللة بأمره حيث لا تتعدى ما حده الله لها ولا تتقدم عنه ولا تتأخر ، العليم الذي أحاط علمه بالظواهر ، والبواطن ، والأوائل والأواخر ٠ (٢) كما أنه العزيز الذى قهر الخلائق فأذعنواله ، والعليم بجميع الأشياء ، العليم بأقوال المختلفين وعماذا صدرت ، وعن غاياتها ومقاصدها ، وسيجازى كلا بما علمه فيه (٣) ٠

٧ ـ واقترن باسم (الغفور) مرتين (٤) وباسم (الغفار) ثلاث مرات (٥) ٠ واقترانه بهما يفيد أنه مع عزته وغلبته لكل خلقه ، فانه سبحانه يغفر جميع الذنوب صغيرها وكبيرها لمن تاب اليه وأقلع عنها ٠ ويلاحظ هنا أن اسم العزيز اقترن باسم (الغفور ، والغفار) وكل منهما صيغة مبالغة على وزن (فعُول ، وفعَّال) مما يدل على كثرة غفره سبحانه للتائبين المنيبين ٠

٨ ـ واقترن باسم (المقتدر) مرة واحدة (٦) في قوله تعالى « **كذبوا بآياتنا كلِّها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر** » (القمر آية ٤٢) ٠ واقترانه به يفيد أنه العزيز الغالب الذى أخذ المكذبين أخذ غالب في انتقامه قادر على إهلاكهم لا يعجزه شيء سبحانه وتعالى (٧) ٠

٩ ـ واقترن باسم (الوهاب) مرة واحدة (٨) ٠ أى مع أنه سبحانه العزيز الغالب القاهر الذى لا يرام جنابه يعطى بغير حساب (٩) ، ويعطى ما يريد لمن يريد (١٠) عطاء منه وتفضلا من خزائن رحمته التى لاتنفد ٠

١٠ ـ واقترن باسم (الجبار) مرة واحدة (١١) في قوله تعالى : « **هو الله الذى لا اله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار** » (الحشر آية ٢٤) ، واقترانه به يفيد أنه سبحانه العزيز القاهر الغالب الذى لا يوجد له نظير ، هو العظيم صاحب الجبروت وهى العظمة ، والعرب تسمى الملك الجبار ٠ ويجوز أن يكون من جبر اذا أغنى الفقير وأصلح الكسير ٠ ويجوز أن يكون من أجبره على كذا اذا أكرهه على ما أراد ، فهو سبحانه هو الذى جبر خلقه على ما أراد منهم ٠ وبه قال السدّى ومقاتل ، واختاره الزجاج والفراء ٠ قال : هو من أجبره على الأمر : أى قهره ٠ قال : ولم أسمع فعَّالا من أفعل الا في

(١) تيسير العلى القدير المجلد ٢ ص ٣٧ ٠

(٢) تيسير الكريم الرحمن الجزء الثانى ص ٢٠٥ ٠

(٣) المرجع السابق الجزء الخامس ص ٢٨٧ ٠

(٤) ، (٥) ، (٦) المعجم المفرس ٠

(٧) فتح القدير الجزء الخامس ص ١٢٨ ٠

(٨) المعجم المفهرس ٠

(٩) المرجع السابق الجزء الرابع ص ٤٣١ ٠

(١٠) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٤٨٠ ٠

(١١) المعجم المفهرس ٠

جبَّار من أجبر ، ودرَّاك من أدرك ، وقيل : الجبّار : الذى لا تطاق سطوته (١) وقيل : الجبار الذى لا يليق الجبروت الا لجلاله ، والجبار المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم (٢) · وقيل : الجبار : الذى قهر جميع العباد ، وأذعن له سائر الخلق ، الذى يجبر الكسير ويغنى الفقير (٣) ، أو الرؤوف الجابر للقلوب المنكسرة وللضعيف العاجز ، ولمن لاذ به ولجأ اليه (٤) ·

وهكذا نرى اقتران اسم (العزيز) بعديد من أسماء الله تعالى ، يدل على معان سامية ، عرضنا بعضا منها فيما أسلفنا من بيان ·

الرءوف :

هو اسم من أسماء الله تعالى على وزن (فعول) ، وهو صيغة مبالغة يدل على عظيم رأفته سبحانه بخلقه · وقد ورد في القرآن الكريم عشر مرات (٥) في مثل قوله تعالى : « **وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم** » (البقرة آية ١٤٣) ، وقوله : « **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد** » (البقرة آية ٢٠٧) ، وقوله : « **ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم** » (التوبة آية ١١٧) ، وقوله : « **وإن الله بكم لرءوف رحيم** » (الحديد آية ٩) ·

ومعنى الرءوف كثير الرأفة ، وهى أشد من الرحمة · قال أبو عمرو بن العلاء : الرأفة أكبر من الرحمة والمعنى متقارب (٦) · فالرأفة هى المنزلة الثانية ، فاذا اشتدت الرحمة كانت رأفة (٧) ·

وقد اقترن اسم (الرءوف) باسم (الرحيم) سبحانه في تسع آيات من العشر المشار اليها ، وعدى بالباء الى العباد في آيتين في قوله تعالى : « **والله رءوف بالعباد** » (البقرة آية ٢٠٧ ، وآل عمران آية ٣٠) ·

ورأفة الله تعالى ورحمته بعباده لا يعدلها رأفة أو رحمة · ففى الصحيح (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة من السبى قد فرق بينها وبين ولدها ، فجعلت كلما وجدت صبيا من السبى أخذته فألصقته بصدرها وهى تدور على ولدها ، فلما وجدته ضمته اليها وألقمته ثديها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أترون هذه طارحة ولدها في النار وهى تقدر على أن لا تطرحه » ، قالوا لا يارسول الله قال : « لله أرحم بعباده من هذه بولدها » (٨) ·

---

(١) فتح القدير الجزء الخامس ص ٢٠٨ ·

(٢) تيسير العلى القدير المجلد الرابع ص ٢١٥ ·

(٣) تيسير الكريم الرحمن الجزء الثامن ص ١٠٨ ·

(٤) المرجع السابق الجزء الخامس ص ٣٠١ ·

(٥) المعجم المفهرس ·

(٦) فتح القدير الجزء الأول ص ١٥١ ·

(٧) مرجع الزجاج ص ٦٢ ·

(٨) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ١١٩ ·

الشاكر ، و (الشكور) :

(الشاكر) اسم من أسماء الله تعالى على وزن (فاعل) ، وقد ورد في القرآن الكريم مرتين (١) : مرة بلفظ (شاكرٌ) بالرفع ، في قوله تعالى : « **ومن تطوع خيرا فإن الله شاكرٌ عليم** » (البقرة آية ١٥٨) ومرة بلفظ (شاكراً) بالنصب ، في قوله تعالى : « **وكان الله شاكراً عليماً** » (النساء آية ١٤٧) .

(والشكور) اسم من أسماء الله تعال على وزن (فعول) بصيغة المبالغة ، وقد ورد في القرآن الكريم أربع مرات (٢) ، في قوله تعالى : « **ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور** » (فاطر آية ٣٠) ، وفي قوله : « **إن ربنا لغفور شكور** » (فاطر آية ٣٤) ، وفي قوله : « **ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور** » (الشورى آية ٢٣) ، وفي قوله : « والله شكور حليم » (التغابن آية ١٧) .

ومعنى (الشاكر والشكور) : الذى يشكر القليل من العمل ، ويغفر الكثير من الزلل ، ويضاعف للمخلصين أعمالهم بغير حساب ، ويشكر الشاكرين ، ويذكر من ذكره ، ومن تقرب اليه بشىء من الأعمال الصالحة تقرب الله منه أكثر (٣) .

وقيل (الشكور) من أسماء الله عز وجل - (وكذلك الشاكر) - معناه : أنه يزكو عنده القليل من الأعمال ، فيضاعف لهم بـه الجزاء - وكأن الشكر من الله تعالى هو اثابته الشاكر على شكره ، فجعل ثوابه للشكر ، وقبوله للطاعة شكراً على طريقة المقابلة كما قال عز اسمه : « **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** » (٤) (البقرة آية ١٩٤)

ونلاحظ أن اسم (الشاكر) قد اقترن باسم (العليم) سبحانه ، واقترانه به يفيد أنه تعالى شاكر أى يثيب على القليل بالكثير ، مع علمه التام المحيط . بقدر الجزاء ، فلا يبخس أحدا ثوابه (٥) .

كما نلاحظ أن اسم (الشكور) قد اقترن ثلاث مرات باسم (الغفور) . واقترانه به يفيد أنه غفور لمن عصاه ، وشكور لمن أطاعه (٦) وقيل : انه غفور لذنوبهم ، شكور للقليل من أعمالهم . وقال قتادة : كان مطرف رحمه الله إذا قرأ هذه الآية (أى آية فاطر) يقول : (هذه آية القراء) (٧) . أقول : وحُقَّ لمطرف رحمه الله أن يقول هذه القولة ، اذ ختم بها قوله تعالى : « **إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية يرجون تجارة لن تبور - ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، إنه غفور شكور** » (فاطر آية ٢٩ ، ٣٠) .

---

(١) ، (٢) المعجم المفهرس .

(٣) تيسير الكريم الرحمن الجزء الخامس ص ٣٠٤ .

(٤) مرجع الزجاج ص ٤٧ .

(٥) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ١٢٧ .

(٦) فتح القدير الجزء الرابع ص ٣٥١ .

(٧) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٤٢٨ .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : في قوله تعالى (**الحمد الله الذى أذهب عنا الحزن ، إن ربنا لغفور شكور)** : غفر لهم الكثير من السيئات . وشكر لهم اليسير من الحسنات (١) ·

وقيل (غفور شكور) : أى يغفر الكثير من السيئات . ويكثر القليل من الحسنات . فيستر ويغفر ويضاعف فيشكر (٢) ·

واقترن اسم (الشكور) باسم (الحليم) مرة واحده (٣) في قوله تعالى : « **إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم** » (التغابن آية ١٧) واقترانه به يفيد أنه (شكور) يثيب من أطاعه بأضعاف مضاعفة . (حليم) لا يعاجل من عصاه بالعقوبة (٤) . بل يمهله ولا يهمله (٥) ·

وقيل (شكور) أى يجزى على القليل بالكثير . (حليم) أى يصفح ويتجاوز عن الذنوب والسيئات (٦) ·

الواحد و (الأحد) :

(الواحد) : هو اسم من أسماء الله تعالى على وزن (فاعل) . وقد ورد في القرآن الكريم ست مرات (٧) في قوله تعالى : « **أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار** » (يوسف آية ٣٩) . وقوله : « **قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار** » (الرعد آية ١٦) . وقوله : « **وبرزوا لله الواحد القهار** » (ابراهيم آية ٤٨) . وقوله : « **وما من اله الا الله الواحد القهار** » (ص آية ٦٥) . وقوله : « **سبحانه هو الله الواحد القهار** » (الزمر آية ٤) . وقوله : « **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** » (غافر آية ١٦) ·

وقد ورد موصوفا به الإله ثلاث عشرة مرة (٨) . في مثل قوله تعالى : « **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** » (البقرة آية ١٦٣) . وقوله : « **وما من إله إلا إله واحد** » (المائدة آية ٧٣) . وقوله « **إنما إلهكم إله واحد** » (الأنبياء آية ١٠٨) ·

و (الأحد) اسم من أسماء الله تعالى على وزن (فَعَل) . وقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة (٩) . في قوله تعالى : « قل هو الله أحد » (الاخلاص آية ١) ·

وقيل : إن الفرق بين الواحد والأحد : أن الواحد يفيد وحْدَةَ الذات فقط . والأحد : يفيده بالذات والمعانى (١٠) ·

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٤٣٠ ·

(٢) المرجع السابق المجلد الثالث ص ٥٧٢ ·

(٣) المعجم المفهرس ·

(٤) فتح القدير الجزء الخامس ص ٢٣٩ ·

(٥) تيسير الكريم الرحمن الجزء الثامن ص ١٣٧ ·

(٦) تيسير العلى القدير المجلد الرابع ص ٢٥٢ ·

(٧) . (٨) . (٩) المعجم المفهرس ·

(١٠) مرجع الزجاج ص ٥٨ ·

قيل : وهمزة أحد بدل من الواو وأصله وَحَد · وقال أبو البقاء : همزة أحد أصل بنفسها غير مقلوبة ، وذكر أن (أحد) يفيد العموم دون (واحد) ·

ومما يفيد الفرق بين (أحد) و (واحد) ما قاله الأزهري : انه لا يوصف بالأحدية غير الله تعالى ، فلا يقال رجل أحد ، ولا درهم أحد ، بل يقال : رجل واحد ، ودرهم واحد (١) ·

وقيل : الأحد : الذى لانظير له ، ولا وزير له ، ولانديد له ، ولاشبيه ، ولاعديل ، ولا يطلق هذا اللفظ الا على الله عز وجل ، لأنه الكامل في جميع صفاته ، وأفعاله (٢) ·

وقيل : (أحد) : أى انحصرت فيه تعالى الأحدية ، فهو الأحد المنفرد بالكمال الذى به الأسماء الحسنى ، والصفات الكاملة العليا ، الذى لا نظير له ، ولا مثيل ·

وقيل : الواحد الأحد : هو الذى توحد بجميع الكمالات بحيث لا يشاركه فيها مشارك ، ويجب على العبيد توحيده عقدا ، وقولا ، وعملا بان يعترفوا بكماله المطلق ، ويفردوه بالوحدانية ، ويفردوه بأنواع العبادة ·

الغفور و (الغفّار ـ والغافر) :

الغفور :

هو اسم من أسماء الله تعالى على وزن (فعول) بصيغة المبالغة ، بما يدل على كثرة الغفر لذنوب عباده التائبين ـ وقد ورد في القرآن الكريم أحدى وتسعين مرة (٣) منها احدى وسبعون مرة (٤) بصيغة (غفورٌ) بالرفع ، في مثل قوله تعالى : « **فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم** » (البقرة آية ١٧٣) ، وقوله : « **يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم** » (آل عمران آية ١٢٩) ، وقوله : « **عفا الله عنها والله غفور حليم** » (المائدة آية ١٠١) وقوله : « **بلدة طيبة ورب غفور** » (سبأ آية ١٥) ، وقوله : « **ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور** » (فاطر آية ٣٠) ·

ومنها عشرون مرة (٥) بصيغة (غفوراً) بالنصب · في مثل قوله تعالى : « **درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما** » (النساء آية ٩٦) ، وقوله : « **إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً** « (الاسراء آية ٢٥) ، وقوله : « **ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيما** » (الأحزاب آية ٧٣) ، وقوله : « **ولئن زالتا إن أمسكها من أحد من بعده إنه كان حليما غفوراً** » (فاطر آية ٤١) · ومعنى الغفور ، العظيم الغفر لعباده الذين يرجعون اليه ويتوبون من ذنوبهم · ونلاحظ أن اسم (الغفور) سبحانه قد اقترن بأسماء أخرى له عز وجل :

فقد اقترن باسم (الرحيم) أربعا وسبعين مرة (٦) ـ واقترانه به يفيد أنه سبحانه يغفر

---

(١) فتح القدير الجزء الخامس ص ٥١٥ ·

(٢) تيسير العلى القدير المجلد الرابع ص ٤٤٢ ·

(٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) المعجم المفهرس ·

للمستغفرين والتائبين لأنه واسع الرحمة . بمعنى أنه يغفر لمن تاب اليه وأناب رحمة منه لهذا العبد . لأنه لو لم يرحمه ويتداركه بمغفرته لهلك وخسر . ولهذا يشير قوله تعالى : « **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين** » (الاعراف آية ٢٣) ج وقوله : « **وإلاّ تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين** » (هود آية ٤٧) ·

ومن ثم لما سأل الصديق أبو بكر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه دعاء يدعو به في صلاته دله على صيغة تتضمن طلب المغفرة والرحمة من الله الغفور الرحيم : ففى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن أبا بكر رضى الله عنه قال : (يارسول الله علمنى دعاء أدعو به في صلاتى) . فقال : « قل : اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم » ·

وروى البخارى عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله عليه وسلم : (سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربى . لاإله إلا أنت . خلقتنى وأنا عبدك . وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت . أبوء لك بنعمتك علىَّ وأبوء بذنبى . فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت · من قالها في ليلة فمات في ليلته دخل الجنة . ومن قالها في يومه فمات دخل الجنة) ·

واقترن اسم (الغفور) كذلك باسم (الحليم) ست مرات (١) · واقترانه به يفيد أن الله سبحانه لا يعاجل بالعقوبة عبده الذى يعصيه . بل يمهله . فان استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر . وقد جاء في الصحيحين : « أن الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته · ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد**) (هود آية ١٠٢) . وأما اذا أقلع العبد عما هو فيه من كفر وعصيان . ورجع الى الله وتاب . فان الله تعالى يتوب عليه . لذا يقول تعالى : « **ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما** » (النساء آية ١١٠) ·

واقترن اسم (الغفور) كذلك باسم (الشكور) ثلاث مرات (٢) · واقترانه به يفيد ـ كما أسلفت في بيان اسم (الشكور) سبحانه ـ أنه جل وعلا يغفر لعباده الكثير من السيئات . ويشكر لهم اليسير من الحسنات · وهذا من أعظم الفضل وأوسع الرحمة بعباده . انه ـ عز وجل ـ بهم رءووف رحيم ·

واقترن اسم (الغفور) كذلك باسم (العفوّ) أربع مرات (٣) · واقترانه به يفيد أنه سبحانه يعفو كثيرا عما قصر فيه عباده من أوامره وما ارتكبوه من المعاصى اذا رجعوا اليه ـ سبحانه وأنابوا . وتابوا مما وقعوا فيه . ويغفر لهم ذنوبهم حسبما قال تعالى : « **قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم** » (الزمر آية ٥٣) ·

---

(١) . (٢) . (٣) المعجم المفهرس ·

واقترن اسم (الغفور) كذلك باسم (العزيز) مرة واحدة (١) هي قوله تعالى : « **الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور** » (الملك آية ٢) .

واقترانه به يفيد أنه سبحانه العزيز الذى بعزته يستطيع أن ينتقم من العاصى آن عصيانه ، فهو العزيز المنيع الجناب عز وجل ، ومع ذلك هو ـ سبحانه ـ غفور لمن تاب اليه وأناب بعد أن عصاه وخالف أمره .

واقترن اسم (الغفور) كذلك باسم (الودود) مرة واحدة (٢) هى قوله تعالى : « **وهو الغفور الودود** » (البروج آية ١٤) . واقترانه به يفيد أنه جل وعلا عظيم الغفر لمن تاب اليه وأناب ، فيستر ذنوبهم ولا يفضحهم بها ، كما أنه سبحانه ودود أى يحب عباده المؤمنين أبلغ المحبة ، لإنابتهم اليه دائما ، ورد كل أمورهم اليه في كل حال ، وكذلك هو سبحانه ودود بمعنى أنه محبوب يحبه عباده المؤمنون لدوام تفضله عز وجل وانعامه عليهم في كل آن .

والغفار :

اسم من أسماء الله تعالى على وزن (فعَّال) بصيغة المبالغة ، بما يدل على كثرة غفره لعباده التائبين . وقد ورد في القرآن الكريم خمس مرات (٣) ، منها أربع مرات بالرفع (٤) ، في قوله تعالى : « **وانى لغفَّار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى** » (طه آية ٨٢) ، وقوله : « **رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفَّار** » (ص آية ٦٦) ، وقوله : « **كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفَّار** » (الزمر آية ٥) ، وقوله : « **وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفَّار** » (غافر آية ٤٢) ، وورد مرة واحدة (٥) بالنصب في قوله تعالى : « **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفَّارًا** » (نوح آية ١٠) .

وقد اقترن اسم (الغفَّار) سبحانه باسم (العزيز) ثلاث مرات (٦) ، ويفيد اقترانه به أنه تعالى الغالب الذى يقوى بلا ممانع على معاقبة مخالف أمره ، لكنه تعالى يمهله ، فاذا تاب ستر ذنوبه وغفر سيئاته ، وان لم يتب واستمر في عصيانه أخذه أخذ عزيز مقتدر .

والغافر :

اسم من أسماء الله تعالى على وزن (فاعل) ، وقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة (٧) ، مضافا الى التوب ، ومعطوفا عليها (قابل التوب) في قوله سبحانه : « **غافر الذنب وقابل التوب** » (غافر آية ٣) ومعنى هذا أنه يغفر ما سلف من الذنب ، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب اليه وخضع له ، ثم يأتى بعد قوله تعالى « **غافر الذنب وقابل التوب** » قوله سبحانه « **شديد العقاب** » أى لمن تمرد وطغى . كقوله تعالى « **نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابى هو العذاب الأليم** » (الحجر آية ٤٩ ، ٥٠) . وكثيرا ما يقرن سبحانه هذين الوصفين في مواضع عديدة من القرآن الكريم وسبب ذلك أن يبقى العبد دائما بين الرجاء والخوف .

من (١) الى (٧) المعجم المفهرس .

وقد روى ابن أبى حاتم عن يزيد بن الأصم قال : كان رجل من أهل الشام ذو بأس وكان يفد الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ففقده عمر . فقال : ما فعل فلان بن فلان ؟ فقالوا : ياأمير المؤمنين تتابع في هذا الشراب . قـــال : فدعا عمر (رضى الله عنه) كاتبه . فقال : اكتب : (من عمر بن الخطاب الى فلان بن فلان ... سلام عليك . فانى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو « غافر الذنب ، وقابل التوب . شديد العقاب . ذى الطول . لا إله إلا هو اليه المصير » . ثم قال لأصحابه : ادعوا الله لأخيكم أن يُقْبِل بقلبه ويتوب الله عليه . فلما بلغ الرجل كتاب عمر رضى الله عنه جعل يقرؤه ويردده ويقول غافر الذنب . وقابل التوب . شديد العقاب . قد حذرنى عقوبته . ووعدنى أن يغفر لى .

وفي رواية أبى نعيم قال : فلم يزل يرددها على نفسه ، ثم بكى . ثم نزع فأحسن النزع . فلما بلغ عمر خبره ، قال : (هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أخا لكم زل زلَّة فسددوه ووثقوه . وادعوا الله أن يتوب عليه . ولا تكونوا أعوان الشيطان عليه) (١) .

وهذا يدلنا على ان الانسان حين يستشعر معنى اسمه تعالى (الغفور والغفار والغافر) وما يقترن به من أسماء فان ذلك يجعله دائم الرقابة لربه . فاذا أخطأ كان سريع الرجوع ودائم الاستغفار .

القريب :

هو اسم من أسماء الله تعالى ورد في القرآن ثلاث مرات (٢) . في قوله تعالى : **« وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب »** (البقرة آية ١٨٦) . وقوله : **(فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب)** (هود آية ٦١) . وقوله : **« وإن اهتديت فما يوحى إليَّ ربى إنه سميع قريب »** (سبأ آية ٥٠) .

ومعنى القريب أنه سبحانه ليس قريبا من عبده قرب ذات وانما قرب صفات . فهو قريب جداً من عبده قرب سمع وبصر وعلم واحاطة وقهر ونصر وغير ذلك من صفات كماله تعالى . ويشير الى هذا القرب قوله سبحانه : **« ونحن أقرب إليه من حبل الوريد »** (ق آية ١٦) . وحبل الوريد هو حبل العاتق . وهو ممتد من ناحية الحلق الى العاتق . وهما وريدان عن يمين وشمال . وقال الحسن : الوريد الوتين . وهو عرق معلق بالقلب . وهو تمثيل للقرب بقرب ذلك العرق من الانسان : أى نحن أقرب اليه من حبل وريده . والاضافة بيانية : أى حبل هو الوريد ـ وقيل الحبل هو نفس الوريد (٣) كما يشير تعالى الى قربه من عبده بقوله : **« ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون »** (الواقعة آية ٨٥) أى أقرب سبحانه من خلقه الى عبده بعلمه وقدرته ورؤيته . ولكن عباده لا يدركون ذلك لجهلهم فان الله تعالى أقرب الى عبده من حبل الوريد (٤) .

---

(١) ، (٢) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٥٢٢ .

(٣) فتح القدير الجزء الخامس ص ٧٥ .

(٤) المرجع السابق ص ١٦١ .

وقد اقترن اسمه (القريب) سبحانه باسمه « المجيب » مرة واحدة (١) ، كما اقترن باسمه (السميع) مرة واحدة كذلك (٢) ٠ واقترانه بالمجيب مرة ثم بالسميع مرةأخرى يفيد أنه سبحانه وتعالى يسمع وهو فوق عرشه كل شيء من خلقه سواء أعلن أم أخفى ، جهر به أم أسر ، لأنه قريب جدا منهم قرب سمع ورؤية وعلم واحاطة وقدرة وقهر ونصر ، قريب بصفاته تعالى من خلقه ج وهو سبحانه قريب الاجابة لمن دعاه ٠

وقد قال ابن أبى حاتم بسنده عن معاوية بن حيدة القشيرى أن اعرابيا قال : يارسول الله : أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ، فسكت النبى صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : « **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** » الآية (البقرة آية ٨٦) ٠ اذا أمرتهم أن يدعونى فدعونى استجبت ٠وروى الامام أحمد عن أبى موسى الأشعرى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ، فجعلنا لانصعد شرفا ، ولانعلو شرفا، ولانهبط واديا الا رفعنا صوتنا بالتكبير ، قال : فدنا منا ، فقال : (يأأيها الناس : أربعوا على أنفسكم فإنكم لاتدعون أصم ولا غائبا ، إنما تدعون سميعاً بصيراً ، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته ، ياعبد الله بن قيس ، ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة ؟ لاحول ولا قوة إلا بالله) أخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة ٠

وروى مالك عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول دعوت فلم يستجب لى) أخرجاه في الصحيحين ، من حديث مالك به ٠

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل ٠ قالوا : وكيف يستعجل ؟ قال « يقول قد دعوت ربى فلم يستجب لى » رواه الامام أحمد ٠

ورى ابن مردويه عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، حدثنى جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ : « **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان** » الآية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم أمرت بالدعاء ، وتوكلتَ بالاجـــابة ، لبيك اللهم لبيك ، لاشريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ، أشهد أنك فرد ، أحد ، صمد ، لم ، يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، وأشهد أن وعدك حق ، ولقاءك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة آتية لا ريب فيها ، وأنت تبعث من في القبور) (٣) ٠

وقد ثبت في الصحيح من حديث أبى سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم ، إلا أعطاه الله بها احدى ثلاث خصال : اما أن يعجل له دعوته ، واما أن يدخر له في الآخرة ، واما أن يصرف عنه من السوء مثلها)

وثبت في الصحيح أيضا من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : دعوت فلم يستجب لى) ٠

---

(١) ، (٢) المعجم المفهرس ٠

(٣) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ١٤٥ ، ١٤٦ ٠

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل . قيل يارسول الله ما الاستعجال ؟ قال : يقول : قد دعوت فلم أر يُستجب لى . فيستحِسر عند ذلك ويدع الدعاء) رواه مسلم . وقد ورد في الأحاديث الصحيحة بيان بعض الأشخاص الذين تستجاب دعوتهم . من ذلك ما يأتى :

١ ـ **دعوة المظلوم :** فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كأنها شرار) حديث صحيح أخرجه الحاكم . وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس دونها حجاب) حديث حسن رواه أحمد .

٢ ـ **دعوة المسافر :** اذا كان سفر طاعة وخير كالسفر في سبيل الله للدعوة أو للعبادة أو لطلب العلم الذى يتقرب به الى الله . ولعل سرَّ استجابة دعوة المسافر كونه غريبا . وبعيدا عن أهله وأحبائه . فيشمله الله تعالى برحمته ورعايته . وتكون استجابة دعوته من آثار رحمة الله عز وجل به . وفضله عليه .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم . ودعوة المسافر . ودعوة الوالد على ولده) حديث صحيح رواه الترمذى .

٣ ـ **دعوة الوالد على ولده :** وهذا يظهر من الحديث الآنف الذكر . فالوالد اذا دعا بالخير لولده أو بالشر على ولده. استجاب الله له

٤ ، ٥ ، ٦ ـ **دعوة الحاج والغازى والمعتمر :** وسبب استجابة دعوة هولاء الثلاثة أنهم لبّوا نداء الله تعالى . واستجابوا لدعوته . فكافأهم تعالى استجابة دعوتهم . فعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (الغازى في سبيل الله . والحاجُّ . والمعتمر . وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم) حديث صحيح رواه ابن ماجه .

٧ ـ **دعاء الأخ المسلم لأخيه بظهر الغيب :** فعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب الا قال الملك : ولك بمثل) رواه مسلم .

وعن صفوان بن عبد الله قال : قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء في منزله . فلم أجده . ووجـدت أم الدرداء فقالت : أتريد الحج العام ؟ فقلت : نعم . قالت : فادْعُ الله لنا بخير . فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : (دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة . عند رأسه مَلَك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل) رواه مسلم . ولا شك أن المجتمع الذى تكون صفته . أن كل أخ يدعو لأخيه بظهر الغيب . يكون مجتمعا يشيع فيه الخير . وتعم فيه الأخوة الصادقة التى ترقى بأفراده وتسمو بهم في مدارج الإيمان .

(يتبع)



لقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من الآيات التى تفيد أنه تَصديق أو مصدقٌ لما تقدمه من كتب الله .

ولقد تعلق بهذه الآيات أعداء الاسلام وخصومه من غلاة المستشرقين والمبشرين فراحوا يزعمون أنها تعنى سلامة الكتب السابقة من التحريفُ والنسخ ، وأن ذلك يستتبع وجوب العمل بهذه الكتب كالقرآن سواء بسواء . وقد وضعوا في هذا المعنى بعض الكتب والرسائل كرسالة « أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين » (١) .

ومن هنا يتحتم علينا أن نبين المعنى الصحيح لهذا التصديق حتى يتبين كل منصف أن هؤلاء قد حمّلوا آيات الله مالا تحتمل ، وزاغوا بها عن معناها الحق ، ومرادها الصدق . وأرادوا بذلك تحريف كلام الله عن مواضعه كما فعلوا في كتبهم . ليتعللوا بذلك في عدم إيمانهم بخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ، وبما أنزل الله عليه من كتاب .

من هذه الآيات : قوله تعالى : (أَلَمّ الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزّلَ عليكَ الكتابَ بالحقِّ مصدّقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والانجيل من قبلُ هُدًى للناس وأنزل الفرقان ..) (٢) .

وقوله : **(وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدقُ الذى بينَ يديْه ، ولتنذرَ أم القرى ومَنْ حولها ، والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) (٣) .**

وقوله : **(وما كان هذا القرآن أن يُفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل الكتاب ، لا ريب فيه من رب العالمين) (٤) .**

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى وصف فيها القرآن الكريم بأنه مصدق لما بين يديه من كتب الله (٥)

---

(١) مؤلف هذه الرسالة هو : (نيقولا يعقوب غبريل) وطبعت بمصر سنة ١٩٠١ م .
(٢) آل عمران ١ ـ ٤ .
(٣) الأنعام ٩٢ .
(٤) يونس / ٣٧ .
(٥) تكرر هذا الوصف في ست عشرة آية . انظر المعجم المفهرس ٤٠٦/٦ .

فقوله ـ جَلَّ وعلا ـ (**نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه**) أى مبينا صدق ما تقدمه من الكتب المنزلة على رسل الله عليهم السلام .

وبيان القرآن الكريم لصدق ما سبقه من كتب الله ، من جهات متعددة :

الأولى : أنه أثبت الوحى ، وقرر إمكانه ووقوعه فعلا ، حيث أخبر في كثير من آياته أن الله أرسل رسلا كثيرين قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، وأوحى اليهم ، يشهد لذلك قوله تعالى : (**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ...**) (١) .

فهذا تصديق لأصل الوحى وللرسالات السابقة ، وبذلك يكون القرآن مصدقا لما بين يديه ، ويكون محمد صلى الله عليه وسلم كذلك مصدقا لمن سبقه من رسل الله .

الثانية : أن القرآن الكريم جاء حسب وصفه الموجود في تلك الكتب ، حيث اشتملت على وصف خاتم الرسل ، وأنه يأتى بكتاب من عند الله ، فنزول القرآن على وفق هذه النعوت تصديق لهذه الكتب .

قال الامام ابن كثير في معنى قوله : (**مصدقا لما بين يديه**) أى من الكتب المتضمنة ذكره ومدحه ، وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله ، فكان نزوله كما أخبرت به مما زادها صدقا عند حامليها من ذوى البصائر الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله (٢) .

الثالثة : أن القرآن الكريم قد وافق هذه الكتب في مقاصد الدين الإلّهى وأصوله التى لا تختلف باختلاف الشرائع والرسالات . وفي هذا الصدد نلاحظ اتفاق القرآن مع غيره من كتب الله فيما يلى :

١ ـ الدعوة الى الايمان بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وما يتصل بذلك من تنزيه الله تعالى عن النقائص ، ووصفه بكل كمال يليق بذاته المقدسة.

٢ ـ وتتفق الكتب المنزلة كذلك في أصول الشرائع كالصلاة والصيام والزكاة ... حيث أخبر القرآن الكريم أن الله تعبّد بها مَن قبلنا فقال في الصوم : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) (٣) وقال في الصلاة والزكاة (**وإذا أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله ، وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ..**) (٤) .

فأصول الشرائع قدرٌ مشترك بين كتب الله ، أما تفاصيلها وهيئآتها ، وما يتصل بذلك من تفاريع أخرى ، فتختلف فيها الكتب اختلافا يتناسب مع أحوال الناس في كل الأزمنة ويتفق مع مصالحهم .

فأصول العقيدة والشريعة إذاً واحدة في جميع الكتب السماوية ، لا يختلف في ذلك كتاب لاحق عن كتاب سابق . فلا يعقل أن يعرفنا الله على لسان نوح مثلا أن وجوده حقيقة من الحقائق التى يجب

---

(١) سورة النساء ١٦٣.
(٢) ابن كثير المجلد الثالث / ١١٩ وانظر الوحى المحمدى) لرشيد رضا ص ١٠٦ .
(٣) البقرة ١٨٣ .
(٤) البقرة ٨٣ .

الايمان بها (١) ، ثم يبلغنا على لسان غيره من الرسل أنها ليست كذلك ؛ لأن الحقائق الثابتة لاتتغير . ولا يمكن أن يحصل فيها اختلاف ، تبعا لاختلاف الزمان أو المكان أو المبلغ ، وكذلك ما جاءت به كل كتب الله من بعث الناس بعد موتهم ، فتلك حقيقة يقررها كل رسل الله ، فلا تختلف باختلاف الكتب أو الرسل .

يقول صاحب كتاب : (الاسرائيليات في التفسير والحديث) : (تقوم جميع الكتب السماوية على أساس واحد هو الدعوة إلى الايمان بالله تعالى ، والأخذ بما جاء عنه من تعاليم تقود الانسانية الى طريق الخير والرشاد .

فأصول العقيدة والشريعة واحدة في جميع الأديان ، كما يصرح بذلك قوله تعالى :**(شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ..) (٢)** .

أما تفصيلات الشرائع العملية فتختلف فيها الكتب السماوية اختلافا يتلاءم مع زمان كل منها ، ويتفق مع مصالح أتباعها ، فما يصلح لزمان قد لا يصلح لآخر ، وما يلائم طبيعة قوم قد لا يلائم طبيعة قوم آخرين ، مصداق ذلك قوله تعالى : **(لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجا) (٣)** .

والقرآن باعتباره خاتم الكتب جاء يجدد دعوة الكتب السماوية السابقة إلى أصول العقيدة والشريعة ، ويؤكد وحدتها في جوهر الدعوة الى الله لتحقق الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، ثم هو بعد ذلك يخالف كل ما سواه من الكتب المنزلة بما ينفرد به من نظم التشريع وألوان العبادات وكيفيات المعاملات التى تلائم عصره وتتفق وصالح الانسانية في مرحلتها الأخيرة : مرحلة النضج والكمال) (٤) .

٣ - وتتفق الكتب المنزلة كذلك في الدعوة الى الفضائل والترغيب فيها ، والترهيب من الرذائل والتنفير منها ، فكل كتب الله أمرت بالعدل والإحسان ، والصدق والصبر والأمانة والوفاء والرحمة ، وما إلى ذلك من الفضائل ومكارم الأخلاق التى تسعد بها البشرية في كل زمان ومكان ، وكل كتب الله كذلك قد نهت عن الظلم والخيانة والكذب والغدر والقسوة وما الى ذلك من الرذائل التى تورد البشرية موارد الهلاك ، ويشهد لذلك قوله تعالى : **(وإذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل ، لا تعبدون الا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) (٥)** .

---

(١) ذكر القرآن نوحا عليه السلام في دعوة قومه إلى عبادة الله تعالى وحده ، وذلك في مثل قوله عز وجل **(لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره - الأعراف آية ٥٩)** ، ولم يذكره وهو يدعو إلى أن الله موجود ، اذ أن وجوده تقر به الفطر السليمة كما في مثل قوله تعالى **(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله - لقمان آية ٢٥)** - والاقرار بوجود الله تعالى لا يغنى عن تجريد العبادة له سبحانه - (المجلة) -

(٢) الشورى ١٣ .

(٣) المائدة ٤٨ .

(٤) الاسرائيليات في التفسير والحديث للأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبى ١٢ - ١٣ .

(٥) البقرة ٨٣ .

قال الامام ابن كثير في قوله : (وقولوا للناس حسنا) أى : كلموهم طيّباً ، ولينوا لهم جانبا ، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر بالمعروف ..) (١) .

وقوله تعالى أيضا في حق ابراهيم واسحاق واسماعيل ويعقوب : **(وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) (٢)** فالنص القرآنى صريح في أن الله أوحى الى هؤلاء الرسل الكرام فعل الخيرات ، وفعل الخيرات يشمل كل الفضائل التى تسعد البشرية ، وتأخذ بيدها الى ما فيه عزها وصلاحها .

وقال كذلك في سياق قصة (زكريا) : عليه السلام : (فاستجبنا له ووهبنا له يحى وأصلحنا له زوجه ، إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ، ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) (٣) .

الجهة الرابعة : من جهات تصديق القرآن الكريم لما سبقه من كتب الله ، أن الله قد جمع فيه ما توزع في هذه الكتب من فضائل ، وصاغها في قوالب جديدة ، فأنقذ بذلك أصول من سبقه من كتب الله وحفظه وصدقه ، ولولا القرآن الكريم ما بقى لهذا التراث وجود .

فالقرآن الكريم لذلك خلاصة كاملة للرسالا ت الأولى وللنصائح التى بذلت للانسانية من فجر وجودها ، وهو ملتقى رائع للحكم البالغة التى قرعت آذان الأمم في شتى العصور ، واستعراض دقيق للأشفية السماوية التى احتاجت اليها البشرية جيلا بعد جيل .

إن القرآن الكريم ـ بهذه الاعتبارات ـ مجمع الحقائق الثابتة ، ومجلى عناية الله بعباده ، وإظهارا لهذا المعنى ، يقول الله عز وجل وصفاً لبعض عظات القرآن : **(إن هذا لفى الصحف الأولى ، صحف ابراهيم وموسى) (٤) .**

ويقول بعد سرد لتاريخ الأمم والمرسلين ، أحصى هذا السرد عدداً كبيرا من تلك الأمم ، وهؤلاء الرسل : (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم ، وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين ، وأنه لَفي زبر الأولين) (٥)

فالمراد بالزبر ها هنا الكتب المنزلة على الرسل المتقدمين .

فالنبى الخاتم مجدد لدين الله ، ومقيم لما انهدم من أركانه ومن ثم يقول صلى الله عليه وسلم : (لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو أن موسى حى ماوسعه إلا اتباعى) (٦).

وكذلك يطرد الحكم مع سائر الأنبياء ، فان الرسول الخاتم جاء بالأصول التى جاءوا بها وبانيا على قواعدها ، وكتابه أدق تعبير وأصدقه في بيان ما هدى به كل نبى في الأولين أمته (٧) .

---

(١) تفسير الامام ابن كثير ١٢٠٨ .

(٢) الأنبياء ٧٣ .

(٣) الأنبياء ٩٠ .

(٤) الأعلى ١٨ ـ ١٩ .

(٥) الشعراء ١٩٠ ـ ١٩٦ .

(٦) مسند أحمد ٣ (٣٨٧) .

(٧) انظر كتاب : (نظرات في القرآن) لفضيلة الشيخ محمد الغزالى (١١ ـ ١٢) .

ومما تقدم يتبين لنا معنى تصديق القرآن الكريم لما تقدمه من كتب الله ، ومنه نرى أن هذا التصديق لا يفيد ـ من قريب أو من بعيد ـ أعداء الاسلام وخصومه فيما زعموه من بقاء كتبهم سليمة من التحريف والنسخ . وبطلان ما رتبوه على ذلك من وجوب عمل المسلمين بهذه الكتب كعملهم بالقرآن سواء بسواء لأن غاية ما يفيده هذا التصديق أنه القرآن قررامكان الوحى ووقوعه وجاء حسب وصفه الموجود في تلك الكتب ، ووافقها في مقاصد الدين وكلياته إلى آخر المعانى التى قررناها ، وليس في ذلك ما يدل على عدم تحريفها ، أو عدم نسخها ، لا سيما وقد اشتمل القرآن الكريم نفسه على ما يفيد هذا التحريف وذلك النسخ .

فدعوى ما يخالف ذلك باطلة من أساسها ، لأنها معارضة لصريح القرآن الكريم الذى أخبر أن هذه الكتب قد حُرِّفت ، وتناولتها أيدى أصحابها بالتفسير والتبديل ، مصداقا لقوله في حق اليهود : **(فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه ...)** (١) وفي حق النصارى : **(ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به ...)** (٢) .

يقول صاحب (الفارق بين المخلوق والخالق) في الرد على صاحب رسالة (أبحاث المجتهدين) الذى حاول أن يستدل بالآيات القرآنية التى تصفه بأنه مصدق لما بين يديه ـ على سلامة هذه الكتب من التحريف والنسخ يقول : (ثم إنى لا أتردد في أن هذا المصنف إما أن يكون جاهلا أو متجاهلا ؛ إذ لا يلزم من تصديق القرآن للكتب المنزلة قبله براءة هذه التوراة والأناجيل الأربعة والرسائل الموجودة الآن بأيديهم من التحريف والتبديل والنسخ ، ولا يلزم أيضا وجوب اتباعها ، فقوله هذا مغالطة على ضعفة العقول ، وهو خلاف الظاهر ، والحق أن المفهوم من سياق هذه الآيات أن التصديق كان لثبوت صحة نزولها من الله فقط لا لبراءة هذه الكتب ، ولو لزم من التصديق وجود المصدّق به للزم من تصديق الرسل وجودهم حين التصديق ، وهذا فاسد) (٣) .

وكما جاء القرآن الكريم مصدقا لما سبقه من كتب الله ، فقد جاء كذلك مهيمنا عليها ، كما صرح بذلك قوله تعالى :**(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومُهَيمناً عليه ..)** (٤) .

فما المقصود بهذه الهيمنة ، وما الفرق بين تصديق القرآن الكريم لكتب الله وهيمنته عليها ؟ وما الذى يترتب على كون القرآن مصدقا ومهيمنا على ما سبقه من كتب الله ؟

ذلك ما سنعرض لبيانه فيما يلى :

---

(١) المائدة ١٣ .

(٢) المائدة ١٤ .

(٣) ذيل كتاب الفارق ص ٤٢ لعبد الرحمن باچهچى زاده .

(٤) المائدة ٤٨ .

هيمنة القرآن على الكتب السماوية :

تبين لنا مما سبق أن القرآن مصدق لما بين يديه من كتب الله ، كما كان شأن غيره من هذه الكتب ، يصدق اللاحق منها سابقه ويؤيده ، فالإنجيل مصدق ومؤيد للتوراة ، والقرآن الكريم مصدق ومؤيد للتوراة والانجيل ، ولكل ما بين يديه من كتب الله بالمعنى الذى قررناه آنفا ، فليس المراد اذاً بهذا التصديق الشهادة بحقية كل ما انتهى اليه من هذه الكتب ، كما زعم ذلك خصوم الاسلام وأعداؤه؛ لأن هذه الكتب قد تناولتها الأيدى الآثمة بالتحريف والتبديل ، والحذف والإضافة ، فزالت الثقة بها ، وانقطعت أو كادت تنقطع صلتها بالوحى السماوى ، والتبس الحق النازل من عند الله بباطل أهل الكتاب وزيفهم مصداقا لقوله تعالى :

(يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون)(١) .

ومن أجل ذلك جاء هذا الكتاب العزيز مهيمنا على تلك الكتب ، فيقر منها ما هو حق وينفى ما عداه ، وفي ذلك يقول ربنا - جل في علاه - : **(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ..) (٢) .**

أى أن القرآن أمين وشهيد ورقيب على تلك الكتب . فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل .

قال صاحب المنار : (وأما قوله : (ومهيمنا عليه) فمعناه أنه رقيبٌ عليها وشهيد بما بينه من حقيقة حالها في أصل إنزالها ، وما كان من شأن مَنْ خوطبوا بها من نسيان حظ عظيم منها وإضاعته ، وتحريف كثير مما بقى منها وتأويله والإعراض عن الحكم والعمل بها - فهو يحكم عليها ؛ لأنه جاء بعدها) (٣) .

ويقول ابن كثير : (... وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله ، فالقرآن أمين وحاكم وشاهد على كل كتاب قبله ، وجعل الله هذا الكتاب العظيم آخر الكتب وخاتمها - وأشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات كما ليس في غيره فلهذا جعله شاهداً وأمينا وحاكما عليها وتكفل بحفظه بنفسه) (٤) .

علاقة الهيمنة بالتصديق :

لعلنا - في ضوء ما تقدم - نستطيع أن نقرر أن مفهوم الهيمنة أتم وأشمل من مفهوم التصديق ، لأن الهيمنة لا تقتصر على مجرد الشهادة لهذه الكتب بصحة انزالها أصولها ، وتقرير أصول شرائعها . بل تتعدى ذلك فتبين ما اعتراها من نسخ أو تحريف وما عرض لها من زيف وفساد ، فالقرآن بذلك مهيمن على المعانى الصحيحة التى كانت في تلك الكتب وشاهد بكونها من عند الله ، وبذلك تتلاقى الهيمنة مع التصديق ، ولكنه كذلك يشهد على هذه الكتب بما أصابها من تحريف ، وتسرب اليها من باطل ، وبه تنفرد الهيمنة عن التصديق - فمفهومها إذاً أتم وأشمل من مفهوم التصديق . .

(١) آل عمران ٧١ .

(٢) المائدة ٤٨ .

(٣) تفسير المنار ٦/٤١٠ - ٤١١ .

(٤) تفسير ابن كثير المجلد الثالث / ١١٩ .

ولقد نقل القرطبى في تفسيره : أن بعض العلماء قد فسروا الهيمنة بالتصديق ، ونقل الآلوسيّ مثله ، واستدل هؤلاء على ما ذكروه من تفسير الهيمنة بالتصديق ، بقول الشاعر :

إن الكتاب مهيمن لنبينـا والحق يعرفه ذوو الألباب

ثم قال الألوسي : والعطف حينئذ للتأكيد أى عطف (مهيمنا) على : (مصدقا) (١) .

ولكنى أرجح ما ذكرته أولا ؛ لأن تفسير الهيمنة بالتصديق وإن كان مسلما لغة إلا أن قصر الهيمنة على مجرد التصديق تحكم محض إذ هى ـ على ما بينا ـ ليست تصديقا فقط ، ولا شهادة لهذه الكتب فحسب ، بل هى تصديق لما بقى من أصلها ، وتكذيب لما عداه ، وشهادةلها بصحة إنزال إصولها ، وعليها بالتحريف والتبديل وبذلك يكون العطف للتأسيس لا للتأكيد .

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز ـ رحمه الله ـ بعد أن فسر الهيمنة بالحراسة الأمينة : (ومن قضية الحراسة الأمينة على تلك الكتب أن لا يكتفى الحارس بتأييد ما خلده التاريخ فيها من حق وخير ، بل عليه ـ فوق ذلك ـ أن يحميها من الدخيل الذى عساه أن يضاف إليها بغير حق ، وأن يبرز ما تمس إليه الحاجة من الحقائق التى عساها أن تكون قد أخفيت منها ، وهكذا كان من مهمة القرآن أن ينفى عنها الزوائد ، وأن يتحدى مَنْ يدعى وجودها في تلك الكتب ..

« قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » كما كان من مهمته أن يبين ما ينبغى تبيينه مما كتموه منها) (٢) .

مظاهر هيمنة القرآن على الكتب السماوية :

لهيمنة القرآن على كتب الله المنزلة قبله ـ فوق ما تقدم من تصديقه لها ـ مظاهر متعددة منها ما يلى :

١ ـ أن القرآن الكريم أخبر بتحريف هذه الكتب وتبديلها ، وأنها لم تبق على ما كان مفروضا فيها من الثقة بها وحقية كل ما فيها ، بل تناولتها أيدى أهل الكتاب الآثمة بالتحريف والتبديل ، وتناولوا ما بقى منها بالتأويل الفاسد ، طبقا للأهواء والشهوات ، أو متابعة لذوى السلطان ، أو محاولة لكسب الجدل على أعدائهم وخصومهم ، بل أخبر القرآن كذلك أنهم كتبوا الكتب بأيديهم ونسبوها الى الله زورا وبهتانا : (**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون**) (٣) .

٢ ـ بين القرآن كثيرا من المسائل الكبرى التى خالفوا فيها الحق ، واختلفوا فيها .

ففى جانب العقائد ـ على سبيل المثال ـ نفى ما صرّحت به الأناجيل من قتل عيسى عليه السلام وصلبه فقال : (**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**) (٤) وحكم على النصارى بالكفر لقولهم

---

(١) انظر تفسير القرطبى ٢٢٠٧/٤ والآلوسي ١٥٢/٦ .

(٢) الدين د . محمد عبد الله دراز /١٨٩ .

(٣) البقرة / ٧٩ .

(٤) النساء آية ١٥٧ .

بالتثليث وألوهية المسيح فقال : **(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار ، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم) (١) .**

أما التوراة فإنها تنسِب إلى الله - تعالى - كثيراً من النقائص التى جاء القرآن بدحضها وإبطالها ، وتصوره المراجع الاسرائيلية الحالية كالتوراة والتلمود بصورة بشرية محضة . فهو : (يحب ريح الشواء ، ويتمشى في ظلال الحديقة ليتبرد بهوائها. ويصارع عباده ويصارعونه ، ويندم على خلق الإنسان ، ويمشى على رجليه حتى يصيبه التعب والكلال . فيجلس للراحة في ظل شجرة . يحدث سفر التكوين : (أن إبراهيم رأى الرب ومعه ملكان فاستضافهم وأطعمهم وسقاهم وغسل أرجلهم ثم رحلوا من عنده) (٢) .

وتقول التوراة الحالية : (فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدّسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله) .(٣) .

إلى غير ذلك من المثل الكثيرة الموجودة في التوراة الحالية . تعالى الله عن كل ما قالوا علواً كبيراً . ولقد تكفل القرآن بدحض هذه الأباطيل حيث وصف الحق - جل وعلا - بكل كمال يليق بذاته ونزهه عن كل نقص .

قال تعالى : **(ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب)** (٤) فكيف تصفه كتبهم بالتعب والكلال ؟ !!

ولقد أخبر القرآن أنهم نسبوا إلى الله الولد . كما وصفه اليهود المعاصرون للنبى صلى الله عليه وسلم بالفقر والبخل وغل اليد ثم كرّ على ذلك كله بالإبطال والدحض . قال تعالى : **(وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون) (٥) .**

وقال : **(لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) (٦) .**

وقال : **(وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ..) (٧) .**

---

(١) المائدة آية ٧٢ - ٧٣ .
(٢) انظر سفر التكوين إصحاح ١٨ : ١ - ٢٨ .
(٣) (سفر التكوين إصحاح ٢ : ١ - ٣) .
(٤) قاف آية ٣٨ .
(٥) التوبة آية ٣٠ .
(٦) آل عمران آية ١٨١ .
(٧) المائدة آية ٦٤ .

٣ ـ كما بين القرآن كثيراً من المسائل التى أخفوها . أو حاولوا إخفاءها . فمن ذلك أن الدارس لأسفار العهد القديم يرى أنها : (قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه ـ واذا كانت اليهودية في أصلها تقرر البعث والنشور والحساب والجنة والنار . كما ينبىء بذلك القرآن ـ فإن ذلك يدل على أن اليوم الآخر وما فيه وما يتصل به من المسائل التى أخفاها أهل الكتاب) (١) .

ومن ذلك أيضا إخفاؤهم ما يتصل بخاتم الرسل من بشائر ونعوت وتحريفهم لها بالحذف أو بالتأويل الفاسد . فجاء القرآن بالحق في ذلك كله : **(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) (٢) .**

٤ ـ ومن مظاهر هيمنة القرآن على ما سبقه من كتب ـ أنه أنهى العمل بها فلا اعتبار لها بجانبه ؛ لأنه شغل الفراغ كله بتشريعه الجديد وليس لأحدٍ أن يركن إلى ما جاء بها بعد أن تسرب الباطل اليها ، ولعبت الأيدى الأثيمة بها .

ولا ينافي ما تقدم من أن القرآن الكريم قد أنهى العمل بما سبقه من كتب الله ـ أنه أقر كثيراً من أحكامها ولم يتناوله بنسخ ، لأنه أمر بهذه الأحكام وأقرها من جديد . فعملنا بها ليس متابعة لهذه الكتب بل لإقرار القرآن لها وأمره بها (لأن هيمنة القرآن على غيره واستئنافه للتشريع ، لا يكون بالتقليد لغيره ، بل بالاقرار الجديد وإن كان موافقا أحياناً لما سبقه . وهذا معنى قوله تعالى لرسوله : **(فاحكم بينهم بما أنزل الله)** (٣) يعنى بما أنزل عليك . وقد أنزل عليه كل مافي شريعة الاسلام ونسخ به كل ما سبقه **(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)** (٤) .

والشرعة هى الشريعة التى يتعبد الله بها عباده . والمنهاج هو الطريق الواضح في الدين واذا كانت هذه الآية تفيد اختلاف الشرائع باختلاف الأمم فهناك ما يدل على اتحادها كقوله : **(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)** (٥) .

وطريق الجمع بين الآيات أن يقال : إن كل آية دلت على اتحاد الشرائع فهى محمولة على مقاصد الدين وأصول العبادات . وأما الآيات الدالة على اختلافها فمحمولة على الفروع وما يتعلق بظواهر العبادات . فجائز أن يتعبد الله عباده في كل وقت بما شاء (٦) .

---

(١) انظر الأسفار المقدسة . على عبد الواحد وافي / ٢٩

(٢) المائدة آية ١٥ .

(٣) المائدة آية ٤٨ .

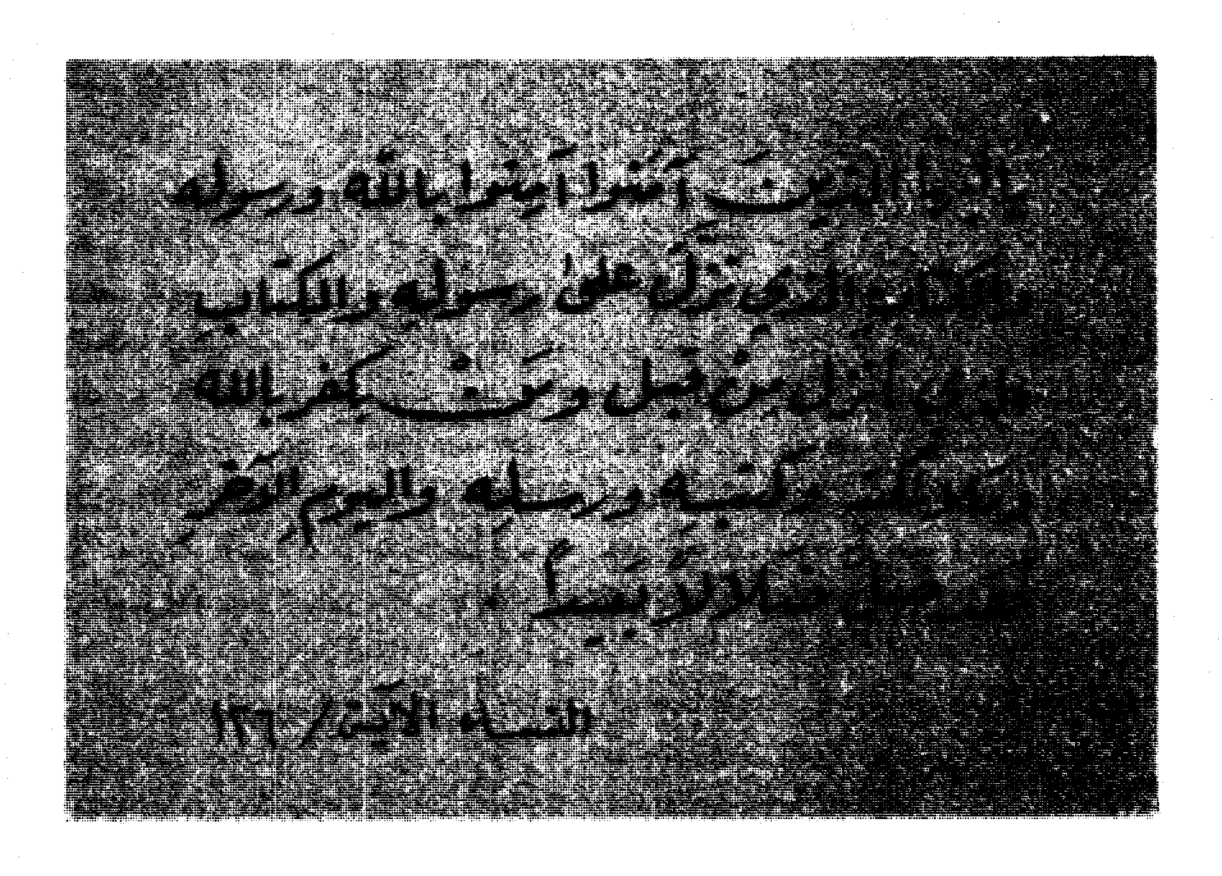
(٤) انظر (في رياض القرآن) للشيخ عبد اللطيف السبكى /٩٠

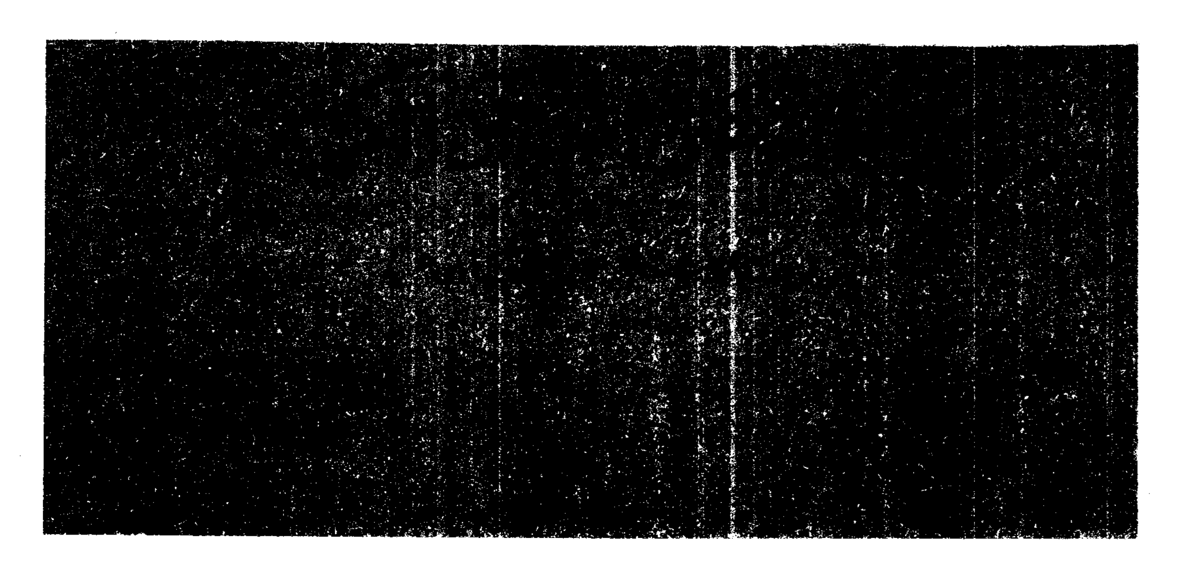
(٥) الشورى آية ١٣ .

(٦) انظر الفتوحات الالهية ٤٩٨/١ .

وبذلك يزول ما قد يبدو من تعارض بين آيات القرآن الكريم الذى لا يختلف ولا يتعارض ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه (تنزيل من حكيم حميد)

خاتمة : ويترتب على ما تقدم من هيمنة القرآن على ما بين يديه من كتب الله ـ أننا لا نقبل من هذه الكتب التى وصلت إلينا إلا ماجاء القرآن مصدقا له . فكل رواية صدّقها القرآن فهى مقبولة ويجب علينا تصديقها يقيناً . وكل رواية كذبها القرآن فهى مردودة يقيناً ويجب علينا تكذيبها كذلك ـ وما سكت القرآن عن تصديقه أو تكذيبه . لا نصدقه ولا نكذبه . بل نسكت عنه . لأن القرآن الكريم ـ كما أسلفنا ـ هو الحكم والمهيمن على كل الكتب السابقة . وكفى به شاهداً ودليلا وصلى الله على محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم باحسان .





القرآن علم على ذلك الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد : وهو « كلام الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للتعبّد بتلاوته » ... فمعانيه وصْياغته من عند الله ... وهو المدوّن في المصحف والمبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس ... « إن هو إلا وحى يوحى » (١) .

وللقرآن أسماء متعددة منها : الكتاب ، والفرقان ، والذكر ...

. **وكلمة قرآن معناها :** الجمع والتأليف فقوله تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه » (٢) أى تأليفه . وسمى ما بين دفتى المصحف : قرآنا : لأنه جمع السور وضم بعضها الى بعض . أو معناها : القراءة . فتقول : قرأت قراءة حسنة . وقرآنا حسنا . فقوله تعالى : « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » (٣) ... أى قراءة الفجر . يعنى صلاة الفجر وسمى قرآنا : لأن القراءة عنه . والتلاوة منه (٤) وقد تكرر لفظ القرآن ومشتقاته في المصحف الشريف سبعين مرة ... كقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا » (٥)

وأسماء القرآن عديدة تدل على شرفه وفضيلته . كما أن أسماء الله تدل على جلاله وعظمته .

وقد ذكر الفخر الرازى للقرآن اثنين وثلاثين اسما (٦)

وجعل الفيروز ا بادى للقرآن مـائة اسم (٧)

---

(١) النجم / ٤

(٢) القيامة / ١٧

(٣) الإسراء / ٧٨

(٤) تفسير غريب القرآن لا بن قتيبة ص ٣٣

(٥) الإنسان / ٢٣

(٦) تفسير الفخر الرازى ١ /١٦١ ـ ١٦٣

(٧) البصائر ١ / ٨٨

وأشهر أسماء القرآن أربعة :

الذكر : لأن الله ذكر به عباده ، وعرفهم فيه فرائضه وحدوده ... قال تعالى :« وهذا ذكر مبارك أنزلناه » (١)

الفرقان : لأنه فرق بين الحق والباطل ... « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » (٢)

الكتاب : لأن الله كتب أحكامه وتكاليفه على عباده ، أى أوجبها عليهم . قال تعالى : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك » (٣)

والقرآن : أى البيان ومنه ... « فإذا قرآناه فاتبع قرآنه » (٤) أى بيناه ، لأن فيه بيانا للناس فيما يحتاجون إليه في أمور دينهم .

والسورة معناها : الإبانة بأن الكلام مفصول عما قبله ، وسميت في القرآن سورة ، لشرفها وارتفاع قدرها ، تماما كما يقال لما ارتفع من الأرض سور ، أو لأنه يبنى قطعة قطعة ، ويقال أيضا للدرجة الرفيعة من المجد والملك سورة ، كقول النابغة الذبيانى للنعمان ابن المنذر : ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

والآية : جماعة الحروف وهو من قولهم : خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم ... أو بمعنى العلامة : لأن الآية علامة للفصل بين ما قبلها وما بعدها ، ومنه قوله تعالى : « إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم » (٥)

والحكمة في تقطيع القرآن سورا ، والسور آيات معدودات ، أن تكون كل سورة وكل آية وحدة مستقلة ، وكيانا أصيلا ، وقرآنا معتبرا ، وفي تحديد السورة تأكيد لكونها معجزة وآية من آيات الله جل ثناؤه

ومن السور ما يطول حتى يبلغ ٢٨٦ آية كسورة البقرة .

ومنها ما يقصر حتى لا يزيد على ثلاث آيات كسورة الكوثر ، ليدل على أن الطول ليس شرط الإعجاز ، كما أن القصر لا يخرج السورة عن الإعجاز ، بل إن سورة الكوثر رغم قصرها معجزة إعجاز سورة البقرة على طولها ...

يقول الزمحشرى : « إن الفائدة في تقطيع القرآن بسورا وآيات أن القارئ أذا ختم السورة وأنتهى من آياتها كان ذلك أنشط له وأبعث على الجد والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ، كما أن الحافظ إذا حذف السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة فيعظم عنده ما حذفه » (٦)

---

(١) الأنبياء /٥٠

(٢) الفرقان / ١

(٣) الأنعام / ٩٢

(٤) القيامة / ١٨

(٥) البقرة / ٢٤٨

(٦) البرهان للزركشى ١ / ٢٦٥ ط . الحلبى

والذى انعقد عليه إجماع الأمة ، واتفق عليه المسلمون كافة أن عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة ، وهى التى جمعها عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكتب بها المصاحف ، وبعث بكل مصحف إلى مدينة من مدن الإسلام .

ولا التفات إلى الرأى القائل بأن الأنفال وبراءة سورة واحدة ، أو من جعل المعوذتين سورة واحـدة .

وعـدد السور التى نزلت بمكة خمس وثمانون سورة ، وأول السور المكية : (العلق ، والقلم والمزمل والمدثر) .

أما السور التى نزلت بالمدينة فعددها ثمان وعشرون سورة ، وأول ما نزل بالمدينة : البقرة والأنفال وآل عمران والأحزاب والممتحنة) .

أمـا الفاتحة فاختلفوا فيها : فقيل مكية وقيل مدنية .

وبذلك يكون مجموع عدد سور القرآن ١١٤ سـورة .

وعـدد آيات القرآن ٦٢٣٦ آيـة .

عـدد كلمات القرآن ٧٧٤٣٩ كلمـة .

وعـدد حروف القرآن ٣٢٣٠١٥ حرفـا (١) .

القـرآن المعجـزة

القرآن الكريم هو المعجزة الباقية الخالدة ، التى نصبها رب العزة تبارك وجل في علاه ، شاهدا حيـا ناطقا بصدق الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام ، ولقد تحدى الله بها العالم كله إنسا وجنا ، فما ثبتوا لهذا التحدى ، بل أظهروا عجزا صارخا ، وعيـا بليدا ، وفهاهة فاضحة ... ولقد سجل الله عليهم نكوصهم عن مجاراة القرآن ومسايرته في آفاقه العالية ... حيث قـال تعالى :

« قـل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (٢)

ومعانى القرآن على الرغم أنه نزل منجما إلا أنها تلاقت مقدماتها بنتائجها ومهدت أولاها لأخراها ، ولن تجد في معانى القرآن ما تجده في غيره من كلام البشر من المعانى الساقطة أو التافهة . بل كل معانيه سامية قوية ، آيات وسورا اشتملت على أمور الدين والدنيا ، وانتظمت سعادة الأولى والآخرة ، ونزلت هدى ونوراً للبشرية كلها ، فقضت على الأوهام الباطلة ، والأساطير الكاذبة ، والعبادات الضالة والأديان المنحرفة ، ونقلت الإنسانية الحائرة من عصر تسوده الفوضى وتذيع فيه مبادئ الطغيان والعبودية ، إلى حياة فيها رضى وأمن وسلام .

ان هذا القرآن قبس من الهدى والنور نزل به جبريل من السماء إلى الأرض على سيد الخلق وأشرف الرسل محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ، فبلغه الناس ، وأذاع أخلاقياته ومثالياته في كل

---

(١) القرطبى ١ / ٥٦ ـ ٦٧

(٢) الإسراء / ٨٨

مكان ، وبذلك نشرت صفحات جديدة مشرقة ناضرة في تاريخ الإنسانية ، وكان لها من وراء ذلك ميلاد حضارة جديدة .

إنه ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة ، وإذا هى لانت فأنفاس الحياة الآخرة ، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها ، وتصف الآخرة فمنها جنتها وضرامها ، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجه الغيوب ، وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب .

ومعانٍ بَيْنا هى عذوبة ترويك من ماء البيان ، ورقة تستروح منها نسيم الجنان ، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان ، بَيْنَا هى تمثل للمذنب حقيقة الإنسانية حتى يظن أنه صنف آخر من الإنسان ، إذ هى بعد ذلك إطباق السحاب انهارت قواعده والتمعت ناره وقصفت في الجو رواعده ، وإذ هى السماء وقد أخذت على الأرض ذنبها ، واستأذنت في صدمة الفزع ربها ، فكادت ترجف الراجفة ،تتبعها الرادفة ، وإنما هى زجرة واحدة ، فإذا الخلق طعام الفناء وإذا الأرض مائدة ... (١) .

ولقد كانت للرسول العظيم عليه الصلاة والسلام معجزات كثيرة تدل على صدقه ، وأنه مرسل من قبل الله تعالى ، فالمعجزة مختصة بالنبى دائما ، وتقترن بالتحدى ، ومن ثـمّ لا يمكن تحصيلها بالجهد أو الاكتساب .

وكذلك للأنبياء معجزات ظهرت على أيدى كثيرمنهم ، بيد أن معجزة النبى محمد صلى الله عليه وسلم تفوق معجزات غيره سواء من حيث العدد أو من حيث الأهمية .

فاذا كان الله أظهر معجزة لموسى هى أن يضرب البحر فانفلق في الأرض .

فكذلك أظهر لمحمد عليه الصلاة والسلام فانشق لـه القمـر في السماء .

وكمـا فجّر لموسى عليه السلام الماء من الحجر ، فقد فجر لمحمد صلى الله عليه وسلم من أصابعه عيونا .

وكما ظلل على موسى عليه السلام بالغمام ، فقد ظلل محمداً صلى الله عليه وسلم كذلك بالغمام .

وكما جعل من معجزاتِ موسى عليه السلام اليد بيضاء ، فقد جعل من معجزات محمد صلى الله عليه وسلم القرآن .

وكما سبحت الجبال مع داود عليه السلام فقد سبحت الأحجار في يد الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكما سخر الله لداود الطير المحشورة ، سخر لمحمد البراق يطير في السماء .

وكما جعل من معجزات عيسى عليه السلام ابراء الأكمه والأبرص ..

فقد جعل شبيهاً بذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فقد سقطت حدقة رجل في غزوة أحد فرفعها الرسول وردها إلى مكانها .

وانقادت الجن لسليمان ، وانقادت كذلك للرسول صلى الله عليه وسلم .

ومعجزات النبى محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصى ، ويمكن أن نضيف إلى ما ذكرناه ، حنين الجذع وانقياد الأغصان ، وجعل قليل الطعام كثيرا ، كل ذلك على مشهد من الناس

(١) إعجاز القرآن ص ٢٦ للرافعى

وأسماعهم . فلم ينكر أحد شيئا مما رآه أو سمعه رغم أن ذلك ليس في طاقة البشر أو مقدرتهم . (١)

وأفضل معجزات الرسول وأجلها شأنا هى معجزة القرآن الذى نزل بأفصح اللغات وأبلغها . فقد سحر القرآن العرب منذ استمعوا إليه في اللحظة الأولى . سواء من شرح الله صدره للإسلام وأنار بصيرته . أو من طبع الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة ... فالوليد بن المغيرة قال يصف القرآن ·

« والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة . وإن أعلاه لمثمر . وإن أسفله لمغدق . وإنه يعلو ولا يعلى عليه »

والقساوسة والرهبان يحكى عنهم القرآن : « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » (٢)

فالقرآن من شأنه إذا استمع إليه إنسان أن تتحرك مشاعره . ويهتز قلبه . ويقشعر بدنه خوفا . . ويعتصر فؤاده رجاء . لما فيه من جمال في الأسلوب . وقوة في التعبير .

ولقد وصف الله كتابه عز من قائل :

« الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » (٣)

فروعة القرآن يحسها القلب الخاشع . ولكن العرب كما وصفهم القرآن : « قوم خصمون » (٤) وأعداء ألداء « وتنذر به قوما لدّا) (٥) فأخذوا يتناولون القرآن بالتشكيك . ويشنون عليه حملات شعواء . بغية التهوين من شأنه . والغض من قدره .

ولكن الله رد كيد الكافرين إلى نحورهم . فتحدى الرسول بلغاء العرب وفصحاءهم أن يأتوا بسورة من مثله . ولكنهم عجزوا وأعرضوا عن معارضته . فكان ذلك داعيا إلى الاعتراف بإعجاز القرآن . وقصورهم أمام بلاغته .

والقرآن ليس معجزا للعرب وحدهم . وإنما هو معجز للعربى وغير العربى . لأن دعوة الإسلام دعوة عالمية ليست مرتبطة بلغة معينة . ولا بوطن خاص . وإنما هى دعوة تحتوى العالم بأسره . ومن أجل ذلك كان القرآن معجزا لكل الأمم .

وحجة القرآن على العرب الفصحاء كحجته على غير العرب من الأعاجم . كما أن حجة موسى عليه السلام في قلب العصاحيّة كانت لأمهر السحرة . وحجة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى لم تكن لأعظم الأطباء وحدهم . وإنما كانت للطبيب الماهر والخامل . وغير الطبيب على السواء ·· وإذا عجز أمهر السحرة وأعظم الأطباء عن الإتيان بمثل ما أتى به موسى وعيسى عليهما السلام كان ذلك أدعى إلى عجز

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٠ / ١٢٥ ـ١٢٦ ـالرازى

(٢) المائدة / ٨٣

(٣) الزمر / ٢٣

(٤) الزخرف / ٥٨

(٥) مريم / ٩٧

غيرهم ... كذلك الشأن في معجزة القرآن ، أتى به محمد صلى الله عليه وسلم لأفصح الناس وأقدرهم على نظم الكلام العربى ، ورغم حرصهم على تكذيب الرسول ، وإفساد دعوته ، لم يفلحوا في مجاراته ، ولم يستطيعوا تكذيبه .

وإذا كان العرب الفصحاء عاجزين عن مجاراة أسلوب القرآن في فصاحته وبلاغته ، فغيرهم من الأعاجم أعجز .

وقد يقول قائل : إن الأعجمى الذى لا يفهم العربية لا يدرك ما في أسلوب القرآن من نظم معجز ، وبلاغة عجيبة ، ولا يدرى من أين يكون إعجازه ، وكيف تكون بلاغته ، وعندئذ تسقط الحجة في الإعجاز .

والإجابة على هذا التساؤل سهلة ميسورة ، فإن الإعجاز لغير العربى قد بدا واضحا في أشياء أخرى ، وجوانب مثيرة متعددة غير البلاغة والفصاحة التى لا يدرك مراميها ... فكل يوم تطلع علينا أشياء جديدة ، ومكتشفات حديثة ، وتبرز إلى الوجود قضايا تحدث عنها القرآن قديما ولم تبد سافرة إلا الآن .

ومع ذلك كله لا نلقى أى تناقض أو تصادم بين هذه الجوانب وتلك النواحى وما في القرآن من نهج اتبعه في التعبير عنها في تناسق تام لا نفرة فيه ، بحيث يدرك الأعجمى من هذا التناسق في التعبير ، والدقة في الأداء القرآنى الذى يتفق وما يكتشفه العلم حديثا ، سرا من أسرار الإعجاز في الأسلوب البيانى للقرآن المجيد .

ترى مثلا القرآن في تعبيره يسلك هذا المسلك ويلتزم بهذا الترتيب البديع حين يقول :

« إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (١)

فيقدم السمع أولا ، ويثنى بالأبصار ، وينتهى بالفؤاد ، والحقائق العلمية تثبت أن حاسة السمع تؤدى مهمتها أولا منذ اللحظة الأولى من ولادة الإنسان .

وحاسة الإبصار تؤدى وظيفتها خلال عشرة أيام ، فالبصر يؤدى مهمته ثانيا ، ثم يأتى بعد ذلك ما يتعلق بالفؤاد من المعلومات العقلية والقلبية (٢)

فالترتيب الذى ورد في الآية القرآنية تلمح من خلاله أن اللفظ المقدم أهم من الألفاظ التى ترد بعد ذلك ، وهذا هو التعبير القرآنى الدقيق ، فإذا جاء هذا التعبير على وفق ما قرره العلم ، كان التزاوج بين أسلوب القرآن في بلاغته وفصاحته ، وأسلوب العلم في اكتشافه وتقريره ... فالأعجمى حين يرى هذا التماثل والإنسجام بين التعبير القرآنى والاكتشاف العلمى ، يتحقق من إعجاز القرآن في بلاغته . .

على أن علماء النحو قد يكون لهم توجيه خاص في نظم الآية وأمثالها ، فيقولون مثلا : إن واو العطف تأتى لمطلق الجمع ، بمعنى أنه يجوز في الآية أن تقدم السمع على البصر وتؤخره دون أن يختل المعنى ... غير أنه أصبح من الواضح هنا أن الترتيب فيه نوع من الالتزام ، نظرا لأهمية المتقدم عما جاء بعده ... ونلمح مثل هذا التوافق العجيب بين التعبير القرآنى والتقرير العلمى حين يذكر القرآن السمع

---

(١) الإسراء / ٣٦ .

(٢) القضاء والقدر ص ١٢٧ ـ ١٣٠ متولى الشعراوى

مفردا . والبصر جمعا في آياته مثل قوله تعالى : « وجعل لكم السمع والأبصار » (١) « وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم » (٢) .

لأن الصوت لا مفر لك من سماعه مادمت لا تستعين بشئ خارجي يمنعك من السماع كوضع شئ في الأذن . بخلاف الصورة فيمكنك أن تراها فتدع عينك مفتوحة ، ويمكنك ألا تراها فتغلق عينيك دون أن تستعين على عدم الرؤية بشئ من الخارج كما في حالة الامتناع عن السمع . فالإبصار متعدد حيث يراه بعض الناس ، ويغمض الآخرون عيونهم عنه فلا يرونه ، وحيث إنك ترى حين تريد ، أو حين لا تريد . أما السمع فواحد حيث لا يمكنك إلا أن تسمع أنت ويسمع الآخرون جميعا إذا انفجر صوت . فالسمع واحد والأبصار متعددة (٣)

وإذا كان هذا هو الشيء المسلم به والمقبول ··· كان تعبير القرآن بالإفراد عن السمع ، وبالجمع عن البصر موافقا لما نعرفه ونسلم به ··· وبهذا يتحقق الإعجاز القرآني للعربي وغير العربي على السواء .

ولكن المفسرين لا يرون في مجيء السمع مفردا والأبصار جمعا إعجازا علميا ، ولكن يجيء لأسباب لغوية ترتبط بقواعد اللغة ، ففي قوله تعالى :

« ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوه » (٤)

جاء السمع مفردا بين القلوب والأبصار وكلاهما جمع ، والزمخشري يعلل هذه الظاهرة الأسلوبية فيقول : « ووحد السمع كما وحد البطن في قوله : كلوا في بعض بطونكم تعفوا . يفعلون ذلك إذا أمن اللبس ... فإذا لم يؤمن كقولك : فرسهم وثوبهم رفضوه ، إذا أردت الجمع : ولك أن تقول : السمع في أصله مصدر ، والمصادر لا تجمع فتقدر محذوفا ، أي وعلى حواس أسماعهم ... وقرأ ابن عبله : « وعلى أسماعهم » (٥) ... فذكر الزمخشري لمجئ السمع مفردا عللا ثلاثا : أمن اللبس حيث لا نرتاب في ان المقصود بالسمع هنا الجمع وليس المفرد . ثانيا : أن السمع مصدر والمصادر لا تجمع . ثالثا : وردفي إحدى القراءات « وعلى أسماعهم » بالجمع ...

ومن خصائص الأسلوب القرآني الفذ : أنه يجمع بين الجزالة والسلاسة ، والقوة والعذوية ، وحرارة الإيمان ، وتدفق البلاغة ، فهو السحر والنور الباهر والحق الساطع والصدق المبين ... ولما سمعه فصحاؤهم وبلغاؤهم وأرباب البيان فيهم سجدوا لله خاشعين ... وما إيمان « عمر » حين سمع « طه » وما فزع « عتبة » حين سمع « فصلت » ... وما تردد بلغاء العرب على الأماكن التي يتعبد فيها النبي الأمين صلى الله عليه وسلم ليلًا ليسمعوا هذه البلاغة خفية ، وما عجزهم بعد التحدى إلا دليل الإعجاز ، وعظمة البيان وجلال الأسلوب ...

---

(١) النحل / ٧٨

(٢) فصلت / ٢٢

(٣) القضاء والقدر ص ١٣١

(٤) البقرة / ٧.

(٥) الكشاف ١ / ٤١

ومن هذا المنطلق العجيب ، كان القرآن الكريم وحده ، هو كتاب الهداية ، ولغة الحياة وقصة الكون الصادقة من بدايته إلى نهايته ، بل هو تجديد لميلاد الإنسان على اختلاف الحقب وتوالى الأجيال ، ومرور الدهور والعصور ، نزل لمخاطبة النفس البشرية والأخذ بيدها ، فهو معها آمرا وناهيا ، مرشدا وواعظا ، مبشرا ومنذرا ، حارسا ومدافعا ، مصبرا ومسليا ، معلما وموجها ، سميرا وجليسا ، صديقا وأنيسا ، فهو الحياة في سموقها ، والسعادة في أوجها ، والكمال في أسمى معانيه ، فلقد بلغ الغاية التى لا تدانيها غاية ، في الرفعة والعلو ، والخلود والسمو ، فما أبدع تراكيبه ،وأروع أساليبه ، وأسمى معانيه .

الله أكـــــبر إن ديـــــن محـــمـــد	وكــتابـــــه أهـــدى وأقـــوم قـــيـــلا
لا تـــذكر الــكــتــب الــســوالـف عـنــده	طـلــــع الـصــبــاح فأطـفـئ الـقـنـديلا

ولو ذهبنا نستقصى وجوه الإعجاز للقرآن الخالد ، ونستعرض صفحات جلاله ، لأعيانا الأمر ، وانقطعت نفوسنا من شدة البهر ، لأنه الكتاب الذى لا تنفد عجائبه ، ولا تنتهى غرائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد .

وإن ما نذكره الآن من وجوه خلوده وإعجازه ، لهو قل من كثر ، ووشل من فيض ، وقبس من روح ، وقطرة من بحر . فمن هذه الوجوه :

١ ـ قوة أسلوبه في كل ما تناول ، فهو قوى في التعبير عن الأحكام ، والأخبار والربوبيات ، كقوته في القصص وغيره ، فليس هناك تفاوت في الأسلوب لاختلاف الموضوعات .

٢ ـ اشتماله على قصص وأخبار الأمم الماضية ، وموقف كل أمة من نبيها ، كل هذا يسوقه القرآن في دقة بالغة ، حتى كأننا نعيش في نفس الحوادث التى يعرضها ، والذى بلغنا كل هذا إنما هو رجل أمى لا يعرف القراءة أو الكتابة .

٣ ـ اشتماله على نظام في الأخذ به سعادة الأمم وفي البعد عنه تعاستها وشقاؤها « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » .

٤ ـ بلاغة القرآن النادرة ، التى لا يحيط بها وصف ، ولا يستطيع أن يكشف عن خصائصها باحث ، ولقد وضعت علوم البلاغة والنقد والإعجاز للكشف عن مظاهر هذه البلاغة وأسرارها ،ثم هى للآن وبعد مضى ما يربو على ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، لا تزال على أول الدرب ، وفي بداية الشوط ، وسوف تظل هكذا كليلة قاصرة ، لأنها أمام بحر خضم لا ساحل لـه .

٥ ـ سمو الروح ، ونبل الهدف في القرآن : فهو ليس كتاب قصص أو تسلية ، أو أدب أو حكمة أو فلسفة أو تاريخ أو اجتماع وإنما هو منهج متكامل للحياة الصحيحة في كل جوانبها .

٦ ـ جلال أثره الأدبى في لغة العرب ، وحياتهم وأدبهم ، وفي حياة المسلمين والعالم كله .

٧ ـ خلوده على مر الأيام ، والعصور والأمكنة ، مع عجز الناس عن معارضته ، رغم أنه تحدى ولا يزال ... وتاريخ العالم مشتمل على الأفذاذ من الأدباء والبلغاء .

٨ ــ بساطة القرآن في أسلوبه . ووضوحه وجماله وجزالته .

٩ ــ وأخيرا وليس آخرا : ما جاء به القرآن من إعجاز علمى مبدع . جعل العلماء يخشعون لجلال هذا الكتاب وسبقه في هذه الميادين ... ومن هذا اللون العلمى قول الله :

« وأرسلنا الرياح لواقح » (١) ...« ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعّد في السماء » (٢) « والأرض بعد ذلك دحاها » (٣) ... « يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث » (٤)

هذا هو القرآن في سموه وجلاله . وسحره وجماله وخلوده وكماله . ولقد وقفت الإنسانية صاغرة أمامه . على الرغم مما يزخر به تاريخها من عباقرة وأساطين في الفكر والأدب والاجتماع . وما يحفل به من نوابغ لسن وخطباء مصاقع ... وصدق الله : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا » (٥)

موطن الإعجاز في القرآن

إن أهم معجزة للرسول العظيم : هو القرآن الكريم . وقد حمل دعوة التحدى به إلى الناس عامة . وإلى العرب خاصة . في أكثر من موضوع منه . ومع ثبوت هذا . فإن الوقوف على الجهة التى كان منها الإعجاز القرآنى .أمر لم تلتق عنده الآراء . ولم يكن محل اتفاق بين الباحثين والناظرين في وجوه الإعجاز . في كل زمان ومكان .

فهناك أكثر من رأى .وأكثر من مذهب في الجهة أو الجهات التى كان بها القرآن معجزا مفحما . على ما سنرى ذلك في موضعه . وليس كذلك الشأن في معجزات الأنبياء ... إذ كل معجزة كانت تنادى معلنة في وضوح عن صفتها التى أعجزت بها . وتشير في صراحة إلى الجهة التى جاء منها الإعجاز . فيعلم الناس لوقتهم ماذا في المعجزة من دلائل الإعجاز . وماذا فيها من القوة القاهرة المعجزة التى لا يستطيعون القيام لها . والجرى معها .

وماذا يبحث الناس في عصا موسى عليه السلام مثلا ؟ إنها مجرد عصا ... لاتختلف في مرأى العين عن أى عصا أخرى ... ليس فيها أجهزة . ولا عدد . ولا أى خروج عن صفات العصى التى في أيدى الناس ...ولكنها في يد موسى تنقلب الى ثعبان مبين يلقف ما يأفكون .

وليس في يد موسى غير ما في أيدى الناس ... لحم ودم وعظم وعصب وعروق . لا تختلف في شىء أبدا عن الأيدى التى تحيا في أجساد الناس وتعمل لهم .

إذن فهناك قدرة لا ترى ... هى قوة الله ... التى تمد موسى بهذه المعجزات . وليست يده أو عصاه إلا أداة تحمل هذه المعجزة أو تلك .

كذلك معجزات « عيسى » عليه السلام ... يدعو الميت فيحيا . ويمس الأكمة والأبرص فيبرأ ... وليس في صوته الذى يدعو به شىء يخالف مألوف الأصوات المعروفة للناس .. إنه مجرد كلمة تنطلق من فم . فإذا هى حياة . وإذا هى روح تسرى في موات فتبعثه من مرقده .

(١) الحجر / ٢٢ (٢) الأنعام / ١٢٥ (٣) النازعات / ٣٠ (٤) الزمر / ٦ (٥) الإسراء / ٨٥

وإذن فليس الشأن في هذا الصوت ، أو في تلك الدعوة ، وإنما هى قوة قادرة ... لا ترى ... قد جعلت لهذه الكلمة ولتلك الدعوة هذا الأمر المعجز ! هى قوة الله تعالى .

أما القرآن فشأنه غير هذا الشأن وأمره على خلاف هذا الأمر !

فهو كلمات ، وألفاظ ، وعبارات ، لا تختلف عما ألف الناس ، مما يجرى على ألسنتهم من كلام ... إنه كلمات مألوفة معروفة ... تعامل بها الناس ، فأخذوا بها وأعطوا ... وقلبوها على جميع وجوهها .. في مختلف الأساليب ، وشتى التراكيب .

إن كل ما في القرآن من كلام هو مما كان يدور على ألسنة العرب ، ومما يصاغ منه نثرهم ، ونظمهم .. من خطب ، وحكم ومساجلات ، ومن قصيد ورجز ... وفي هذا يقول الله :

« إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (١)

ثم إن هذه الكلمات التى عرفت ـ بعد ـ باسم القرآن ، والتى تحدى بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم العرب جميعا ،ثم الإنس والجن قاطبة ـ هذه الكلمات لها ما كان لكلمة عيسى حين كان ينطق بها فتتجسد معجزة قاهرة يشهدها الناس ، ويرونها رأى العين .

إن هذا الكلام المألوف المعروف حين ضمه القرآن إليه ، ونظم منه آياته ، وصور منه أحكامه وقصصه ، وجدله ، ومواعظه ، وزواجره ـ هذا الكلام قد أصبح منذ ذلك اليوم معجزة قاهرة ، تتحدى الناس جيلا بعد جيل ، ، وأمة بعد أمة ... فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين .

ولكن ... أين هى المعجزة في هذا الكلام ؟ وماذا يبدو للناس منها ؟ وماذا يشهدون من إعجازها ؟ وكيف يضع الناس أيديهم على المعجزة ، ويرفعون أبصارهم إليها ؟

إنها معجزة لا ترى بالعين ، ولا تلمس باليد !

وعلى الناس أن يسمعوا لهذا الكلام ، وأن يتدبروا آياته .... وعندئذ يرون ببصائرهم ـ لا بأبصارهم ـ في كل آية معجزة قاهرة ... تعنو لها الجباه ، وتخضع لها الرقاب .

إن على الناس أنفسهم ... أن يفتحوا قلوبهم وعقولهم لهذه الكلمات ـ فإنهم إن فعلوا تكشف لهم منها ما كان يتكشف من عصا موسى عليه السلام ويده ، ومن كلمة عيسى عليه السلام ... وهذا مفهوم قول النبى صلى الله عليه وسلم :

« وإنما كان هذا الذى أوتيته وحيا أوحى إلىّ » (٢)

إنها آيات ... معجزات ... وما يعقلها ، ويعرف وجه الإعجاز فيها إلا العالمون الذين يلقون أسماعهم لها ، ويفتحون قلوبهم وعقولهم للحق الذى فيها ، وللنور الذى معها .

ومن ثم كانت أنظار المسلمين دائما معلقة بهذا الكتاب ، يدرسونه ، ويتدارسونه ، ويلقونه بكل ما تسعفهم به الحياة من علوم ومعارف ، فيجدون كل شىء دون ما في كتاب الله من علوم ومعارف ، فيزداد لذلك تعلقهم بكتاب الله ، وتتوثق صلتهم به ، ويشتد إقبالهم عليه ، ومدارستهم له .

---

(١) يوسف / ٢

(٢) البخارى

وفي كل يوم من أيام المسلمين تظهر دراسات وبحوث في القرآن وعلوم القرآن ،حتى لقد اجتمع من ذلك ما لا يحصى عدا .

ولقد كان نصيب « الإعجاز » في مباحث القرآن نصيبا موفورا ، وقد أفرده بعضهم بدراسة خاصة ، كما فعل عبد القاهر الجرجانى والرمانى والخطابى والباقلانى ... إلا أن أكثر مباحث الإعجاز هى التى كانت تجىء ضمن مباحث التفسير أو القراءات ... فمعظم الذين فسروا القرآن حاولوا أن يجعلوا في صدور تفسيراتهم إشارات تتضمن آراءهم في فضل القرآن وفي اعجازه .

ولعل « الزمخشرى » أشهر هؤلاء المفسرين وأولاهم بالذكر في هذا المقام ، إذ كان تفسيره « الكشاف » يبحث عن مناط الإعجاز في كتاب الله ... في آياته ، آية آية ، وفي كلماته ، كلمة ، كلمة .

وقد آن لنا أن نلتقى بعد هذا مع بعض هؤلاء العلماء والمفسرين ،الذين يتسع المجال للقائهم والتحدث إليهم .

١ ـ الجاحظ

رأيه في الإعجاز

في رسالة للجاحظ بعنوان « حجج النبوة » (١) يتحدث الجاحظ عن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنها قائمة في القرآن الكريم ، الذى هو معجزته الكبرى ... الخالدة ، ويقيم الدليل على هذا بما عرف من تحدى القرآن للعرب ، وعُدُولهم عن لقاء هذا التحدى ، والنزول إلى ميدان القول ... فهربوا من هذا الميدان ... وأوقدوا نار الحرب بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم ... فقتلوا وقتلوا ... ولو كان في مستطاعهم أن يصمدوا لهذا التحدى لما فروا هذا الفرار المشين ، ولما رضوا أن يعرضوا أنفسهم للموت ، وخاصة بعد أن ظهر عليهم النبى صلى الله عليه وسلم في هذا الميدان أيضا ، وقتل كثيرامن فرسانهم ومشيختهم .

يقول الجاحظ :

« إن محمداً عليه الصلاة والسلام مخصوص بعلامة ،لها في العقل موقع كموقع فلق البحر من العين ... وذلك قوله لقريش خاصة ، وللعرب عامة ـ مع ما فيها من الشعراء والخطباء والبلغاء ـ والدهاة ، والحلماء ، وأصحاب الرأى والمكيدة ، والتجارب ، والنظر في العاقبة : « إن عارضتمونى بسورة واحدة فقد كذبت في دعواى ، وصدقتم في تكذيبى » (٢)

ثم يتحدث عن معجزة النبى « محمد صلى الله عليه وسلم » فيقول :

« وكذلك دهر « محمد » صلى الله عليه وسلم ـ كان أغلب الأمور عليهم وأحسنها عندهم وأجلها في صدورهم حسن البيان ونظم ضروب الكلام ، مع علمهم له ، وانفرادهم به ، فحين استحكمت لغتهم ، وشاعت البلاغة فيهم ، وكثر شعراؤهم ،وفاق الناس خطباؤهم ، بعثه الله عز وجل فتحداهم بما كانوا لا

---

(١) ضمن مجموعة رسائل الجاحظ ... نشرها السندوبى

(٢) لم يحفظ التاريخ للجاحظ رسالة في إعجاز القرآن ، وهذا بعد أمر غريبا ، ولكن يبدو أن البلى والإهمال عصفا بهذه الرسالة وأمثالها

يشكون أنهم يقدرون على أكثر منه . فلم يقرعهم بعجزهم . وينقصهم على نقصهم حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم . كما تبين لأقويائهم وخواصهم . وكان ذلك من أعجب ما آتاه الله نبيا قط . مع سائر ما جاء به من الآيات ومن ضروب البرهانات (١)

ذلك هو رأى الجاحظ في إقامة الحجة على وقوع الإعجاز بالقرآن ... وهو رأى - كما ترى - تقوم بين يديه أدلة قاطعة ... وإن أكثر الذين أقاموا الحجة على إعجاز القرآن من هذه الوجه . إنما نظروا إلى رأى الجاحظ هذا . واعتمدوا عليه . وداروا حوله .... ومنهم « الباقلانى » في كتابه « إعجاز القرآن » ... والزركشى في كتابه « البرهان في علوم القرآن » ... وغيرهما ممن كان لهم رأى في إعجاز القرآن !! .

الجاحظ ووجوه الإعجاز :

أما عن رأيه في وجوه الإعجاز التى كان بها القرآن معجزا . فهو الرأى الذى ذهب إليه « الباقلانى » من بعده . و « الجرجانى » كذلك ... وهو « النظم » . الذى انفرد به القرآن . في صياغة أساليبه . صياغة تنتظم بها المعانى انتظام الروح في الجسد .

(والجاحظ كما نعرف . إمام من أئمة البلاغة . وعلم مفرد في أساليب البيان . وذواقة لم تعرف العربية مثيلا له في التعرف على طعوم الكلام . واختلاف مذاقاته ! وما تعرف اللغة العربية أديبا طاوعه قلمه فتحرك في كل اتجاه . وجال في كل حلبة . ونازل في كل ميدان . مثل هذا القلم الذى اشتملت عليه يد الجاحظ) .

وإذا كان رأى الجاحظ . في وجه الإعجاز في القرآن . هو ذلك النظم الذى انفرد به القرآن في تصوير معانيه وإخراجها على تلك الصور العجيبة من النظم - فإن ذلك لم يكن رأيا صريحا للجاحظ . وإنما كان عن طريق الاستدلال . والاستنتاج . لمقولاته التى حملناها هذه المحامل . وفهمناها على هذا الوجه من الفهم . وإلا فإن الجاحظ لم يقل قولا صريحا مواجها . في الجهة أو الجهات التى جاء منها الإعجاز في القرآن !!

كان الجاحظ ممن يحفلون بالصياغة اللفظية . وممن يجعلون لصفاء العبارة ونضارتها شأنا في البلاغة . وتمكين المعنى من أن يعرض أروع عرض . وأبرعه . وأكمله .

وكانت الظاهرة الغالبة في تلك الفترة المعاصرة للجاحظ . هى الاحتفال بالمعنى . وكد الذهن له . والجرى وراءه ... إذ كانت آثار العقل اليونانى في الفلسفة . والعقل الهندى والفارسى في الحكمة . وضرب الأمثال - قد أخذت تنتقل إلى اللغة العربية . وتؤثر في النفس هذا التأثير الذى أقام المذاهب الكلامية والفلسفية عند كثير من الجماعات والأفراد ... - وكان من ذلك أن جرى الناس وراء المعانى يلتقطونها في

---

(١) من رسالة « حجج النبوة » ص ١٤٤ وما بعدها

أى محمل من محامل اللفظ . وعلى أية صورة من صوره ... حتى لقد كاد ذلك يذهب بكثير منهم إلى الخروج على الأساليب العربية والذوق العربى (١) .

لهذا وقف الجاحظ في وجه هذا التيار . وتصدى له . ودفع به إلى الوراء بعيدا ... فانحسر شيئا فشيئا . وجعل أولئك الذين كانوا قد ركبوا هذا المركب لا صطياد المعانى . يعودون رويدا رويدا إلى الساحل . حيث يأخذون من المعانى ما تنال أيديهم . وما تبلغ أفكارهم .

رأى الجـــاحـظ

والرأى الذى دعا إليه الجاحظ . هو أن البلاغة نظم وصياغة ...فمن أخطأه حسنُ النظم . وحبكةُ الصياغة . فقد أخطأت كلامَه عناصرُ الحياة . وجمدت فيه عروقُ البلاغة والبيان ... وذلك أن المعنى الذى يخرُج في صورة من النظم المضطرب ومن الصياغة المختلطة . هـو معنى شأنه دميم .

ويشهد عبد القاهر الجرجانى آثار هذه المعركة التى كانت دائرة بين اللفظ والمعنى . ويراها في مخلفات الجاحظ الذى كان ينتصر للفظ . من جهة . وفي مخلفات من كانوا يقفون ضده ... في الجهة الأخرى .

ويقف « عبد القاهر » إلى جانب رأى الجاحظ . ويقفو أثره . ويتخذ من هذا الرأى حجته على وجه الإعجاز في القرآن .

ولا تحسبن أن « الجـاحظ » يهون من شأن المعنى . أو يغمض من قدره ... وكيف وهو رجل راجح العقل ... وفير العلم والحكمة والأدب ؟

فالجاحظ لم ينتصر للفظ . ولم يقف إلى جانب الأسلوب . إلا لمواجهة هذا الخطر الداهم على اللغة . والذى أشرنا إليه آنفا . وإلا فإنه حفى بالمعنى مؤثر له . حريص عليه ما دام لم يجُر على الأسلوب . ولم يفسد كيانه . ولم يشوه بنيانه .

---

(١) إن نقل الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية إلى اللغة العربية كانت له آثاره المعروفة في ظهور النزعات الكلامية والاعتزالية وكذلك ظهور الفرق التى أدخلت حشداً من البدع إلى الإسلام . أما العلماء الذين استمسكوا بهدى الكتاب والسنة فقد حماهم الله تعالى وكانوا بمنجاة من تلك الآثار السيئة . بل أظهروا عوارها وحذروا الناس منها (المجلة) ـ .

وللجاحظ في هذا المقام عبارة مشهورة يقول فيها :

« والمعانى مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمى والعربى ، والقروى والبدوى ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وصحة الطبع ، وكثرة المـاء ، وجودة السبك »

« وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير » (١)

وأنت ترى أن « الجـاحظ » ليس له هنا حديث عن الإعجاز في القرآن ، وإنما هو يتحدث عن صفة الكلام البليغ ، وعن مأتى البلاغة فيه ، ومجال التفاضل بين الكلام والكلام .

وإنه بهذا الميزان الذى يوزن به الكلام ، وتعرف به منازله ، يمكن أن يعرف فضل القرآن على غره من الكلام ، ويمكن أن يستدل على وجه الإعجاز فيه .

وهذا ما كان من « عبد القاهر » في كتابيه : « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » ... حيث أقام مذهبه في الإعجاز على هذا الميزان ، وهو « النظم » ... كما سنرى ذلك في موضعه من هذا البحث .

هذا« والجـاحظ » إذ يرى الإعجاز في« النظم » لا يرى النظم نظما إلا إذا كان على شىء من السعة والامتداد ، بحيث يحمل معنى مؤلفا من حقائق مترابطة ، يسند بعضها بعضا ، فتتشكل منها صورة سويّة .

أما النظم الذى يقوم على جملة أو جملتين ، أو كلمة أو كلمتين ، فلا يدخل في هذا الباب ، ولا يعد نظما ينكشف به معدن الكلام وتبين روعته .

يقـول الجـاحظ في هـذا :

« ولأن رجلا من العرب لو قرأ على رجل منهم أى من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة طويلة أو قصيرة ـ لتبين له في نظامها ومخرجها ، وفي لفظها وطبعها ،أنه عاجز عن مثلها ، ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها »

ثـم يقـول :

« وليس ذلك ـ أى الإعجاز ـ في الحرف والحرفين ، والكلمة والكلمتين ، ألا ترى أن الناس قد يتهيأ في طباعهم ، ويجرى على ألسنتهم أن يقول رجل منهم « الحمد لله » و « على الله توكلنا » ... وهذا كله في القرآن ، غير أنه متفرق غير مجتمع »

« ولو أراد أنْطَقُ الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو قصيرة على نظم القرآن وطبعه ، وتأليفه ، ومخرجه ـ لما قدر عليه ، ولو استعان بجميع « قحطـان » و « معد بن عدنان » (٢) .

فالنظم على صورة مخصوصة ، وفي امتداد رحب هو المعرض الذى تتجلى فيه روعة القرآن وتتخايل ملامح إعجازه .

وعلى هذا ، فالجاحظ هو إمام هذا المذهب في إعجاز القرآن ، وعمدة الرأى فيه ... مـا أن كشف عنه في حديثه عن الأدب ، وبيان معادنه حتى كان مذهبا غالبا من مذاهب الرأى في الإعجاز ، وحتى دفع

---

(١) دلائل الإعجاز ص ١٩٧

(٢) حجج النبوة ص ١٢٠

إليه العلماء دفعا ، إذ جعلوا قوله هذا في الفصاحة والبيان ، هو مجال النظر في الإعجاز ، لا يكادون يتجاوزونه ، ولا ينظرون إلى شيء وراءه .

الجاحظ ... والقول بالصرفة :

لاتعجب إذا رأيت الجاحظ يقول بالصرفة في وجه الإعجاز في القرآن ... فالجاحظ كما نعلم « معتزلى » ... وجه من وجوه المعتزلة ورأس من رءوسهم ... والنظام وهو شيخ من شيوخ المعتزلة كان أول من جاهر بهذا الرأى وفتح للناس باب الكلام فيه .

ولا يذهبن بك الرأى إلى أن تحسب الجاحظ متابعا أو مقلدا لإمام مذهبه « النظام » في هذا الرأى ... فالجاحظ وإن أخذ بقول « النظام » ... فليس ذلك عن تقليد ومتابعة ، وإنما عن نظر وموازنة ومراجعة ... ثم اقتناع .

ومن ثم كان رأى الجاحظ في القول بالصرفة هو الذى جعل لرأى « النظام » بعد هذا مكانا بين الآراء التى دارت حول إعجاز القرآن ، ولولا هذا لما التفت الناس إلى رأى النظام هذا الالتفات ، ولما عاش هذا الرأى في الناس ، ينقضونه حينا ، ويقبلونه أحيانا ... وأمر آخر ، وهو أن الجاحظ إنما قال بالصرفة بعد أن أعياه الوقوع على الضوابط الدقيقة التى يضبط بها وجه الإعجاز في القرآن ، ويكشف عن أسرار هذا الإعجاز ... فذلك أمر إن أعجز الجاحظ فقد أعجز الإنس والجن جميعا ! فلو أن الإعجاز قد انكشفَ - وهيهات - لعرفه الناس ، ومن ثم لم يعد بعيداً عن متناول أيديهم ... وكان في مستطاعهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن ... والله سبحانه يقول :

« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله . ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (١)

إن سر الإعجاز مضمر في كلمات القرآن ... كلمة كلمة ، وآية آية ، إنه أمر من أمر الله ... كالروح ترى آثارها ، وتشاهد أفعالها ، دون أن ينكشف للناس شئ منها .

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » (٢)

والقرآن « روح » تتجلى آثاره في هذه الكلمات المنظومة في آياته ...

ولعل في قوله تعالى للنبى الكريم صلى الله عليه وسلم :

« وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا » (٣) .

لعل في هذا ما يعين على الفهم الذى فهمناه من أن القرآن « روح » من روح الحق جل وعلا ...

ونقول : لا تعجب إذا عجز الجاحظ عن الكشف عن هذا السر المضمر ، أو هذا الروح السارى في القرآن فلم يعرف وجه الإعجاز فألجأه هذا العجز إلى القول بالصرفة ... فالجاحظ أستاذ في نقد الكلام ، فلا عجب أن عرف قدر القرآن ، ولزم حده معه . (يتبع)

---

(١) الإسراء / ٨٨

(٢) الإسراء / ٨٥

(٣) الشورى / ٥٢

بيئات التربية الإسلامية

للدكتور : عباس محجوب

يقصد بالبيئات الأمكنة التى تتم فيها العملية التربوية لما لتلك البيئات من وظائف تربوية تقوم بها مع التركيز على الصفة التربوية لهذه البيئات وتشمل هذه البيئات الأسرة والمسجد والمدرسة والمجتمع .

اولا : الأسـرة

تعتبر الأسرة المكونة من الأبوين أقدم مؤسسة اجتماعية للتربية عرفها الانسان اذ أنها كانت ولا تزال المؤسسة الوحيدة التى تعلم وتهذب الطفل وتنقل اليه عن طريق الأب خبرات الحياة ومهارتها المحدودة ومعارفها البسيطة وكانت القبيلة هى التى تساعد الآباء في عملية التربية وكثيرا ماكان الابن وارثا لمهنة والده التى تعلمها ومارسها معه ولازالت الأسرة في المجتمعات المتخلفة هى مصادر التربية والمعرفة بالنسبة لأبنائها . وقد أدى تطور الحياة البشرية واستقرار الانسان وبناء المجتمعات المدنية والقروية وزيادة الخبرات الانسانية وتعدد أنواع المعرفة البشرية الى أن تشارك مؤسسات أخرى الأسرة في واجب الرعاية والاهتمام والتربية والتوجيه وتخلت الأسرة عن بعض ماكانت تقوم به بالرغم من اانها ظلت المؤسسة الأولى في حياة المجتمع الحديث أيضا في التربية .

كانت الأسرة تقوم بواجب التربية من الناحية الصحية والجسمية فيوفر الأبوان لطفلهما الطعام والشراب والكساء والمأوى ثم تعليمه المهنة التى يعيش بها في المستقبل وغالبا ما تكون مهنة الوالد على حين تتعلم البنت أمور البيت وقد تساعد في أعمال الزراعة مع أمها . ولكن تطور الحياة جعل الأسرة تسعى الى تعليم أبنائها وأصبحت المدرسة المؤسسة الثانية بعد الأسرة .

وقد سبق أن تحدثنا عن بعض المهام التربوية التى تقع على عاتق الأسرة المسلمة وأهمها ايجاد الأم الصالحة للأبناء ورعاية الأمهات ثم اختيار الاسم الصالح للابناء وتعهدهم بالرعاية والتربية الدينة والتوجيه الى المثل العليا والتمسك بالفضائل وغيرها مما لا نود تكراره .

وأول الحاجات الضرورية التى يجب أن توفرها الأسرة هو حاجة الطفل الى الحب والعطف والحنان ولا يمكن توفر ذلك في أسرة لا تقوم أساسا على المودة كما يقول الله تعالى : « ومن آياته أن خلق

لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة »(١) لأن هذه المودة بين الوالدين تنتقل الى الأولاد فتسود المحبة جو العائلة وقد أثبتت الدراسات النفسية ان الطفل اذا أحس بفقد العطف والحنان والرعاية ترجم ذلك في تصرفات يريد بها اثارة الانتباه واستدرار عطف والديه ثم تنعكس هذه الآثار في مستقبل الطفل فيصبح قاسيا في سلوكه ساخطا على المجتمع .

ولذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام أرحم الناس بالأطفال وقد كان الرسول (ص) نموذجا لما يجب أن تكون عليه العلاقة الأسرية بين الأبناء والآباء فقد كان يحنو على الحسن والحسين ... يمتطيان ظهره الشريف فيحبو بهما ويخاطبهما وقد أطال الرسول (ص) السجود مرة فسئل عن ذلك فقال : « ان ابنى ارتحلنى فكرهت أن اعجل حتى يقضى حاجته »(٢) وقد حدث أن كان عليه الصلاة والسلام يقبل الحسن وعنده اعرابى يتعجب من ذلك ويقول للرسول (ص) ان لى عشرة اولاد ما قبلت احدا منهم قط فأجابه النبى (ص) « من لا يرحم لا يرحم »(٣) وفي رواية « أو املك لك ان نزع الله الرحمة من قلبك » ؟ وفي هذا المعنى يقول الرسول (ص) « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر »(٤) وكان (ص) رحيما بالصبيان عامة يسلم عليهم ان رآهم ويتسابق معهم ان رآهم يتسابقون ويلتقى بصبيان اسرته اذا عاد من سفر ويُركب على ناقته من يلقاه منهم .

وهذا النوع من التربية للأطفال يؤدى الى نتيجتين أولاهما اشباع حاجة الطفل الغريزية للحب والعطف والحنان والرعاية وثانيتهما انتقال هذه الصفات منه الى الآخرين كبارا كانوا أم اطفالا .

ان الاسلام عندما وضع على عاتق الأم أعظم مهام الحياة وهى التربية للأجيال وبناء الانسان كان ذلك من معرفة الاسلام بأن التربية الصحيحة لا تتوفر الا في الأسرة التى تستطيع المرأة فيها أن تعطى وقتها لبيتها وزوجها وأطفالها وان توفر لهم جميعا المأوى الدافئ والجو المليء بمعانى العطف والمودة والرحمة .

ان المجتمعات الحديثة وقد خرجت فيها المرأة مع الرجل الى العمل جعلت الأبوين منصرفين عن العناية والرعاية لأطفالهما لأنهما يعودان من العمل منهكين متعبين محتاجين الى الراحة الجسدية مما يفقد ابناءهما عواطف المحبة والرحمة والنظر في مشاكلهم التربوية والتعليمية وحاجتهم الى الحنان والرعاية ومثل هذه الأسرة لا تفقد ابناءها ما تقدم بل تجعلهم يتعلمون كثيرا من أنواع السلوك السيء والعادات الضارة من الشارع أو صحبة الأشرار أو الخدم في البيوت .

---

(١) الروم ٢١

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه الترمذى .

ان واجب الأسرة في الاسلام توجيه الأطفال الى الصلاة وعبادة الله « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » ومراقبة تنفيذ هذا الأمر وأخذهم بشدة في سن العاشرة والتفريق بينهم في المضاجع والاسئذان في الأوقات التي حددها القرآن لأن الطفل لا بد أن ينشأ على السلوك الاسلامى الذي يخضع النظام الأسرى فيها لتعاليم الاسلام ونظمه في المأكل والملبس والسلوك وكل شأن من شؤون الحياة . وعن دور الأسرة في تربية الأولاد يقول الغزالى : (اعلم ان الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها . والصبى أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة فان عود الخير وعلمه نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة ... وان عود الشر وأهمل أهمال البهائم شقى وهلك ... ورياضته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء .. ومهما رأى فيه مخايل التمييز فانه ينبغى أن يحسن مراقبته ، وأول ذلك ظهور أوائل الحياء ، فإنه إذا كان يحتشم ويستحى ويترك بعض الأفعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه ، حتى يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحى من شىء دون شىء ، وهذه هدية من الله تعالى اليه . وبشارة تدل على الاخلاق ،وصفاء القلب ، وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبى المستحى لا ينبغى أن يهمل ، بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه ، وان الصبى اذا اهمل في بدء نشأته خرج في الأغلب ردئ الاخلاق ، كذابا حسودا ، سروقا ، نماما لحوحا ، ذا فضول وضحك ، وكيد ومجانة . وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار ، وحكايات الابرار وأحوالهم ليغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ (بضم الياء وسكون الفاء وفتح الفاء) من الأخبار التى فيها ذكر العشق وأهله ... ثم مهما ظهر من الصبى خلق جميل وفعل محمود فأنه ينبغى ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح ويمدح بين أظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة ينبغى أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه . ولا سيما اذا ستره الصبى واجتهد في اخفائه وان عاد ثانية ينبغى أن يعاتب سرا ويقال له : إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا فتفضح بين الناس ، ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين . فانه يهون عليه سماع الملامة ، وركوب النتائج ويسقط وقع الكلام من قلبه ، وليكن حافظا هيبة الكلام معه . فلا يوبخه الا أحيانا . والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح) ويقول ايضا (وينبغى أن يعود ألا يبصق في مجلسه ولا يتمخط . ولا يتثاءب بحضرة غيره . ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل . ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل . ويعلم كيفية الجلوس . ويمنع كثرة الكلام . ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة . ويمنع الحلف رأسا . صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد على ذلك من الصغر .

ويمنع أن يبتدئ بالكلام . ويعود ألا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال ، وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا ،وان يقوم لمن فوقه . ويوسع له المكان . ويجلس بين يديه . ويمنع من لغو الكلام وفحشه . ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجرى على لسانه شىء من ذلك ، فإن ذلك يسرى لا محالة من قرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء ... وينبغى أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبى ومهما بلغ من التمييز الا يسامح في ترك الطهارة و الصلاة . ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان .

ان الأسرة التى تقوم بالواجبات التى سبق ذكرها والتى هى جماع لما يسمى الآن بالتربية الخلقية والجسمية والعقلية والاجتماعية ـ لهى أسرة مثالية قادرة على تخريج رجال نافعين لأنفسهم ولأمتهم . وقد بين الرسول (ص) واجبات الأسرة نحو أبنائها فيما ذكرنا من الرحمة والشفقة والعطف عليهم لأن تلك الأمور تعطى الأطفال الاطمئنان النفسى والثقة بالذات ...والنشأة السوية والاهتمام بالواجب كما دعا الاسلام الى التعويد على الصلاة باعتبارها عماد الدين كما أن على الأسرة أن تملأ فراغ الاطفال باللعب وتعلم فنون القتال وما يقوى الأجسام والقراءة النافعة الموجهة وقفل أبواب الفساد والانحراف وذلك بالتوجيه لهم الى الصحبة الطيبة وابعادهم عن رفاق السوء ومراقبتهم الدائمة من غير مضايقة لهم أو اشعارهم بذلك . كما أن حسن معاملة الوالدين لبعضهما ولأولادهما هو خير طريقة لتربيتهما لأن المعاملة القاسية والاحباط الدائم بالتوبيخ والضرب والاهانة والسخرية تؤدى الى نتائج سيئة أهمها فقدان الثقة بالنفس وحب العزلة عن الناس والخوف وعدم تحمل أى مسؤولية في الحياة والاعتماد على الغير . وربما الاتجاه نحو الجريمة والانحراف والشذوذ . ولذلك دعا الرسول (ص) الى الرحمة والرفق ولين الجانب وعذوبة الألفاظ والتوجيه الحسن والعقوبة المعقولة فالرسول (ص) يخبر بأن الراحمين يرحمهم الرحمن وان الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق مالا يعطى على سواه ويقول : (إن أراد الله تعالى بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق . وان الرفق لو كان خلقا لما رأى الناس خلقا (بفتح الخاء) أحسن منه وان العنف لو كان خلقا لما رأى الناس خلقا أقبح منه) .

وأهم واجبات التربية الأسرية أيضا التربية الايمانية للطفل وذلك بتوجيه عواطف الطفل نحو حب الله وحب رسوله واخباره بأن الله يجب أن يكون أحب اليه من أمه وأبيه ونفسه التى بين جنبيه والى جانب عاطفة الحب تكون عاطفة الخوف من الله لأن العاطفة الأولى تؤدى الى طاعةالله والعمل بما أمر والثانية تؤدى الى البعد عن المعاصىقولية أو فعلية ظاهرة أو باطنة والأطفال يستهويهم الحديث عن الله وحبه والجنة والنار ووسائل الوصول اليهما . وعلى الآباء اشعار أبنائهم بأن حبهم لله ينشأ من حاجتهم الدائمة اليه هم وآباؤهم لأن كل شيء بيد الله .الاحياء والاماتة والشقاء والسعادة . والرزق والنعمة والهداية والضلال وهذه الحاجة هي التي تجعلنا نحبه أولا ونقوم بواجب الشكر ثانيا من اتباع ما أمر واجتناب لما نهى . ويمكن غرس هذه المعانى في الطفل ساعة وصوله الى مرحلة الاستغناء عن أمه ونمو قواه الجسمية والعقلية بحيث يستطيع فهم التوجيهات القرآنية والنبوية في ذلك وبحيث يستقر في قلبه ان مصدر كل شئ في الوجود هو الله . وتوجيهه الى بعض الأحاديث مثل الحديث القدسى « يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهدكم . يا عبادى كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعمونى أطعمكم . يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى اكسكم ... يا عبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا اغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم . يا عبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكى شيئا . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا . يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه) أو كما روى الحديث .

ان غرس الايمان الحقيقى في نفوس الناشئة والايمان المطلق بالله بصفاته الثابته له وحبه والخضوع له والخوف منه والالتجاء اليه في كل أمر هو سر السعادة للأبناء والأسرة خاصة اذا أثبتت العقيدة بالطرق التربوية السليمة التى تقوم على العاطفة والعقل والعلم والحكمة حتى يكون الايمان هو مصدر السلوك وموجه الانسان في الحياة . والرسول (ص) يعلمنا التدرج في تربية الأولاد فيقول فيما رواه ابن عباس (افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله الا الله) ثم أمرهم بالصلاة في السابعة ثم تأديبهم على حب النبى وآل بيته وتلاوة القرآن وتعريفهم بالحلال والحرام ممارسة امامهم وتلقينا وتوجيها لهم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى ووعظا بتوصيلهم الى بعض الأمور كما كان يفعل الرسول (ص) مع ابن عباس .

إن الأسرة هى البيئة الأولى التى يتعلم فيها الطفل فاذا وجد الأبوين الصالحين اللذين يرعيان ويوجهان ويحسنان التربية نشأ الأطفال نافعين لأنفسهم ولأمتهم ومطيعين لربهم منجين لأنفسهم وأهليهم من عقاب الله وسخطه .

ثانيا : المسجد :

أخذت الكلمة من أصلها الاشتقاقى وهو السجود لله سبحانه وتعالى فكان المكان الذى يخضع فيه الانسان ويخشع لله هو المسجد . ومسجد قباء هو أول مسجد في الاسلام أسس على التقوى من أول يوم مما جعل المسجد على مر العصور رمزا لحضارة الاسلام وأماكن التربية والعبادة للمسلمين . وقد ذكر الله سبحانه وتعالى المهام التربوية التعبدية للمسجد فقال : (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) (١) .. وقد وردت لفظة مسجد بالمفرد والجمع ثمان وعشرين مرة في القرآن كما وردت اللفظة كثيرا في السنة المطهرة مرتبطة بالبناء والتربية ورسالة المسجد . فالمسجد في الاسلام من أهم الأسس التى يقوم عليها تربية الفرد وبناء المجتمع ويمكننا أن نحدد المهام التربوية الوظيفية للمسجد من خلال القرآن والسنة فيما يلى :

١ ـ المسجد مكان الصلاة والذكر والعبادة (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) (١) (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) ويقول (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) (٢) والمسجد هو مكان العبادة الجماعية وصلاة الجماعة التى يحسن بالمسلم أن يحرص عليها ففى الحديث يقول عليه الصلاة والسلام (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : اسباغ الوضوء على المكاره . وكثرة الخطى الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط . فذلكم الرباط (٣) .

---

(١) النور ٣٧ .

(٢) التوبة ١٠٩ .

(٣) رواه مسلم .

والمساجد مكان الاعتكاف (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) .

٢ ـ المسجد مكان العلم والتعلم وأول ذلك دراسة القرآن الكريم يقول عليه الصلاة والسلام : (فيما رواه ابو هريرة ... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا ونزلت عليهم السكينة . وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) (١)

ويقول عليه الصلاة والسلام : (أفلا يغدو أحدكم كل يوم الى المسجد يتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير من أربع ومن اعدادهن من الابل) (٢) . وعن انس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان هذه المساجد لاتصلح لشيء من هذا البول ولا القذر انما هى لذكر الله تعالى وقراءة القرآن) . أو كما قال رسول الله « ص » (٣) .

٣ ـ المسجد مكان القضاء والحكم والشورى ومجمع للوزارات الاسلامية فقد كان المسجد هو مكان الحاكم والمدرسة التى تربى فيها الرعيل الأول من الصحابة ايمانيا وروحيا وخلقيا واجتماعيا وتفاعلت ارواحهم ونفوسهم بتعاليم الرسول (ص) وعطائه وقدوته . تعلموا فيه أمور الدين وعرفوا فيه الحلال والحرام كما تعلموا فيه علوم القرآن والسنة والشريعة واللغة وعلوم الحياة كلها . وتحققت فيه معانى الاخوة ممارسة وواقعا وتعاونوا على البر والتقوى واطمأنت فيه قلوبهم بذكر الله وضربوا المثل النادر في التفانى والحب والايثار والرحمة واختاروا فيه الخلفاء بعد الرسول (ص) وكل خليفة يلقى بيان سياسته واسس حكمه فيه ابتداء بأبى بكر الصديق وفيه تقاضى المتنازعون ففيه اصدرت الاحكام باقامة حدود الله وفيه قاضى كعب بن مالك رجلا دينا كان له عليه في المسجد فارتفعت أصواتهما فنادى رسول الله (ص) قائلا (ياكعب ضع عن دينك هذا) فقال قد فعلت يارسول الله فقال (قم فاقضه) (٤) وفي المسجد أقيمت بعض ألعاب الفروسية فقد روت عائشة عن الرسول (ص) قولها (دعانى رسول الله والحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد فقال : ياحميراء أتحبين أن تنظرى اليهم فقلت نعم فأقامنى من ورائه فنظرت من وراء منكبيه) قالت عائشة قال رسول الله (ص) لتعلم يهود أن في ديننا فسحة) (٥) . وكان المسجد في عهد رسول الله (ص) مكانا لايواء الفقراء والغرباء الذين عرفوا بأهل الصفة بالمكان الذي خصص لهم وكان فيه سبعون من الفقراء منهم أبو هريرة رضى الله عنه . وفيه حبس بعض الأسرى وفيه كان الجرحى يداوون فقد روت عائشة فقالت (أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق في الأكحل فضرب

---

(١) رياض الصالحين ص ٤٢٤ عن رواية مسلم .

(٢) ——

(٣) رواه مسلم / رياض الصالحين ٤٤٢ .

(٤) فتح البارى ج ٥ ص ٧٣ .

(٥) مسند الامام أحمد .

رسول الله خيمة في المسجد ليعودوه من قريب) (١) ومن المسجد كان رسول الله (ص) وخلفاؤه يدبرون شؤون الأمة والدولة والدعوة ويرسلون السفراء ويجهزون الجيوش ويضعون الاستراتيجيات ويخططون ويمارسون نظام الشورى واذا جد أمر واستدعى قرارا سريعا ورأيا قاطعا نودى (الصلاة جامعة) فيجتمع الناس ويتشاورون . وفيها ينتخب العمال ويرسلون ويحاسبون وتوزع فيها أموال الزكاة والصدقات ويعقد فيها النكاح فالرسول (ص) يقول : (أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه الدفوف) (٢) ومنه تعطى الشهادة بالنجاح مع الله للمسلم اذ يقول الرسول (ص) بشر المشائين في الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة) (٣) وبالتردد عليها يشهد للرجل بالايمان فقد روى أبو سعيد الخدرى عن النبى (ص) قوله : (اذا رأيتم الرجل يرتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان) (٤) وهذا تأكيد لقول الله تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) .

ان المسجد يمكن أن يؤدى دوره الأول في حياة المسلمين وتربية أبنائهم وتوجيههم في النواحى الروحية والأخلاقية والاجتماعية حيث يتعلم فيها ويستمع الى الموعظة النافعة ويخطط فيها لرعاية الشباب وممارسة نشاطاته ويتعلم فيها النواحى الدينية وما يتعلق بمناهج الحياة وأمور التشريع أن المسجد يمكنه ممارسة مهامه الأولى في التربية اذا كان للحاكم مكان فيه واذا كان التخطيط للأمة المسلمة في ربوعه واذا جعل المسجد مكانا لمناقشة الدراسات التى تقدمها اللجان المتخصصة في السياسة والتعليم والتربية والمال والشئون البلدية وما اليها .

اننا نلحظ الآن لدى المسلمين اتجاهات الى تحقيق رسالة المسجد الأولى ببناء المساجد والمدارس وقاعات المحاضرات والندوات والمستشفيات في مبنى واحد حتى يمكن للمسلمين أن يقضوا أمورهم كلها في ذلك المبنى . كما اننا نجد في كثير من البلاد اتجاه الشباب الى جعل المسجد منارة للعلم ومكانا للمحاضرات ومجلسا شوريا للحى الواحد . وهذ يقضى أن يكون من يتولون الأمر على درجة من العلم والمعرفة بشؤون الدين والدنيا وأن يكون الخطباء في مستوى الاسلام وتعاليمه ومعارفه وفي مستوى الحياة ومشكلاتها وهمومها حتى يكون الخطيب امام الناس حقا في أمور دينهم ودنياهم .

ان المسجد عامل مهم من عوامل التربية وبناء الأفراد والأمم فيه يعلم النشىء الحلال والحرام وأمور الدين والدنيا وأحوال المسلمين وتاريخهم وهمومهم ومشاكلهم وفيه تتحقق معانى التعاطف والمودة والرحمة والتعارف والتعاون وفيه يتدراس الناس القرآن وعلوم الدين وتصقل فيه المواهب وتقوى النواحى الروحية والجسمية والعقلية والوجدانية ففى كل خطوة الى المسجد تحط خطيئة وتكتب حسنة فالرسول (ص) يقول : (من تطهر في بيته ثم مضى الى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته احداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) رواه الترمذى . (٣) رواه أبو داود والترمذى . (٤) رواه الترمذى .

ولا يمكن للناشئة أن يكونوا على صلة بالمساجد ما لم يكن الآباء قدوة لهم في ذلك ... يشجعونهم ويأخذونهم معهم ويربطونهم بدروسه ونشاطاته المختلفة حتى ينشأ الشباب في رحاب الله وفي بيت من بيوته .

المسجد ودوره في محو الأمية وتعليم الكبار :

يقول العبدرى في كتابه المدخل (أفضل مواضع التدريس هو المسجد : لأن الجلوس للتدريس انما فائدته أن تظهر به سنة أو تخمد به بدعة أو يتعلم به حكم من احكام الله تعالى والمسجد يحصل فيه هذا الغرض متوافرا ، لأنه موضع لاجتماع الناس رفيعهم ووضيعهم وعالمهم وجاهلهم) (١) وهو يقصد بهذا تعليم الكبار العلوم الدينية ، ويرى الدكتور عبد الفتاح جلال أن المسجد كان على عهد الرسول (ص) أول مدرسة لتعليم الكبار كان عليه الصلاة والسلام المعلم والصحابة الكرام تلاميذها العباقرة الافذاذ اذ تعلموا فيها كل أنواع العلم والمعرفة التى تفيد الانسان في الدنيا والآخرة وتبنى جميع جوانب شخصيته فيخرج منها متكامل الشخصية حقا) (٢) ويرى هذا الباحث المتخصص في التعليم الوظيفى أن من احتياجات المجتمع المعاصر لبعض وظائف المسجد ما يلى :

١ ـ امكانية قيام المسجد بدوره في تعليم الاميين تعليما يربطهم بدينهم اذ بلغوا خمسين مليونا في البلاد العربية وحدها .

٢ ـ تعاون المسجد مع المؤسسات الاجتماعية في تقديم التعليم المفيد لنسبة كبيرة وقف تعليمها في المرحلة الابتدائية وتعانى نقصا في مهارات الكتابة والقراءة والثقافة العامة أو الدينية .

٣ ـ سد المسجد للثغرات الموجودة في مناهج التعليم فيما يخص التربية الدينية التى يغلب عليها في مدارسنا طابع التلقين والهامشية .

٤ ـ الاستعانة في المسجد بذوى الخبرات والمعرفة لتقديم المحاضرات لكبار المتعلمين الذين يحتاجون الى مزيد من العلم في جوانب متعددة ومتنوعة وتساعدهم على أداء اعمالهم .

٥ ـ اقامة مكتبة مزودة بالكتب الدينية والعلمية والثقافية الهامة والمفيدة في المسجد لتحقيق الربط العضوى الفعلى بين العلم والدين .

٦ ـ مشاركة المسجد في تنمية المجتمع وتطويره وتقدمه وانتشاله من مظاهر التخلف الاجتماعى والاقتصادى .

٧ ـ أن يشمل تعليم الكبار الرجال والنساء بدءا بالكتابة والقراءة الى اعقد امور التخصص وارفع درجات المعرفة .

ان المسجد لا يمكن ان يقوم بدوره في المجتمع الحديث المعقد مالم يستفد من الامكانات المتاحة

---

(١) نقلا عن الابراشى عن التربية الاسلامية وفلاسفتها ص ٧٨ ـ ٧٩ .

(٢) مجلة الفيصل العدد الثامن السنة الثانية ص ٨٠ .

ومالم يتفاعل مع الناس ومشكلاتهم وحياتهم يقدم لهم الحلول والعلوم ويستفيد من العلماء الصالحين والمتخصصين في صفوف المعرفة ويزود بالمكتبات العلمية الضخمة والوسائل العلمية الحديثة في مجال التعليم والتربية .

ثالثا : المدرسة :

ان المدرسة مؤسسة أجتماعية حديثة العهد في العالم فكما ذكرنا فان الاسرة ثم القبيلة هى الوسائل التى عرفتها البشرية لتربية الأولاد واكسابهم المهارات التى يراد لهم تعلمها وبتطور الحياة أصبحت الحاجة ماسة الى اتخاذ مكان يتعلم فيه الصغار والى أشخاص ينوبون عن المجتمع في أداء هذه المهمة . ولم يعرف المسلمون المدرسة بالصورة التى نعرفها الا في القرن الخامس الهجرى نسبة الى ارتباط التربية والتعليم في الاسلام بالمسجد وكان للمسجد دوره الذى ذكرناه في تحمل مسؤولية نشر الثقافة الاسلامية والمعارف الاسلامية وكان كثير من علماء المسلمين يرون عدم تدريس الأولاد في المساجد لتزايد اعدادهم وما يحدثه وجودهم في المسجد من حركة وضجيج زيادة على كثرة المواد التى تدرس وما يترتب عليها من نقاش وحوار وجدل ومناظرة مما جعلهم ينشئون المدارس مرتبطة بالمساجد ويخصصون فيها ما عرف ب (الايوان) قاعة المحاضرات وأمكنة لايواء الطلاب والمدرسين وما يتبع ذلك من مرافق كالمطبخ وحجرة الطعام وغيرها [١] . ومع ذلك ظل المسجد الجامع في حياة المسلمين منارة العلم واشعاع النور .

وقد اختلفت نشأة المدرسة في تاريخ الاسلام عن نشأته عند الأمم الأخرى لارتباط التعليم بتعاليم الاسلام ونظرته في اعتبار التعليم حقا وفريضة على كل مسلم وهو ما يسمونه الآن بديمقراطية التعليم فلم يكن التعليم في الاسلام مقتصرا على ما يسمى برجال الدين أو ابناء الحكام والطبقات الراقية .

ان المسلمين كان لهم الفضل باتصال الغرب بهم عن طريق الأندلس والمغرب والقسطنطينية وعن طريق ايطاليا والحروب الصليبية في توجيه الغرب الى نقل التراث الاسلامى العربى وانشاءالجامعات والمدارس التى اتخذت صفات كثيرة . ولكن المسلمين بعد نكستهم وتخليهم عن مناهج تربيتهم وتعليمهم اقتبسوا نظام المدارس في صورتها الراهنة من الغرب عن طريق الارساليات وغيرها بعد أن جرد الغرب التعليم من الصفة الدينية وصبغه بصبغة علمانية بعيدة عن الدين .

ان المدرسة الاسلامية كما ذكرنا تجعل التعليم والتربية حقا لكل مسلم وليست امتيازا لطبقة أو فئة من الناس وان اتجاه الناس الى التعليم يجعل المسؤوليات التربوية للمدرسة أكبرمن المسجد اذ ان المدرسة قد أنفصلت الآن كبيئةتربوية لاتكتفى باعطاء المعلومات والمعارف بل هى أداة للتربية المتكاملة عقلية وجسدية وعاطفية ووجدانية ويمكننا أن نشير الى بعض الوظائف التى يمكن للمدرسة بها أن تكون وسطا صالحا للتربية الاسلامية .

١ ـ اختيار المنهج الدراسى الاسلامى :

اذ أن المناهج الدراسية لدى المسلمين كانت تراعى عدة أمور من أهمها مراعاة ميول الأطفال ورغباتهم

---

(١) راجع أحمد شلبى - تاريخ التربية الاسلامية ص ١١٤

ومراعاة الفروق الفردية اذ أن الطفل يفهم ما بامكانه أن يفهمه والاختلافات الفردية قد ترجع الى طبيعة التربية أو البيئة أو السن أو مستوى الذكاء ولذلك طلب الرسول (ص) من سيدنا عبد الله بن عباس ان لا يحدث الناس بما لا تحتمله عقولهم والشريعة الاسلامية تراعى الاستعداد الشخصى حتى في العبادات فالرسول (ص) يقول لاصحابه (اذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم فانتهوا) ويقول الغزالى في ذلك (وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم . كذلك المربى لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم وانما ينبغى أن ينظر في مرض المريض وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة ويبنى على ذلك رياضته) (١) .

والقرآن الكريم يقول مبيناً هذه الفوارق في الاستعدادات (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا . ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) (٢) ويقول عليه أفضل الصلاة والتسليم (مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا . وأصابت طائفة أخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى ارسلت به) (٣) وفي أحاديث كثيرة يطلب الرسول (ص) من المسلم ألا يذل نفسه بتعريضها لما لا تطيق من البلايا كما يطالب بالقصد في كل شيء .

٢ ـ مراعاة الطبيعة النفسية للبشر :

وهذا يتطلب من المدرسة أن تكون بعيدة عن العنف والقسوة ومكاناً للرحمة والرفق والتوجيه بالوسائل الحسنة فالرسول (ص) يقول لعائشة (عليك بالرفق فان الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شأنه) (٤) والاسلام يهدف إلى إيجاد المسلم اللطيف الرقيق الرفيق الذى يكره العنف والقسوة والفظاظة والغلظة إذ أن العنف لا يلد إلا العنف ولذلك يقول الرسول (ص) (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) (٥) .

٣ ـ الاستفادة من الخبرات الانسانية :

من المهام الأساسية للمدرسة نقل خبرات الأجيال السابقة لما بعدها وهذه الخبرات تراث إنسانى يستفيد به المسلمون بالنافع منه والمتفق مع عقيدتهم ويتركون ما لا يتفق معهم بعد التعرف على جوانب السوء فيه . والاسلام دين متطور يدعو إلى التحرر من ربقة التقاليد والأفكار البالية لأن الحرص على

---

(١) الغزالى ـ احياء علوم الدين ج أول .

(٢) البقـرة

(٣) رواه البخارى في كتاب العلم .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه البخارى في كتاب العلم .

المعتقدات الفاسدة بحجة المحافظة على التراث قد يقود الى الضلال والكفر (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) (١) فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها .

٤ ـ الحب للفضيلة والكراهية للرذيلة لذاتهما :

ان التربية تهدف الى جعل الاخلاق عادة في سلوك الانسان وأن يكون اتجاه المسلم الى الخير نابعا
ان التربية تهدف الى جعل الأخلاق عادة في سلوك الانسان وأن يكون اتجاه المسلم الى الخير نابعا
من الحب للخير واجتناب الشر نابعا من كراهية للشر لأنه شر في السر والعلانية وتحت كل الظروف والأحوال فالله سبحانه وتعالى يقول : والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار) (٢) ... فمحك الفضيلة والكمال الخلقى ان يصدر العمل عن طبيعة ثابتة في حب الخير سرا وعلنا ولذلك وسع الاسلام في دائرة الخير فجعل كل فعل خير صادر من المسلم نحو المسلم صدقة حتى الامساك عن الشر صدقة لمن لم يجد ما يفعله ايجابا بل ان فعل الخير نحو الحيوان صدقة لا تصدر الامن طبع فطر على حب الخير وجبل عليه . وقد وصف القرآن الطبائع التى مارست حب الفضيلة في واقع الحياة فقال (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (٣) كما وصفهم بقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) (٤) فالذى صبغ نفسه على حب الفضيلة يكره بداهة الرذيلة والرسول (ص) يقول : (اعينوا أولادكم على البر) .

ان المدرسة تستطيع تحقيق التربية الأخلاقية الكاملة كما ذكرنا عن طريقين : الأولى الطريقة غير المباشرة بأن تكون المؤسسات الاجتماعية والمواد المدرسية وسلوك المعلمين ومن لهم صلة بالتعليم متمشية مع الاخلاق والسلوك الاسلامى والثانية تدريس علم الأخلاق كعلم مستقل بذاته .

ان المدرسة هى البيئة التى يتعلم فيها الطفل ويعبر فيها عن رغباته وميوله ويظهر فيها امكاناته وقدراته وعلى المدرسة أن ترى ذلك كله وتوجه وتكمل رسالة البيت والمسجد لأن عمل كل واحد مكمل لعمل الآخر فيتنمية شخصية الطفل واعداده لحياته المقبلة ليكون على صلة بالله طيبة وبالمجتمع مفيدة وبالوطن مصدرا للخير والعطاء .

المعلم هو حجر الزاوية في العملية التربوية كما يقولون فالمدرسة تقوم بدورها بواسطة المعلم لذلك كان لا بد من اعداده لمهمته واختياره من النخبة الطيبة لذلك ركز علماء التربية قديما وحديثا على صفات لا بد أن تتوفر في المعلم وقد حصر القدماء هذه الصفات في كلمات . فابن سينا يقول : (ينبغى أن يكون

---

(١) الأعراف .
(٢) الرعد ٢٢ .
(٣) الحشر ٩ .
(٤) الحجرات ٧ .

مؤدب الصبى عاقلا ذا دين . بصيرا برياضة الأخلاق . حاذقا بتخريج الصبيان . وقورا رزينا . غير كز ولا جامد . حلوا لبيبا ذا مروءة ونظافة ونزاهة) (١) ومن خلال تلك الآراء نستطيع أن نحدد الصفات الواجب توفرها في المعلم المسلم فيما يلى :

١ ـ الورع وتقوى الله : وذلك بمراقبة الله سبحانه وتعالى في السلوك والأقوال فالرسول (ص) يقول (اتقوا الله واعدلوا في أولادكم) والمعلم أب لأولاده يوجههم الى الخير ويلتزم به في سلوكه والرسول (ص) يخبرنا أن أكرم الناس أتقاهم وأن اكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق . ولا بد أن يكون المعلم ورعا يشعر بأن الله معه أينما كان . وان مراقبة الله الدائمة هى الموجهة للسلوك والارادة فاذا لم يكن المعلم تقيا ورعا نشأ اولاده على الفساد والتحلل وانعدام الضمير والرادع .

٢ ـ الاخلاص في العمل : لأن الله لا يقبل من العمل الا ماكان خالصا لوجهه وكل عمل يبتغى به المرء وجه الله فهو عبادة . ولذلك يقول الله تعالى : (وما أمروا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة) (٢) ويقتضى الاخلاص أن يكون المعلم واسع العلم عالما بأمور الدين وتعاليم الاسلام وآرائه في الحياة والموت والكون ونظامه الاقتصادى والسياسى والتربوى والتشريعى زيادة على مافي الحياة من مبادئ ونظم وأفكار ثم التمكن من مادته التى تخصص فيها والتعرف على الجديد في العلم عن طريق البحث والاطلاع والصلة بالعلماء وما الى ذلك . وقد أوصى هشام ابن عبد الملك معلم ابنه بقوله (ان ابنى هذا هوجلدة ما بين عينى وقد وليتك تأديبه فعليك بتقوى الله . وأداء الأمانة وأول ما أوصيك به ان تأخذه بكتاب الله الخ) (٣) .

٣ ـ الالتزام بالاسلام والعمل له : ان المسلم المعلم في حقيقة الأمر داعية الى الله على بصيرة وادراك وعليه أن ينقل هذا المفهوم لطلابه قولا وعملا سلوكا وممارسة (قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) فالربط بين الأقوال والأعمال دليل على الالتزام الاخلاقى بالاسلام وليس الالتزام الفكرى فقط . وهذا يقتضى أن تتمثل الفضائل الأخلاقية كلها في سلوك المعلم لأنها مراقبة ومحسوبة عليه مثل الالتزام بالصدق والامانة والتواضع والعفة في اللسان والجوارح والشجاعة والكرم والمروءة والحب والبغض في الله والرفعة والرقة واللين ودماثة الخلق وما الى ذلك .

ان المدرسة تمثل نافذة الحياة بالنسبة للأطفال يعيش فيها الطفل وقتا كبيرا من يومه ليتزود بالمعارف والتعاليم والخبرات التى تجعله قادرا على اقتحام الحياة والتكيف معها وأداء رسالته فيها وتحقيق سر وجوده في الارض وهو معرفة الله وعبادته .

رابعا : المجتمع :

يقول الله سبحانه وتعالى (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج الا

(١) الابراشى ـ التربية الاسلامية وفلاسفتها ص ٢٢٥ .
(٢) البينة ٥ .
(٣) راجع الابراشى ـ التربية الاسلامية ص ١٤٦ .

نكدا) (١) وهذه الآية توضح لنا ان التربية لا تتم الا في اطار اجتماعى وداخل مجتمع مسلم نظيف لأن الطفل لا يمكن تربيته بعيدا عن المؤسسات الاجتماعية مثل البيت والمسجد والمدرسة ووسائل الاعلام وغيرها لما لهذه المؤسسات من اثر تربوى فعال ولما للعادات والتقاليد والأخلاقيات الاجتماعية من تأثير على الطفل والسلوك الانسانى عبارةعن التفاعل بين الظروف الاجتماعية البيئية والطبيعة الانسانية .

ان المجتمع المسلم يتميز عن المجتمعات الأخرى كما يتميز الفرد عن الافراد غير المسلمين في عقيدته التى ينشأ منها سلوكه والمصدر الذى يتلقى منه سلوكه والأخلاق التى يتميز بها عن غيره والطرق التى يسلكها في حياته وفي تحقيق اهدافه والعبادة التى يمارسها والمؤسسات التى ينشأ فيها والقيم التى يوزن بها البشر .

وان المجتمع المسلم قائم على نبذ العنصرية والوطنية الاقليمية وعلى الحرية المبنية على العبودية الكاملة لله وحده والتى تحقق له المحافظة على ماله وعرضه ونفسه وتطلب منه الالتزام بالحق والعدل . كما أنه مجتمع الاخوة والمساواة والكفاية والعدل بين المسلمين الذين يتساوون في الوجبات والحقوق (المسلمون عدول يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) ... فالمجتمع عامل تربوى فعال يحتاج إلى تضافر المؤسسات في تحقيقه لمسئولياته التربوية التى يمكن الاشارة الى بعضها فيما يلى :

١ ــ التعاون على البر والتقوى :

والله سبحانه وتعالى يقول (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) (٢) لأن التعاون على البر والتقوى هما وسيلتا المجتمع لنشر الفضيلة والخير ومحاربة الرذيلة والشر فوسائل التربية الحديثة من صحافة واذاعة وتليفزيون وغيرها من وسائل الاعلام كل منها معلم يملك أذواق البشر واسماعهم وابصارهم فاذا وجهت وجهتها الصحيحة كانت وسائل خير ورحمة وتعليم وتثقيف واذا تركت على ما هى عليه من نشر السموم والأغانى المائعة والتمثيليات الهابطة والكذب الدائم والسخافات والأباطيل كانت وسائل دمار وهدم لجهود مؤسسات التربية الأخرى كالبيت والمدرسة والمسجد . فواجب الدول أن تطهر مؤسساتها من كل ما يعوق تربية أجيالها على الحق والفضيلة والبر والتقوى وأن تحارب هذه الأجهزة وتجعلها تتكيف مع طبيعة المجتمع وعقائده ونظمه . ولا يتم التعاون على محاربة الاثم والعدوان الا باغلاق مظاهر الفساد الاجتماعى وتوجيه الثقافة التى يتأثر بها الأطفال والكبار الى الثقافة التى يبنى المجتمع عليها وحماية الشباب من المؤثرات الثقافية الدافعة للفساد . والاسلام يوجه توجيهات كثيرة في هذه الناحية فالله سبحانه يقول : (قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى) (٣) .

والرسول (ص) يحذر الرجل يرتكب عملا بالليل وينشره بالنهار وقد ستره الله لأن عمل الشر إثم ونشره عن طريق اذاعته إثم آخر لا يفعل ذلك الا الماجن الذى لا يستحى واذاعة الفاحشة مضر

---

(١) البقرة آية ٢٨٦ .

(٢) المائدة ٣ (٣) الأعراف ٣٣ .

للمجتمع من الناحية التربوية فكيف به اذا تولته أجهزة في الدولة وبأموال المسلمين والله لا يحب الجهر بالسوء من القول أو الفعل فواجب المجتمع التعاون على ازالة الاثم والفواحش الىٰ درجة قتال المفسدين في الأرض وقتلهم (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) (١) كما يحث الاسلام الفرد في النيابة عن المجتمع في القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطيع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) (٢) .

والمجتمع المسلم هو الذى يقوم على التقوى ويطالب افراده بذلك والحض على التقوى كثير في القرآن باعتبار التقوى مصدرا لسلوك المسلم فردا وجماعة فالمتقون هم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله ويؤمنون بالآخرة وبالكتب المنزلة والموفون بعهدهم اذاعاهدوا والصابرون في البأساء والضراء والمنفقون فيهما والكاظمون الغيظ والعافون عن الناس المحسنون الذين يذكرون الله ليلا وسحرا والمستغفرون . فالتقوى هى وصية الله الدائمة لكل أمة على لسان الانبياء وهى خير زاد للمسلم وخير لباس له والمتقون هم أولياء الله وهم سبب سعادة المجتمع وأساس بنائه وسبب الرزق والانفتاح الاقتصادى وسبب النجاة من كل ضعف والوصول الى الجنة التى أعدت للمتقين .

والمجتمع هو الذى تتعمق فيه بالممارسة معانى الود والرحمة والايثار والتضحية فالمسلمون في توادهم وتراحمهم جسد واحد الف الله بين أعضائه بنعمته بعد ان كانوا اعداء وقد ضرب المسلمون الأوائل أروع الأمثلة في ممارسة التكافل الاجتماعى والايثار مع الحاجة والتضحية في سبيل الغير فقد كان أصحاب رسول الله (ص) ترسل اليهم الأموال الكثيرة فيوزعونها على المحتاجين وينسون أنفسهم وهم أحوج ما يكونون اليها وكانوا رحماء فيما بينهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا .

ان المجتمع المسلم هو الذى يقوم بدوره في مساعدة الآباء على تربية ابنائهم على إخلاق الاسلام وتقاليده بحيث انهم ان خرجوا اليه وجدوا فيه ما تعلموه من الوالدين فلا يسمع كلمة نابية أو لفظا جارحا ولا يرى مظهرا للغش أو الخداع وهو يبتاع ويتعامل في الخارج ويجد مدرسيهفي حرص ابويه على المثل الاسلامية فلا يسمح له بالغش في الامتحان أو يعطى مالا يستحقه ارضاء للمدير أو جنسيته .

المجتمع الذى لا يعج بمظاهر الفساد والتحلل والعرى ويطلب من المراهق أن يكون عفيفا طاهرا ... ان النشء المسلم يجب ألا يجد نوعا من التناقض بين تربية والديه والأخلاقيات الممارسة في المجتمع . فالمجتمع المسلم مجتمع متحرر من الانقياد لغير الله ونظيف طاهر تبنى فيه العلاقات على القاعدة القرآنية (وتعاونوا على البر والتقوى) .

اننا لا نستطيع تربية أطفال صالحين في بيئة اجتماعية فاسدة كما لا نستطيع أن نزرع ارضا دون تهيئة هذه الارض لأن ادواء المجتمع كلها معدية تنتقل اليهم شاءوا أم أبوا .

---

(١) المائدة ٣٢ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الايمان .

ان الدولة تستطيع توجيه الوسائل الاجتماعيةكلها بدءا بالأسرة والمدرسة وأجهزة الاعلام في خدمة التربية وقد وجه الاسلام الى تكوين جماعة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مزودة بالخبرات والأساليب التربوية الصحيحة توجه المجتمع من داخله وتراقب ما يجد من انحراف في السلوك للافراد أو المؤسسات أو الدولة نفسها ثم تعالج الامور بحكمة وموعظة حسنة متعاونين مع أفراد المجتمع في ذلك (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (١) .

ان الدول تشرع كثيرا من القوانين لحماية ما يسمى بالنظم الاشتراكية والمكتسبات الثورية وما الى ذلك فما الذى يمنع المجتمع المسلم من سن القوانين والنظم التى تكفل حماية المجتمع ونظمه وتقاليده ويوقف مظاهر الفساد والانحلال ويحمى النشء والأمة من كل ما يدنس أخلاقها أو ينحرف بها عن التوجيهات التربوية للاسلام وبالتالى تشجع الناس على الفضائل . ويزيل هذا الصراع المستمر بين التعاليم التربوية والاغراءات الخارجية . ان الاسلام يطالب الاسر بالتعاون فيما بينها بتعليم الاسر المتعلمة للأخرى حتى يتحقق التعاون على البر في واقع الحياة يقول الرسول :(ص) فيما رواه علقمة عن ابيه قال : (خطب رسول الله (ص) ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا ثم قال : (مابال أقوام لا يفقهون جيرانهم . ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم . وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون . والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة) .

فالرسول (ص) يبين لنا ان المجتمع يمكن أن يتخذ سلطته عن طريق القوانين التى تكفل سلامة المجتمع وتربيته وتعليمه حتى تتحقق الاهداف التربوية للمجتمع المسلم .

خامسا : الوراثة والبيئة :

أثبت العلم حديثا أن الأطفال يرثون الصفات الثابتة فيهم من أبويهم كما يرثون الصفات الشكلية فيهم . وأن الأطفال يحملون خصائص أصولهم وأن بعدت المسافة الزمنية بينهم وبين أصولهم واثبتت قوانين الله في الكون ان الفرع يشبه أصله في الكائنات كلها . ان انتقال خصائص الآباء والأجداد للابناء الذين يمثلون الفروع هو الذى يعرف بعلم الوراثة وهو علم لا يوجد من ينكره . ولكن الخلاف بين العلماء في الشيء الذى يورثه الآباء ومقداره ونوعه .

فالبشرية كلها تشترك في الصفات التى تميز الانسان عن غيره من المخلوقات وتورث هذه الصفات جيلا بعد آخرولكن هناك صفات خاصة الى جانب الصفات العامة تتميز بها أمة ما في مكان ما عن الأمم الأخرى وهى التى تميز بها الأفريقى عن الآسيوى والشرقى عن الغربى ثم يتدرج هذا التمايز في الصفات الى مستوى الأبوين اللذين يورثان ألوانهما وأشكال قامتهما وطبائعهما لأبنائهما وتختلف نسبة الصفات المورثة من الأب والأم والمقدار الذى يرثه من كل منهما . وقد لا يرث الأبناء صفات آباهم الأقرباء ولكن

(١) الأعراف ٥٨ .

تظهر هذه الصفات في الأجيال التالية ولذلك نجد الطب الحديث يبحث في الأمراض عما اذا كان المرض موجودا في العائلة أو قد وجدفي جيل سابق كما ان العلم يقول ان الأبناء يرثون الاستعداد للشيء كالاستعداد للنبوغ أو الغباء أو الاصابة بأمراض معينة أو الانحرافات الخلقية وما الى ذلك وهنا يظهر دور البيئة في نمو تلك الاستعدادات ·

والبيئة تطلق على ما يحيط بالانسان من أناس وبحار وبلاد وأرض وأجواء . وكما ان النبات لا يعيش وينمو ويثمر الا اذا وجد التربة الصالحة والماء والهواء والضوء فكذلك الانسان في جانبه المادى يتأثر بالناحية الجغرافية في البيئة من بحار وانهار واجواء وطبيعة وجبال وهضاب وغيره ذلك كما يتأثر بذلك في جانبه العقلى أما بيئة الانسان الخاصة فهى المنزل والمسجد والمدرسة ودينه ومعتقداته ولغته وتراثه وما الى ذلك .

ما أثر ذلك كله في التربية بعامة والتربية الاسلامية بخاصة ؟

ان الانسان اذا نشأ في بيئة صالحة . وأسرة متدينة ومدرسة راقية ورفقة صالحة وأمة خيرة ونظام سياسى عادل وتربية ممتازة كان الشخص المثالى الذى تهدف التربية الى ايجاده . أما اذا وجد في بيئة سيئة . أسرة منحلة ورفقة سيئة وأمة شريرة ونظام سياسى جائر وحاكم طاغ متجبر وأنظمة بشرية فاشلة وتربية لا تقوم على اساس فان النتائج أفراد فاشلون وذلك مصداق لقول الله تعالى (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا) (١) .

وقد أثبت علماء الوراثة أن الصفات الجسمية والخلقية والعقلية والنفسية لدى الآباء تكون استعدادا لدى الأبناء بما في آبائهم والقرآن يحدثنا أن أبناء الزناة يحملون استعدادا وراثيا للزنا من آبائهم ولذلك عبر عنه القرآن بقوله : (ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) (٢) كما أن الأمراض الناشئة عن الزنا مثل السيلان والزهرى قد تنتقل كاستعدادات وراثية لدى الأطفال . والرسول (ص) يقول محذرا المهاجرين من خمس خصال ذكر منها (ولم تظهر الفاحشة في قوم قط يعمل بها علانية الا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن في أسلافهم) (٣) وقد أثبتت الدراسات لحالات المجرمين في جرائم مختلفة علاقة بين المجرم ومن مارس في قرابته نفس الجريمة التى ارتكبها فلذلك يرى بعض العلماء ان الزواج بين أبناء السكيرين أو المصابين بالأمراض جريمة لأن الأبناء يرثون الاستعداد لذلك . وقد سبق أن ذكرنا استنكار بنى اسرائيل للسيدة مريم ذات السلالة الطاهرة النقية كيف أنجبت سيدنا عيسى من الزنا بدعواهم (يامريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك بغيا) (٤) وبعض العلماء يرى أن الاجرام ليس وراثيا انما هو أثر من آثار البيئة على الانسان فاذا أخذ الأولاد من الآباء السيئين ونشأوا في بيئة طيبة نشأوا عكس آبائهم ·

---

(١) الاسراء ٣٢ ·

(٢) رواه ابن ماجه والبزار والبيهقى ·

(٣) مريم ٢٨ ·

ان أهمية البيئة والوراثة كوسائل تربوية ان دراستهما ومعرفة حدودهما ومدى تأثيرهما في الانسان.
يجعل التربية مبنية على أسس علمية باعتبار كل منهما عاملا مكونا للعقل والجسم والخلق مع الآخر
بدرجة تجعل من الصعب أعطاء دور كل منهما كما يفعل البعض نسبة معينة ثابتة فاذا لم توجد البيئة
الصالحة للعبقرى فان عبقريته تموت وتندثر . كما أن البيئة الراقية لا تلد العباقرة والفلاسفة وانما يوجد
العبقرى في البيئة الصالحة يكون انتفاع الأمة بأبنائها والأبناء بامكاناتهم ومواهبهم .

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ
وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ
فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا "

[سورة النساء آية رقم ٥٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

تجارب حيّة في عملية التربية والتعليم

بقلم الشيخ محمد المجذوب
المدرس في كلية الدعوة وأصول الدين

١ ـ الطرق التى يقررها علماء التربية للتدريس كلها مستنبطة من التجارب العملية التى مارسها بعض المدرسين ، ولا سيما أولئك الذين يمتازون بدقة الملاحظة والرغبة في الافادة ، والشعور بأهمية الرسالة التى يحملونها ... هؤلاء لخصوا لنا خبراتهم وتجاربهم فصيغت منها القواعد التى يدرسها المؤهلون للتعليم ، ليعملوا بها وليسيروا على ضوئها .

ولكن على المدرس اللبيب أن يتذكر أن هذه التجارب لم تبلغ بعد المرحلة النهائية بحيث يُظن إنها جامعة مانعة لا تقبل اضافة ولا تعديلا . بل الأمر على الضد من ذلك فليست هذه التجارب العملية سوى عيِّنةٍ محدودة لما يمكن للمدرس الحاذق أن يستخلصه من خلال تجاربه الشخصية اليومية .

فالمدرس الذى يستعمل عقله في أداء عمله يستطيع أن يستنبط كل يوم جديداً من الأساليب والطرق الأكثر فائدة ... وعليه أن يتذكر أن لكل بيئة خصائصها المميزة . فرب طريقة ناجحة في وسط تعجز عن النجاح في وسط آخر .. ولهذا كان للتجارب اليومية الحيّة في عمل المدرس النابه قيمتها المعتبرة .

٢ ـ ولنذكر على ذلك بعض الأمثلة :

في احدى المدارس السورية وزعت الادارة بالاتفاق مع مدرسى المواد المختلفة حصص النشاط . فكان لكل مدرس مادةٍ حصصٌ معينة للقيام بالنشاط المتصل بها . كالجغرافية والتاريخ والحساب والعلوم وما اليها ... إلا مادة التربية الاسلامية فلم تخصَّصْ بأية حصة . اذ كان مدرسها غائبا عن ذلك الاجتماع ولم يخطر في بال المدرسين الآخرين أن في مادة الدين أيِ مجال لنشاط ما . فلما حضر مدرسها وعلم بإغفال مادته من حصص النشاط أبدى استغرابه . وبدلا من أن يستريح الى إغفائه من تلك الحصص التى ستشغل بعض أوقات راحته الخاصة خارج مواعيد الدوام . أعلن احتجاجه على ذلك الإغفال . وأكد للادارة أن مادة الدين أخصب مجال للنشاط المدرسى .. وبالفعل لم يلبث أن برهن على صواب ما ذهب اليه . إذْ استحدث لحلقته الدينية ألوانا من النشاط أدهشت زملاءه . واجتذبت الموجهين والمدرسين الآخرين لمشاهدتها ... وهكذا أثبت هذا المدرس الكفء أن المدرس الصالح جدير بأن يبتدع من أساليب التربية ما يستحق أن يُحتذى في سائر المدارس .

لقد أدرك هذا المدرس أن دروس الدين الاسلامى ليست قواعد جافة تقف عند تعريف المصطلحات وبيان الشروط والأركان . واستنباط الأحكام . ودراسة الألفاظ والمعانى ... ولكنها الى جانب هذا كله تربية خلقية تتحول الى أعمال تتجلى في سلوك أصحابها ·

ورأى أفضل الوسائل لابراز هذه الحقائق أن يستعين بالتمثيل والخطابة والمحارات ... فراح يتخير من تاريخ الاسلام بعض المشاهد المؤثرة فيصوغها في تمثيليات قصيرة . يوزع أدوارها على عدد من التلاميذ . ويدربهم على أدائها أمام الجمهور ... حتى اذا تمت الاستعدادات لذلك قام التلاميذ المدربون بعرض تمثيليتهم على مسرح المدرسة ... فشاهد النظارة تلك الأخبار التاريخية . التى كانوا يقرؤونها في الكتب . أو يسمعون بها من الرواة . أحداثاً متحركة أمام أعينهم . فيتأثرون بها أكثر من قراءتها ·

فتمثيلية عن الزكاة . وأخرى عن الحج . وثالثة عن الوفاء . ورابعة عن الأمانة .. وما الى ذلك من الفضائل الاسلامية . التى من شأنها . اذا أدرك المسلمون معانيها وحققوها في سلوكهم . أن تجعل منهم كما جعلت من أسلافهم خير أمة أخرجت للناس ...

وهكذا استفاد من الخطابة والحوار ... يعرض بهما المعانى الاسلامية عرضاً مؤثراً جعل الناظرين واثقين من أن مادة الدين أخصب مجالات النشاط المدرسى بالفعل ·

وهذا المدرس الناجح إنما عمد الى تلوين أساليبه من تمثيل الى خطابة الى حوار وغيره ابتعاداً عن الجمود الممل . لأنه لو اكتفى بالتمثيل وحده لانتهى بتلاميذه ومشاهديهم الى السأم · وكذل الوقوف على لون واحد من الأساليب يفقده الحيوية والتشويق ·

اذن فعلى المدرس أن يطور أساليبه في اعطاء الدرس . وفي النشاط المدرسى حتى لاتبعث على الملل ... وبذلك يضمن انتباه تلاميذه وحبهم للدرس وتفاعلهم معه ·

ولنستفد في هذا الصدد من حكمة أبى تمام القائلة :

لا يُصلح النفس إن كانت مُدبَّرةً   إلا التنقل من حالٍ الى حالِ

٣ ـ والمدرس المسلم أحق المدرسين بالانتفاع من مثل هذا التجديد لأساليب التدريس والنشاط ... ومراعاة الوسيلة الأنجع في إفادة التلاميذ وتربيتهم على روح الاسلام · ولينظرْ هذا المدرس الى أساليب القرآن العظيم . والألوان المختلفة التى حملت معانيه يعلمْ أن التزام الصورة الواحدة . في التعبير والتعليم والسلوك . مخالف للأصلح والأنفع ·

فالتعبير القرآنى قد سلك كل ألوان الأساليب العربية في إبلاغ مقاصده . فهناك الاسلوب القائم على السجع . والفواصل . وهناك الاسلوب المرسل . وفيه الآية القصيرة التى لاتزيد عن الكلمة . وفيه الطويلة التى تستوعب الصفحة ... وفيه التمثيل والتشبيه والايجاز والاطناب . والاستفهام والتقرير ... الى غير ذلك من الأساليب التى يستولى بها القرآن العظيم على الألباب . ويثير العواطف ويحرك الضمائر ويطلق الخيال . ويَشْغَلُ كل ما تنطوى عليه النفس من الطاقات ...

وكذلك القول في العبادات ·· ولنمثل كذلك بالصلوات المكتوبة فهى ما بين ركعتين وثلاث وأربع وبين جهرى وسرى ··· وقد اختلفت المسافة بين أوقاتها ··· ولعل بعض الحكم العجيبة في ذلك هو إبعاد هيئة العبادة عن تكرار الصورة الواحدة . الذى قد يؤدى بها الى أن تصير عادة آلية فتفقد بذلك روح الجدة ··· والله أعلم ·

٤ ـ ونظرة مماثلة الى أساليب الرسول في التعليم . وهو المعلم الأعظم صلوات الله وسلامه عليه . الذى أوتى الحكمة وجوامع الكلم والخلق العظيم ·

لم يلتزم (ص) في تعليمه أسلوبا واحداً ولا هيئة واحدة ··· بل كان يعطى لكل مقام ما يناسبه من المقال والهيئة ·

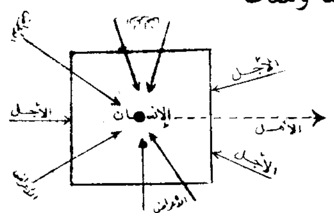
لقد أمر ونهى ·· وخطب ·· وقصَّ ··· ومثَّل ··· واستعمل وسائل الايضاح · سأل مرة أصحابه ـ تلاميذه ـ : أتدرون من المفلس ؟ ··

وكان السؤال محركاً لتفكيرهم . فأجابوا بما يعلمون من صفة الافلاس . وهناك فاجأهم بما يقصد اليه من الافلاس المعنوى . الذى يَحشر صاحبه يوم القيامة وليس معه ما يفى بما عليه ··· ومن هذا وأمثاله من الأسئلة النبوية نتعلم كيف نستثير انتباه تلاميذنا وننشط أفكارهم للبحث ··· وفي حديث جبريل (ع) أسلوب تعليمى عجيب . ما أجدر المدرس المسلم أن يستنبط منه الحكم البالغة ···

وأذكر أن مدرساً فطناً قد استفاد من هذا الحديث في أحد الدروس إذ درَّب فراش المدرسة على أداء دور معيَّن . وفي أثناء الدرس جاء هذا الفراش واستأذن المدرس ليسمح له بالاستماع الى درسه . ثم أخذ يطرح عليه بعض الأسئلة المتصلة بصميم الدرس ··· فلم ينتهِ الحوار حتى كان التلاميذ قد أحاطوا علماً بكل تفاصيله ···

وفي حديث (ما فعل النُغَيْر يا أبا عمير) إرشادات حكيمة توجه المدرس إلى أنجح الطرق في تعليم تلاميذه . إذ تحببهم · بمدرسهم لما يرونه من رعايته إياهم واهتمامه بمشكلاتهم ··

أراد صلى الله عليه وسلم ذات مرة أن يعمق ارتباط تلاميذه (رض) بالآخرة فصور لهم حياة الانسان وما يحيط به من أحداث الدنيا أعجب تصوير . اذ رسم مربعاً رمز به الى الأجل وجعل في وسطه خطأ رمز به الى الانسان . ثم مد من هذا خطاً خارجاً من المربع وجعل خطوطا صغارا الى الذى في الوسط · ثم فسر ذلك بأنه الانسان يحيط به الأجل وينطلق منه الأمل . وفسر الخطوط الصغار بالأعراض ـ المصائب ـ تنهشه من هنا وهناك ·



ومثل هذا التمثيل يعتبر من أرقى أساليب التعليم لاعتماده الرسم الايضاحى المثبت للفكرة ٠

وكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يعمد الى القصة لابلاغ مايريد من الأفكار والارشادات . فتأتى غاية في البلاغة والتأثير ... اذ تعرض الفكرة ممثلة في أشخاص بأعيانهم.فتستهوى القلوب والعقول . وتثير المخيلة لاستخلاص العبرة ٠

من ذلك قصة الملك والساحر والراهب ـ في صحيح مسلم ـ ثم قصة الثلاثة الذين تكلموا في المهد ـ للشيخين ـ ثم قصة أصحاب الغار الذين نجاهم الله بحسناتهم ـ لرزين والترمذى ـ وكذلك قصة الأبرص والأقرع والأعمى من بنى اسرائيل ـ للشيخين ـ ٠

ومن شأن أمثال هذه القصص أن تعلم المدرس كيف يستفيد من اسلوب القصة في إمتاع تلاميذه وافادتهم ٠

٥ ـ وجدير بالمدرس أن يتفطن الى اسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكلام . وكيف كان يؤدى معانيه في أناة تمكن السامع من الاستيعاب . حتى لو شاء لعد ألفاظه . وكذلك تكراره لعباراته حتى لا تغمض على السامعين ٠

والفائدة التى نقتبسها من هذه الطريقة ألا نعجل في خطاب تلاميذنا عند الشرح ... وأن نتخذ كل الوسائل التى من شأنها تمكينهم من الفهم والاستيعاب والحفظ ٠

وطبيعى أن نهوض المدرس بمثل هذه الاعمال تقتضيه أن يكون ذا ثقافة حية واسعة . وهذا يعنى أن عليه أن يكثر من الاطلاع على العلوم قديمها وحديثها . ولا يتوافر له ذلك إلا بالاكثار من المطالعة لتجديد عقله بالكتب النافعة ٠ فان معلومات الانسان كالماء . ان لم يكن على اتصال دائم بالمنابع الصالحة انتهى الى الفساد ٠ وسَعَةُ معلومات المدرس تساعده على إفادة تلاميذه في كل ما يشكل عليهم . فلا يشعرون بعجزه . لأن عجز المدرس وقصور ادراكه يعرضانه لسخرية طلابه ٠ وعليه أن يتعهد تغذية عقول تلاميذه بارشادهم الى الكتُب الملائمة لمداركهم والنافعة لهم في دينهم ودنياهم . ولا يتأتى له هذا ما لم يكن على صلة بما يُنشر ويكتب ٠

درس نموذجى في الحديث الشريف

على السبورة — (وما ينطق عن الهوى)

مقرر اليوم من الحديث النبوى ١٤٠٠/٧/٦ هـ

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال (قال رسول الله (ص) : « مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة . فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها . اذا استقوا من الماء مروا على مَن فوقهم ٠ فقالوا : لو

خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ مَن فوقنا • فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجّوا جميعاً » رواه البخارى •

عمل المدرس في هذا النص :

١ ـ تعريف موجز بالصحابى راوى الحديث . وبالبخارى مخرجه ومنزلة كتابه الجامع •

٢ ـ قراءته للحديث في أناة وتفصيل •

٣ ـ تكليف بعض التلاميذ قراءته على طريقته • .

٤ ـ تدريب التلاميذ على تحديد معانى المفردات بدعوة بعضهم لشرحها ثم الوصول الى مرادها •

٥ ـ تكليف التلاميذ كتابة معانى هذه المفردات في كراسة خاصة ضمن جدول ـ لزيادة معلوماتهم اللغوية ـ وذلك بعد كتابتها على جانب السبورة أو على السبورة الإضافية •

مثلا على ذلك :

القائم	: الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر
حدود الله	: اوامره ونواهيه
الواقع فيها	: المتجرىء عليها
استهموا	: اقترعوا • أى تقاسموا أمكنتهم بطريقة الاقتراع
استقى القوم	: طلبوا الماء لحاجتهم
الخرق	: النقب والكسر . ومنه قوله تعالى : حتى إذا ركبا في السفينة خرقها
هلكوا	: تعرضوا للهلاك
نجّوا	: بالتشديد : سببوا النجاه لغيرهم •

٦ ـ تطبيقات إعرابية : أين تُعلّق الجار والمجرور (كمثل) وما علاقته بأول الحديث (مثل القائم) ؟ كيف تعرب (أعلاها . وأسفلها) ؟ وأين تعلقهما ؟

كيف تعرب (وما أرادوا) ؟ ومن أى نوع هذه الواو السابقة (ما) •

٧ ـ شرح بعض العبارات : استهموا على سفينة ـ لو خرقنا في نصيبنا خرقاً ـ وما معنى (لو) هنا ؟ فإن تركوهم وما أرادوا ـ أخذوا على أيديهم ...

٨ ـ أسئلة حول النص :

١ ـ ما الموضوع الذى يدور الحديث حوله ؟ وما مراد رسول الله (ص)منه ؟

٢ ـ هل للحدّيث علاقة بمبدأ (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ؟ وكيف ؟

٣ ـ ما العنوان الذى يناسب هذا الحديث ؟

٤ ـ كيف تَوَزّع القوم أمكنتهم في السفينة ؟

٥ ـ من الذى اقترح خرق السفينة ؟ القوم كلهم أم بعضهم ؟ وما دليلك ؟

٦ ـ بأى دافع حاول هؤلاء خرق السفينة ؟ هل كان في نيتهم الإضرار ؟ وما دليلك ؟

٧ ـ هل تم الخرق أو منعوا منه ؟ وكيف علمت ؟ مع العلم أن الحديث لم يشر الى النتيجة •

٨ ـ لماذا ترك الرسول (ص) الكلام على النتيجة التى انتهوا اليها ؟

٩ ـ كم صنفاً كان هؤلاء الركب ؟ عقلاء ... أغبياء ... طيبون ... سيئون ؟ ... أجب بتفصيل .

١٠ ـ على أى شيء يحضنا هذا الحديث ؟ .

خلاصة الحديث من خلال الأجوبة :

تكتب على السبورة ويطلب اليهم اثباتها في كراساتهم مقرونة بعنوانها ومختومة بتاريخها .

أسئلة حول الاسلوب :

١ ـ لقد عرض الرسول (ص) الفكرة التى أرادها باسلوب التمثيل والقصة ، وكان بالامكان عرضها بأى اسلوب آخر .. فلماذا اختار هذا الاسلوب دون سواه ؟

٢ ـ تحدث عن جمال التشبيه بين الفريق الأول ـ القائم في الحدود والواقع فيها ـ والفريق الثانى القوم الذين استهموا على السفينة ...

٣ ـ التشبيه في الحديث من النوع المركّب ، فمن يقابل القائمين في الحدود ، ومن يقابل الواقعين فيها ؟

٤ ـ هل تجد في ألفاظ الحديث ما يمكن الاستغناء عنه ؟ وهل ترى لفظة يحسن استبدالها ؟

٥ ـ كان رسول الله خير معلم للناس ... وخير دال على الخير ... فهل في الحديث دليل على هاتين الصفتين ؟

٦ ـ يقول رسول الله (ص) في حديث آخر : مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ـ رواه مسلم ـ فهل ترى من تشابه بين موضوع هذا الحديث والحديث الآخر ؟ .. وكيف ؟ ..

وكذلك يصف الله المؤمنين بقوله : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) . فهل للحديث علاقة بهذا الوصف ؟ .. أوضح ذلك .

ملاحظة : روعى في هذا التحضير مستوى السنة النهائية من القسم المتوسط. واذا أردنا تخصيصه بما دون ذلك سهلنا من الأسئلة وخففناها . كذلك اذا شئنا توجيهه الى القسم الثانوى زدنا عليه العناية بالكلام عن المجتمع وما ينبغى أن يقوم فيه من التعاون ، وأشرنا الى بعض الصور البيانية والتحاسين البديعية الواردة في الحديث بصورة موسّعة .

أيها المعلمون

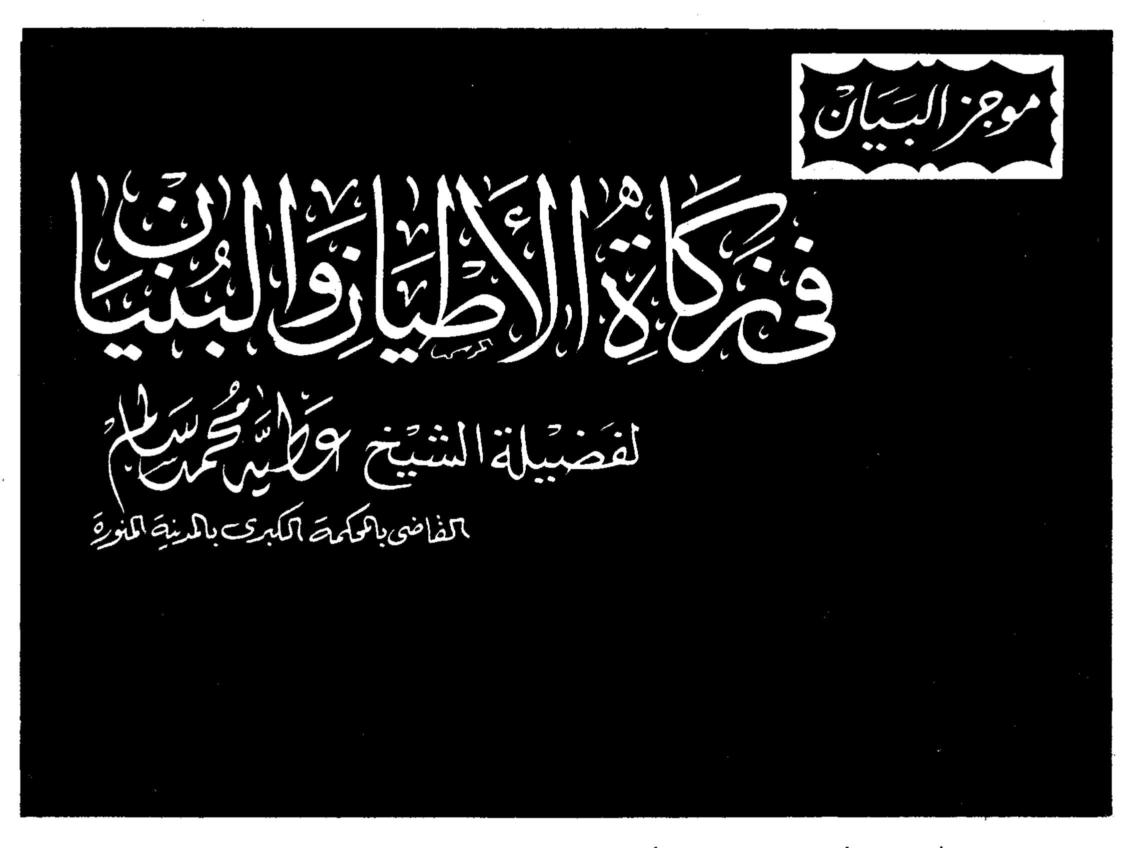
ربوا على الانصاف فتيانَ الحِمى ... تجدوهم كهف الحقوق كهولا

وإذا المعلم ساءَ لحظ بصيرة ... جاءت على يده البصائر حولا

وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى ... روحُ العدالة في الشباب ضئيلا

وإذا أتى الارشاد من سبب الهوى ... ومن الغرور فسمّه التضليلا

أحمد شوقي



الحمد لله الذى أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة . والشكر له على ما هدانا للإسلام وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين الهادى إلى صراط مستقيم وعلى آله وصحبه الذين حفظوا لنا الكتاب والسنة ونقلوا لنا معالم الطريق القويم ورضى الله عن التابعين الذى بينوا لنا ما كان خافيا وجمعوا لنا أطراف ما كان نائيا من تقييد مطلق وتخصيص عام وقعدوا قواعد وفرعوا فروعا كانت المنهج لمن جاء بعدهم . ونهج منهجهم . فسعد بسعادتهم .

أما بعد

لقد شاءت حكمة العليم أن تكون قسمة المال بحسب مقتضيات الحال . وتسيير نظام الكون بمقتضيات اختلاف الأحوال . **قال تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) .**

ولكى يربطهم في المال جعل تعالى الزكاة طهرة لمال الغنى . وطعمة لجوعة المسكين . فقال تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) .

فهذه طهرة لمال الغنى مما عساه خالطه من شبه خفية ولنفسه من الشح البغيض . وطهرة أيضا لنفس الفقير من حقد على الغنى لغناه .

جاء في مستهل رسالة السائل أن المال مال الله يستخلف فيه من يشاء من عباده بالقدر الذى يتناسب وقابلياتهم وما وهبهم من أهليات وكفاءات .

ولم ينس - وهو الرحيم العادل - أولئك الذين خلقهم معدومى القابليات أو ضعاف الأهلية . بل اقتضى عدله ورحمته أن يجعل لهم حصة معلومة في الأموال تغطى ضروراتهم وتسد نفقاتهم . وشرع ذلك بقوله : (**والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**) - (**خذ من أموالهم صدقة**) **الآية** .

إن هذه المقدمة وإن كانت ليست من صلب الموضوع إلا أنه يدعونى أن أبدى رأيا عارضا وهو أن الاستخلاف في المال منه سبحانه ليس على قانون الأهليات وانما على شرعة الابتلاء . فلم يعط الأذكياء لذكائهم . ولم يترك البلهاء لبلههم وعلى صدقات غيرهم كما قال تعالى لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم : (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) .

كما أنه أيضا ليس على مقياس الإيمان والكفر كما قال تعالى : (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) .

وقد قيل في المعنى الأول :

ولو كانت الأرزاق تجرى على الحجا   هلكن إذاً من جهلهن البهائم

ولا بالقوة والضعف أيضا كما قال الأديب الشنقيطى :

قد تجوع الأسد في آجامها   والذئاب الغبس تعتام القتب

أى بعد قوله :

لا يزهدك أخى في العلم أن   غمر الجهال أرباب الأدب

إن تر العالم نضوا مرملا   صفر كف لم يساعده سبب

وتر الجاهل قد حاز الغنى   محرز المأمول من كل أرب

قد تجوع الأسد ... ...

وقد جعل الله تعالى الغنى والفقر فتنة ليرى الغنى أيشكر أم يبطر ويرى الفقير أيصبر أم يضجر .

وعلى كل فقد أنزل لعباده من الأرزاق ما يكفيهم كما قال على رضى الله عنه :

(لقد جعل الله في مال الأغنياء ما يكفى حاجة الفقراء .وما اشتكى فقير قط الا بقدر ما أمسك غنى من زكاة) وهذا كله مسلم به والحمد لله ٠

وقد عقب السائل بما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم شرحا وبيانا وتأكيدا للزكاة في الأموال « أدوا زكاة أموالكم » . وذكر أن القرآن رغب وكذلك السنة في التصدق بكل ما زاد عن الحاجة الأصلية والشخصية « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له . ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » وذكر من أصناف المال ما ذكر حتى إن الصحابة رأوا أن لا حق لأحدهم في فضل . . وحبب اليهم الإيثار على النفس . (ويؤثرون على اانفسهم الآية) .

أما ما كان من الترغيب والحث على الإيثار ونحو ذلك فهو باب واسع لتهذيب النفوس وترابط وتعاطف الأمة وقد خرج الصديق من كل ماله . وهذا مجال المنافسة الحميدة والنفوس الكريمة .

أما العود بفضل الظهر والزاد ... الخ فهذا كان في السفر وفي أمس ما يكون للمواساة . بل قد تفرض بعض الظروف عند نقص التموين وإعلان الطوارىء في المجموعات التى تتعرض لمثل ذلك كالمعسكرات والجيوش ... الخ .

ولكن ما نحن بصدده وهو فرضية الزكاة فإن نصوصها قطعية الدلالة والثبوت معا ولكن جاءت النصوص لها بمقادير وحدود معلومة كما في قوله تعالى : « حق معلوم » . والمعلم لا يكون مجهولاً ولا مبهمً ولا متروكاً لعواطف الأغنياء وسجاياهم .

وكل فرض في الزكاة فهو معلوم المقدار من جانب المالك ومن جانب المسكين .

وقد جاء هذا ضمن رسالة السائل بما نصه : وقد وضحت السنة النبوية الشريفة كيفية تأدية الزكاة وحددت نسباً معينة تؤخذ من الأموال المختلفة . وعلى اختلاف هذه النسب فقد فرضت جميعها على الأموال عيناً أو مقومة بنقدها وهذا مبدأ سديد قويم واضح .

أما أنهم لم يستجيبوا لأبى ذر رضى الله عنه فلأنه رأى شخصى انفرد به عن جماعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكيف بأموال عثمان التى مول منها جيشا كاملا وغيره كثيرون ويكفى أننا وقفنا على أن الزكاة حق معلوم وليس كل المال وقد نوه جميع المفسرين على ذلك عند قوله تعالى : (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) ومما وصفهم به (ومما رزقناهم ينفقون) أن من للتبعيض أى من بعض ما رزقناهم . ولا يخفى أن البعض يتذرع بأبى ذر رضى الله عنه الى الاشتراكية .

ثم قال السائل : فاذا كنا نفهم من لغتنا أن كلمة - أموالهم - وأموالكم - تعنى جميع أموالهم وأموالكم فإننا نستطيع القول مستندين إلى الكتاب والسنة أن الإسلام لم يكتف بفرض الزكاة على جميع الأموال فحسب . بل إنه رغب المسلم في بذلها كلها في سبيل الله .

وهنا نقول كما أسلفنا إن كان المجال للترغيب فالمجال فسيح من شق التمرة الى كل ما يملك كما قال تعالى : **(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره)** وكما فَعَل الصديق .

أما الفرض والالزام فكما قدمنا أيضا لا بد فيه من معلوم . والمعلوم لا بد أن يكون مقدرا . وهو ما عرف بالنصاب و بالنسبة المعينة .

ثم قال السائل : والأموال منقولة وغير منقولة كلها أموال قابلة للنماء و يتحقق فيها الربح . سواء عن طريق مبادلة عروضها أو منافعها . ويجب والحالة هذه فرض الزكاة عليها جميعا إلا ما استثنى منها بنص .

أما القول بأن الأموال منقولة وغير منقولة كلها أموال قابلة للنماء ..... الا ما استثنى منها بنص فلظ يرد عليه بيت السكنى ودكان المبيع وعبد الخدمة وفرس الحاجة . ولعله ما أراده بالاستثناء .

اما الحكم بوجوب فرض الزكاة عليها جميعها الا ما استثنى بنص فإن لقائل أن يقلب المدعى ويقول لا زكاة عليها جميعها إلا ما استثنى بنص والذى جاءت فيه النصوص معلوم .

والنص جاء عاما في الكتاب . والسنة جاءت وخصصت و بينت الأموال المزكاة وكم مقدار الزكاة . فلزم الالتزام بالنص . كما أنها بينت الفرض من التطوع .

وأما قول السائل : فليس من العدل ـ والاسلام كله عدل ـ أن تفرض الزكاة على مال ويعفى منها قسم آخر معرضين عن النص الى الاجتهاد والقياس .

إذا كنا قد نفذنا نص الشريعة فيما بينت لنا في خصوص الأموال المزكاة فهذا غاية العدل ولا يصح لنا أن نتخطاها باجتهاد ولا بقياس .

والذى يريد أن يجعل نوعا من المال زكويا لم تجعله نصوص السنة التى فصلت الأموال وبينتها لم تجعلها زكوية لا يمكن أن يصل الى ذلك إلا بالاجتهاد أو بالقياس . وهذا الذى ينهى السائل عنه علما بأن القياس نوع من الاجتهاد في تحقيق العلة كما لا يخفى وهى مجال واسع .

ولكن قسمة الأموال في مجالات متعددة لم تترك لاجتهاد يقع فيه اختلاف وجهات نظر ولا لقياس تختلف فيه العلة كما قسم الزكاة نفسها إنما الصدقات للفقراء ... الآية . والميراث . وكذلك الأموال المزكاة لما كانت الأموال متنوعة . جاءت السنة محددة.

ومعلوم أن القاعدة العامة في الزكاة هى الإرفاق فمن جهة المزكى حين يمتلك النصاب ويحول عليه الحول إلا الزرع . ومن جهة آخذها فلسد حاجته .

وقول السائل = الافتراضى = عندما نقول بفرض الزكاة على الريع أو الربح فإننا نكون قد أخرجنا أصل المال من وعائها . وفتحنا بابا للتهرب منها وألزمنا بعض أصحاب الأموال من المسلمين بدفع الزكاة عن أموالهم حتى عند تعرضهم للخسارة . وأعفينا أموال البعض الآخر لا نأخذ الزكاة إلا من أرباحها .

وهنا السؤال : هل من العلماء المعلومين من قال لازكاة إلا على الريع أو الربح ؟

إنى لا أعلم أحدا قال بذلك . وإن قاله أحد فهو محجوج بالنصوص ولا يكون قوله حجة على النصوص .

ومعلوم للجميع أن الأموال المزكاة عند فقهاء الأمة وفي المذاهب الأربعة هى كالآتى :
النقدان - اعمالها أو خزنها :
بهيمة الأنعام - نمت أو لم تنمُ ما دام النصاب موجوداً .
الحبوب والثمار - ما دام قد حصل على نصاب .
عروض التجارة - في نهاية الحول ربحت أم لم تربح ما دام تقويمها بلغ النصاب ولو أنها ربحت فإن ربحها يضم الى رأس المال ويعتبر الجميع مالا زكويا دون ما فرق بين أصل وربح .

حتى ذهب الفقهاء الى أبعد من هذا وهو لو كان الربح في السلعة الواحدة بسبب غلاء السعر . وقد نص النووى في المجموع على أنه لو اشترى سلعة بمائتين للتجارة ومكثت الى تمام الحول ولم تبع وأصبحت تساوى ثلاثمائة فإنه يزكى الثلاثمائة كاملة وهكذا في كل ربح متصل أو منفصل ناض أو غير ناض إذ العبرة على التقويم في نهاية الحول وتقوم بما هو أصلح للمساكين .

وعند الحنابلة نص في المغنى على أن من اشترى أرضا للتجارة وفيها نخيل فأطلع وأبَّره وبقيت الأرض حولا ولم يبعها واجتمع له من النخيل نصاب فإنه يزكى الأرض زكاة عروض ويزكى الثمار زكاة معشر كالثمار .

ورأى آخر يقول يقوم الجميع الأرض والثمار ويزكى الجميع زكاة عروض .
وبهذا يظهر أن الفقهاء لا يقصرون الزكاة على الريع أو الربح فقط اذا كان الأصل فيها للتجارة.
أما اذا كان الأصل للقنية وحصل منه ريع أو ربح فهو كالآتى :

١ - أرض زراعية .
٢ - عمارات سكنية .
٣ - مصانع إنتاجية .

وكلها إما لشخص وإما لشركاء كشركة مساهمة فعْلًا .

أما الأرض الزراعية ولشخص فإن النصوص جاءت في زكاة الزروع والثمار وفي مسميات الأجناس مخصوصة هى من الثمار التمر والزبيب والخلاف فيما عداهما من الثمار المجففة وكذلك في الزيتون أى فيما يعصر من زيته ... الخ .

وفي الحبوب كالبر والشعير والخلاف فيما لا يقتات من بقية الحبوب أما مالا يجفف من الفواكه كالتفاح والسفرجل ونحوهما كذلك الخضروات كالخيار والقثاء والبطيخ والقضب ونحوها فلا زكاة عليها عند الأئمة الثلاثة مالك والشافعى وأحمد . ولكن على أثمانها اذا حال عليها الحول وكانت نصابا كما روى مالك في الموطأ قوله :

والسنة التى لا اختلاف فيها عندنا . والتى سمعت من أهل العلم : أنه ليس في شىء من الفواكه كلها صدقة : الرمان والفرسك والتين وما أشبه ذلك وما لم يشبهه اذا كان من الفواكه . قال ولا في القضب ولا في البقول كلها صدقة ولا في أثمانها اذا بيعت صدقة حتى يحول على أثمانها الحول من يوم بيعها ويقبض صاحبها ثمنها وهو نصاب .

ولم يقل أحد قط إن الأرض الزراعية تزكى عينها كما تزكى ثمرتها .

ومن المعلوم أن الأرض بذاتها ليست قابلة للنماء في نفسها وإنما نماؤها في ثمرتها اللهم إلا أن تكون للتجارة فإن نماءها قد يكون في ارتفاع سعرها . وهذا الارتفاع في السعر لا يعود على المقتنى بشيء فسواء غلت الأرض أو رخصت فإن العائد عليه منها هو بيعها ما دام لن يبيعها . فليس من الإرفاق بالمالك أن يزكى عن الأرض بتقويمها كل سنة ويزكى غلتها من ثمار وزروع .

وقد نص أبو عبيد المتوفي سنة ٢٢٤ على الاجماع على أن لا زكاة في الخضر عند علماء الحجاز والعراق والشام .

أما العمارات السكنية : فإن كانت لسكنى صاحبها فلا زكاة فيها إجماعا . ولو كانت فسيحة أو تزيد على حاجته لأن له حق التوسع والتوسعة على نفسه وعياله . وقد كان للصحابة الدور الكبار مثل قصر سعد بالعقيق وغيره ولم يُنْقَل أنه كان يؤمر بتقويم مسكنه ويزكيه .

فان كان للكراء : فقد نص مالك أيضا في الموطأ بقوله : الأمر المجتمع عليه عندنا في إجارة العبيد وخراجهم وكراء المساكن وكتابة المكاتب أنه لا تجب في شيء من ذلك الزكاة قل ذلك أو كثر حتى يحول عليه الحول من يوم قبضه صاحبه .

فهو ينص على أن السكن اذا كان للكراء أى للاستغلال والنماء فإن الزكاة في كرائه فقط وحتى يحول عليه الحول .

وكذلك نص غيره قال في المغنى ما نصه : ولو أجر داره سنتين بأربعين دينارا ملك الأجرة من حين العقد وعليه زكاة جميعها اذا حال عليه الحول الى أن قال ثم إن كان قد قبض الأجرة أخرج الزكاة منها وإن كانت دينا فهى كالدين معجلا كان أو مؤجلا . وقال مالك وأبو حنيفة لا يزكيها حتى يقبضها ويحول عليها الحول بناء على أن الأجرة لا تستحق بالعقد وإنما تستحق بانقضاء مدة الإجارة .

ثم قال وعن أحمد رحمه الله رواية أخرى : فيمن قبض من أجر عقاره نصابا يزكيه في الحال فقد ذكرناه في غير هذا الموضع وحملناه على أنه حال عليه الحول قبل قبضه .

فهذه نصوص الفقهاء على كراء المساكن ومعلوم أن عين المسكن صغيرا أو كبيرا إنما هو مال مكتسب ومختص بمالكه ولا يحل لنا أن نأخذ منه شيئا بدون وجه مشروع . فمن ادعى المشروعية فيه فليبين دليل المشروعية وإلا بقى المال معصوما كعصمة دم صاحبه . كما في الحديث .

أما المصانع : فمعلوم أن كل مصنع أيا كان نوعه أنه لم ينشأ إلا لعمل تجارى وبقصد الاستفادة من إنتاجه وعليه فهو من أول وهلة مؤسس بمال للتجارة وَيَلْزَمُ أعتبار كل شيء فيه من عروض التجارة . إلا أنه ومواد صناعته وإنتاجه الصناعى يقوَّم جميعه وتزكى القيمة . كل هذا في العمارات السكنية وفي المصانع الإنتاجية إذا كانت لشخص .

فإن كانت لشركاء كشركة مساهمة نظرنا : إن كانت الأراضى الزراعية أو العمارات السكنية أو المصانع اشتريت أو أنشئت لتباع كتجارة فهى عروض تجارة لحساب المساهمين فإما أن تتولى إدارة تلك الشركة الزكاة عن الجميع : رأس المال والربح سواء في نهاية كل حول وإما يتولى المساهمون بأنفسهم زكاة أجزاء مشاركتهم أى أسهم مشاركتهم لمن بلغت أسهمه نصابا على ما هو معلوم .

وإن كانت ابتنيت المساكن للقنية ولكل مساهم حصة مشاعة ولكن للتأجير لا للتجارة كانت أعيانها على أملاك المشتركين وكان ما تحصل من أجرة يزكى إذا حال عليه الحول على الوجه المتقدم . لبقاء أعيان ذلك في ملكهم وإنما العائد عليهم منها هو الأجرة المتحصلة ومن كان عنده مال آخر يزكيه فإنه يضم حصته من الربح أو من الأجرة إلى رأس ماله الآخر ويزكيه مع سائر أمواله ولا يكون له حول مستقل .

وهذا أعتقد أنه واضح لا لبس فيه . وما كان عليه السلف فهو الذى ينبغى أن يسير عليه الخلف . وما تجدد من صور في أنواع الاستئجارات لن يغير في أصل القاعدة كما قال مالك في كراء المساكن قل ذلك أو كثر .

ومما تجدد من شركات نقل أو أعمال سياحة فكلها على قاعدة التملك للقنية أو للتجارة فمن يوجد عنده سيارة كمن يوجد عنده بعير في السابق في أصل الاستخدام ومن عنده عشر سيارات كمن عنده عشرة من الإبل .

ولم يقل أحد أن أصحاب الإبل التى كانت تنقل عروض التجارة على ابلهم في ذاتها زكاة . فكذلك اليوم وسائل النقل على اختلاف أنواعها لا زكاة في أعيانها وإنما الزكاة ف أجورها .

وهذا أيضا أعتقد أنه واضح لا لبس فيه .

أما السببان اللذان ذكرهما السائل للالتباس على الرأى وهما في قوله :

أولا : أننا نواجه أموالا لم تكن في عهد النبى صلى الله عليه وسلم كالعمارات والمصانع والشركات

فأعتقد إن هذا لا لبس فيه لأنها وإن كانت جديدة في أشكالها وصورها فليست جديدة في حقيقتها وأصلها لأن جنسها كان موجودا فالمساكن المؤجرة كانت موجودة وتقدم قول العلماء فيها وسواء أكانت صغيرة أو كبيرة فالكلام على الكيف لا على الكم . وكذلك المصانع فإن قضية حماس مع عمر رضى الله عنه لما رآه يحمل جلودا مصنعة بالدبغ ونحوها .فقال عمر رضى الله عنه أدِّ زكاة مالك . فإذا كان الأصل في جلود الحيوانات كمادة خام وهى الأهب . فإذا دبغت صارت أدما وقد قال حماس مالى مال إلا أدم أبيعها فهذا معناه تصنيع لما فيه من تطوير المادة الخام . وكذلك ما جاء في حديث سمرة في البزّ والبزّ نسيج تطورت فيه مادته من قطن أو كتان أو مخلوط الحرير مع أحدهما .

فيكون مبدأ التصنيع وزكاة انتاج الصناعة موجوداً ولو بصورة بسيطة أو مبسطة . فيلحق بها كل ما وجد من جنسها من المصانع أيا كان حجمها أو نوع إنتاجها .

وأقوى من هذا من حيث الإسناد . ما رواه الإمام أحمد وجاء في صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم يحث عمر على الصدقة فجاء فقال منع ابن جميل وخالد بن الوليد وعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينقم ابن جميل إلا إنه كان فقيراً فأغناه الله . وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً قد احتبس أدرعه وأعتاده في سبيل الله . وأما العباس فهى علىَّ ومثلها معها .. الخ فهنا آلات حرب مصنعة ظنوها عند خالد للتجارة فطالبوا بزكاتها .

ورد عنه النبى صلى الله عليه وسلم بأنها هى بنفسها مسبلة في سبيل الله فلا زكاة فيها أى لأنها

هى زكاة أى صدقة فتصدق بها . ومفهومه لولا ذلك لزكاها وهى مال مُصَنَّعٌ وجبت فيه الزكاة لولا أنها مسبلة عند خالد .

أما السبب الثانى لوجود الالتباس على الرأى وهو قول السائل أننا نشأنا في بيئة رأسمالية أثرت في نفوسنا واستقرت في أعماقنا إلى جانب عقيدتنا الإسلامية فأصبحنا نحاول التوفيق من حيث لا نشعر بين إسلامنا وبين حرصنا على أن يبقى المال بيد مالكه لا تؤثر عليه التشريعات الإسلامية .

فهنا يقال وبكل هدوء ما المراد بالبيئة الرأسمالية أهى على المفهوم الاقتصادى التمسك برأس المال أم المفهوم السياسى ما هو في مقابلة الشيوعية . ؟

وعلى كل إذا كنا نتفق بأننا نشأنا في بيئة مسلمة فان أقرب الاعتبارات لمدلول هذا القول هو المفهوم الاقتصادى فينبغى أولا وقبل كل شىء أن لا نتأثر بهذه التيارات الحديثة ولو في مسمياتها حتى أننا نسمى النظام الاسلامى باسم مستورد له مدلول خاطىء في نظر الاسلام .

لأن الإسلام ليس رأسماليا ولا حتى اشتراكيا . بل هو الإسلام بنظامه ومنهجه راعى حرمة الملكية وطالب بمساعدة من لا ملك له .

ويحث على الكسب المشروع ويحرم أى كسب غير مشروع والكسب غير المشروع هو المعروف عند الاقتصاديين ما كان في غير مقابل كالربا والميسر والاعتداءات كالسرقة والغصب والغش .... الخ

وعليه فلا يتأتى بحال من الأحوال أن يلتبس النظام المالى في الإسلام بأى نظام مالى آخر .

وبالتالى فلا نحتاج إلى التوفيق من حيث نشعر أو لا نشعر بين عقيدتنا وبين إبقاء المال بيد مالكه لا تؤثر عليه التشريعات الإسلامية .

ثم لماذا نحاول إبقاء المال بيد مالكه وهو بالفعل في يده ؟ هذا هو الأصل وهذا ما يسمى في الأصول استصحاب الأصل .

ولكن القضية بالعكس نريد أن نحاول إخراجه من يده بتشريعات جديدة وإسلامية . وهذا محل البحث فهل بالبحث وجدت تشريعاتِ إسلامية سوى ما كانت من قبل تخول إخراج المال من يد صاحبه ؟

وكلنا يعلم أن المال في يد صاحبه معصوم إلا بحقه والمسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه إلا بحقه .

ولا يحل مال امرىء مسلم إلا عن طيب نفس . إذاً فأين التشريعات الإسلامية التى نحاول أن نجنب مال صاحب المال عنها ؟

أما قول السائل بأنه يخشى أن يكون قاسيا إذا قال إننا عندما نصدر حكما إسلاميا نقف على أرضية رأسمالية تؤثر في أحكامنا وآرائنا فأقول بدون خشية ولا تخوف إن من يكون مثل ما وصف السائل من حيث موقفه وتأثره لا يكون فى قوله عليه قسوة . ومن كان بعيدا عن ذلك فهو بعيد عن أن تناله قسوته . والحق أحق أن يتبع .

ولكن يبدو أن في هذا الأسلوب وفي الاحساس بتلك القسوة ما يمكن أن يكون فيه تناقض إذا قلنا أحكاما إسلامية ونحن على أرض رأسمالية أى أنها أرض متأرجحة أو زلقة أى لا تثبت القدم عليها أو رأسمالية تتنافي مع الإسلام . فكيف نصدر أحكاما إسلامية من قاعدة غير إسلامية .

أعتقد أن الاحساس بالقسوة هو الذى ساق هذا التعبير .

وأما قول السائل إن بعض الكتاب المسلمين عند معالجتهم لهذا الموضوع بقولهم من أين يأتى صاحب العمارة بالزكاة اذا لم تؤجر أو ماذا يفعل صاحب المصنع اذا كانت زكاة مصنعه أو عمارته مقومة أكثر من ربحه أو بدل إيجار عمارته .

فيقال أولا : وأى عمارة الآن في أى قطر معطلة عن السكن لانعدام الساكن ؟ وهل بنيت إلا استجابة لحاجة المجتمع إلى سكن ؟

أما كون ربح المصنع لا يفى بزكاة ما يقوم به فهذا بعينه يرد على مال التجارة فقد يخسر ولا يكسب شيئا ومع ذلك فإنه يقوم ما يوجد عنده لأنه مال زكوى والربح والخسارة أمور عارضة كمن عنده نقد ذهب وفضة ولم يعملها في شىء يربح منه فإنه سيزكيه من عينه ولو أدى الى نقصانه كل سنة كما قالت عائشة رضى الله عنها : اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الصدقة .

أما قول السائل مبديا رأيه بما نصه :

(أما عن الأموال التى لم تكن موجودة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى اليوم معظم مجموع مال الأمة من عمارات ومصانع وشركات وغيرها فإننى أرى أن الصحيح أن نطبق عليها حكم القرآن والسنة قبل أن نلجأ إلى الإجتهاد - « والذين في أموالهم حق معلوم » - وجميعها أموال سواء أكانت منقولة أو غير منقولة وسواء أكان الاتجار بأعيانها أو منافعها . وقد جعل الله الحق العام فيها لا في أرباحها ولا في ريعها) .

إن قول السائل عن الأموال التى لم تكن موجودة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بينا أنها كانت بأجناسها فليس في الأمر جديد من حيث الأصل .

وأما رأى السائل في تطبيق القرآن والسنة . فإن للآخرين أن يقولوا بالموجب المعروف عند الأصوليين وهو القول بموجب ما يقول السائل به فعلا .

ولكن وما هو حكم القرآن والسنة . وقد قدمنا أن قوله تعالى « حق معلوم » قيد الحق المطلوب بأنه معلوم ولا معلوم في التشريع إلا من جهة المشرع والسنة فسرت وأعلمت وليس لأحد حق في تشريع جديد .فنقول نعم إن العمارة والمصنع والأرض مال . ولكن عموم المال قد جاء تخصيصه وجاء بيان المخصوص منه وبيان المزكى منه وبيان الحق المطلوب فيه .

وقد درست هذه المسألة حديثا على مستوى المؤتمرات ومجامع البحوث واتفقت الكلمة على أن لا زكاة في أعيان العقارات ولا أعيان الأراضى الزراعية كما جاء في كتاب « التطبيق المعاصر للزكاة » للدكتور شوقى إسماعيل شحاته طبع سنة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م جاء في الباب السادس منه زكاة إيرادات الأموال العقارية .

جاء في الفصل الثانى منه عنوان زكاة العقارات المبنية ذات الإيراد . قال في مستهل كلامه منه ما نصه : لا شك أن الدور والمبانى إذا كانت للسكنى الخاصة فلا تجب فيها الزكاة لأنها مال يراد لحاجة أصلية .

ثم يقول أما الآن وقد أصبحت الدور والمبانى تشيد بقصد الاستثمار طلبا للفضل والنماء الى أن يقول لذلك يتعين إخضاعها لزكاة المال .

ثم يقول إنها لا تخضع لزكاة التجارة وإن مكانها بين الأموال العقارية ذات الإيراد شأنها شأن الأطيان الزراعية التى تؤخذ زكاة الزروع والثمار من غلتها .

ثم نقل رأى حلقة الدراسات الاجتماعية بدمشق سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م وهو قياس زكاة العقارات المبنية ذات الإيراد على زكاة الزروع والثمار حيث إن كلا منها يعتبر أصلا ثابتا يدر إيرادا .

ونقل أيضا رأى مجمع البحوث الإسلامية في مؤتمره الثانى سنة ١٣٨٥ هـ وأن المؤتمرين قرروا أن لا تجب الزكاة في أعيان العمائر الاستغلالية والمصانع والسفن والطائرات وما شابهها بل تجب الزكاة في صافي غلتها عند توافر النصاب وحولان الحول .

ثم ناقش ما يكون من زكاة أهو ٢/٥ ٪ أو ١٠ ٪ كالزرع الخ .فهم يتفقون بخصوص العقارات أن لا زكاة في أعيانها .

وهذا الذى يهمنا في قراراتهم حيث إنها الموافقة للنصوص . وإن كنا نختلف معهم في كل ما ذكر من طائرات وسفن .... الخ وفي نسبة ما يكون فيها من الزكاة .

وأعتقد أن للشيخ محمد أبى زهرة رأيا كذلك في هذا بأن الأعيان لا زكاة فيها ولا حول في زكاة أجرتها . على رأى قدمناه عند الحنابلة وإن كان مرجوحا .

أما قول السائل بأن القول بأخذ الزكاة من أرباح المصانع وايجار العمارات قد فتح أبوابا كثيرة كلها تريد التنصل من الزكاة . فهذا يقول بلزوم نفقات الزروع أولا وذاك يقول لا زكاة في المعلوفة من الأغنام . وآخر يقول لا زكاة في عروض التجارة وهناك من يقول لا زكاة في المجوهرات التى تتعدى أقيامها مئات الآلاف والتى تزين صالات الأغنياء وقصور المترفين . ومن قائل لا زكاة إلا في الذهب والفضة والحنطة والشعير والزبيب والغنم والإبل والبقر إلى آخر ما هنالك من آراء تخرج معظم الأموال من الزكاة .

فأقول وبالله التوفيق إن من هذه الأقوال الصحيح والباطل . ومعلوم ما قاله مالك رحمه الله كل كلام فيه مقبول ومردود الا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم .

وانى لمورد إلمامة موجزة على هذه الأصناف بإذن الله :

(١) أما المصانع والعمارات فقد قدمنا القول فيها .

(٢) وأما اخراج نفقات الزرع أولا فهذا تفريع لا تأصيل لأن زكاة الزرع متفق عليه وتقدير النفقات محل خلاف والرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يوصى العامل بشىء عن النفقات .

(٣) أما زكاة المعلوفة : فإن الأصل في ذلك الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم في سائمة الغنم الزكاة . فكان مفهوم الوصف الذى هو السوم أن لازكاة في المعلوفة لانتفاء وصف السوم المذكور . ولكنا

نقول إذا كانت المعلوفة معدة للتجارة ففيها زكاة التجارة وعلى نظام التجارة بالتقويم لا زكاة الغنم بالعدد .

(٤) أما عروض التجارة فالنصوص متضافرة في زكاتها ولم يخالف الجمهور فيها إلا داود ولم يؤثر ذلك في الوجوب ولا عبرة بمن خالف فيها ..

(٥) اما المجوهرات : فمادمنا مقيدين بالنص كتابا وسنة . والأصل في الإسلام عصمة المال كعصمة الدم سواء بسواء لا يجوز شيء منهما إلا بحقه . وجاءت نصوص الزكاة عامة وخاصة أى عموم (وفي أموالهم) (وخذ من أموالهم) واتفقنا أن هذا العموم قد خصص بأصناف معينة .. وقيد بقيود مميزة . وبينتها السنة بيانا شافيا .

فهل وجدت من النصوص ما يدخل الجواهر في الزكويات ولو عن الخلفاء الراشدين وبعد الفتوحات وأخذ الغنائم من كسرى وقيصر وبعد أن فتحت مصر والشام والبلدان المعروفة وغنم المسلمون من الجواهر الشيء الكثير كما هو معلوم . وكان للخلفاء الراشدين حق وضع السنن للناس فيما استجدلهم فهل يوجد عن أحد منهم نص في ذلك . وهذا نص أبى عبيد نحو هذا يقول :

وإنما اختلف الناس في العنبر واللؤلؤ فالأكثر من العلماء على أن لاشيء فيهما كما يروى عن ابن عباس وجابر وهو رأى سفيان ومالك جميعا .

ومع هذا إنه قد كان ما يخرج من البحر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فلم تأتنا عنه فيه سنة علمناها ولا عن أحد من الخلفاء بعده من وجه يصح فنراه مما عفا عنه كما عفا عن صدقة الخيل والرقيق .

فتراه هنا وهو إمام في هذا الباب وعاش في القرن الثانى وأدرك أوائل القرن الثالث أى أدرك القرون المشهود لها بالخير وآثار الفتوحات ينص على اللؤلؤ وهو من الجواهر الكريمة وإن كان بحريا فيكون مثله الجواهر البرية من الأحجار الكريمة .

وهذا هو عمل الأئمة رحمهم الله .

وقد يقال إن الوعيد في منع الزكاة جاء النص فيه على الذهب والفضة فقط « **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم** » . ولم يأت في غيرهما من الحلى والجواهر . وقد يرشح لهذا قوله تعالى « **يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم** » . والذى هو صالح ليحمى عليه هو المعدن . وجاء في الحديث ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى زكاتها إلا إذا كان يوم القيامة صفح له صفائح من نار فيكوى بها جبينه وجنبه ... الخ وهو الذى يتناسب مع الذهب والفضة ولا يتأتى صفائح من الأحجار الكريمة وجاء النص على بقية الأموال الزكوية من إبل وبقر وغنم .... الخ .

وجهة نظر : ولى وجهة نظر أعرضها للمناقشة وهى :

إنه من المعلوم أن الذهب والفضة هما قيم الأشياء وأثمانها ويقولون إن فرض الزكاة فيها يمنع

كنزها وتجميدها ويدفع بصاحبها إلى دفعها في الأسواق وتعميلها فيسهم في إنعاش اقتصاد الأمة . أقول وبالتالى فإن الجواهر عنصر جامد لا يؤدى وظيفته النقدية أى بعبارة أخرى الذهب والفضة مال سيال والجواهر مال جامد . بل إنه لا نماء فيه فالأرض والعقار وعروض التجارة مال جامد صامت لكنها كلها مال نام متحرك . وبذلك فقد غايرت الجواهر جميع أصناف المال من هذه الناحية .

بقى ما أشار اليه السائل من أنها تساوى الملايين ويزين بها القصور ونحو ذلك . فيقال إن فُعِل ذلك للزينة فقط فلا بأس وله دليل من قوله تعالى « **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده** »

وان كان فُعِل ذلك تهربا من الزكاة وإذا مضى الحول حَوَّلها الى مال نامٍ يستغله فإنها حيلة لا تصح ولا تعفيه من المسئولية .

وأعتقد أن في هذا الكفاية من هذا الوجه والله تعالى أعلم .

ومما يستأنس به ما نص عليه ابن حزم أنه لا زكاة في المجوهرات مطلقا وقال « لأنه مال مسلم محترم لا يؤخذ إلا بنص صحيح صريح » .

أما مناقشة السائل للحاصل الزراعى وأنه ليس ربحا محضا فتقدم الكلام عليه بما لا يحتاج إلى إعادة .

ولكن في قوله : الذى أعتقده بخصوص الأرض أن المزارع كان يملك أرضه التى يزرعها بنفسه وهى في هذه الحال مال غير نام مشغول بالحاجة الأصلية كحانوت البائع أو محل التاجر . وآلة الزراعة يومها لا تعدو أن تكون محراثا ... الخ وعلى هذا الأساس فإن كل ما يملكه المزارع وقت الحصاد من مال هو حاصله الزراعى . وأخذ الزكاة من الحاصل يعنى أخذها من المال وليس من الربح أو النماء .

أقول إن المتأمل في هذا القول يجد شبه تخالف لأن تلك الأرض التى كان يزرعها المزارع والتى هى مشغولة بالحاجة هى التى جاء النص فيها (وأتوا حقه يوم حصاده) وهى التى أخذ النبى صلى الله عليه وسلم فيها العشر أو نصفه فهى إذاً زائدة عن شغل الحاجة وليس في عينها زكاة .

أما أنها كانت لا قيمة لها فهذا باب آخر أطال الكلام فيه الأستاذ أبو الأعلى المودودى بما لم يقله إمام من الأئمة وليس عليه عمل من سلف الأمة فلا حاجة الى نقاشه .

أما قول السائل بأن الأرض كانت تملك بطريق التصرف أى والإحياء وليست مالا . فإنكم لو أعيد النظر لوجد أن الأرض في ذلك الوقت هى عين المال . ألم يشتر النبى صلى الله عليه وسلم أرض المسجد أول قدومه المدينة .

ألم تكن الأرض موضع الغرس . وغرس النخل أطول الأشجار عمرا ؟

إن الأرض التى تملك بالتصرف هى الأرض المَيْتة التى لم تكن محياة لا بزرع ولا بنيان ولا غير ذلك . وقد كان الإمام يقطع ما شاء منها لمن شاء وإلا لما كان للاقطاع من الإمام محل اذا كانت الأرض ليست مالاً وتملك بالتصرف . وعليه يقال : كانت الأرض موجودة والزكاة مفروضة ولم يأخذ صلى الله عليه وسلم زكاتها فعَدم الفعل مع وجود المقتضى وعدم المانع يدل على عدم الوجـوب .

أما اعتقادالسائل مرة أخرى أن حولان الحول يتحقق على الحاصل الزراعى وقت الحصاد لاستغراق الموسم الزراعى حولا ابتداء بالحراثة والبذر ونحوه . فهذا يغاير طبيعة الزراعة لأن أطول الزراعة عمرا في الأرض هو القمح ومدته لا تتجاوز ستة أشهر . أما الذرة فلا يصل ثلاثة أشهر وفيه مع ذلك مغايرة لما عليه جمهور المسلمين .

أما مشروعية زكاة البقر : فجاء في رسالة السائل أن أبا بكر رضى الله عنه أخذ الزكاة عن الإبل والغنم ولم يعلم وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن على البقر زكاة لأن بلاد نجد والحجاز بلاد غنم وإبل إلا أن معاذا رضى الله عنه عندما ذهب إلى اليمن وجد فيها البقر تجارة نامية فسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عنها فأخبره بوجوب الزكاة فيها وروى ذلك عنه .

الواقع أن زكاة البقر مشروعة قبل أن يذهب معاذ إلى اليمن وقد جاء في خطاب عمرو بن حزم الأنصارى الذى فيه أنصباء الزكاة وفي نص حديث بعث معاذ نفسه عن ابن عباس قال « لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن أمره أن يأخذ من كل ثلاثين من البقر تبيعا أو تبيعة جذعا أو جذعة . ومن كل أربعين بقرة بقرة مسنة . قالوا : فالأوقاص قال ما أمرنى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء . فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله فقال : ليس فيها شيء .

وبهذا لم يكن تشريع زكاة البقر نتيجة تجدد العلم بوجود هذا النوع من المال ولم يكن يعلم عنه من قبل حتى نجعله قاعدة لاجتهاد جديد .

بل إن بعض النصوص تربط زكاة البقر بزكاة الإبل لمشاكلتها بها وفي الحديث الطويل ما من صاحب كنز .. الخ ولا صاحب بقر لا يؤدى زكاتها .. الخ راجع نيل الأوطار .

زكاة الخيل : وقال السائل وكذلك فعل سيدنا عمر عندما أخذ الزكاة عن الخيول وقد أصبحت في عهده أموالا وتجارة رغم أن رسول الله صلى عليه وسلم لم يأخذ الزكاة فيها .

وأود أن أذكر أن عمر رضى الله عنه وأرضاه لم يأخذ الزكاة في الخيل ولم يأخذ ما أخذه ابتداء من نفسه .

ولم يطالب أهل الخيل بشىء فيها وإنما حقيقة الأمر كالآتى :

أولا عدم وجوب الزكاة فيها لقوله صلى الله عليه وسلم ليس على المسلم صدقة في عبده ولا فرسه . ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الوعيد الشديد في مانع الزكاة في الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم قالوا والخيل يا رسول الله قال الخيل معقود في نواصيها الخير وذكر أقسامها الثلاثة : أجر وستر ووزر . وبين أن الأول المحتبسة في سبيل الله والثانية المستغنى بها صاحبها . والثالثة التى ربطها صاحبها بطرا .... الخ وذكر ولم ينس حق الله في ظهورها وفسر بمعان عديدة . ولم يأخذ صلى الله عليه وسلم فيها زكاة قط .

هذا هو الأصل وكذلك كان الحال في خلافة الصديق رضى الله عنه أما عمر فلم يخرج عن هذا الأصل . والأصل في أخذه فيها هو ما رواه أحمد رحمه الله أن عمر رضى الله عنه جاءه ناس من أهل الشام فقالوا إنا قد أصبنا أموالاً خيلًا ورقيقاً نحب أن يكون لنا فيها زكاة وطهور . قال : ما فعله صاحباى

قبلي فأفعله . واستشار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم على رضى الله عنه فقال على : حسن إن لم تكن جزية راتبة يأخذون بها من بعدك فتراه هنا يعرض عن أخذ الزكاة محتجا بعدم أخذ صاحبيه من قبله .

ونرى عليا رضى الله عنه يحسن أخذها ما لم تكن جزية يأخذون بها من بعد عمر رضى الله عنه .

فأين فرضية الزكاة في الخيل في فعل عمر . أم تكون جزية يأخذون بها اليوم .

ثم إن القائلين بزكاة الخيل وهم الأحناف فقط مختلفون في كيفية زكاتها .

هل على كل رأس دينار أو تقوم أم ماذا وذلك لعدم النص في ذلك .؟

هذا كله إذا كانت الخيل للنماء وأما التى كعروض تجارية فهى مزكاة زكاة التجارة بإجماع .

أما ما نواجهه اليوم من شركات الدواجن للحم والبيض ورؤوس أموالها بالملايين فهل يتركها الإسلام بلا زكاة .

ويقول السائل أنكم تعتقدون أن الكتاب والسنة من جهة والعدل في فرض التكاليف من جهة أخرى كلها تقضى بفرض الزكاة على الأموال .

أقول وبالله التوفيق إن إعتقاد السائل هذا صحيح ما دامت تلك الشركات تشغل وتستثمر الملايين وهى أعمال نامية سواء في دواجن أو أسماك ما دامت للتجارة وإن كان أصل السمك لا زكاة فيه فإذا أدخل في التجارة بالصيد والبيع أو التصنيع فإنه حينئذ يزكى كل المال الذى يعمل لذلك .

وأما قول السائل إن مجال الاجتهاد واسع في ميادين أخرى .

فهذا حق ومحل الاجتهاد في باب الزكاة اليوم هو إلحاق المسكوت عنه الذى استجد بنظيره المنصوص عليه كجميع أنواع الأعمال التجارية بل مثل شركات الإنشاء وعمل المقاولات فإن على ذلك كله زكاة فيما يعمل ويسهم في الاستثمار نزكى الآليات والمواد المستخدمة كلها مع ما تحصل عليه الشركة من أرباح تقدر الآليات وتضاف قيمتها الى ربح العملية ويزكى الجميع . وهذا هو الاجتهاد بأوسع معانيه .

أما الضرائب التصاعدية أو غير التصاعدية فإنها تؤخذ باسم الدولة لمصلحة خزينة الدولة ولتغطية نفقات رسمية لا صلة لها بالمساكين ولا مصارف الزكاة .

فهى وإن كانت لمصالح الدولة وقد تضطر الدولة التى لا موارد لها إلى أن تفرض مثل ذلك على الأموال لسد حاجاتها بل ولتجهيز جيوشها على ما هو معلوم إلا أن فيها من الظلم مالا يخفى في جعلها تصاعدية حتى تصل الى ٩٠ ٪ أحيانا .

ولهذا مضاره على الفرد وعلى الجماعة معاً من تساهل في الإنتاج وتحايل على الدولة نفسها ومحاولة توسيع النفقات وقد حدثنى شخص حاج عن رحلات بعض المواطنين إلى أوربا وتبذير الأموال بأن من دوافع ذلك تصعيد حساب النفقات باسم التجارة حتى لا تذهب الأرباح في الضريبة التصاعدية .

وسبق أن نشرت بعض المجلات عن ذلك في السابق عن البرلمان البريطانى تكلم وزير الخزينة وقال رفعنا من نسبة الضريبة ولم ترتفع نسبة الدخل إلى الخزينة فأجابه عضو برلمانى قائلا بقدر ما ترفعون من الضريبة بقدر ما يحتالون على مفتش الضرائب .

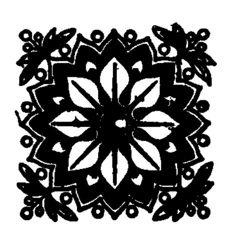
ولعل بهذه المناسبة يظهر لنا فضل ونبل ورفعة مكانة الزكاة في الإسلام إذ يشعر المزكى أنه يخرجها في سبيل الله وينتظر العوض من الله أضعافا مضاعفة وقد جاء في زمن النبى صلى الله عليه وسلم أن عامله أتى على صاحب إبل بضواحى المدينة (الحناكية) فوجد عليه بنت مخاض فقال صاحب الإبل هذه صغيرة لا ظهر لها فيركب ولا ضرع فيحلب ولكن هذه ناقة كوماء فخذها في سبيل الله فتشاح هو والعامل . العامل لا يريد التعدى بأكثر مما يجب والمالك لا يرضى بالصغيرة في سبيل الله . صورة نزاع لم يشهد التاريخ لها مثيلا وأخيراً قال العامل له إن كان ولا بد فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم منك قريب فخذها وادفعها له أنت بنفسك فذهب بها وسأله صلى الله عليه وسلم طيبة بها نفسك ؟ فقال نعم .

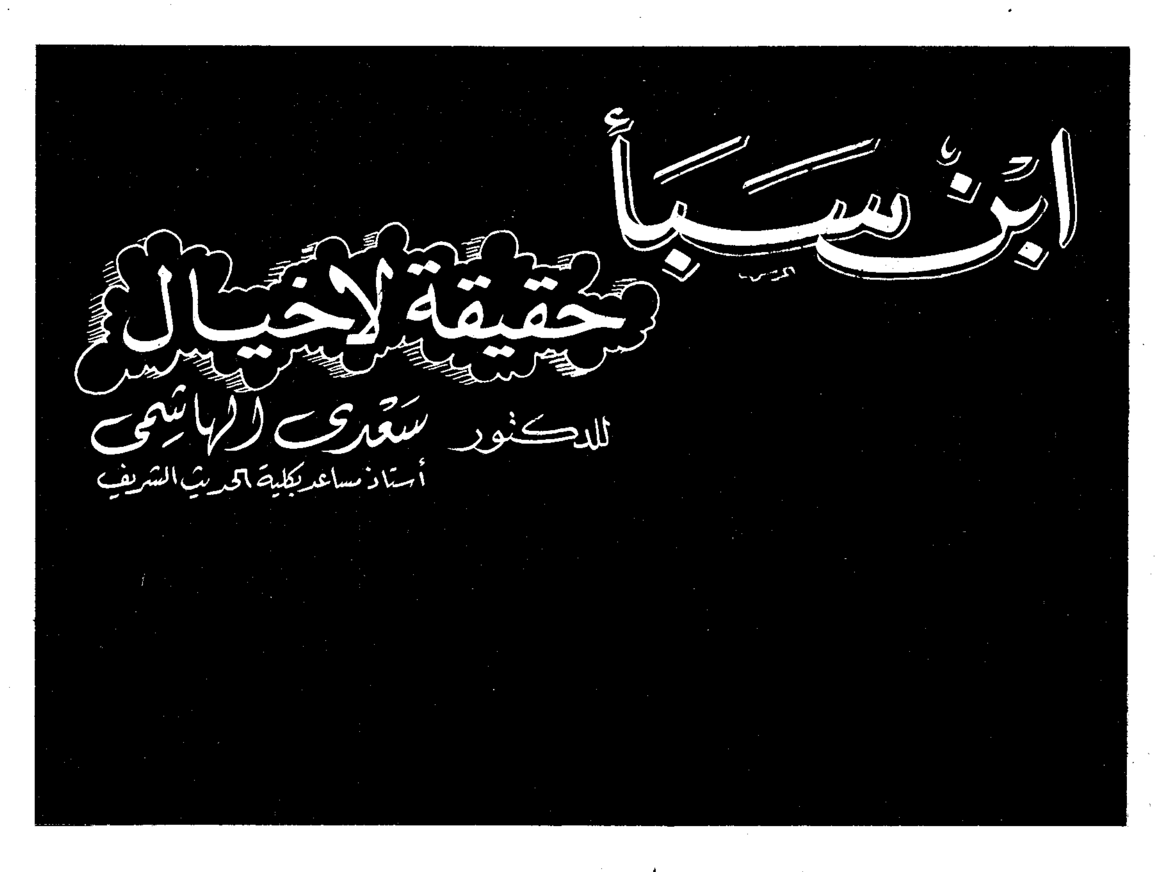
فقال للعامل خذها ودعا لصاحبها بالبركة في ماله فكان في زمن معاوية يخرج عددا من الإبل زكاة ماله .

فأنت ترى خلفيات نظام الضرائب من نتائج عكسية في الاقتصاد والنماء وغضاضة في النفس .

بينما إيجابيات نظام الزكاة زيادة في النماء وانتعاش في الاقتصاد وطيبة نفس في العطاء وطهرة للجانبين معا .

وبالله تعالى التوفيق وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .





فلقد اتفق المحدثونَ وأهل الجرح والتعديلِ والمؤرخونَ وأصحاب كتب الفرقِ . والمللِ والنحلِ والطبقاتِ والأدبِ . والكتب الخاصة في بعض فنونِ العلم عَلى وجودِ شخصيةٍ خبيثةٍ يهودية . تلك هي شَخصيةُ عبد الله بن سبأ الملقب با بن السوداءِ الذي قام بدورٍ خطيرٍ . وبذرَ الشرَ المُستَطير بين المنافقينَ والشعَوبيينَ ومن في نفسهِ أهواءُ وأغراض . أظهرَ الإسلامَ في عهدِ عثمان رضى الله عنه . وأظهرَ الصلاحَ والتقربَ من على رضى الله عنه ومحبتهِ . وطَافَ بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعةِ الأئمةِ فبدأ بالحجازِ ثم بالبصرةِ ثم بالكوفةِ . ثم دخلَ دمشقَ فلم يَقدِر على ما يُريد عند أحدٍ من أهل الشام . فأخرجوه فذهب إلى مصرَ وإستقر بها . وأخذ يُراسل وُيكَاتب بعضَ المنافقينَ والحاقدينَ الناقمين على خليفةِ المسلمين . وجَمعَ حوله الأعوان . ونَظَمَهمُ وأخذ يَبُث بينهم معتقده الخَبيث . ودَربَهم على روح التمردِ والإنكار حتى تجرؤوا على قتلِ ثالثِ الخلفاءِ وصهرِ المصطفى صلى الله عليه وسلم جامعِ القرآن عثمان بن عفان شهيد الدار رضى الله عنه وارضاه . . ولم يَرْعَوْا حرمَةَ حرم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ولم يبالوا بتلاوتهِ للقرآن ولا الشهر الحرام .

ولم ينكر هذا من له حظُ من علمِ . ومسكةُ من عقلٍ إلا في العصرِ الحاضرِ من هذا القرن . وهم نفرٌ قليلٌ ما بين مستشرقٍ حاقد ومتابع لهم ومُتقرب الزُلفى لمدارِسهم وفِكرهِم من أبناء جلدتنا الذين يتكلمون بألسنَتِنا . ومسلمٍ جاهلٍ أو منكرٍ مكابر من بعض شيعة اليوم . وهؤلاء جميعا جانبوا الحق الصريح وتمسكوا بأقوالٍ متناقضةٍ هى أو هى من بيت العنكبوت .

مـوقف المستشرقين

أما المستشرقون فأنكروه وقالوا إنه شخصيةٌ وهميةٌ تخيلها محدثوا القرن الثانى ومن هؤلاء المستشرقين الذين أنكروه اليهودى الانكليزى الدكتور برنارد لويس .LEWIS,B (١) ، ويوليوس فلهوزن WELLHAUSEN. J (٢) اليهودى الألمانى الذى بدأ دراسته باللاهوت · وفريد لاندر FRIEDLAENDER .(٣) الأمريكى . والأمير كايتانى CAETANI LEONE (٤) الإيطالى ·

ومن المعلوم عند العقلاء المنصفين أن ديننا وعقيدتنا وتاريخنا وما يتعلق بتراثنا لا يمكن أن نعتمد فيه على تقولات ودراسات هؤلاء الحاقدين الذين ينضوونَ تحت راية الحروب الصليبية بمنهج وأسلوب فكرى · لا أسلوب السيف والبارود ولو كانوا أصحاب نوايا صادقة لشرح الله صدورهمُ بالإيمان لما أطلعوا على صفاء الاسلام ونقاء ثوبه · ولكنهم كرسوا جهودَهم وأفنَوْا حياتَهمُ في إلقاءِ الشُبهاتِ والشكوك والضلال والريب بكل ما يتعلق بالقرآن والسنة والعقائد والنظم الإسلامية والتاريخ الاسلامى · ومعظم هؤلاء المستشرقين من القُسَسُ واليهود · وأعمالهم ومناهجهم تنظم ما بين الكنيسة ودوائر المخابرات ووزارات الخارجية الا أفراداً هوايتهم العلمُ والبحثُ وهم قلةٌ قليلةٌ ·

أتبـــاع المستشرقــين

أما أتباع المستشرقين الذين خدعوا بهم وغَرَهمُ منهجُهم العلميُّ المزعوم فيرددون ما يطرحون من أفكارٍ ودراساتٍ ويُدندنون حولَ معتقداتهم لينالوا الزلفى منهم وعلى رأسهم الدكتور طه حسين (٥) . الذى غذى حُجيرات مُخه بفكرِ المستشرقين حتى كان يقول : « إننى أفكرُ بالفرنسيةِ وأكتبُ بالعربية » (٦) ·

ويكفيه خِزيا أنه كان مطيةً لليهود . فدعاةُ الشيوعيةِ في مصرَ في مطلعَ هذا العصر كانوا يهودا وهم « هنرى كوريل . وداؤول كوريل . وريمون أجيون » وكانوا هؤلاء وغيرهم يمولون الحركاتِ

---

(١) أنظر : أصول الاسماعيليين والاسماعيلية . تعريب خليل جلو وجاسم الرجب ص ٨٦ ـ ٨٧ ·

(٢) أنظر : الخوارج والشيعة ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ·

(٣) أنظر : عبد الله بن سبأ والشيعة نشرة في المجلة الأشورية ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ ·

(٤) أنظر : أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ·

(٥) أنظر : على وبنوه ص ٩٨ ـ ١٠٠ والفتنة الكبرى ·

(٦) أنظر : طه حسين للأستاذ أنور الجندى ص ٤٣ ـ ٤٤ ·

الشيوعية بالمال وقيل بالجنس أيضا . وقد تعاقدوا مع الدكتور طه حسين على إصدار مجلة الكاتب المصرى . وكان الدكتور طه حسين قد أعلن تأييدهُ لمفهوم اليهودية التلمودية باكرا حين أنكر وجود ابراهيم واسماعيل وكذب القرآن والتوراة ولم يكن يُعرف في هذا الوقت الباكر أن ذلك تمهيدٌ لتحقيق أهداف الصهيونية (١) وغير ذلك من الأفكارِ والضلالاتِ التى لم يجرؤ حتى المستشرقون بالإفصاح والإعلان عنها (٢) .

ـ أضــواء على طـه حســين ـ

ومن المعلوم عن طه حسين أن أباه جاء الى صعيد مصر ـ مديرية المنيـا ـ من بلدٍ غير معلومٍ من المغربِ وكان يعملُ وزّانا في شركةٍ يهوديةٍ للسكر . وطه حسين هو الذى تبنى إصدار قرارٍ بتعيين الحاخام اليهودى (حاييم ناحوم أفندى) حينذاك عضوا في مجمع اللغة العربية في القاهرة ليكون عينا على المفكرين ورجال اللغة . كما أنه عين عددا من الأساتذة الأجانب في كلية الآداب استوردهم وبعضهم يهود وكلهم كانوا يحاربون الإسلام أو يشككون فيه . وأول دكتوراه منحتها (كليـة الآداب) في جامعة القاهرة تحت اشراف الدكتور طه حسين كانت بعنوان (القبائل اليهودية في البلاد العربية) تقدم بها (اسرائيل ولفنسون) عميد جامعة هاداسا في تل ابيب الآن (٣) .

بعد هذه الأضواء التى تظهر لنا بوضوح ولاء الدكتور طه حسين لليهود لا نستغرب من إفكاره لابن سبأ . يقول طه حسين : إن أمر السبأية وصاحبهم ابن السوداء إنما كان مُتكلفاً منحولاً قد أُختِرعَ بأَضَرَة فحين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية . أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصرا يهوديا إمعانا في الكيد لهم والنيل منهم ... الخ كلامه (٤) .

ـ أدلـة الدكتــور طـه حســين ـ

ويستدل على ماذهب إليه البلاذرى لم يذكر شيئا عن ابن السوداءِ ولا أصحابهِ في أمر عثمان .

ثم يستغرب الدكتور طه حسين كيف أن حادثة تحريق علىّ للذين ألهوه والتى ذكرها الطبرى كيف لم يذكرها بعض المؤرخين ولم يُؤقتها . وأنما أهملوها اهمالاً تاما (٥) .

---

(١) أنظر : المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الاسلامى للأستاذ أنور الجندى ص ٨٠ ط ٢ / ١٩٧٧ م .

(٢) أنظر : طه حسين للأستاذ أنور الجندى .

(٣) أنظر : مع رجال الفكر في القاهرة لمرتضى العسكري ص ١٦٦ ط الأولى / ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م القاهرة .

(٤) أنظر : [illegible] لطه حسين ص ٩٨ ـ ١٠٠ .

(٥) أنظر : المصـــدر الســـابق .

ـ الـرد عليـــه ـ

أمـا عدم ذكر البلاذرى لا بن سبأ فلا يعنى أسطورة وجوده . لأنه قد يذكر بعض المؤرخينَ مالا يذكره البعضُ الآخر منهم . ثم هل التزمَ البلاذرى بذكرِ كل الوقائع والأحداث ؟ وربما لو ذكر البلاذرى أخبار ا بن سبأ وأصحابه لقال البلاذرى لا يعتَمدُ على أخبارِه لأنه غير متفق على توثيقه (١) .

أمـا حادثة تحريق الإمام على رضى الله عنه للذين ألهوه فسنذكرها في موقف الإمام على من عبد الله بن سبأ وأصحابه . حيث ذُكرتْ في أصح الكتبِ بعد كتاب الله عز وجل وهذه الروايات تغنى عن الروايات التاريخية . إضافة إلى ذلك فقد ذكَرت في الكتب الموثقة عند الشيعة .

ـ الدكتور محمد كامل حسين ـ

واعتبر الدكتور محمد كامل حسين قصةً ا بن سبأ أقرب إلى الخرافات منها إلى أى شئ آخر (٢) . متابعاً في ذلك الدكتور طه حسين . ولم يذكر أى دليلٍ لما يراه .

ـ الدكتور حـامد حفنى داود ـ

وكذلك يرى الدكتور حامد حفنى داود رئيس قسم اللغة العربية بجامعة عين شمس أن ا بن سبأ من أعظم الأخطاءِ التاريخيةِ التى أفلتتْ من زِمام الباحثينَ وغمّ عليهم أمرها فلم يفقهوها ويفطَنُوا إليها . هذه المفتريات التى افتروها على الشيعة حتى لفقوا عليهم قصة عبد الله بن سبأ فيما لفقوه واعتبروها مغمزا يغمزون به عليهم (٣) .

ـ الـرد عـليـــه ـ

والدكتور حامد هذا أحد المخدوعين بفكرة التقريب . بل أحدُ الدُعاةِ اليها . فلا يستغرب منه هذا الكلام مادام يَتقربُ من المشككينَ بكتاب اللهِ والطاعنينَ في صحابةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين ينالونَ من أمهاتِ المؤمنين رضى الله عنهن أمثال مرتضى العسكرى صاحب كتاب(خمسون ومائة صحابى مختلق) وكتاب (أحاديث أم المؤمنين عائشة) .

---

(١) أنظر : ترجمة أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذرى المتوفي سنة ٢٧٩ هـ في : معجم الأدباء لياقوت الحموى ج ٩٢/٥ . لسان الميزان ج ٣٢٢/٨ـ٣٢٣ ، تهذيب تاريخ دمشق ج ١٠٩/٢ ، البداية والنهاية لا بن كثير ج ٦٥/١١ـ٦٦ . النجوم الزاهرة ج ٨٣/٣ .

(٢) أنظر : أدب مصر الفاطمية ص ٧ .

(٣) أنظر : التشيع ظاهرة طبيعية في اطار الدعوة الاسلامية ص ١٨ وكتاب مع رجال الفكر في القاهرة لمرتضى العسكرى ص ٩٣ .

ـ الشيعة الذين ينكرون ابن سبأ ـ

أما الشيعةُ في العصرِ الحاضرِ فينكرون وجود ا بن سبأ . والسبب الحقيقى لإنكارهم إياه عقيدتهُ التى بثها وتسربتْ إلى فِرقِ الشيعة حتى المتأخرةِ منها ، وسنذكر أقوالَ وآراءَ المنكرين ثم نُثبتُ وجودهُ وعَقيدتهُ من المصادرِ المعتمدةِ عند الشيعة ٠

ـ محمد جواد مغنية وابن سبأ ـ

عبد الله بن سبأ في نظرِ الشيخ محمد جواد مغنية هو البطلُ الأسطورى الذى اعتمد عليه كل من نَسبَ الى الشيعةِ ما ليس له به علمٌ وتكلمَ عنهم جهلًا وخطأً أو نفاقا وافتراءً (١) .

ـ مرتضى العسكرى وابن سبأ ـ

وزعم مرتضى العسكرى أنه ناقشَ جميعَ من ذهبوا الى وجود عبد الله بن سبأ وخرج بنتيجةٍ هى أن ا بن سبأ (شخصيةٌ وهميةٌ خرافيةٌ ا بتدعها ، واختلقها سيف بن عمر (٢)) وصنف كتا با خاصاً با بن سبأ بعنوان (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) ٠

ـ الدكتور على الوردى وابن سبأ ـ

وأما الدكتور على الوردى صاحب (وعاظ السلاطين) فيرى أن ا بن سبأ هو نفسهُ عمار بن ياسر ويستدلُ على ذلك بما يلى :

١ ـ أن ا بن سبأ كان يُكنى با بن السوداءِ ومثلهُ في ذلك عمار ٠
٢ ـ كان عمار من أبٍ يمانى ، ومعنى هذا أنه كان من أبناءِ سبأ فكلُ يمانى يَصحُ أن يقال عنه أنه ا بن سبأ ٠
٣ ـ وعمار فوق ذلك كان شديدَ الحبِ لعلِي بن أ بى طالب يدعو لَهُ ويُحرِّضُ الناسَ على بيعتهِ في كل سبيلٍ ٠
٤ ـ وقد ذهب عمار في أيام عثمان إلى مصرَ وأخذَ يُحرِّضُ الناسَ هناك على عثمان فَضجَ الوالى منه وهمّ بالبطش بهِ ٠
٥ ـ ويُنسبُ إلى ا بن سبأ قولهُ : إن عثمانَ أخذَ الخلافةَ بغيرِ حقٍ وإن صاحبَها الشرعى هو على بن أ بي طالب ٠

---

(١) أنظر : التشيع ص ١٨ ٠ (٢) أنظر : التشيع ص ١٨ـ١٩ ٠

٦ ، ٧ ـ قضايا تتعلق بدورِ عمارٍ في حرب الجملِ ، وفي علاقتهِ مع أبي ذر الغفارى . ويستخلص الوردي أن ابن سبأ لم يكن سوى عمار بن ياسر . فقد كانت قريش تعتبر عماراً رأسَ الثورةِ على عثمان ، ولكنها لم تَشأ في أول الأمر أنْ تُصرحَ باسمِهِ . فرمزتْ عنه بابن سبأ أو ابن السوداءِ ، وتناقلَ الرواةُ هذا الرمزَ غافلينَ وهم لا يعرفونَ ماذا كان يجرى وراءَ الستارِ (١) .

ويقول الدكتور : ويبدو أن هذه الشخصيةَ العجيبةَ اختُرِعَتْ أختراعاً وقد اخترعها أولئكَ الأغنياءُ الذين كانتْ الثورةُ موجهةً ضدهم (٢) .

ـ الدكتور كامل الشيبي وابن سبأ ـ

ثم يأتى بعد الوردى كاتبٌ آخر هو الدكتور كامل مصطفى الشيبي الذي تابعَ الورديَ في أوهامِهِ وخبطِهِ العشوائي وحاول أن يُعزِّزَ ما ذهبَ إليه بإيرادِ نصوص تثبت القضايا التى وردتْ في محتوياتِهِ ، وتابع كذلك الدكتور طه حسين في حرقِ الإمام على رضى الله عنه للسبئية فيقول : أما قضية إحراق علىّ المزعوم للسبئيةً فإنه خبرٌ مختلقٌ من أساسِهِ ولم يرد على صورةٍ فيها ثقةٌ في كتابٍ معتبرٍ من كتبِ التاريخ .

ولعل أصل هذا الحادث يتصل بإحراقِ خالدِ بن عبد الله القسري بياناً وخمسةَ عشرَ من أتباعِهِ الغُلَاة . ثم لما تقدم بها الزمن زُحزِحَتْ الحادثة إلى الأمام قليلًا حتى إتصلتْ بعليٍّ (٣) .

ـ الرد على الوردى والشيبي ـ

أما ماذهب إليه الوردي وتابعُه الشيبي وغيرهُ بأن عبد الله بن سبأ هو نفسهُ عمار بن ياسر فكُتب الجرح والتعديل والرجالِ الموثقة عند الشيعة تردُ على هذا القول وذلك أن كتَبهم ذكرتْ ترجَمة عمار بن ياسر في أصحابِ الإمام على رضى الله عنه والرواةِ عنه ، وتعدهُ من الأركان الأربعة (٤) ، وذكرت ترجمة عبد الله ابن سبأ وتذكر اللعنةَ عليه . وتَمدحُ عماراً فكيف نجمع بين هاتين الترجمتين (٥) .

وأما تحريق السبئية فسوف نذكر الأدلةَ الصحيحةَ في موقف الإمام منهم .

ـ الدكتور عبد الله فياض وابن سبأ ـ

وكذلك أنكره الدكتور عبد الله فياض في كتابِهِ تاريخُ الإمامية وأسلافِهم من الشيعةِ ، وهو كتابٌ مطعمٌ بآراءِ المستشرقين ، وكان يشرفُ عليه الدكتور قسطنطين زريق أحد أساتذةِ دائرة التاريخ بالجامعة الأمريكية ببيروت .

---

(١) أنظر : وعاظ السلاطين للدكتور على الوردى ص ٢٧٤ ـ ٢٧٨ .

(٢) أنظر : المصدر السابق ص ١٥١ .

(٣) أنظر :الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤١ـ٤٥ .

(٤) الأركان الأربعة هم : عمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وسلمان الفارس ، وجندب بن جنادة (ابو ذر) الغفارى . فرق الشيعة ص ٣٦ـ٣٧ و ٤٠ ط ١٩٦٩ م الرابعة .

(٥) أنظر بعض كتبهم مثلًا : رجال الطوسى ص ٤٦ ، وص ٥١ ، رجال الحلى ص ٢٥٥ وص ٤٦٩ . احوال الرجال للكشِ ، وقاموس الرجال للتسترى ، وتنقيح المقال للمامقانى وغير ذلك .

يقول الدكتور فياض : يبدو أن ابن سبأ كان شخصيةً إلى الخيال أقربُ منها إلى الحقيقةِ ، وإن دوره ـ إن كان له دورٌ ـ قد بُولغ فيه إلى درجةٍ كبيرةٍ لأسبابٍ دينيةٍ وسياسيةٍ ، والأدلةُ على ضعفِ قصةِ ابن السوداء كثيرة (١) . ويستدل بما ذهب إليه مرتضى العسكري من اتهام سيف بن عمر البرجمي (ت ١٧٠ هـ) بإختلاقِ هذه الشخصية ، ويزعُم التناقضَ والمبالغةَ في الرواياتِ ، ويعززُ موقفهُ برأي الوردي ، ومتابعةِ الشيبي ٠

ـ طالب الرفاعى وابن سبأ ـ

ويظهر بعد هؤلاء المدعو طالب الحسيني الرفاعى فيقول في حاشيتِه على مقدمةِ محمد باقر لكتاب تاريخ الإمامية والتى طبعها تاجرُ الكتب الخانجى بالقاهرة سنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م باسم (التشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية) على أنه لو كان ابن سبأ هذا حقيقةً تاريخيةً ثابتةً فعلاً ، فإنه ـ كما سنذكره مفصلاً في مبحثٍ خاصٍ به ـ لا صلةَ إطلاقا بين أفكاره وبين ما اشتملتْ عليه عقيدةُ الشيعةِ من الوصيةِ لأمير المؤمنينَ علىَ بن أبى طالب عليه السلام لأنها قائمة على رواياتٍ في صحاح الفريقين من السنةِ والشيعةِ ،كما هى موجودة أيضا في كتبِ الفريقين في التفسيرِ والتاريخ وأصول الاعتقاد . ومن ثم فالقول بأن التشيع نتيجةٌ من نتائج الفكرة السبئية ـ كما يدعى ـ رأىٌ باطلٌ » (٢) ٠

ولا يستغرب هذا الكلام من هذا الرجل الذى زعَم أن أولَ من قال بالرجعةِ عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأنه قال إن الرسول صلى الله عليه وسلم : لم يُمت ولنْ يموتَ . إضافةً إلى افتراءاتِه وضلالاتِه وتزييفهِ للحقائقِ الثابتةِ الصحيحة ٠

الرد على الأقوال وعرض لمصادر ترجمة ابن سـبأ

هذه أقوال بعضِ شيعةِ العصر الحاضر ، وكأنهم لم ينظروا في كتب عقائدهمِ وفرقِهم ، ومروياتهم ورجالِهم وكتبِ الجرح والتعديل عندهم ٠

وهذه طائفةٌ من الكتبِ الموثقةِ عند الشيعةِ التى ذكرتْ عبد الله بن سبأ ومزاعمَه وعقيدتهُ والتى حملتْ الإمامَ عليا رضى الله عنه وأهل بيتِه الطاهرينَ على تكذيب ابن سبأ والتبرؤ منه ومن أصحابِه السبئيةِ وما نسبه إلى أهل البيتَ ٠

أول هذه المصادر المهمة النادرة التى ذكر فيها ابن سبأ (رسالة الإرجاء) للحسن بن محمد بن الحنفيةِ الفقيه الموثّق الذى كان يقول : من خلع أبا بكر وعمر فقد خلعَ السُّنَّة . المتوفى سنة خمس وتسعين للهجرة (٣) والتى رواها عنه الثقاتُ من الرجال عند الشيعة ٠

ثانيا : كتاب المقالات والفرق لسعد بن عبد الله الأشعرى القمى المتوفى سنة ٣٠١ هـ وهو مطبوع في طهران سنة ١٩٦٣ م ٠

---

(١) أنظر : تاريخ الإمامية واسلافهم من الشيعة ص ٩٢ـ١٠٠ ط/١٩٧٥ مؤسسة الأعلمى ٠

(٢) أنظر : التشيع ظاهرة طبيعية ص ٢٠ ٠

(٣) أنظر : خلاصة تذهيب الكمال ج ٢٢٠٨ ط ١٣٩٢ هـ /١٩٧٢ م القاهرة ٠

ثالثا : فِرق الشيعة لأبى محمد الحسن بن موسى النوبختى من أعلام القرن الثالث الهجرى طبعة كاظم الكتبى في النجف عدة طبعات وكذا طبعة المستشرق ريتر في استانبول / ١٩٣١ م ٠

رابعا : رجالُ الكشى لأبى عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي وهو معاصر لابن قولويه المتوفى سنة ٣٦٩ هـ ط مؤسسة الأعلمى للمطبوعات كربلاء ٠

خامساً : رجالُ الطوسى لشيخ الطائفة ابى جعفر محمد بن الحسن الطوسى المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ط الأولى في النجف ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م نشر محمد كاظم الكتبى ٠

سادساً : شرح ابن أبى الحديد لنهج البلاغة لعز الدين أبى حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى الشهير بابن أبى الحديد المعتزلى الشيعى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ط الأولى الميمنية ١٣٢٦ هـ وغـيرها ٠

سابعاً : الرجال للحسن بن يوسف الحلى المتوفى سنة ٧٢٦ هـ طبعة طهران ١٣١١ هـ / وطبعة النجف ١٩٦١ م ٠

ثامناً : روضات الجنات لمحمد باقر الخوانسارى المتوفى سنة ١٣١٥ هـ طبعة إيران ١٣٠٧ هـ ٠

تاسعاً : تنقيحُ المقال في أحوالِ الرجالِ للشيخ عبد الله المامقانى المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ . طبعة النجف ١٣٥٠ هـ في المطبعة المرتضوية ٠

عاشراً : قاموس الرجال لمحمد تقى التسترى منشورات مركز نشر الكتاب طهران ١٣٨٢ هـ ٠

حادى عشر : روضة الصفا تاريخ عند الشيعة معتمد بالفارسية ج ٢ / ص٢٩٢ طبعة إيران ٠

ثانى عشر : دائرة المعارف المسماة بمقتبس الأثر ومجدد مادثر لمحمد حسين الأعلمى الحائرى ط ١٣٨٨ هـ / ١٨٦٨ م في المطبعة العلمية بقم ٠

هذا ما تيسر لنا من كتب القوم التى اطلعنا عليها وهناك عددٌ كبيرٌ من كتبهم المخطوطة والمطبوعة فيها ذكر ابن سبأ والسبئية منها . (حلُ الإشكال) لأحمد بن طاووس المتوفى سنة ٦٧٣ هـ . و (الرجـال) لابن داود المؤلف سنة ٧٠٧ هـ . و (التحـرير الطاووسى) للحسن بن زين الدين العاملى المتوفى سنة ١٠١١ هـ . و (مجمـع الرجـال) للقهبائى المؤلف سنة ١٠١٦ هـ . و (نقـد الرجـال) للتفرشى الذى ألفه سنة ١٠١٥ هـ . و (جـامع الرواة) للأردبيلى المؤلف سنة ١١٠٠ هـ . و (موسوعة البحار) للمجلسى المتوفى سنة ١١١٠ هـ . وابن شهر آشوب المتوفى سنة ٥٨٨ هـ ٠

ـ عقيدة ابن سبأ وضلالاته ـ

بعد أن ذكرنا طائفةً من كتبِ الشيعةِ الموثقةِ والمعتمدة عندهم نذكر أهم الأمور التى اعتقدها ابن سبأ وحمل اتباعه على الاعتقاد بها والدعوة إليها . وهكذا تسربتْ هذه الأفكارُ الضالةُ إلى فِرقِ الشيعة . والسببُ في استدلالنا في بيان معتقدِ هذا اليهودى من كتبهم ومن رواياتهم عن المعصومين عندهم ٠

لأنهم يقولون : (إن الإعتقاد بعصمةِ الأئمة جعل الأحاديث التى تصدر عنهم صحيحةً دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبى صلى الله عليه وسلم كما هو الحال عند أهل السنة (١) ٠

(١) أنظر : تاريخ الإمامية ص ١٥٨ ٠

ويقولون أيضا : « ولما كان الإمام معصوماً عند الإمامية فلا مجال للشك فيما يقول (١) » ٠
ويقول المامقانى « إن أحاديثنا كلها قطعية الصدور عن المعصوم (٢) ٠
وكتاب المامقانى من أهم كتب الجرح والتعديل عندهم ٠
بعد هذه الأقوال التى تُلزم القوم في قبول الأخبار المروية في مصنفاتهم نذكر أهم الضلالات التى نادى بها ابن سبأ وهى :
١ ـ القول بالوصية : وهو أول من قال بوصيةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ، وأنه خليفتهُ على أمتهِ من بعدهِ بالنص ٠
٢ ـ أول من أظهر البراءةَ من أعداءِ علىٍ رضى الله عنه ـ بزعمه ـ وكاشفَ مخالفيه وحكمَ بكفرهم ٠
والدليل على مقالته هذه ليس من تاريخ الطبرى ، ولا من طرق سيف بن عمر بل ما رواه النوبختى والكشىّ والمامقانى والتستري ٠ وغيرهم من مؤرخى الشيعة ٠

يقول النوبختى : « وحكى جماعةٌ من أهل العلم من أصحاب على عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى عليا عليه السلام وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصّى بعد موسى على نبينا وآله وعليهما السلام بالغلو . فقال في إسلامهِ بعد وفاةِ النبى صلى الله عليه وآله في علىٍ عليه السلام بمثل ذلك وهو أول من شهرَ القول بفرض إمامة على عليه السلام وأظهر البراءةَ من أعدائهِ ، وكاشف مخالفيه ـ يقول النوبختى ـ فمن هنا قال من خالفَ الشيعةَ إن أصل الرفض مأخوذٌ من اليهود) (٣) ، وفي هذا المقام نشير إلى أن فكرة الوصية التى إعتمد عليها ابن سبأ ذُكرتْ في التوراةِ في اصحاح (١٨) من سفر (تثنية الاشتراع) وفيه أنه لم يخلُ الزمان أبداً من نَبي يخلفُ موسى ومن نوعهِ ولكل نبي خليفتهُ إلى جانبهِ يعيشُ أثناءَ حياته ٠
ويقول النوبختى عند ذكره السبئية : أصحاب عبد الله بن سبأ وكان ممن أظهرَ الطعنَ على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم ، وقال إن عليا عليه السلام أمره بذلك (٤) ٠
٣ ـ كان أول من قال بالوهيةِ وربوبيةِ على رضى الله عنه ٠
٤ ـ **كان** أول من ادعى النبوةَ من فِرق الشيعة الغُلاة ٠
والدليل على ذلك ما رواه الكشى بسنده عن محمد بن قولويه القمى قال حدثنى سعد بن عبد الله ابن أبى خلف القسى قال حدثنى محمد بن عثمان العبدى عن يونس بن عبد الرحمن عن عبد الله

(١) أنظر : تاريخ الإمامية ص ١٤٠ ٠
(٢) أنظر : تنقيح المقال ج ١٧٧/٨ ٠
(٣) أنظر : فرق الشيعة للنوبختى ص ٤٤ ، ورجال الكشى ١٠١ ط مؤسسة الأعلمى بكربلاء ، وتنقيح المقال في أحوال الرجال للمامقانى ط المرتضوية في النجف ١٣٥٠ هـ ، وقاموس الرجال ج ٤٦٢/٥ ٠
(٤) أنظر : فرق الشيعة ص ٤٤ ٠

بن سنان قال حدثني أبى عن أبى جعفر (ع) أن عبد الله بن سبأ كان يدعى النبوةَ وزعمَ أن أمير المؤمنين (ع) هو الله . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فبلغ ذلك أمير المؤمنين (ع) فدعاه وسأله فاقرَ بذلك وقال نعم أنت هو وقد كان ألقىَ فى روعى أنك أنت الله وأنى نبىّ فقال له أمير المؤمنين (ع) ويلك قد سَخِرَ منك الشيطانُ فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتُبْ فأبى فحبسه واستتابه ثلاثةَ أيامٍ فلم يتُب فأحرقُه بالنار ـ والصواب أنه نفاه ألى المدائن بعد أن شُفع له على ما سنبينه في موقف الإمام منه ـ وقال ـ أى الإمام ـ انّ الشيطان استهواه فكان يأتيه ويلقى فى روعه ذلك (١) .

وروى الكشى بسنده أيضا عن محمد بن قولويه قال حدثنى سعد بن عبد الله قال حدثنى يعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى عن ابن أبى عمير عن هشام بن سالم قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول وهو يحدث أصحابهُ بحديثِ عبد الله بن سبأ وما ادعى من الربوبيةِ في أمير المؤمنينَ على بن أبى طالب (ع) فقال إنه لما ادعى ذلك استتابه أمير المؤمنين (ع) فأبى أن يتوب وأحرقه بالنار (٢) .

٥ ـ كان ابن سبأ أولَ من أحدثَ القولَ برجعةِ على رضى الله عنه الى الدنيا بعد موتهِ وبرجعةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأولَ مكان أظهرَ فيه ابن سبأ مقالتَهُ هذه في مصر فكان يقول : العجبُ ممّن يزعُم أن عيسى يرجعُ وُيكذِّبُ برجوع محمد وقال الله عز وجل « ان الذى فرض عليك القرآن لرادُّكِ الى معادٍ » فمحمد أحق بالرجوع من عيسى فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعةَ فتكلموا فيها (٣) .

فإن لم يرضَ القومُ بروايةِ ابن عساكر الثقةِ التى رواها في تاريخهِ وكذا غيره فاسمعْ ما قالته السبئيةُ لمن أخبرهمُ بمقتلِ سيدنا على رضى الله عنه ونعاه . قالوا له : « كذبت ياعدو الله لو جِئتَنا ـ والله ـ بدماغه ضربةً فأقمتَ على قتلهِ سبعين عدلا ما صّدقناك ولعلمنا انه لم يمُت ولم يقُتل وأنه لا يموت حتى يسوقَ العربَ بعصاه ويملكَ الأرضَ ... الخ » (٤) وهذا الخبر ذكره سعد بن عبد الله الأشعرى القمى صاحب كتاب المقالات والفرق الذى هو موضع ثقةٍ عند الشيعة . ونقل النوبختى في فرق الشيعة مقالة السبئية أيضا وهى « أن عليا لم يقتل ولم يمُت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوقَ العربَ بعصاه ويملأ الأرض عدلا وقسطا كما مُلئَتْ ظُلما وجُوراً » (٥) .

بقى علينا في هذا المقام أن نعرِفَ مفهومَ عقيدةِ الرجعة عند الشيعةِ يقول محمد رضا المظفر : « إن الذى تذهبُ اليه الإمامية أخذا بما جاء عن آل البيتِ عليهم السلام أن الله تعالى يُعيُد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التى كانوا عليها فَيُعِزُ فريقا ويُذِّلُ فريقا آخر . ويديلُ المحقين من المبطلينَ .

---

(١) أنظر : رجال الكشى ص ٩٨ ط مؤسسة الأعلمى للمطبوعات كربلاء . وقاموس الرجال ج ٤٦١/٥ وتنقيح المقال في أحوال الرجال للمامقانى ط المرتضوية في النجف ١٣٥٠ هـ ج١٨٣/٢ـ١٨٤ .

(٢) أنظر : المصادر السابقة ص ٩٩ ـ ١٠٠ و ج ١٨٣/٢ـ١٨٤ .

(٣) أنظر : تاريخ دمشق مخطوط نسخة مصورة منه في معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية رقم (٦٠٢ تاريخ) في ترجمة عبد الله بن سبأ . وكذا في تهذيب تاريخ دمشق لابن بدران ج ٤٢٨/٧ وهذا النص في تاريخ الطبرى أيضاً .

(٤) أنظر : المقالات والفرق لسعد بن عبد الله الاشعرى القمى ت ٣٠١ هـ ص ٢١ ط طهران ١٩٦٣ تحقيق الدكتور محمد جواد مشكور .

(٥) أنظر : فرق الشيعة للنوبختى ص ٤٤ ط النجف وأنظر : قاموس الرجال ج ٤٦٣/٥ .

والمظلومين منهم من الظالمين ، وذلك عند قيام مهدى آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاةِ والسلام ، ولا يرجعُ إلا من عَلَتْ درجُته في الإيمان أو من بلغَ الغايةَ من الفسادِ ثم يصّيرونَ بعد ذلك إلى الموت . ومن بعده الى النشورِ وما يستحقُونه من الثوابِ أو العقابِ كما حكى الله تعالى في قرآنِهِ الكريم تمنى هؤلاء المرتجعين الذين لم يُصلَحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله أن يخرجوا ثالثا لعلهم يُصلحون « قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فأعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل » (١) ٠

والتفسير الصحيح لهذه الآية ماروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قولهُ : هى مثل التى في البقرة « كنتم أمواتا فأحياكم ثم يُميتكُم ثم يُحييكُم » كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم ثم أخرجهم فأحياهم ثم يميتُهم ثم يحيِّيهم بعد الموتِ ، أخرجه الفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه (٢) ٠

وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : كنتم أمواتا قبل أن يخلقكم فهذه ميتة ثم أحياكم فهذه حياة ثم يميتكم فترجعون إلى القبور فهذه ميتة أخرى ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة فهما ميتتان وحياتان فهو كقوله « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون » (٣) ٠

٦ ـ ادعى ابن سبأ اليهودى أن عليا رضى الله عنه هو دابة الأرض وأنه هو الذى خلق الخلق وبسط الرزق ٠

قال ابن عساكر : روى الصادق عن آبائه الطاهرين عن جابر قال : لما بُويعَ على رضى الله عنه خطب الناس فقام إليه عبد الله ابن سبأ فقال له : أنت دابة الأرض فقال له : إتق الله فقال له أنت الملك ٠ فقال إتق الله فقال له أنت خلقت الخلق وبسطت الرزق فأمر بقتله فاجتمعت الرافضةُ فقالت : دَعْهُ وانفِهِ الى ساباط المدائن ٠٠ (٤) ٠

وروى الكلينى في أصول الكافى بسنده إلى على رضى الله عنه أنه قال : « ولقد أعطيت الست علمَ المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب ، وانى لصاحبُ الكَرات ـ أى الرجعات الى الدنيا ـ ودولة الدول ، وانى لصاحبُ العصا والميسم ، والدابة التى تكلم الناس » (٥) ٠

وروى على بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره عن أبى عبد الله (ع) قال : قال رجل لعمار بن ياسر : يا أبا اليقظان آية في كتاب الله افسدت قلبى ، قال عمار : وأية آية هى ٠ فقال هذه الآية ـ أى « واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » (٨١)

---

(١) أنظر : عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر ط ٢ ١٣٨١ هـ ص ٦٧ـ٦٨ والآية رقم (١١) من سورة المؤمن ٠

(٢ ، ٣) أنظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطى ج ٣٤٧/٥ ٠

وأنظر كذلك : تفسير ابن كثير ج ٧٣/٤ ط عيسى الحلبى ، وروح المعانى للآلوسى ج ٥١/٢٤ ٠ ط المنيرية ٠

(٤) انظر : تاريخ دمشق لابن عساكر مخطوط نسخة من مصورة في معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية رقم (٦٠٢ تاريخ) وتهذيب تاريخ دمشق ج ٧ / ٤٣٠ ٠

(٥) انظر : الكافي في الأصول ج ١ / ١٩٨ ط ايران ٠

من سورة النمل ـ فأية دابة الأرض هذه قال عمار : والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتى أريكها فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين (ع) وهو يأكل تمرا وزبدا فقال يا أبا اليقظان هلم ، فجلس عمار يأكل معه فتعجب الرجل منه فلما قام عمار قال الرجل سبحان الله حلفت أنك لاتأكل ولاتشرب حتى ترينيها قال عمار أريتكها إن كنت تعقل » (١) ٠

٧ ـ وقالت السبئية : إنهم لا يموتون وانما يطيرون بعد مماتهم وسموا بـ (الطيارة) يقول ابن طاهر المقدسي : وأما السبئية فانهم يقال لهم الطيارة يزعمون أنهم لا يموتون وإنما موتهم طيران نفوسهم في الغلس (٢) ٠

ولقد استخدم أئمة الجرح والتعديل من الشيعة هذه التسمية وهي من ألفاظهم في تجريح الرواة ٠

يقول الطوسي وهو أحد الأئمة الأثبات عند الشيعة في ترجمة نصر بن صباح يكنى أبا القاسم من أهل بلخ ـ وبلخ في أفغاستان ـ لقى جلة من كان في عصره من المشايخ والعلماء ، وروى عنهم إلا أنه قيل كان من (الطيارة) غالٍ (٣) ٠

٨ ـ وقال قوم من السبئية بانتقال روح القدس في الأئمة وقالوا (بتناسخ الأرواح) ٠ يقول ابن طاهر المقدسي : ومن الطيارة (أى السبئية) قوم يزعمون أن روح القدس كانت في النبى كما كانت في عيسى ثم انتقلت إلى على ثم إلى الحسن ثم إلى الحسين ثم كذلك في الأئمة ٠ وعامة هؤلاء يقولون بالتناسخ والرجعة (٤) ٠ ولعل كتاب الحسن بن موسى النبوختي المسمى بـ (الرد على أصحاب التناسخ) صنفه النوبختي في الرد عليهم (٥) ٠

٩ ـ وقالت السبئية : هدينا لوحى ضل عنه الناس وعلم خفى عنهم ٠

١٠ ـ وقالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم تسعة أعشار الوحى ٠ ولقد رد على مقالتهم هذه أحد أئمة أهل البيت وهو الحسن بن محمد بن الحنيفة في رسالته التى سماها بـ (الإرجاء) والتى رواها عنه الرجال الثقات عند الشيعة فيقول : ومن قول هذه السبئية : هُدينا لوحى ضل عنه الناس ٠ وعلم خفى عنهم ، وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله كتم تسعة أعشار الوحى ، ولو كتم صلى الله عليه وآله شيئا مما أنزل الله عليه لكتم شأن امرأة زيد ، وقوله تعالى : تبتغى مرضات أزواجك .....) (٦) ٠وقال الحافظ الجوزجاني (تـ ٢٥٩ هـ) عن ابن سبأ : زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند على ، فنهاه على بعدما هَمّ به (٧) ٠

---

(١) انظر : مجمع البيان في تفسير القرآن لابى على الفضل بن الحسن الطبرسى من علماء الأمامية في القرن السادس ٠ ج ٤ / ٢٣٤ ط العرفان صيدا ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧ م ٠

(٢) انظر : البدء والتاريخ ج٥ / ١٢٩ ط ١٩١٦ م ٠

(٣) انظر : رجال الطوسى ص ٥١٥ ٠

(٤) انظر : البدء والتاريخ ص ٥ / ١٢٩ ط ١٩١٦ م ٠

(٥) انظر : مقدمة فرق الشيعة للنوبختى ص ١٧ من الطبعة ١٩٦٩ م ٠

(٦) انظر : شرح ابن أبى الحديد ج ٢ / ٣٠٩ الطبعة الميمنية ١٣٢٦ هـ والآية ٥ (ا) من سورة التحريم ٠

(٧) انظر : ميزان الاعتدال ج٢ / ٤٢٦ ٠

١١ ـ وقالوا ان عليا في السحاب ، وأن الرعد صوته ، والبرق سوطه ، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال عليك السلام ياأمير المؤمنين (١) . ولقد أشار إلى معتقدهم هذا اسحاق بن سويد العدوى في قصيدة له برىء فيها من الخوارج والروافض والقدرية . منها .

برئتُ من الخوارج لَسْتُ منهم ... من الغَزّالِ منهم وابن باب
ومن قومٍ إذا ذكروا عليا .. يرُدُّونَ السَّلامَ على السَّحاب (٢)

وعقب الشيخ محى الدين عبد الحميد ـ رحمه الله ـ على هذا المعتقد بقوله « ولا زلت أرى أطفال القاهرة يجرون وقت هطول الأمطار . ويصيحون في جريهم : (يا بركة على زودِ) » (٣) .
وغير ذلك من المقالات والآراء الضالة .

موقف أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأهل بيته من ابن سبأ واتباعه

قال على رضى الله عنه (سيهلك فىّ صنفان محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق . ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق وخير الناس فيّ حالاً النمط الأوسط فالزموه والزموا السواد الأعظم فان يد الله على الجماعة (٤) .

وهكذا شاء الله أن ينقسم الناس في على رضى الله عنه إلى ثلاثة أقسام القسم الأول مبغض مفرط وهؤلاءهم الذين تكلموا فيه بل غالى بعضهم فقالوا بكفره كالخوارج .
والقسم الثانى أفرط في حبه وذهب به الإفراط إلى الغلو حتى جعلوه بمنزلة النبى بل ازدادوا في غيهم فقالوا بألوهيته .

وأما السواد الأعظم فهم أهل السنه والجماعة من السلف الصالح حتى الوقت الحاضر فهم الذين أحبوا عليا وآل بيته المحبة الشرعية . أحبوهم لمكانتهم من النبى صلى الله عليه وسلم .

ولقد جابه علىٌّ رضى الله عنه القسم الأول فقاتلهم بعد أن ناظرهم وأخباره معهم معروفة مسرودة في كتب التاريخ . ونريد أن نرى موقفه هو وأهل بيته من ابن سبأ وأتباعه .

لما أعلن ابن سبأ اسلامه وأخذ يظهر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويكسب قلوب فريق من الناس إليه أخذ يتقرب من على بن أبى طالب ويظهر محبته له فلما اطمأن لذلك أخذ يكذب ويفترى على على بن أبى طالب نفسه الكذب قال عامر الشعبى ـ وهو أحد كبار التابعين توفي ١٠٣ هـ ـ أول من كذب عبد الله بن سبأ وكان ابن السوداء يكذب على الله ورسوله وكان على يقول مالى ولهذا الحميت الأسود (والحميت هو المتين من كل شيء) (٥) يعنى ابن سبأ وكان يقع فى أبى بكر وعمر(٦)

---

(١) انظر : الفرق بين الفرق ص ٢٣٤ . وذكر هذا المعتقد ابن أبى الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢ / ٣٠٩ .
(٢) انظر : الفرق بين الفرق ص ٢٣٤ والكامل في الأدب للمبرد ج٢ / ١٣٤ .
(٣) انظر : مقالات الاسلاميين ص ٨٥ .
(٤) انظر : شرح نهج البلاغة ج ٢ / ٣٠٦ .
(٥) انظر : القاموس المحيط ج ١ / ١٥٢ ط ١٩٥٢ القاهرة .
(٦) انظر : تاريخ دمشق النسخة المخطوطة المصورة في معهد المخطوطات رقم (٦٠٢ تاريخ) في ترجمة عبد الله بن سبأ وأنظر : تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٧ / ٤٣٠ .

وروى ابن عساكر أيضا أنه لما بلغ على بن أبى طالب أن ابن السوداء ينتقص أبا بكر وعمر دعا به ، ودعا بالسيف وهمّ بقتله ، فشفع فيه أناسٌ فقال : والله لا يُساكنني في بلد أنا فيه . فسيره إلى المدائن (١) ٠

وقال ابن عساكر أيضا : روى الصادق - وهو أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ولد سنه ٨٣ هـ في المدينة المنورة وتوفي فيها سنة ١٤٨ هـ - وهو الإمام السادس المعصوم عند الشيعة - روى عن آبائه الطاهرين عن جابر قال : لما بويع على رضى الله عنه خطب الناس فقام إليه عبد الله بن سبأ فقال له أنت دابة الأرض (٢) فقال له : اتق الله ٠ فقال له : أنت الملك ٠ فقال : اتق الله ٠ فقال له : أنت خلقت الخلق وبسطت الرزق فأمر بقتله فاجتمعت الرافضة فقالت : دعه وانفِهِ إلى ساباط المدائن فانك إن قتلته بالمدينة - يعنى الكوفة - خرج أصحابه علينا وشيعته فنفاه إلى ساباط المدائن فثم القرامطة والرافضة - أى كانت بعد ذلك وبجهود ابن سبأ ٠ مركزا يتجمعون فيه - قال - أى جابر - ثم قامت إليه طائفة وهم السبئية وكانوا أحد عشر رجلا فقال : ارجعوا فإنى على بن أبى طالب أبى مشهور ، وأمى مشهورة وأنا ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم ٠ فقالوا : لانرجع دع داعيك ٠ فأحرقهم في النار وقبورهم في صحراء أحد عشر مشهورة ٠ فقال : من بقى ممن لم يكشف رأسه منهم علينا أنه إله ، واحتجوا بقول ابن عباس لا يعذب بالنار إلا خالقها (٣) ٠

هذا موقف الإمام على رضى الله عنه في ابن سبأ واتباعه. ٠ نفاه الى المدائن وأحرق طائفة من اتباعه . ومن لم يقتنع بهذه الروايات والتى بعضها رواها أحد المعصومين عند القوم وأبى إلا المكابرة والعناد ، نذكر له ماورد في حرق هؤلاء في الروايات الصحيحة عند أهل السنة والجماعة وبعدها روايات القوم ٠

روى البخارى في صحيحه في كتاب الجهاد / باب لا يعذب بعذاب الله بسنده إلى عكرمة أن عليا رضى الله عنه حرق قوما فبلغ ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحر قهم ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتعذبوا بعذاب الله ولقتلتهم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه ٠

وروى البخارى في صحيحه في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم بسنده الى عكرمة نحوه وفيه قال أُتى علىٌّ رضى الله عنه بزنادقة فأحرقهم (٤) ٠

ورواه كذلك أبو داود في سننه في كتاب الحدود / باب الحكم فيمن ارتد الحديث الأول بسنده إلى عكرمة بلفظ آخر وفي آخره فبلغ ذلك عليا فقال ويح ابن عباس ورواه كذلك النسائى في سننه (٥) ٠ نحوه ٠ ورواه الترمذى في الجامع في كتاب الله الحدود / باب ما جاء في المرتد وفي آخره . فبلغ ذلك عليا

---

(١) انظر : المصدر السابق ٠

(٢) يشير الى الآيــة الكريمة ٠

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر المخطوط وانظر : تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٧ / ٤٣٠ - ٤٣١ ٠

(٤) انظر : صحيح البخارى مع فتح البارى ط السلفية ج ٦ / ١٥١ ٠

(٥) انظر : سنن النسائى (المجتبى) ج ٧ / ٩٦ ٠

فقال : صدق ابن عباس . قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح حسن ، والعمل على هذا عند أهل العلم فى المرتد (١) .

وروى البخارى أيضا في صحيحه في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم بسنده إلى عكرمة نحوه ، وفيه قال أتى عليٌّ رضى الله عنه (٢) بزنارقة فأحرقهم .

وروى الطبرانى في المعجم الأوسط من طريق سويد بن غفلة (أن عليا بلغه أن قوما ارتدوا عن الاسـلام فبعث اليهم فأطعمهم ثم دعاهم الى الإسلام فأبوا ، فحفر حفيرة ثم أتى بهم فضرب أعناقهم ورماهم فيها ثم ألقى عليهم الحطب فأحرقهم ثم قال : صدق الله ورسوله) (٣) ..

وفي الجزء الثالث من حديث أبى طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامرى عن أبيه قال : قيل لعلى إن هنا قوما على باب المسجد يدعون أنك ربهم فدعاهم فقال لهم ويلكم ما تقولون ؟ قالوا : أنت ربنا وخالقنا ورازقنا . فقال : ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون إن أطعت الله أثابنى إن شاء وإن عصيته خشيت أن يعذبنى فاتقوا الله وارجعوا فأبوا . فلما كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال : قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام فقال : أدخلهم فقالوا كذلك فلما كان الثالث قال لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة فأبوا ألا ذلك فقال ياقنبر ائتنى بفعلة معهم مرورهم فخدَّ لهم أخدودا بين باب المسجد والقصر وقال : احفروا فأبعدوا في الأرض وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال إنى طار حكم فيها أو ترجعوا ، فأبوا أن يرجعوا فقذف بهم حتى إذا احترقوا قال :

إنى اذا رأيت أمرا منكرا   أو قدت نارى ودعوت قنبرا

وقال ابن حجر : هذا سند حسن (٤) .

إضافة إلى هذه الروايات ، فقد روى الكلينى في كتابه الكافي ـ الذى هو بمنزلة صحيح البخارى عنـد القوم ـ روى في كتاب الحدود في باب المرتد بسنده من طريقين عن أبى عبد الله أنه قال : أتى قوم أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا : السلام عليك يا ربنا فاستتابهم فلم يتوبوا فحفر لهم حفيرة وأوقد فيها نارا وحفر حفيرة أخرى إلى جانبها وافضى ما بينهما فلما لم يتوبوا ألقاهم في الحفيرة وأوقد في الحفيرة الأخرى ناراً حتى ماتوا » (٥) .

ويبدو أن عليا رضى الله عنه قد كرر عقابه لغير هؤلاء أيضا ، وهم الزط ، فقد روى النسائى في سننه (المجتبى) عن أنس أن عليا أتى بناس من الزط يعبدون وثنا فأحرقهم . قال ابن عباس إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه) (٦) .

---

(١) انظر : جامع الترمذى ج ٤ / ٥٩ ط مصطفى الحلبى ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

(٢) انظر : صحيح البخارى مع فتح البارى ط السلفية ج ١٢ / ٢٦٧ .

(٣) انظر : فتح البارى ج ١٢ / ٢٧٠ .

(٤) انظر : المصدر السابق .

(٥) انظر : الكافي للكلينى ج ٧ / ٢٥٧ ـ ٢٥٩ .

(٦) انظر : سنن النسائى (المجتبى) ج٧ / ٩٧ .

وأخرج ابن أبى شيبة من طريق قتادة (أن عليا أتى بناس من الزط يعبدون وثنا فأحرقهم . وحكم الحافظ ابن حجر على هذا الحديث بالانقطاع ثم قال : فإن ثبت حمل على قصة أخرى فقد أخرج ابن أبى شيبة أيضا من طريق أيوب بن النعمان أنه قال : شهدت عليا في الرحبة . فجاءه رجل فقال إن هنا أهل بيت لهم وثن في دار يعبدونه فقام يمشى إلى الدار فأخرجوا إليه بمثال رجل قال فألهب عليهم الدار » (١) .

وروى الكشى في كتابه معرفة أخبار الرجال بعد ترجمة عبد الله بن سبأ تحت عنوان (في سبعين رجلا من الزط الذين ادعوا الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام . بسنده إلى أبى جعفر أنه قال : إن عليا عليه السلام لما فرغ من قتال أهل البصرة أتاه سبعون رجلا من الزط فسلموا عليه وكلموه بلسانهم فرد عليهم بلسانهم . وقال لهم : إنى لست كما قلتم أنا عبد الله مخلوق . قال فأبوا عليه وقالوا له أنت أنت هو فقال لهم : لئن لم ترجعوا عما قلتم فيّ وتتوبوا إلى الله تعالى لأقتلنكم . قال فأبوا أن يرجعوا أو يتوبوا . فأمر أن يحفر لهم آباراً فحفرت ثم خرق بعضها إلى بعض ثم قذفهم فيها ثم طم رؤوسها ثم ألهب النار في بئر منها ليس فيها أحد فدخل الدخان عليهم فماتوا » (٢) .

ومن المناسب ما دمنا نتكلم عن تحريق على بن أبى طالب (لأصحاب ابن سبأ والزنادقة أن نذكر حادثة أخرى ذكرها ابن أبى الحديد في شرح نهج البلاغة يقول ابن أبى الحديد : « وروى أبو العباس أحمد بن عبيد بن عمار الثقفى عن محمد بن سليمان بن حبيب المصيصى المعروف بنوين . وروى أيضا عن على بن محمد النوفلى عن مشيخته (أن عليا عليه السلام مر بقوم وهم يأكلون في شهر رمضان نهارا فقال أسفر أم مرضى قالوا لا ولا واحدة منها قال فمن أهل الكتاب أنتم فتعصمكم الذمة والجزية قالوا لا . قال فما بال الأكل في نهار رمضان . فقاموا اليه فقالوا أنت أنت يومئون إلى ربوبيته . فنزل عليه السلام عن فرسه فألصق خده بالأرض . وقال ويلكم إنما أنا عبد من عبيد الله فاتقوا الله وارجعوا إلى الإسلام فأبوا فدعاهم مرارا فأقاموا على كفرهم . فنهض إليهم وقال : شدوهم وثاقا وعلى بالفعلة والنار والحطب ثم أمر بحفر بئرين فحفرتا فجعل إحداهما سربا والأخرى مكشوفة وألقى الحطب في المكشوفة وفتح بينهما فتحا وألقى النار في الحطب فدخن عليهم وجعل يهتف بهم ويناشدهم ليرجعوا الى الإسلام . فأبوا . فأمر بالحطب والنار فألقى عليهم فأحرقوا فقال الشاعر :

لترم بى المنية حيث شاءت	إذا لم ترمنى في الحفرتين
اذا ما حشنا حطبا بنار ...	فذاك الموت نقدا غير دين

فلم يبرح عليه السلام حتى صاروا حمما (٣) .

---

(١) انظر : فتح البارى ج ١٢ / ٢٧٠ .

(٢) انظر : معرفة أخبار الرجال لابى عمرو الكشى ص ٧١ ـ ٧٢ ط سنة ١٣١٧ هـ بمبى الهند .

وكذلك رواها الكلينى في الكافي ج ٧ / ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

(٣) انظر : شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ٢ / ٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

هذه هى الروايات التى وقفنا علها في الأحاديث الصحيحة والحسنة والروايات التاريخية وكذلك من كتب القوم المتعلقة بالأصول والفقه والرجال والتاريخ التى تدل بكل وضوح على أن عليا رضى الله عنه قد حرق الزنادقة ومن اعتقد فيه الربوبية ومنهم أصحاب ابن سبأ الملعون . أما هو فكما تذكر الروايات ـ سواء روايات أهل السنة والجماعة وروايات الشيعة ـ أن عليا رضى الله عنه اكتفى بنفيه الى المدائن بعد أن شفع له الرافضة .

قال النوبختى في كتابه الشيعة في ترجمة ابن سبأ : وكان ممن أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم ، وقال إن عليا عليه السلام أمره بذلك ، فأخذه على فسأله عن قوله هذا فأقر به ، فأمر بقتله ، فصاح الناس عليه ياأمير المؤمنين اتقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك ، والبراءة من أعدائك فصيره إلى المدائن » (١) .

ابن سبأ يدعو الناس في المدائن لدعوته

إن عبد الله بن سبأ وجد بعد نفيه مكانا مناسبا لبث أفكاره وضلالاته بعد أن ابتعد من سيف أمير المؤمنين على بن أبى طالب فأخذ ينظم اتباعه وينشر أفكاره بين جيش الإمام المرابط في المدائن . ولما جاءهم خبر استشهاد على رضى الله عنه كذبه هو وأصحابه . ولنستمع للخبر كما يرويه الخطيب البغدادى بسنده إلى زحر بن قيس الجعفى الذى قال عنه على رضى الله عنه : من سره أن ينظر الى الشهيد الحى فلينظر إلى هذا ـ يقول زحر : بعثنى علىّ على أربعمائة من أهل العراق وأمرنا أن ننزل المدائن رابطة قال : فوالله إنا لجلوس عند غروب الشمس على الطريق إذا جاءنا رجل قد أعرق دابته قال فقلنا : من أين أقبلت ؟ فقال من الكوفة فقلنا متى خرجت ؟ قال اليوم . قلنا فما الخبر ؟ قال خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة صلاة الفجر فابتدره ابن بجرة وابن ملجم فضربه أحدهما ضربة إن الرجل ليعيش مما هو أشد منها ، ويموت مما هو أهون منها قال ثم ذهب . فقال عبد الله بن وهب السبائى ـ ورفع يده إلى السماء ـ الله أكبر ، الله أكبر قال : قلت له ما شأنك ؟ قال : لو أخبرنا هذا أنه نظر إلى دماغه قد خرج عرفت أن أمير المؤمنين لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ـ وفي رواية الجاحظ في البيان والتبين (لو جئتمونا بدماغه في مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه) (٢) ـ نعود لرواية الخطيب قال ـ أى زحر ـ فوالله ما مكثنا إلا تلك الليلة حتى جاءنا كتاب الحسن بن على : من عبد الله حسن أمير المؤمنين إلى زحر بن قيس أما بعد : فخذ البيعة على من قبلك . قال : فقلنا أين ما قلت ؟ قال : ما كنت أراه يموت » (٣) .

وقال الحسن بن موسى النوبختى : « ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعى على بالمدائن قال للذى نعاه : كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت علىٰ قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض » (٤) .

---

(١) انظر : فرق الشيعة للنوبختى ص ٤٤ وقاموس الرجال ج ٥ / ٤٦٣ .

(٢) انظر : البيان والتبين للجاحظ ج ٣ / ٨١ ط ٣ / ١٩٦٨ القاهرة .

(٣) انظر : تاريخ بغداد ج ٨ / ٤٨٨ .

(٤) انظر : فرق الشيعة للنوبختى ط النجف ص ٤٣ . وقاموس الرجال ج ٥ / ٤٦٣ .

رواية عبد الجبار الهمدانى في موقف ابن سبأ

قال عبد الجبار الهمدانى المعتزلى المتوفى سنه ٤١٥ هـ عند كلامه عن موقف أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه من ابن سبأ والسبئية « واستتابهم أمير المؤمنين فما تابوا فأحرقهم ، وكانوا نفرا يسيرا ، ونفى عبد الله بن سبأ عن الكوفة إلى المدائن . فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام قيل لابن سبأ قد قتل ومات ودفن فأين ما كنت تقول من مصيره الى الشام ؟ فقال : سمعته يقول : لا أموت حتى أركل برجلى من رحاب الكوفة فاستخرج منها السلاح وأصير إلى دمشق فأهدم مسجدها حجرا حجرا ، وأفعل وأفعل فلو جئتمونا بدماغه مسرودا لما صدقنا أنه قد مات . ولما افتضح بهت . وادعى على أمير المؤمنين مالم يقله . والشيعة الذين يقولون بقوله الآن بالكوفة كثير . وفي سوادها والعراق كله يقولون : أمير المؤمنين كان راضيا بقوله وبقول الذين حرقهم ، وإنما أحرقهم لأنهم أظهروا السر . ثم أحياهم بعد ذلك . قالوا : وإلا فقولوا لنا لم لم يحرق عبد الله بن سبأ ؟ قلنا : عبد الله ما أقر عنده بما أقر أولئك ، وإنما اتهمه فنفاه . ولو حرقه لما نفع ذلك معكم شيئا . ولقلتم إنما حرقه لأنه أظهر السر » (١) .

موقف اتباع عبد الله بن سبأ لما سمعوا بمقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب

أما اتباع ابن سبأ فلم يكتفوا بالتكذيب بل ذهبوا إلى الكوفة معلنين ضلالات معلمهم وقائدهم ابن سبأ .

فقد روى سعد بن عبد الله القمى صاحب المقالات والفرق وهو ثقة عند القوم : « أن السبئية قالوا للذى نعاه : كذبت يا عدو الله لو جئتنا ـ والله ـ بدماغه ضربة فأقمت على قتله سبعين عدلا ما صدقناك ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل وإنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض ثم مضوا من يومهم حتى أناخوا بباب على فاستأذنوا عليه استئذان الواثق بحياته الطامع في الوصول إليه . فقال لهم من حضره من أهله وأصحابه وولده : سبحان الله ، ما علمتم أن أمير المؤمنين قد استشهد ؟ قالوا : إنا لنعلم أنه لم يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بسيفه وسوطه كما قادهم بحجته وبرهانه وإنه ليسمع النجوى ويعرف تحت الدثار الثقيل ويلمع في الظلام كما يلمع السيف الصقيل الحسام » (٢) .

وكان من هؤلاء رجل يقال له رشيد الهجرى الذى صرح بمعتقده أمام عامر الشعبى قال الشعبى : « دخلت عليه يوما فقال : خرجت حاجا فقلت . لأعهدن بأمير المؤمنين عهدا فأتيت بيت على عليه السلام فقلت لإنسان استأذن لى على أمير المؤمنين قال : أوليس قد مات ؟ قلت : قد مات فيكم والله أنه ليتنفس الآن تنفس الحى فقال : أما اذ عرفت سر آل محمد فادخل قال فدخلت على أمير المؤمنين وأنبأنى بأشياء تكون فقال له الشعبى : إن كنت كاذبا فلعنك الله . وبلغ الخبر زيادا ـ فبعث إلى رشيد الهجرى فقطع لسانه وصلبه على باب دار عمرو بن حريث » (٣) .

---

(١) انظر : تثبيت دلائل النبوة ج ٢ / ٥٣٩ ـ ٥٥٠ .

(٢) انظر : المقالات والفرق لسعد بن عبد الله القمى ت ٣٠١ هـ ص ٢١ ط طهران ١٩٦٣ م تحقيق الدكتور محمد جواد مشكور .

(٣) انظر : المجروحين لابن البستى ج ١ / ٢٩٨ وانظر : ميزان الاعتدال ج ٢ / ٥٢ .

وذكر الحافظ الذهبى هذا الخبر في تذكرة الحفاظ وفيه : فقلت لإنسان استأذن لى على سيد المرسلين . فقال هو نائم وهو يظن أنى أعنى الحسن . فقلت : لست أعنى الحسن انما أعنى أمير المؤمنين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين . قال : أوليس قد مات ؟ فقلت أما والله إنه ليتنفس الآن بنفس حى ويعرف من الدثار الثقيل (١) . ولذلك كان عامر الشعبى يقول : ما كذب على أحدٍ في هذه الأمة ما كذب على علىّ (٢) ورشيد هذا قال عنه ابن حبان : كان يؤمن بالرجعة (٣) .

وذكره الطوسى في ضمن أصحاب على رضى الله عنه وسماه رشيد الهجرى الرياش بن عدى الطائى (٤) . ويعتبر رشيد من أبواب الأئمة . كان بابا للحسين بن على رضى الله عنهما (٥) .

موقف أهل بيت النبى الكريم من ابن سبأ

وتصدى أهل بيت النبى الكريم لعبد الله بن سبأ كما تصدى له أمير المؤمنين على بن أبى طالب فكذبوه وتبرؤوا من مقالاته وضلاله .

فقد روى الكشى بسنده عن محمد بن قولويه قال حدثنى سعد بن عبد الله قال : حدثنا يعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى عن على بن مهزيار عن فضالة بن أيوب الأزدى عن أبان بن عثمان قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (لعن الله عبد الله بن سبأ أنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين وكان والله أمير المؤمنين عبد الله طائعا . الويل لمن كذب علينا وإن قوما يقولون فينا مالا نقول في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم) (٦) .

وروى الكشى بسنده أيضا عن محمد بن قولويه قال حدثنى سعد بن عبد الله قال : حدثنا يعقوب بن يزيد عن ابن أبى عمير وأحمد بن محمد بن عيسى عن أبيه والحسين بن سعد عن ابن أبى عمير عن هشام بن سالم عن أبى حمزة الثمالى قال قال على بن الحسين (ع) « لعن الله من كذب علينا انى ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدى لقد ادعى أمرا عظيما ماله لعنه الله كان على عبداً لله صالحا . أخا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله . وما نال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرامة إلا بطاعة الله » (٧) .

---

(١) انظر : تذكرة الحافظ ج ١ / ٨٤ ط احياء التراث .

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ ج ١ / ٨٢ .

(٣) انظر: المجروحين ج ١ / ٢٩٨ . وميزان الاعتدال ج ٢ / ٥٣ .

(٤) انظر : رجال الطوس ص ٤١ .

(٥) انظر : العلويون فدائيو الشيعة المجهولون لعلى عزيز العلوى ص ٣١ الطبعة الأولى ١٩٧٢ م . والباب هو حلقة الوصل بين الشيعة والامام .

(٦) انظر : رجال الكشى ص ١٠٠ مؤسسة الاعلمى كربلاء وتنفيح الرجال في أحوال الرجال للمامقاتى ج ٢ / ١٨٣ - ١٨٤ ط المرتضوية ١٣٥٠ هـ . وقاموس الرجال ج ٥ / ٤٦١ .

(٧) انظر : المصادر السابقة .

وروى أيضا الكشى بسنده عن محمد بن خالد الطيالسى عن بن أبى نجران عن عبد الله بن سنان قال قال أبو عبد الله (ع) « إنا أهل بيتٍ صديقون لانخلوا من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق الناس لهجة وأصدق البرية كلها وكان مسيلمة يكذب عليه وكان أمير المؤمنين أصدق من برأ الله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الذى يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه ويفترى على الله الكذب عبد الله ابن سبأ لعنه الله » (١) .

هذه روايات الكشى عن أئمة أهل البيت . ومن المعلوم أن كتاب الكشى المسمى بـ (معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين) عمد إليه إمام الشيعة الثقة الثبت عندهم (الطوسى) الذى يلقبونه بشيخ الطائفة المتوفى سنة ٤٦٠ هـ عمد إلى كتاب الكشى فهذبه وجرده من الزيادات والأغلاط وسماه بـ (اختيار الرجال) وأملاه على تلاميذه في المشهد الغروى . وكان بدء إملائه يوم الثلاثاء ٢٦ صفر سنة ٤٥٦ هـ نص على ذلك السيد رضى الدين على بن طاووس في (فرج المهموم) نقلا عن نسخة بخط الشيخ الطوسي المصرح فيها بأنها اختصار رجال كتاب الرجال لأبى عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشى واختياره . فالموجود في هذه الأزمنة من المخطوط منه والمطبوع سنة ١٣١٧ هـ في بمبئى بل وفي زمان العلامة الحلى إنما هو اختيار الشيخ الطوسى لارجال الكشى الأصل فإنه لم يوجد له أى أثر حتى اليوم (٢) .

وبهذه النقول والنصوص الواضحة المنقولة من كتب القوم تتضح لنا حقيقة شخصية ابن سبأ اليهودى ومن طعن من الشيعة في ذلك فقد طعن في كتبهم التى نقلت لعنات الأئمة المعصومين عندهم في هذا اليهودى (ابن سبأ) ولا يجوز ولا يتصور أن تخرج اللعنات من المعصوم على مجهول . وكذلك لا يجوز في معتقد القوم تكذيب المعصوم .

هذا ما تيسر لنا في إثبات هذه الشخصية . أما الكلام عن دوره في مقتل عثمان رضى الله عنه . ودوره في عهد على رضى الله عنه . وأثره في فرق الشيعة . ورواة الأخبار فيحتاج إلى كتابة أخرى .

(ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) .

(ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) .

---

(١) انظر : المصادر السابقة وقاموس الرجال ج ٥ / ٤٦٢ .

(٢) انظر : رجال الطوس ص ٦٢ / الاولى النجف ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .



● الى ديترويت :

وفي يوم الخميس ١ / ٨ / ١٣٩٨ هـ سافرنا من انديانا بلس الى ديترويت اذ أقلعت بنا الطائرة في الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة عشرة صباحا . وهبطت بنا في مطار ديترويت بعد ساعة تقريبا ·

● الى فندق بلازا :

التقينا نحن والأخ الشيخ عبد الغفور البركانى في قاعة تسليم الآثاث · ويستطيع الصديق أو القريب في الغرب أن يستقبلك عندما تخرج من النفق الصناعى المتصل بالطائرة وقاعة المطار أو يودعك هناك . ليس مثل مطارات البلدان الشرقية التى يحرم على الصديق أو القريب أن يودع أو يستقبل صديقه الا في القاعات الخارجية في المطار . لذلك يراك صديقك وأنت تعانى من حمل أمتعتك الثقيلة أو الكثيرة فلا يقدر على مساعدتك حتى تخرج اليه والحكمة في نفس صاحبها ·

نقلنا الأخ عبد الغفور بسيارته الى فندق بلازا الذى يقع على النهر الصغير المتفرع عن بحيرة ديترويت الكبيرة . العذبة . وهذا النهر يفصل بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين كندا وهذا الفندق يقع على شاطىء النهر الشمالى . والعمارات الكندية في المدينة المجاورة تقع على الشاطىء الجنوبى منه . وفي الجهة الغربية يربط أحد الجسور الحديدية بين البلدين . اذ تعبر عليه السيارات وبعد أن تم استقرارنا في الفندق المذكور في الدور (٢٩) ودعنا الأخ عبد الغفور على أن يعود الينا بعد الساعة السابعة مساء قبل المغرب بساعتين ونصف تقريبا . وكان النهار في ديترويت في ذلك الوقت يبلغ طوله سبع عشرة ساعة من طلوع الشمس تقريبا ·

● **مناظر ممتعة وأخرى مؤذية :**

جاءنا الأخ عبد الغفور في الموعد . وكان بجانب الفندق برج عال وفي أعلاه مظلة تدور بالزائرين ليتمكنوا من رؤية كل ما حول البرج من المدينة والنهر والمدينة الكندية وغير ذلك فصعدنا الى ذلك المكان الذى لا بد ان يتناول فيه الزائر شيئا ما ، طعاما أو شرابا حلالا أو حراما فتناولنا بعض المرطبات اللائقة بنا وقعدنا ننتظر دورة الأرض المصغرة التى لاخلاف في دورانها ونحن نتمتع بجمال تلك المناظر العجيبة ، قصور عالية وشوارع مستقيمة . وأخرى ملتوية . ونهر جار . ومراكب بحرية كبيرة وصغيرة . وطائرات هليكوبتر تحلق فوق النهر حتى تكاد تلمس ماءه ولم يسؤنا الا مناظر الحيوانات البشرية التى مهما حاولت أن تغض بصرك لاتقدر الا اذا وضعت على عينيك ستارة مثل الستارة التى توضع على أعين أسرى الحرب في بعض الحالات ولكن الذى كان يهون الأمر علينا اننا كنا نحس أن أمامنا حيوانات منتنة . ونساء مترجلات لاتوجد بهن الا خشونه الرجال الوقحين . ثم لا بد من أن نختبر أنفسنا في هذا الجو السيء والله وحده الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . وأن حلاوة الايمان الحق لا يذوقها الانسان الا حيث يكره نفسه على ما لا تحب « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » .

والذى جعل المنظر أمامنا جميلا هو ما ذكرت أولا يضاف اليه أننا ننظر الى أراضى دولتين في وقت واحد .

وبعد ساعة تقريبا اصطحبنا الأخ عبد الغفور في جولة حول المدينة على ضفاف البحيرة . وكنا نريد أن ننزل في مكان لنتمتع بجمال البحيرة وجمال البساتين القريبة منها ولكن الأماكن التى مررنا بها كلها لا تليق بنا أن ننزل فيها لما فيها من العرى الشديد والاختلاط الفاحش . فعدنا أدراجنا الى الفندق .

وبعد تناول طعام العشاء ودعنا الأخ عبد الغفور على أن يأتينا غدا الجمعة حيث أصر عليّ أن أقوم بخطبة الجمعة . لأن الناس يجتمعون في المسجد أكثر من بقية أيام الأسبوع .

● **صلاة الجمعة :**

وفي ٢ / ٨ / ١٣٩٨ هـ جاء الأخ عبد الغفور فنقلنا الى المسجد الجامع الذى يقيم فيه الجمعة والجماعة ويدرس الناس فيه كما يدرس بعض الأولاد . فانتظرنا في مكتبه الذى بجانب المسجد . واستقبلنا فيه بعض أعضاء الجمعية المشرفة على المسجد بتحيات حارة لمسنا فيها العاطفة المتطلعة الى زيارات العلماء لتلك البلاد .

وعندما حان الوقت أذن المؤذن في مكبر الصوت . وهذا أمر غير مألوف في بقية المساجد في الغرب . وذكر عبد الغفور أن بعض الناس قد أبدوا استياءهم من ذلك ولكن التصميم الحاصل من أعضاء الجمعية جعلهم يرفعون اسم الله عاليا في بلاد الكفر وقد لا يسمح لهم بالاستمرار في ذلك اذا طلب الجيران تدخل السلطات الحكومية .

وهنا تذكرت أن بعض الناس في بعض البلدان الاسلامية يحاولون أن يحدوا من رفع كلمة لا إله الا الله في مكبرات الصوت وقت الآذان استجابة لرغبات من يغيظهم صوت الحق فقلت اللهم يسر سبل اعلاء كلمتك على أرضك كلها على رغم أعداء دينك من الكفرة وأذنابهم .

وكنت أفكر في موضوع الخطبة . ولم أهتد الى ذلك الا قبيل صعودى المنبر . اذ ارتسم في ذهنى الكلام على سورة العصر . وكنت علمت أن المسجد يحضره العمال والمثقفون من أطباء وغيرهم . وعندما يكون الحاضرون خليطا من المثقفين والعوام فان مهمة الخطيب تكون صعبة . لأنه لا بد أن يراعى هؤلاء وهؤلاء في اسلوب واحد لا يحس أحد الصنفين بمطبات وقد حاولت ذلك ما استطعت .

● كأننا في أحد مساجد بلادنا المعمورة :

ولقد ازدحم المسجد بالمصلين حتى صلى كثير منهم في قاعته السفلى . وما كنت أظن أن أجد الا صفا واحدا . ومع ذلك فانى كنت أحس أن الكلمة التى تخرج تجد لها قلوبا مفتوحة . لاحظت ذلك في وجوه المصلين وكأن على رأسهم الطير .

● لابد أن نسير مع ركاب القطار :

وبعد أن صلينا قدمت لنا جنازة أحد المسلمين للصلاة عليها . وقد وضع في صندوق كما يعمل أهل تلك البلاد . وعندما سألت لماذا يعمل المسلمون هذا ذكروا أنه لا يسمح بدفن أحد بدون ذلك فذكرنى هذا بما يردده المجاهدون من أن المسلم لا يقدر أن يعيش حتى في حياته الشخصية ولا يطبق في أموره الخاصة أحكام دينه الا اذا كان نظام دينه هو الحاكم والا فسيكون ترسا في عجلة دولاب النظام الذى يعيش تحت ظله .

وبعد ذلك أعلن الأخ عبد الغفور أننا سنلقى دروسا بعد المغرب من كل يوم ابتداء من مغرب هذا اليوم .

وطلبنا من الأخ عبد الغفور أن نتبع جنازة هذا الميت حتى يتم دفنه . وعندما خرجنا من المسجد وجدنا أن قافلة السيارات التى تتبعه الى المقبرة تحمل كلها بيارق صغيرة عليها علامة الصليب . فاستكبرت ذلك فقالوا أيضا لا يسمح لسيارة بالدخول الا بهذا الشعار فقلت وهذه أطم من التى قبلها . فركبنا في سيارة الأخ عبد الغفور وليس عليها ذلك البيرق فذهبنا قبل الموكب ودخلنا المقبرة دون أن يتعرض لنا أحد وهناك انتظرنا حتى جاء الموكب وقد غطى القبر بالقماش الجوخ وفرشت جوانبه بالسجاد . وقائد الحراسة الذى يهيل التراب في القبر ينتظر . وهناك وجدنا نصبا على القبور كتب عليها اسم الميت وتاريخ دفنه . وبعض القبور عليها قطعة من البلاط كتب عليها ذلك . وليست القبور مرتفعة عن الأرض . والمسلم هناك يدفن بجانب النصرانى .

وذكر الأخ عبد الغفور أن الميت يلبس بدلة جديدة شبيهة ببدلة الزفاف وأن الناس يغالون في ذلك . والمسلمون يعملون نفس ما يعمله الكفار . طرداً للميزان المادى عند الغربيين . ولو كان عندهم علم عن عذاب القبر ونعيمه وسؤال منكر ونكير . وان الانسان لا يبقى معه في قبره الا عمله لما احتاجوا الى هذا التكلف ·

وجاء الموكب وحمل التابوت الثقيل حتى وضع على فم القبر وقد ربطت على القبر حبال ربطا خاصا يوضع عليها التابوت ثم جاء المختصون وأخذوا يرخون الحبال شيئا فشيئا حتى نزل التابوت في مكانه وأهال الحاضرون شيئا من التراب عملا بالطريقة الاسلامية في الدفن ثم ابتعدوا وأخذ قائد الحراثة يجرف التراب في القبر حتى انتهى ...

وقال الأخ عبد الغفور : الآن لا بد أن نتقدم للدعاء للميت حسب السنة . والا فسيتقدم بعض المخرفين لقراءة التلقين المعتاد وهو مخالف للسنة . فقلت له . تقدم وافعل ففعل وعزينا أقرباء الميت . وحاولوا معنا أن نذهب معهم لتناول طعام الغذاء اذ جرت عادتهم ان يفعلوا ذلك فاعتذرنا ورجعنا الى الفندق ·

● جولـــة في الجزيرة :

وبعد العصر جائنا الأخ عبد الغفور فذهب بنا الى الجزيرة الواقعة شرق الفندق والتى ذكر أن الولايات المتحدة اشترتها من كندا (الظاهر أنها اشترت قسط كندا منها) وعندما وصلنا الى الجزيرة وتجولنا فيها رجعنا الى طرف النهر الشمالى فوجدنا مكانا خاليا من الناس فمكثنا هناك حتى جاء الوقت وذهبنا الى المسجد حيث أدركنا الناس وهم يصلون فصلينا معهم ·

● الدرس الأول :

وبعد صلاة المغرب أعلن للناس الأخ عبد الغفور عن افتتاح الدروس فبدأنا الدرس الذى كان يدور حول الايمان بالله وأدلته والحكمة من خلق الجن والأنس . ثم فتح المجال للأسئلة الكثيرة الى أن أذن لصلاة العشاء فصلينا وذهبنا الى مطعم عربى لبنانى تناولنا فيه طعام العشاء ولكن بعد فحص شديد كفحصنا لمطاعم الغربيين لعدم الفرق بينهما . لان العرب المسؤلين عن المطعم نصارى أيضا . الا ان صنع طعامهم شرقى ·

وعدنا الى الفندق . وفي هذا اليوم قص لنا الأخ عبد الغفور مشاكله مع بعض الجاليات الاسلامية التى قد سمعنا عنها من قبل وكنا نود أن نصلح بينه وبينهم . بل كنت أقول لزميلى الدكتور محمد بيلو : لو لم يكن في رحلتنا هذه الا الاصلاح بين هؤلاء القوم لكفانا ·

● حــالقــة الدين :

لذلك عرضنا على الأخ عبد الغفور استعدادنا للصلح بينه وبين خصومه وكان يائسا هو من ذلك . وحاول ان يدخل اليأس في نفوسنا . ولكننا ألحجنا عليه . وذكرناه بالنصوص الواردة في الخلاف وذمه وفي مدح الاعتصام والاتفاق ووجوب تحقيق الأخوة الاسلامية . وبعد مناقشة طويلة وافق على تدخلنا في الموضوع قائلا سوف لاتجدون قبولا لذلك عند الآخرين وكنا اتصلنا بالأخ عمر الصوبانى الأردنى الذى يسكن في مدينة من مدن ولاية ديترويت وطلبنا منه الحضور ليشاركنا في الاصلاح . لانه قد بلغنا أن القاضى يحى بن لطف الغسيل اليمنى رئيس مكتب التوجيه والارشاد في صنعاء قد زار المنطقة وحاول الاصلاح كذلك . ومن ضمن ما عمله عند ما لم ينجح في مهمته ان شكل لجنة للاصلاح من ضمنهم الأخ عمر المذكور . والأخ الليبى على رمضان أبو زعكوك وهو طالب في احدى الجامعات في الولاية ايضا . ولكن هذا الأخير لم نجده .

أما الأخ عمر فقد جاء جزاه الله خيرا وبقى معنا يومين في محاولة جادة مع الطرفين . وقد تلمسنا الاخبار أولا من بعيد فتأكد لنا عن عبد الغفور ما يلى : -

- عندما ابتعثته دار الافتاء . جاء الى ديترويت . وكان أول من أعانه ووقف بجانبه الحاج فوزى مرعى الفلسطينى ضد رئيس الجمعية السابق وهو فلسطينى أيضا ولكنه هو وجماعته كانوا يبيحون قاعة المسجد السفلى لا حتفالات - الجاليات في الاعياد ومناسبة الزواج وغير ذلك . ويحصل في ذلك ما يحصل من المنكر . تكشف النساء واختلاط الرجال بهن . مع الرقص واستعمال آلات الملاهى . وان المسجد لم يكن يفتح للصلاة الا نادرا لعدم وجود امام متفرغ فيه .

● أمر بالمعروف فحورب :

وكان الأخ عبد الغفور ينكر عليهم ذلك بشدة ويقول لهم أن المساجد لله . وبنيت لذكره . فلا يجوز استعمالها فيما هو محرم في غيرها . ولكن القوم ألفوا ذلك ودأبو عليه فلم يسمعوا له قولا . فوقف فوزى بجانب عبد الغفور . وانتهى الأمر بانتخاب جديد لأعضاء الجمعية فكان فوزى هو الرئيس في هذه الدورة . ومضى الاخوان في تعاون ووفاق .

واعتزل الجمعية من لم يرض بما حصل . وكان المسجد يفتح في جميع الأوقات وذكر بعض أعضاء اتحاد الطلبة المسلمين أنه حضر المسجد في بعض الأوقات العادية التى هى في أيام عطل وليست في أيام أجازة فوجد وراء الامام ثلاثة صفوف وذلك نادر في مساجد الولايات المتحدة الأمريكية . فضلا عن هذا المسجد الذى كان يعتبر مهجورا .

أما في أيام الجمع فان المسجد لا يتسع للمصلين . لذلك وسعوه من جهة القبلة وهذا خير كثير اذا ما قورن بالمساجد التى تعتبر معمورة ولها من يقوم عليها وينفق الأموال الكثيرة .

ثم دب الخلاف بعد ذلك بين الأخ عبد الغفور والأخ فوزى واتسع الخرق على الراقع . فبلغ الأمر الى أن دعا عبد الغفور الى انتخابات جديدة حضرها بعص الأعضاء وغاب عنها بعضهم . ولما كان اليمنيون هم الأغلب وقد رأوا في عبد الغفور ما يجمعهم ويبصرهم فقد تم انتخابه رئيسا للجمعية المذكورة عند ذلك طلب من فوزى تسليم الأموال التى بيده . بل التى - أودعها في البنك باسم رئيس الجمعية . وأن يحاسب المسؤولون الجدد بما تم في الأموال المصروفة . فرفض ذلك . فاشتد النزاع وتفاقم أمره .

ودخل الشيطان بين الأخوة فنفخ في كل واحد منهم ليسد الباب أمام الصلح . بل زاد أمره حتى كذب بعض الخصوم على خصمه واتهمه بتهم كاذبة . اذ كتب خصوم عبد الغفور للمسئولين في المملكة العربية السعودية - بسبب انه مبعوث من قبل بعض مؤسساتها - بأن عبد الغفور يتعاون مع الشيوعيين ولعلهم اتهموه بانه شيوعى هو نفسه . ويقال ان راتبه قد اوقف وشكلت لجنة لتقصى الحقيقة فوجدوا أن الدعوى كانت كاذبة باعتراف خصومه . وذكر الأخ عبد الغفور ان راتبه أعيد بعد ذلك .

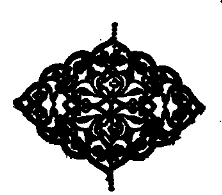
● الدرس الثـــانى :

وقد دخلنا مع كل من الطرفين في نقاش طويل نحن والأخ عمر الصوبانى أما عبد الغفور فكنا معه باستمرار في سيارته . وفي الفندق وفي المسجد . لانه هو الذى تولى مرافقتنا من أول وصولنا .

وأما فوزى مرعى فقد سهرنا معه ليلة كاملة . كما سيأتى الكلام عنها وبعد مغرب يوم السبت الموافق ٣ / ٨ / ١٣٩٨ هـ تم القاء الدرس الثانى وكان كله يدور حول جواب على سؤال بعض الحاضرين الذى وجهه على الوجه التالى : ما سبب عدم التزام المسلمين بواجبات دينهم . وترك ما حرم الله عليهم مع علمهم بذلك . ثم فتح المجال كالمعتاد لأسئلة أخرى للاجابه عليها شارك في بعضها زميلى الدكتور بيلو .

● صلح المسلم رفض وحكم الكافر طلب :

وبعد صلاة العشاء من هذا اليوم جاءنا الأخ فوزى مرعى الى الفندق واستمرت محاولتنا معه من أول ما دخل الى أن صلينا الفجر ليرضى بالصلح بينه وبين عبد الغفور ولكن دون جدوى اذ صمم انه لا صلح مع عبد الغفور الا تسفيره من أمريكا . والرجل حاد الطبع سريع الغضب بطيى الفيىء أيضا يطلق لسانه دون أن يفكر فيما يقول . فقد نال من خصمه مما لا يجوز له كما حرض عليه آخرين وأغراهم بالاتصال بنا شخصيا أو عن طريق الهاتف ليؤكدوا ذم عبد الغفور والشكوى منه . ظنا منهم اننا جئنا للتحقيق في القضية . ونحن قد نفينا ذلك في المسجد .



ولو كانوا شكوا شكوى عادية لهان الأمر ولبقينا من أجل المصلحة ولكن كلامهم كله كان كلام سب وشتم ودعاوى واضحة البطلان فقد اتصل بعضهم بى شخصيا في الهاتف وأخذ يحدثنى عن عبد الغفور الشيوعى وأخذ يسبه لمدة لاتقل عن ساعة . وأنا لا أزيد على السماع الا اذا خشيت ظنه انى قفلت الهاتف فأقول له : نعم وكان ذلك ثقيلا على نفسى · وجاء آخر بنفسه وأخذ يفتح ملفات الاجرام الصادرة من عبد الغفور التى لم أر فيها الا وقوفه ضد المنكر الذى ألفه الناس واستنكروا وجود المعروف كما قال من قبلهم : « ياشعيب أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو ان نفعل في أموالنا ما نشاء أنك لأنت الحليم الرشيد » · وبقى هذا الرجل عندنا اكثر من ثلاث ساعات ونحن لانزيد على السماع منه . ثم نصحناه في الأخير بتقوى الله وودعنا غير راضى بذلك الزمن فيما يبدو ·

وقد حضر الخصمان وبعض اعوانهما ومحامى كل منهما الى احد قضاة البلدة وعندما عرف القاضى - وهو نصرانى - انهما مسلمان قال لهما : ألا تشعران بالخجل اذ تخرجان من بيت من بيوت الله دون أن تحكماه بينكما وتصطلحا ويقر من عنده الحق بالحق لصاحبه . وتأتيا الىّ أنا العبد الضعيف لأحكم بينكما وقد أخبرنا كل الخصمين بهذا عبد الغفور اخبرنا مباشرة وفوزى أخبرنا عن طريق الهاتف فكانت موعظة من عدو للاسلام ولكنها لم تقبل ولا حول ولاقوة الا بالله ·

وخشينا أن تحدث فتنة . فتشاورنا أنا وزميلى وقررنا السفر يوم الثلاثاء فحجزنا واتصلنا بأخينا في الله الشيخ محمد نور السودانى الذى يعمل مع البلاليين على نفقة وزارة - الأوقاف الكويتية ليرتب لنا منهج زيارة نافع في شيكاغو كما سيأتى ·

● **دفاع المنتصر :**

وفي يوم الاثنين ٥ / ٨ / ١٣٩٨ هـ تجولنا في بعض أسواق المدينة - وفي طريقنا الى بعض العمائر الضخمة التى يوجد فيها كل الأغراض المطلوبة . كل صنف من البضاعة يوجد في طابق منها تناولنا طعام الغذاء في أحد الفنادق الفخمة وهنا حصلت قصة طريفة . لازلت كلما تذكرتها أضحك من أجلها : كنت لابسا لباسى العربى . وكان الناس يكثرون الالتفات نحوى لغرابة اللباس هناك . ولكن التفاتهم - في الغالب - يكون خلسة ومسارقة . وسمعت من الأخ عبد الغفور أن الالتفات الى شخص ما يعتبر غير لائق عند الأمريكيين . فاذا صوب أحد نظره اليك والتفت أنت نحوه فانه يشعر بالخجل ويعتبر التفاتك اليه نوعا من الاحتجاج والعقاب · ولقد أخذت هذا السلاح فكنت اذا رأيت من يلتفت الى التفت نحوه فيصرف نظره بسرعة . وكأنه لم يكن ينظر الى وفي هذه المرة كنا على طاولة الطعام فمر شيخ عجوز فنظر الى فنظرت أنا اليه ومن شدة محاولته اخفاء التفاته صرف نظره بسرعة وهو يمشى فتعرقلت رجله بأحد المقاعد فوقع على الأرض ثم تجلد فوثب قائما وأخذ يسعى بعيدا عنا . فأخبرت الأخوين : زميلى الدكتور بيلو والأخ عبد الغفور فأخذا يشاركاننى الضحك ·

● **الآلــة والبطـالـــة :**

ثم صعدنا الى الطابق الأول في الفندق فوقفنا في قاعة صغيرة نسبيا لنرى القطار ـ أو المترو ـ واقفا . فخرج الركاب منه . ودخلنا نحن . وعندما أخذنا مقاعدنا نظرنا الى مقدمة هذا المركب المعلق جسره في الهواء بين الفندق وبين العمارة التجارية التى نريد الذهاب اليها . نظرنا لنرى القائد فلم نر أحدا . وعندما سألنا عن ذلك ـ وكنا نظنه يختفى في مكان ما منه ـ قال الأخ عبد الغفور أنه يسير ذهابا وايابا بنفسه عن طريق الكهرباء . ويتقابل هو وزميله في منتصف الطريق دائما . هذا ذاهب . وهذا عائد .

قلنا في نفوسنا : نركب مع الناس . وهذا المركب قد جرب . وقد آمنه الناس على أنفسهم لمدة طويلة . فما يظن به أنه يخرج عن طريقه . أو يتجاوز موقفه وذكرنا اسم الله الذى سخره لنا وسخر عقول بعض خلقه كذلك .

وهنا استحضرت ثلاث ملحوظات :

● **الملحوظة الأولى :** أن أهل الغرب اتعبوا أنفسهم وكدوا عقولهم لاستخدام ما سخره الله تعالى لهم في هذا الكون . وسلكوا السبيل المطلوب لهذه الاستفادة فكانت النتيجة أن تحقق لهم كثير مما أرادوا .

لذلك ترى صاحب الآلة نائما وهى تخدمه طول الوقت . هذا في الأمور المادية البحتة .

● **الملحوظة الثانية :** أن الآلة حلت محل الانسان في كثير من الاعمال فتعطل كثير من الناس عن العمل . ولذلك ارتفعت الشكاوى من البطالة لأن هناك مجالات أخرى غير هذا المركب كالمصانع التى يكفى شخص واحد ليدير الفا عن طريق جهاز الكومبيوتر والمراقبة ويكفى أن يضغط شاب على زر لتشغيل المصنع بكامله . بل انك تستطيع أن تتعامل مع الآلات في صرف نقودك . فتدخل النقود الورقية في الآلة فتضغط على أحد الأزرة فتخرج لك عدد القروش المماثلة دون زيادة أو نقص . تصور لو كان ذلك عن طريق الناس كم كان يحتاج من الوقت ليعد لك ولغيرك تلك النقود المعدنية . وكم يحتاج من البشر ليكفى عشرات الناس في الدقيقة الواحدة ؟ .

وتتعامل مع الآلة في شراء بطاقات دخول القطار فتذهب الى الآلة وترمى لها النقد المعدنى ثم تضغط على الزر فان كان النقد هو المطلوب رمت لك البطاقة في محفظة سفلى . وان كان أكثر من المطلوب ردت لك الباقى وأعطتك البطاقة . وان كان أقل منه انتظرت حتى تكمل .

وتتعامل مع الآلة في شراء أنواع الأشربة . اذ توجد بها العلب وعلى كل نوع كتبت قيمته . فما عليك الا أن ترمى النقد المطلوب ثم تضغط على الزر المختص فيرمى لك العلبة التى أردت .

وهكذا ان شئت قهوة بسكر أو بغير سكر قليل ساخنة أو باردة فان الآلة تتعامل معك في أسرع وقت وبدون خصام .

بل ذكرنا . وهذا لم نره . أن بعض الآلات تتعامل معك في الطعام الساخن والبارد وهكذا .

بل ان البنوك تتعامل معك في أيام العمل وأيام الأجازات في الليل والنهار اذ تأتى الى فتحة صغيرة فترمى فيها بطاقتك وتذهب الآلة تسأل أخواتها ان كان بقى لك شىء يكفى للمبلغ المطلوب فان . كان موجودا فانه يأتيك في أسرع وقت والا رجعت لك بطاقتك بعد الاعتذار لها ٠

اننى عندما رأيت بعض هذه الأمور وعلمت عن بعضها وسمعت غير ذلك مما يدهش العقل ورأيت الناس كيف يعملون في الحسابات وغيرها خرجت بنتيجة أن هؤلاء الذين يستخدمون هذه الآلات قد أصبحت عقولهم آلات عدا أولئك الذين يفكرون بعقولهم ويبتكرون ويخترعون فان أمرهم مختلف ٠ قل لى بربك ألا تكون النتيجة هى الشكوى من البطاقة ٠

● **الملحوظة الثالثة :** ان مجال هؤلاء العاطلين هو الدول المتأخرة . والتى يسمونها بالنامية . لذلك ترى الآلاف من الغربيين يؤمون هذه البلدان بطلب منها في مجالات مختلفة منها الخطير ومنها الحقير ٠

وهكذا كان صاحبنا القطار الصغير . الا أنه لم يعلم أخذ النقود . بل يقدم دون مقابل ولكن لا يخدمك الا ـ لا يصالك الى المتجر واعادتك وهناك في هذا المتجر الضخم لا يرجع هذا الراكب الا بعد أن يشترى شيئا ما ٠ ليس عن طريق الأجبار والترهيب ولكن عن طريق الاغراء فلكل واحد ما يعجبه في هذا المتجر ان لم يكن في هذا الطابق ففى الذى يليه . ولهذا فلا حاجة لهم الى دفع قرش أو قرشين فستدفع ما يكفى وزيادة ٠

ومن فوائده لهم ان المتجر لا يدخله الناس الا عن هذا الطريق الذى يسهل عليهم المراقبة . وهناك أجهزة مراقبة في المتاجر الكبيرة يكون الانسان فيها مكشوفا في شاشة التليفزيون الخاص تصوره الكمرة على ما هو عليه ٠

ومما لوحظ في هذا المتجر وغيره ان الأجهزة السلكية واللاسلكية الموجودة في أمريكا أغلبها من صنع اليابان . وذكر الأخ عبد الغفور . وغيره كذلك . أن أجهزة الراديو المصنوعة بأمريكا لا يسمع فيها الا الاذاعات المحلية ما عدا أجهزة قليلة جدا ليس في استطاعة كل واحد اقتناؤها لغلائها تسمع بها الاذاعات الخارجية . أما الأجهزة المصنوعة في اليابان فان أكثرها تسمع منها الاذاعات الخارجية ٠ وهكذا وجد أن المسجلات الجيدة يابانية ...

وسيأتى الحديث عن اليابان في حينه ان شاء الله ٠

وبعد تجول طويل في المتجر وأخذ بعض الأشياء الخفيفة تسلية للقطار الذى لانريد ان يرانا خالى الوفاض من داره . رجعنا اليه فنقلنا الى مكاننا الأول . وتركناه يتعامل مع غيرنا . وذهبنا الى سيارة الأخ عبد الغفور وطلبنا منه أن يقودها . ولا يتركها تسير بنفسها . لانها لم تدخل المدرسة التى تخرج فيها ذلك القطار ٠

رجعنا الى الفندق لنرتاح لانا غدا مسافرون الى شيكاغو ولقد كنا في غاية من الرغبة في البقاء في ديترويت من أجل الجمع الغفير الذى يجتمع في المسجد ومن أجل الرغبة التى كنا نلمسها في الحاضرين . حتى لقد بكى بعضهم وناشدونا البقاء لمدة أطول وان نبلغ المسئولين في المملكة العربية

السعودية بان يتعهدوهم بالمرشدين وان يبعثوا لهم عددا من المدرسين لتدريس أولادهم مبادىء اللغة العربية والمبادىء الاسلامية حتى لا يضيعوا في المجتمع الأمريكى . غير أن الوضع الذى شرحته سابقا رجح لنا السفر ...

● الى شـــيكـاغـو

● من ديترويت الى شيكاغو :

وفي يوم الثلاثاء ٦ / ٨ / ١٣٩٨ هـ أقلعت بنا الطائرة من مطار ديترويت في تمام الساعة العاشرة صباحا . ووصلنا الى مطار شيكـاغو .

● حنين وتسلـــية :

قابلنا الأخ محمد نور السودانى الذى تخرج في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وكنت أيامها مسئولا عن شئون الطلاب وكان محمد نور من الطاقات العاملة في النشاط الطلابى اذ شارك في الرحلات والندوات والجماعات المختلفة . لذلك كان لقاؤنا معيدا لتلك الذكريات الطيبة . وكان قد سجل في جامعة الملك عبد العزيز بجدة في الدراسات العليا ـ الماجستير ـ ولكن لظروف طارئة غادر مكة المكرمة الى الكويت . وابتعثته وزارة الأوقاف الكويتية الى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل مع البلاليين هناك . ولا يزال يحن الى الكعبة الشريفة التى جاورها لمدة سنتين حنين الأم الى ولدها . وكذلك المسجد النبوى الذى لم يغادره طيلة أربع سنوات عندما كان في الجامعة الاسلامية الا نادرا . ولكن ينبغى أن يتسلى هو وغيره بالعمل والدعوة الى الله في أى مكان بقول عبد الله بن المبارك

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل ..	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب ..
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ..	رهج السنابك والغبار الأطيب ..
ولقد أتانا من مقال نبينا ..	قول صحيح صادق لا يكذب ..
لا يستوى غبار خيل الله في ..	أنف امرىء ودخان نار تلهب ..
هذا كتاب الله ينطق بيننا ..	ليس الشهيد بميت لا يكذب ..

● **ســـائق مخيف :**

استأجرنا سيارة صغيرة لتوصلنا الى الفندق الذى تم الحجز فيه عن طريق الأخ محمد نور في وسط المدينة . وكان السائق زنجيا عنيفا في قيادته · أنه يكاد يثب بسيارته على سيارات الناس التى امامه . على خلاف عادات السائقين في الغرب ويخاتل السائقين فيسبق هذا ثم يستعد لسبق الآخر . لقد كدت أطلب من الأخ محمد نور أن يوقفه ولكن خشينا ان علم أننا متضايقون من قيادته ان ترتفع درجة الحرارة عنده . لقد كان شبه مجنون ولا أستبعد أن يكون ثملا من آثار الشرب أو الحشيش ولكن الله سلم فوصلنا بسلامة الله وحفظه الى الفندق الثانى في رحلتنا . تذكر ان الفندق الأول هو فندق « لندن » ·

فنـــدق روزفليت

● **فرق بعيد** أما اول فندق نزلنا به في مدينة شيكاغو فهو فندق روزفليت ولهذا الفندق قصة أخرى مغايرة تماما لقصة فندق لندن من ـ وجهين : ـ

الوجه الأول : ان اختيار فندق لندن كان من قبل قوم غشاشين ·

الوجه الثانى : ان هدفهم ان يحتالوا على أكبر عدد ممكن لسرقة أموالهم بأسلوب ظاهره شرعى أما فندق روزفليت فقد اختاره لنا أخ حبيب وصديق حميم لانشك في أنه يحب لنا ما يحب لنفسه وما أراد الا راحتنا . ولكن ما قصة الفندق وكيف كان ؟

الأخ محمد نور قريب العهد بسكنى مدينة شيكاغو . ورجل حى قنوع ليس عنده وسيلة للمواصلات . وفي نفس الوقت مشغول بأداء عمله الذى نرجو ان يكون يؤديه باخلاص وتفان في سبيل الله وحده · لهذا لم يتمكن من معرفة البلدة . لأنه لم يتجول فيها ونحن عندما اتصلنا به كان تصورنا غير ذلك . كنا نظن أنه على علم بالبلدة وعنده وسيلة مواصلات . وأخطأ ظننا . كما أنه لحيائه وعفته لم يستعن بأحد من الذين لهم خبرة في البلد . فقابلنا وحده في المطار ·

● **خـداع العنـــاوين :**

وعندما أراد الحجز لنا في فندق أخذ يقلب دليل الفنادق ويستعرض الأسماء فعثر على هذا الكنز الثمين : فندق روزفليت وهل يمكن أن يكون فندق سمى باسم هذا الزعيم الكبير غير مريح ؟

لذلك اتصل بمدير الفندق وطلب منه حجز غرفة بسريرين كما طلبنا وعندما وصلنا الى الفندق ودخلنا مكان الاستقبال همست لزميلى خلسة من الأخ محمد نور : ألا تظن أن هذا الفندق هو الثانى ؟ فرد هامسا أيضا : سننظر ·

ودخل علينا زنجى كبير السن يتخبط في مشيه . فاغرافاه . ولسانه شبه معول . وهو يمد يده على أكتاف الناس فاتضح أنه سكران ورأينا أشباهه في الشارع أمام الفندق . وكنت أقول في نفسى اللهم سلمنا من هذا الفندق كما سلمتنا من فندق لندن ·

● المصعـــد والعصـــا :

وبعد الاجراءات اللازمة دخل معنا الفراش في المصعد الذى يفتح ويقفل بيد شبيهة بيد الباب . وبيد الفراش عصا لاندرى لماذا يحملها ولكن قلت في نفسى ؛ أما أن يكون بعض نزلاء الفندق يفقدون وعيهم من السكر ويعتدون عليه أو على النزلاء الآخرين فيحاول أن يدافع بعصاه . أو يكون في الفندق ثعابين وعقارب لكثرة أو ساخه ومداخله القديمة المتداعية . وكلا الأمرين بلاء . واذا أراد أن يوقف المصعد فانه يبدا بمعالجته في الدور السابق للدور الذى يريد ايقافه فيه ٠

● أسف وتسليـــــة :

أوقفنا عند باب حجرتنا المطلة على الشارع وأخذ يدفع الباب الخشبى القوى فانفتح ودخلنا الحجرة وأخذنا ننظر في أرجائها نظرة نفور واشمئزاز وأحس ذلك أخونا محمد نور الذى أبدى أسفه لنا وذكر قصة الاختيار وسببه فطمأناه بأن الأمر سهل وان فندق لندن قد سبق فندق روزفليت . ويمكننا أن نتتقل منه غدا باذن الله وهذا فندق تاريخى يحمل اسم زعيم كبير ٠

ثم قلت له بعد ذلك ؛ أن ابليس هو قدوة هؤلاء القوم فقد وصف العصيان وثماره السيئة بأوصاف مغرية فقال لآدم ؛ « هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » واضافة الى ذلك فان زعماء الكفر لا يمكن أن يأتينا منهم خير . فأراد الله أن يثبت ذلك حتى في أسمائهم لئلا نركن اليهم أى ركون ٠ كانت نكات لطيفة ٠

ودخلنا بيت الماء فاذا بابه لا يغلق . وانما يرد فقط فظننت أنه يحتاج الى دفع كما دفع الفراش باب الغرفة فدفعته قليلا خشية ازعاج الآخرين الزميل والصديق . واذا هو مثل مرحاض فندق لندن ولكن زميلى اكتشف شيئا آخر فيه ظهر انه فاق مرحاض فندق لندن في السوء ٠

● ولماذا السلالم ؟!

ونظرنا الى الشارع فوجدنا النافذة فرأينا أن سلالم من الخشب مبنية في جدار الفندق متصلة من أسفله الى حجرتنا . فقلنا ؛ وهذه مصيبة أخرى . ماذا يجرى لو صعد الينا سرب من السكارى ؟ فأغلقنا النافذة وتوكلنا على الله !

● الى زعيم البلاليين :

كان الأخ محمد نور قد أخبر زعيم البلاليين . وهو ابن اليجا محمد . ذى الأفكار الهدامة التى أخذها من المسيحية واليهودية والقاديانية . ونسبها الى الاسلام . بل انه ادعى الرسالة . ولكن ابنه المدعو

عند قومه ولس دين . ويدعوه العرب : وارث الدين أظهر بعد وفاة أبيه بمدة محاولة اصلاحية في مفاهيم أبيه . فبدأ يقيم بأتباعه الصلاة ويصحح بعض الأفكار كما قرأنا ذلك قبل أن نلتقى به في بعض المجلات الاسلامية . فطلب من الأخ محمد نور أن يحضرنا اليه ليلتقى بنا فذهبنا الى المسجد الذى فيه جميع مكاتبه الادارية . وعندما أردنا الدخول طلب منا أن نمر في الممر الذى وضع به جهاز كشف السلاح . مثل الأجهزة التى توضع في المطار . والأماكن التى يخشى فيها من المسلحين فدخلنا . وكان غائبا عن المسجد فانتظرنا قليلا . وعندما أذن المؤذن واقيمت الصلاة صلى بنا الأخ السورى : محمد مازن علوان الذى يدرس في نفس المسجد مع محمد نور وهو على نفقة رابطة العالم الاسلامى . واختصاصه في لطب . ولكن له اطلاع جيد ودرس على بعض العلماء في سوريا في صغره وفي وقت طلبه العلم في المدارس النظامية وهو شاب صالح أيضا .

وبعد الصلاة قابلنا الأخ محمد مازن وتعرف علينا وحدثنا عن عمله مع البلاليين وبصرنا ببعض الأمور التى تهمنا .

● **ترحيـــب وشكـــر :**

وبعد نصف ساعة تقريبا جاء ولس دين الذى يدعوه أتباعه بالامام . فرحب بنا وقدم لنا بعض المرطبات وتعارفنا . وأبدينا له سرورنا بما سمعناه عنه من أنه بدا يصحح المفاهيم . التى كان والده يعتقدها ويلقيها لاتباعه . وطلبنا منه أن يستمر في هذا التصحيح . لأن الاسلام يجب فهمه من كتاب الله وسنة رسوله لا من بنيات أفكار الناس .

● **طلب لا يـــرد :**

وطلب منى أن ألقى حديثا في اتباعه بعد عصر هذا اليوم الثلاثاء الذى اعتاد أن يجتمع فيه اتباعه في قاعة المحاضرات العامة بجوار المسجد فلبينا رغبته . وكانت الكلمة تدور حول المعانى التالية :

- الهدف الذى خلق الله الخلق للسعى اليه . وهو رضا الله بعبادته .
- والوسيلة الى ذلك . وهى العلم والعمل الصالح المبنى على الاخلاص لله ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم .
- وبيان أن الناس انقسموا تجاه هذا الهدف وتلك الوسيلة الى قسمين : كفار أو منافقون . وهم الذين خرجوا عن القانون الالهى ويعيشون معيشة ضنك في الدنيا والآخرة . ومسلمون وهم الذين استقاموا على دين الله ودعوة الناس اليه وصبروا على أذاهم وأن يجازى كل قسم يوم القيامة بما قدم .
- ان الناس لا يتفاضلون الا بالتقوى (إ أكرمكم عند الله أتقاكم) فلا فرق بين عربى وعجمى ولا بين صاحب لون وصاحب لون آخر .
- ايضاح أنه لا يوجد اليوم في الأرض دين حق سوى دين الاسلام وأن على جميع الناس أن يدخلوا في هذا الدين وكان الزميل الدكتور محمد بلو قد عرف الحاضرين بمهمتنا والبلدان التى زرناها وسنزورها بعد .

ثم ألقى امام البلاليين كلمة رحب بنا فيها وأشاد بالدعوة الاسلامية التى انطلقت في مكة المكرمة وقويت شوكتها في المدينة المنورة التى أصبحت عاصمة الاسلام الأولى والتى كان لأهلها السبق في نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم وايواء أصحابه المهاجرين . وكانت عواطف الحاضرين ملتهبة عبروا عنها بالتكبير الذى ارتجت به جنبات القاعة وقد اعتادوا الاجتماع لسماع الدرس الذى يطلقون عليه درس الثلاثاء . حقق الله لهم من يقودهم بدرس الثلاثاء الى الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده . واستأذنا لنذهب مع الأخ محمد نور الذى دعانا لتناول طعام الغذاء في بيته . ونحن لبينا الدعوة لنرتاح من معارك الطعام الذى استمرت معنا من وقت نزولنا في أول دولة غربية . وهى بريطانيا الى هذا اليوم فقد كان زميلى في نقاش دائم مع المضيفين في الطائرات . ومع الخدم في المطاعم في كل وجبة من وجبات طعامنا . وقد تمر ثلاثون دقيقة أو أكثر وهو يتفاهم معهم عن نوع الزيوت . واللحوم والسوائل . (١) وقد يبدون أنهم فهموا المراد ثم يأتون بما يدل على عدم فهمهم . على الرغم من أنهم يصغون الى لكنته الانجليزية بعناية . بل ويستعذبونها حتى يكادوا يتركون خدمتهم ويجلسون بجانبه ليمتعوا بلهجته . وهو يستفسر عن كثير من كلماتهم السريعة الدارجة . وفي اجابة دعوة الأخ محمد ارضاء له وراحة لنفوسنا من الشكوك في أطعمة المطاعم . وأجازة لزميلى محمد بيلو من عناء الأخذ والرد مع المضيفين .

ولقد كان الطعام لذيذا غاية اللذة . لأنه قدم لنا في بلد ما كنا نظن أن نراه فيها فجزى الله الأخ محمد نور خيرا هو وأهله .

وبعد الغذاء شربنا الشاهى السودانى الذى انتشى بشربه زميلى أكثر منى . وأخذ فيه النسبة التى يريد من السكر دون أن يقال له : اغلق المطعم . كما قال له المضيف في رحلتنا من لندن الى نيويورك .

وفرش لنا الأخ محمد نور في غرفة الاستقبال فاستلقينا ونمنا نومة مريحة الى أن حان وقت صلاة العصر فصلينا وعدنا الى مسجد البلاليين حيث ألقيت الكلمة في قاعة المحاضرات التى غصت بالحاضرين ثم عدنا الى فندق روزفليت لنكمل المشوار الطويل معه .

صحبنا الأخ محمد نور الى الفندق ورجع بعد ذلك الى أهله فأخذنا نقارن بين الفندق لندن وفندق روزفليت في الأسباب والأهداف والمرافق .

● انقـــلاب ومصـــالحة :

ولقد نزعت الغطاء الذى كان على سريرى والمخدة - ورميتهما بعيدا لعدم قدرتى على النوم عليهما . وأخذت بعض ثيابى ففرشتها وبعضها الآخر جعلتها بدل المخدة . ونمت متقززا . كأن تحت جنبى شوك السعدان . وقلت لزميلى ما رأيك لو صعد الينا بهذه السلالم الموجودة بجانب الفندق أحد السكرى أو طائفة منهم ؟ فقال : سنعمل جهدنا ان شاء الله فلا تخف وأغلقنا الشباك الذى يخشى من دخول أحد منه .

---

(١) أنظر الملحق الرابع .

وبسط زميلي عمامته السودانية الطويلة على فراشه ومخدته ونام عليها دون أن ينزع فراشا أو مخده تحديا لفندق روزفليت وكنت أظن أن حظه أحسن حالا من حظي . فربما كان فراشه نظيفا وكذلك أكياس وسائده ولكنه فضل المصالحة وفضلت الثورة .

● ليـــل طويـــل :

وعندما استيقظنا لصلاة الفجر . وكان هو الذى أيقظني بدا على وجهه علامة الاشمئزاز والتضجر . وهو يحك في جسمه . وسألته ما بك يادكتور ؟ فقال : لقد كانت هذه الليلة طويلة علي . وكنت أظن أنه سيتمثل ببيت امرىء القيس :

أيهـا الليل الطويل الا انجلي بصبح وما الا صباح عنك بأمثل

ولكنه كاد ولم يفعل .

قلت ماذا جرى ؟ قال : لقد باتت الروائح الموجودة في هذه البسط والوسائد تقلقني . كما باتت بعض الحشرات الصغيرة تأكل جسمي ولم أذق طعم النوم طول الليل . ثم أخذ يقلب الوسائد والفرش ففوجىء بأسباب الروائح في الوسائد . فرجوته أن يغطي ذلك وسليته بأن وقت خروجنا من هذا الفندق قد اقترب . كما اكتشف الدكتور في جدران بيت الماء ماهو أسوأ من ذلك .

ولقد ظهر لنا بعد ذلك انه لا ينزل في هذا الفندق الا المعدمون الذين لا يفيقون من السكر الا نادرا . كما ظهر لنا سبب وجود العصا بيد الفراش وهو خوفه من النزلاء المشار اليهم .

● استعجال لابـــد منه :

وبعد أن صلينا مباشرة حزمنا حقائبنا لنغادر مكان القلق الذى كان المفروض أن يكون مكان راحة . كان ذلك في يوم الأربعاء ٨ / ٨ / ١٣٩٨ هـ .

ضغطنا على زر المصعد وانتظرنا حتى جاء حاملا صاحب العصا وأدخلنا حقائبنا فيه ونزلنا الى قاعة ادارة الفندق ننتظر أخانا محمد نور الذى كان قد حجز لنا في فندق على جانب الشارع الآخر من جهة الشرق ولكن موعد تسلم الحجرة كان متأخرا ونحن لا زلنا مبكرين وانتظرنا طويلا في القاعة ونحن نرى النزلاء يدخلون ويخرجون اشباه مجانين ومنهم القاعدون على الكراسي يتحدثون ويضحكون وأغلبهم من كبار السن . وعندما طال الانتظار قال لي زميلي : أليس من الأفضل أن نشرب شيئا ؟ فقلت له : اشرب ما تشاء أما أنا فلا أريد شيئا وحقا ما كنت أقدر على تناول طعام أو شراب في هذا المكان القذر وهذه عادتي : اصبر على الجوع والعطش اذا رأيت مناظر قذرة مؤذية أو شممت روائح سيئة الا عند الاضطرار الذى لا أقدر على تجاوزه وفي جوانب الشارع المقابل كنا نرى اسرابا من الزنوج المتسكعين الذين يميل بعضهم على بعض أو يبادل بعضهم بعضا الصياح والضحك والبؤس باد على وجوههم ويظهر من تسكعهم انهم بدون عمل مثل اخوانهم في هارلم .

ولشدة تضايقنا من الجلوس في هذا المكان وسوء المناظر البشرية المؤذية اتصلنا بالأخ محمد نور نطلب منه سرعة التوجه الينا . وفعلا جاء الأخ محمد نور ومعه السيارة التى كنا طلبنا استئجارها لتبقى معنا مدة بقائنا في شيكاغو يقودها أحد الشباب البلاليين . لا أذكر اسمه الآن ولكنه طبيب .

● **يطبق النظام بـــدون خصام :**

نقلنا أثاثنا الى الفندق الجديد وتركناه لنذهب الى ادارة المرور لنأخذ تصريحا بالقيادة في مدينة شيكاغو . وفي الطريق الى المسجد البلاليين الذى كنا نريد أن نلتقى فيه بالأخ صلاح الدين الذى يتولى قيادة السيارة بدلا من أخينا الطبيب . وقبل أن نصل الى المسجد حصل مخالفة مرورية غير مقصودة من قائدنا فقد كانت الاشارة خضراء وهو بعيد عنها فأسرع ليسبق الاشارة الحمراء . ولكنها سبقته هى فناداه ضابط المرور عن طريق مكبر الصوت فوقف .

ونزل القائد والضابط ولم يدر بينهما حوار كما يدور بين ضابط المرور والسائقين في بلدان الشرق . بل يسأل الضابط السائق تعترف بأنك أخطأت ؟ فان اعترف فعليه أن يدفع الغرامة الجزائية وان قال له لا لم يكلمه وانما يعطيه قسيمة فيها نوع المخالفة وموعد المحاكمة ويذهب كل منهما في سبيله . واذا جاء يوم المحاكمة حضر محامى السائق . وفي الغالب يكون محامى جمعية أو شركة ينتمى اليها السائق . وحضر محامى ادارة المرور مع السائق والضابط وهناك يبت فى الأمر في صالح أحدهما وينتهى الأمر .

وأنا عندما أذكر مثل هذه الحادثة أريد من ورائها التنبيه على احترام الانسان لأخيه الانسان . ولا سيما اذا كانا مسلمين .

فان جندى المرور في بعض البلدان في الشرق يشتم السائق ويهدده وسرعان ما يرافقه اذا خالف ليسلمه الى المسؤلين في المرور للتحقيق والتوقيف أو السجن . وما الداعى لهذا . وفي الامكان أن يسجل المخالفة مع رقم السيارة ورقم الرخصة . والاستمارة وعندما تجدد الرخصة أو في أى وقت يحدد الجزاء المناسب ماليا كان أو سحب رخصة القيادة اذا كان الأمر يستدعى ذلك .

وليس في هذا الأمر صعوبة وقد وجدت أجهزة الخازن الكاشف (كومبوتر) الذى يمكن من جمع المعلومات عن كل شخص واظهارها في وقتها المناسب دون تحيز .

أخذ قائدنا البطاقة ومضينا الى المسجد وهناك تسلم الأخ صلاح الدين الشاب المرح السيارة وذهب الى ادارة المرور للاستفسار عن امكان حملنا ترخيصا بالقيادة على ضوء رخصنا المحلية .

● **في ادارة المرور :**

وصلنا الى ادارة المرور . وبدأ الأخ صلاح يسأل الموظفين الذين لا يجيبون بنعم أولا الا اذا كانوا على علم بذلك . فترددوا في الأمر بين من يظن الامكان ومن يظن عدمه . فاستدعوا امرأة تعتبر مستشارة قانونية فسألوها فأجابتهم : ان في امكانهم ذلك لو كانت الرخصة مترجمة باللغة الانجليزية مختوما عليها بختم جهة معتمدة .

● **نتـــــائج :**

وخرجنا من مقر الدورة بثلاث نتائج :

ـ **النتيجة الأولى** : أن أبواب الدعوة الى الله مفتوحة على مصراعيها في بلاد الغرب بحرية كاملة قد لاتوجد في كثير من بلدان المسلمين . فالكلية المستأجرة للدورة مسيحية . والمسئولون عنها مثقفون لا يخفى عليهم مفارقة الدين الاسلامى للدين المسيحى المحرف الذى يدينون به . ومع ذلك فقد أجروا مبانى كليتهم بعقد رسمى من مسئوليين رسميين لاقامة دورة لأئمة مساجد المسلمين وخطبائها في الولايات المتحدة الأمريكية . وهذه النتيجة بديهية جدا في كل المواقف المشابهة ولا تحاج الى تدليل

ـ **النتيجة الثانية** : أن هؤلاء الأئمة والخطباء الذين يعتبرون أحسن شيء في الباب . كما يقال لا يعرفون من الاسلام الا اسمه لأن المسئولين في الدورة عندما عرفوا ذلك بدؤا يعلمونهم مبادىء الاسلام الأولية وسورة الفاتحة وقصار السور التى ما كانوا يستطيعون نطق كلماتها . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على الجهل المطبق بدين الاسلام ·

والمؤسف أن رخصنا ملىء جانبها العربى وأهمل جانبها الانجليزى والذى خرجنا به من هذه الادارة أمران : الأول : اهتمام الموظفين بأداء الخدمة على وجه يرضى صاحب المعاملة . واظهار الأسف له اذا لم يمكن ذلك نظاما والثانى : حسن سير العمل والنظام الذى مهما كثر فيه المراجعون لاتجد فيه الصياح والمدافعة اللذين يوجدان في أغلب اداراتنا ومؤسساتنا . ولذلك تتسهل المعاملات وتنتهى مع كثرة المراجعين ·

وبعد أن اعتذروا لنا وخرجنا قال الأخ صلاح الدين : (نوبروبلم) أى ليس في الأمر اشكال فأنا سأقود لكم السيارة حتى تغادروا شيكاغوا فشكرناه على ذلك وعدنا مرة أخرى لتناول طعام الغذاء في بيت الأخ محمد نور وبعد ذلك عدنا الى الفندق لنرتاح وعاد كل من الأخوين الى منزله · ولقد ارتحنا فعلا في فندقنا الجديد اذ كان بمنزلة الصحة بعد المرض فالحمد لله رب العالمين ·

● **دورة تــدريب الأئمة :**

وفي يوم الخميس ٩ / ٨ / ١٣٩٨ هـ صباحا ـ كنا مع موعد مع الأخوين محمد نور وصلاح الدين لزيارة دورة تدريب الأئمة والخطباء التى قامت بها بعض المؤسسات في المملكة العربية السعودية . وعلى رأسها الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ومقرها يبعد سبعين ميلا تقريبا من مدينة شيكاغو حيث تم استئجار مبانى كلية هناك بمرافقها ·

وهناك التقينا بالأخوة د · محمد العروسى عميد شئون الطلبة بشطر جامعة الملك عبد العزيز في مكة . وهو رئيس الدورة والأخ الشيخ اسماعيل بن عتيق والدكتور على جريشة أحد أعضاء هيئة التدريس بالجامعة الاسلامية في المدينة المنورة . والمنتدب من قبل الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد . والأخ الشيخ صهيب بن حسن زميلى في الدراسة ومبعوث الرئاسة العامة للدعوة في لندن والمشترك في الدورة وغيرهم من الأساتذة وبعد جلسة قصيرة مع المذكورين صلينا الظهر والعصر جمع تقديم واستأذنا للعودة الى شيكاغو ·

ـ **النتيجة الثالثة** : ان اقامة مثل هذه الدورة انفع من بعث وعاظ ومرشدين يمرون بالمساجد والتجمعات لالقاء محاضرات ثم العودة بتقارير مفصلة عما قاموا به وعن حالة الناس وتقديم بعض الاقتراحات . الا اذا كان الهدف منها جمع المعلومات للاستفادة منها في التخطيط للدعوة مستقبلا فذاك أمر مهم جدا ·

● أحب العمل الى الله أدومه :

وأنفع من ذلك كله فتح مدارس في المدن التى يوجد بها تجمعات اسلامية لتعليم المسلمين أمور دينهم ضمن مناهج معدة لأهداف محددة . وعلى المؤسسات الاسلامية التى نصبت نفسها للدعوة الى الله أن تفكر في هذا الأمر · ولست أغض من بعث الدعاة والمرشدين واقامة دورات مماثلة لاقامة الحجة وأداء المستطاع ولكنى أذكر ما هو أنفع وأدوم . وأحب لعمل الله أدومه وان قل · عدنا الى الفندق وعاد الاخوان الى منزليهما ·

● صلاة الجمعة في مسجد السلام :

وفي صباح يوم الجمعة الموافق ١٠ / ٨ / ١٣٩٨ هـ ذهبنا الى مسجد السلام في شيكاغو الذى يجتمع فيه السوريون والفلسطينيون لأداء الصلوات جماعة . لاسيما يوم الجمعة ويومى الأجازة الرسمية : السبت والأحد . وهو عبارة عن قاعة واسعة نسبيا في الدور الثانى من العمارة يوجد في مؤخرتها ستارة يصلى وراءها النساء وعندما دخلنا المسجد وجدنا شيخا مصريا أزهريا يتحدث الى الحاضرين أحاديث دينية قبل صلاة الجمعة فجلسنا نسمع حديثه وكان باللغة العربية ·

وعندما حان وقت الصلاة أذن المؤذن وخطب أخونا الأزهرى باللغة الانجليزية وصلى بنا . وبعد الصلاة طلب منا أن نقدم أنفسنا للمصلين وأن نقدم لهم نصيحة فقام زميلى الدكتور بيلو وعرف الناس بنا وبمهمتنا ثم طلب الأخ الأزهرى منى أن ألقى كلمة في الحاضرين . فقلت اذا أمكن أن يحصل اجتماع بعد المغرب هنا لالقاء درس فقد يكون أفضل حتى لا يمل الناس اذ قد سمعوا درسا قبل الصلاة ثم خطبتى الجمعة والوقت وقت غداء وراحة فألح أخونا الأزهرى على القاء نصيحة الآن ـ فاستعنت بالله وألقيت كلمة مختصرة تضمنت تهنئة المصلين بحرصهم على أداء الواجبات والفرائض والحث على الاستمرار في ذلك والابتعاد عن المفاسد والمحرمات وأن الجنة حفت بالمكاره والنار حفت بالشهوات . وأن هذه المكاره وهذه الشهوات ماثلة في هذا البلد أكثر من بلادنا ولذلك فعلينا أن نضاعف جهودنا للتمسك بدينينا في هذه الأجواء الخانقة بالنسبة للمسلم ·

وبعد الفراغ من ذلك تعارفنا مع الأخوة الحاضرين وعرفنا الأخ الأزهرى بنفسه واسمه أحمد زكى حماد وهو مبعوث من وزارة الأوقاف المصرية للعمل مع مسلمى شيكاغو ·

وكان يعمل مع الشيخ محمد الغزالى في وزارة الأوقاف المصرية قبل ذلك . ولقد وجدنا في الأخ أحمد زكى الرجل المؤمن الصادق ذا العلم والخلق الفاضل والتحمس للدعوة الى الله .

مضت له سنتان ودخل في السنة الثالثة في هذه المدينة وهو الذى ترجم حديثى الى اللغة الانجليزية للحاضرين ولم يكن قبل يتكلم اللغة الانجليزية وانما تعلمها في هذه المدة وهو يمارس الدعوة الى الله واتضح لنا أن له نشاطا في الدعوة .

وعدنا الأخ أحمد زكى ان يزورنا في الفندق هو وبعض المسلمين الذين يعمل معهم فودعناه وودعنا الأخوة الآخرين وعدنا الى الفندق .

● مسجـــد :

وفي يوم السبت ١٠ / ٨ / ٩٨ زرنا مسجداً آخر يشرف عليه بعض المسلمين الباكستانيين المقيمين في شيكاغو . ويعتبر مأوى لجماعة التبليغ الذين يفدون الى شيكاغو والتقينا ببعضهم وهم على وشك السفر الى جهة أخرى . وتوجد في المسجد مكتبة صغيرة للمطالعة وفيها كتب للبيع باللغة العربية والانجليزية والأردية ولم نجد المسئولين عن المسجد فصلينا مع الحاضرين الظهر وحصلت مناقشات خفيفة مع بعضهم ثم عدنا الى الفندق .

● جمـــاعة دار الأرقم :

وفي المساء زارنا الأخ أحمد زكى مع بعض المسلمين السود الذين فارقوا جماعة ولس الدين وتجمعوا في مقر خاص بهم سموه دار الأرقم . وهم ينشدون الحق ويريدون تطبيق الكتاب والسنة وينتقدون أفكار اليجا محمد وأفكار ولده ولس الدين التى يرون أنها تخالف تعاليم الاسلام . وكانت أسئلتهم تدور حول موضوع الجماعات الاسلامية والموقف الذى يجب على المؤمن تجاهها .

وأجيبوا بأن الميزان هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فأى جماعة تهتدى بهما وجبت موالاتها وأى جماعة خالفتهما فليس لها علينا الا أن ندعو لها بالتوفيق والهداية وأن ندعوها الى تصحيح أفكارها على ضوء ذلك .

كما حثوا على طلب العلم والجد فيه لاسيما تعلم اللغة العربية التى تعتبر المفتاح الأساسى لفهم الاسلام من مصدريه العظيمين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وبين لهم بعض مبادىء الاسلام الأساسية . كالشهادتين وما تضمنتاه من استسلام لله واتباع لنبيه صلى الله عليه وسلم .

● عمـــل مثمر :

وظهر لنا من الحديث معهم أثر تعليم الأخ أحمد زكى لهم فقد كان بعضهم يحفظ بعض أجزاء القرآن الكريم مع اجادة تلاوته وطلبوا منا أن نبلغ المسئولين في الجامعة الاسلامية رجاءهم تخصيص ثلاث منح أو أربع فوعدناهم بذلك وقد بلغنا فعلا .

كما أبدى الأخ أحمد زكى حاجته الى امداده ببعض المراجع الاسلامية في علوم التفسير والحديث والفقه واللغة للرجوع اليها عند الحاجة لعدم وجود مكتبة عامة في شيكاغو بل لا توجد مكتبات خاصة مزودة بمثل هذه المراجع الضرورية . وهكذا أبدى غيره من العلماء الذين وجدناهم رغبتهم في وجود مراجع يستفيدون منها ٠

وعلى الجامعات السعودية والرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ورابطة العالم الاسلامى ووزارات الأوقاف والشئون الاسلامية في العالم الاسلامى ان تمد هؤلاء الدعاة بالمراجع المفيدة لاسيما وزارة الأقاف الكويتية والأزهر وغيرها . فالذى لا يغزو بنفسه عليه ان يجهز الغازين في سبيل الله ٠

● أعلى عمـــارة في العـــالم :

وفي هذا اليوم كنا صعدنا الى آخر دور يصل اليه الزوار في أعلى عمارة في العالم في هذه المدينة والعمارة الثانية كانت في نيويورك كما مضى أشرفنا على المدينة كلها ورأينا بجانب العمارة المذكورة مبنى كبيرا تمتلكه أسرة روزفليت (ولم أدخل هذا المبنى لأقارن بينه وبين فندق روزفليت الا أن مظهره يوحى بالبون الشاسع بينهما) وذكروا أن الاسرة المذكورة شيدت هذا المبنى من أرباح الخمر الذى كان في ذلك الوقت ممنوعا قانونيا وكانت الأسرة تتاجر به بطريق غير مشروع فاكتسبت أموالا كثيرة بسبب ذلك وشيدت منها هذا المبنى ـ ولعلها اشترت بها المجد الرئاسى في الولايات المتحدة الأمريكية ٠

● الحبر اليهودى في مسجد البلاليين :

وفي يوم الأحد ١١ / ٨ / ١٣٩٨ هـ ٠ لم يتمكن الأخ صلاح الدين من المجيء الينا لمشاركته في اجتماع البلاليين في مسجدهم الذى حضره أحد أحبار اليهود وألقى فيهم محاضرة ضمنها وحدة الأديان الثلاثة ودعا أهلها الى الاخاء والتعاون . ونبذ العداوة والشحناء (ولعله بذلك يرد على كلمتى التى القيتها في البلاليين وكان مما تضمنته نفى صحة اى دين سوى دين الاسلام) ٠

● رحلـــة نهريـــة :

وجاءنا الأخ محمد نور مساء لنقوم بجولة في بحيرة شيكاغوا على أحد المراكب النهرية السياحية فذهبنا الى مكتب احدى الشركات التى تتولى القيام بذلك ٠

● قارب صغير ترتفع له جميع الجسور :

وبينما كنا ننتظر دورنا سمعنا صفارات انذار ورأينا الجسر القريب منا الذى تعبر عليه السيارات والمشاه يرتفع فأخذنا ننظر يمنا وشمالا في النهر حيث كنا نتوقع أن تمر سفينة كبيرة لا تتمكن من

العبور الا برفع الجسر كما رأينا بقية الجسور ترتفع واحدا بعد الآخر ولم نر ما كنا نتوقع أن نراه فسألنا : لماذا رفعت هذه الجسور فأشاروا الى قارب صغير جدا كان يمر بجانبنا قالوا لاجل هذا القارب فدهشنا لذلك : يتوقف سير الناس وسير السيارات وترتفع هذه الجسور كلها من أجل هذا القارب ؟ وكان السبب أن عمود شراعه (وهو كالعصا الكبيرة) طويل بالنسبة للجسور وليس في القارب الا سائقه ؟

قالوا نعم ان هذا الرجل أحد أبناء الشعب يدفع ضريبة كغيره ، وقاربه يحمل رخصة قانونية فمن حقه أن يعبر وأن يقف الناس والسيارات وترفع الجسور من أجل عموده .

قلت في نفسى : لو كان في بعض بلدان الشرق لا لزموه بقطع المسافة الزائدة في عمود شراعه التى تسببت في كل هذه المشاكل ، أو لأهمل وضويق حتى يفعل ذلك بنفسه . وجاء دورنا فصعدنا على المركب الذى أخذ قائده يدور به في الأنهر المتفرعة عن بحيرة شيكاغو ، وفي االطراف البحيرة نفسها ، ورأينا ناسا كثيرين يقفون على الميناء وسفنا كبيرة نسبيا واقفة كذلك ، ذكر أنها ستبحر بهؤلاء الناس الى المحيط الأطلسى ومن ثم الى الهند ، وبعض تلك البواخر هندية .

● نظـــام وفوضى :

وفي مركبنا رأينا مالا نرضاه من بعض الحيوانات البشرية التى كنا رأيناها عند صعودنا المركب ملتزمة بنظام الطابور وكأنها مؤدبة ، لقد رأيناها وهى في أحط درجات الفوضى وهكذا طبيعة أهل الغرب ترى مظاهر منظمة مرتبة وترى معاملاتهم القانونية سريعة ومهذبة ولكنك في نفس الوقت تراهم يتصرفون في العلاقات بين الجنسين تصرف المجانين والحيوانات بدون أيما خجل واحترام لأنفسهم أو لغيرهم .

وبعد ساعة من اقلاع المركب بنا عدنا الى المكان الذى انطلقنا منه وكان ذلك في تمام الساعة السادسة مساء .

عدنا الى الفندق مشيا على الأقدام ، والمسافة كانت طويلة لنرى الأسواق ، لأننا لم نكن نتمكن من التجول فيها لضيق الوقت ، وكان يوم عطلة ، وفي واجهة بعض الدكاكين رأى الأخ محمد نور اعلانا دينيا فقرأه واذا الرف المجاور مملوء بأعداد من مجلة نصرانية ذات ورق صقيل ناعم وطباعة أنيقة بحروف واضحة توزع مجانا وفيها الدعوة الى النصرانية وبيان محاسنها ، وأخبار عالمية عن الدين المسيحى وغير ذلك ، وكان الأخ محمد نور قد أخذ اعدادا سابقة فأخذ أيضا من الأعداد المذكورة ، وذكر أنها تتحدث عن الاسلام ومزاحمة المسيحية وتدعو الى الجد والحذر ، ولكن عامة الناس غير القسس والرهبان والمهتمين بالأديان مشغولون بالدولار ومستلزماته ، ولم يعد الدين المسيحى يستحوذ على قلوبهم وانما المتحمس له يكتفى بالانتساب اليه وبحضور الكنيسة دقائق يوم الأحد .

● وسيأتى حديث عن اخفاق بعض الكنائس ان شاء الله .

الى لــوس أنجــلس

● من شيكاغو الى لوس أنجلس :

وفي يوم الاثنين الموافق ١٢ / ٨ / ١٣٩٨ هـ غادرنا مدينة شيكاغو الى المطار . وكان الأخ أحمد زكي هو الذى جاء الينا في الفندق وأوصلنا الى المطار .

وكالعادة وجدنا في باب مبنى المطار الموظف المختص الذى أخذ حقائبنا دون أن نتعب في ايصالها الى داخل القاعة . وبعد الانهاء الخاص بالتذاكر ودعنا الأخ احمد زكى ودخلنا الى الطائرة فأخذنا مقاعدنا . وكان الاقلاع في الساعة الواحدة والدقيقة العاشرة بعد الظهر وسط سحاب كثيف ورذاذ من الماء .

● عمل دؤب لاستصلاح الأراضى البور :

وبعد أن قطعنا مسافة صحا الجو وأخذت أنظر كعادتى الى الأرض فرأيتها خضراء كما رأيتها كذلك من أنديانا الى ديترويت . ثم من ديترويت الى شيكاغو وبها أنهار جارية . الا انها في الجهة الغربية بدأت تظهر أرض جرداء يتخللها قطع بدأ استصلاحها . ورأيت آلات زراعية في كثير من الأماكن وبقربها قطع من الأرض خضراء تحيط بها أراضى شاسعة غبراء . والظاهر ان الامريكيين عازمون على جعل بلادهم كلها مزرعة حتى تلك الأماكن القاحلة .

وكنت انظر الى هذا الجد في العمل واتمنى ان ارى في بلاد المسلمين التى بدأ العمل في قطع أشجار بساتينها القديمة فضلا عن أراضيها الواسعة الصالحة للزراعة التى أهملت وكانت لو استطاعت ستدر أرزاقا على أهل البلاد وستصدر الزائد للبلدان المجاورة . مع وفرة المياه وخصوبة التربة في كثير منها . كالسودان ومصر وغيرها .

وقلت في نفسى : الامكانيات المادية متوفرة في بعض بلداننا كالمملكة العربية السعودية ودول الخليج والامكانيات البشرية متوفرة في بعضها . كمصر . والأراضى الخصبة كالمياه ذات المياه المتدفقة متوفرة كذلك . كما في مصر والسودان والعراق وغيرها . فلماذا لا يحصل تنسيق بين هذه البلدان لجعل أراضيها زراعية تكفى أهلها - على الأقل - وتغنيهم عن الاستيراد ؟

● وهل ترغبون في لحم الكــلاب :

وعندما مرت المضيفة المختصة على الركاب لمعرفة ما يرغبون من الطعام أخذ زميلى يتفاهم معها وبين لها الأطعمة التى لانرغبها ومنها : لحم الخنزير فقالت له : وهل ترغبون لحم الكلاب فرد عليها مستنكرا مبينا أنه لافرق بين كلب وخنزير عندنا لأننا مسلمون . فقلت للزميل : لعلها تمزح فقال بل هى جادة وهذه بطاقة الطعام مسجل عليها فيها من ضمن اللحوم لحم الكلاب .

وبعد أخذ ورد حصلنا على مطلوبنا . وكان السبب في ذلك أنه لم يتم التنبيه على الشركة في وقت مبكر بالنسبة للطعام .

وهبطت بنا الطائرة في مطار مدينة لوس انجلس في تمام الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة بتوقيت شيكاغو . أى أن المدة الطيران كانت أربع ساعات ·

● ذكر المدينة هز قلوب المسلمين رجالا ونساء :

وعند خروجنا من ممر العبور الذى يصلَ بين الطائرة وقاعة المطار مباشرة قابلنا الأخ الشيخ تاج الدين شعيب الغانى الذى تخرج في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة من كلية الدعوة وأصول الدين قبل ثلاث سنوات . وهو مبعوث من قبل الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد وكان من الطلبة الذين تلقوا تعليمهم على يدى في المعهد المتوسط والثانوى في الجامعة في العقيدة والتفسير والفقه . كما كان من طلبة القسم الداخلى الذين أشرفت عليهم عندما كنت مسئولا عن شئون الطلاب في الجامعة . وهو من الطلبة النشيطين في دراستهم في الجامعة ·

وكان في الأصل يعمل مع البلاليين في مركزهم الرئيسى في شيكاغو ولكن زعيمهم طلب منه أن ينتقل الى مركزهم في لوس أنجلس ففعل وكان معه في استقبالنا بعض أعضاء البلاليين ومعهم نساء وأطفال اشتاقوا للقائنا عندما علموا أننا من المدينة المنورة وللمدينة في نفوس المسلمين شأن كبير وعواطفهم نحوها ملتهبة · فعلى أهل المدينة أن يؤدوا واجبهم في استغلال عواطفهم للسير بها الى الله قدوة وتعليما ودعوة ·

● الفندق في هوليود ومفاتيحه أرقام سرية :

وكان الأخ تاج الدين قد حجز لنا في فندق في أنظف منطقة وأقذرها كذلك ؛ أنظف منطقة من حيث الشوارع والهدوء وغيرها وأقذر منطقة . لانها في هوليود الشهيرة التى تضم الممثلين والممثلات الذين يصدرون من هنا أسوأ التمثيليات وأقذرها ولقد رأينا ذلك في التلفزيون وفي الصور المعلنة في الشوارع عن الأفلام السينمائية التى تعرض ·

وصلنا الى الفندق وبعد الاجراءات اللازمة وهى سهلة وسريعة طلب منا مدير الفندق ان نختار رقما سريا نفتح به باب حجرتنا عوضا عن مفاتيح اليد العادية فاخترت رقما وسجله الخازن الآلى· (كمبيوتر) وعندما صعدنا الى الحجرة وجدنا بها أرقاما سرية شبيهة بأرقام الحقائب اليدوية ففتحنا الباب بالرقم السرى المتفق عليه فانفتح ·

وذهب الأخ تاج الدين الى منزله ليعود علينا صباح غد الثلاثاء ومعه السيارة التى تم استئجارها لنا من بعض الشركات ·

● فــن وضجـــة :

وفي يوم الثلاثاء الموافق ١٣ / ٨ / ٩٨ جاء الينا الأخ تاج الدين مبكرا للقيام بجولة في المدينة . وكنا سمعنا ضجة حول طالب من بعض البلدان الاسلامية من ذوى الثراء اشترى مقصورة كبيرة في أغنى

أحياء المدينة بثلاثة ملايين دولار ، وان على جدار حائط المقصورة تماثيل ذكور واناث . وان الطالب المذكور أبرم عقدا مع بعض الفنيين للقيام بتجميل التماثيل المذكورة بالدهون وأسوأ ما عمله هو تجسيم أعضاء الذكورة والأنوثة وانه عمل معه مقابلة في التليفزيون وسئل عن ذلك فقال ان ذلك فن اسلامى . وفي الاسلام فن كغيره وان المسيحيين استنكروا ذلك . وأخذ اليهود ينشرون ذلك في جميع أنحاء أجهزة الاعلام التى يسيطرون عليها .

سألنا الأخ تاج الدين شعيب عن ذلك فقال : نعم ذلك ما حصل واذا شئتم أن تروا بأنفسكم العمارة فلنذهب الآن فذهبنا ونزلنا عند المقصورة فرأينا لوحة على بابها الرئيسى كتب عليها اسم المشترى باللغة العربية وكتبت الآية الكريمة : « ادخلوها بسلام آمنين » وأخذنا نتجول حول الحائط الخارجي فوجدنا بعض الناس وهم يصورون العمارة والتماثيل . والتماثيل نصبت على جدار داخلى غير الجدار الخارجي وهى كما ذكر . ولقد أفزعنا ذلك المنظر الذى جعل الناس يفدون ليروه ويصوروه وينشروه وأخذت أجهزة الاعلام كذلك تكرره على أسماع الناس وأبصارهم وتعلق عليه . مما جعل المسلمين ولاسيما العرب منهم يطأطئون رؤسهم خجلا مما حصل . وعندنا رقم المقصورة واسم صاحبها ولو كان الأمر مستورا لما أشرت اليه أصلا ولكنه معروف مشهور ويعتبر حديث الناس . ومعروف أن التماثيل محرمة في الدين الاسلامى الحنيف . فكيف اذا كانت هذه التماثيل تحمل مناظر خلقية سيئة .

أليس كان الأجدر بطلبة الشعوب الاسلامية أن يكونوا قدوة للناس يدعونهم الى الاسلام بسلوكهم بدلا من تنفيرهم بالسلوك السيء . أليس الأجدر بهؤلاء أن ينفقوا أموالهم الفائضة على بعض المراكز والمدارس الاسلامية التى تضطر الى الاعانات المالية لنشر الاسلام فلا تجدها ؟

الا فليتق الله كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر وليربأ بنفسه عن سلوك ينفر الناس من الاسلام . وليراقب المسئولون عن الشعوب الاسلامية أبناء شعوبهم في الداخل والخارج فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .

وعمل الفرد في بلاد الغرب لا ينسب اليه وحده ، ولا الى شعبه وحده ولا الى جنسه وحده ، وانما ينسب أول ما ينسب الى دينه . وكم كان فرح اليهود وسرورهم بهذا الأمر وكم عملوا له من تمثيليات ولم يبق فرد يقرأ ويسمع الاذاعة أو يشاهد جهاز التليفزيون الا عرف ذلك .

ولقد شكا الأخ تاج الدين من تأخر الرواتب من جهة ومن قلة الراتب بالنسبة للحالة الاقتصادية في البلاد من جهة أخرى .

فالراتب ثمانمائة دولار منه أجرة المنزل وتكاليف الكهرباء والهاتف والنقل والملابس . وهناك لا بد من التأمين الصحى والا فان الفرد لا يقدر على تحمل مصاريف الاستشفاء اذا أصيب بمرض . وانى لأهيب بالمؤسسات الاسلامية المعنية بالدعوة أن تنظر في هذا الأمر وأن تراعى الحالة المعيشية في بلاد الغرب وفي اليابان أيضا وتحدد للداعية الى الله ماهية تكفيه ولاتجعله يظهر أمام من يدعوهم محتاجا اليهم فان ذلك يقلل من شأنه عندهم .

● على الجانب الشرقى للمحيط الهادى :

وبعد جولة في المدينة عدنا الى الفندق وعاد الأخ تاج الدين الى منزله وفي صباح يوم الأربعاء ١٤ / ٨ / ١٣٩٨ هـ جاء الأخ تاج الدين مبكرا حسب طلبنا اذ رغبنا أن نذهب لنقف على ضفة المحيط الهادى الشرقية في غرب مدينة لوس انجلس ولهذا المحيط في نفسى اشتياق لأراه من الضفتين الشرقية في غرب أمريكا والغربية في شرق اليابان ولأحلق فوقه بالطائرة أو أخوضه بالباخرة ٠

ذهبنا الى المحيط الهادى ووقفنا على جانبه الشرقى ورأينا أمواجه الهادرة التى تثب كل واحدة على أختها بتتابع عجيب وكان اشتياقى لهذا المحيط واعجابى به قديما منذ الصغر عندما كنت طالبا في معهد سامطة العلمى قبل ما يزيد عن ثلاث وعشرين سنة في دروس الجغرافيا التى لم تكفنى الخريطة العالمية المسطحة . بل ذهبت الى استاذ الجغرافيا في منزله ليطلعنى على صورة الكرة الأرضية التى لم يكن حينها يجرؤ على احضارها في الفصل خشية من بعض المتشددين من الطلبة الذين لم يكونوا يرضون أن توصف الأرض بأنها كروية ٠

وعندما رأيت الكرة وتأملت في موقع المحيط الهادى منها قلت للاستاذ أن المحيط يقع في أسفل الأرض وكيف يبقى هكذا دون أن ينكفى ؟ فضحك الاستاذ وقال : لو ذهبت الى المحيط الهادى لرأيته فوق سطح الأرض وظننت أن موقعنا نحن في أسفل الأرض . فالعلو والسفل أمر نسبى . وفهمت هذا المعنى بعد ذلك من الرسالة العرشية لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ٠

اذن للمحيط الهادى ذكريات خيالية قديمة في نفسى . وأراد الله ان يحقق ذلك فعلا فله الحمد والمنة . وسيأتى الحوار الذى جرى بينى وبينه شعرا ٠

● حقوق الانســان والمناظر الثــلاثــة

وبعد تأمل طويل في أمواج المحيط وفي سعته التى نراها وتخيل لسعته الحقيقية رأينا ثلاثة مناظر كل منظر منها جعلنى أتسائل عن حقوق الانسان التى ينادى بها رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ومجلس الأمن وكثير من دول العالم . وأتذكر كيف طبقها الولاة المسلمون فعلا في جميع المجالات ٠ :

● المنظر الأول :

نظرت عن يسارى فوجدت شخصين نائمين تحت مظلة مراقبة على جانب البحر يفترشان الرمل وثيابهما ممزقة متسخة وحالتهما سيئة فقلت للاخوين الزميل وتاج الدين شعيب : لنبعد عن هذين النائمين خشية ازعاجهما من جهة وخشية أن يكونا سكرانين أو حراميين فيعتديان علينا من جهة أخرى فابتعدنا عنهما ٠

● المنظر الثـــانى :

نظرنا الى اليمين فرأينا شيخا كبيرا وامرأة كبيرة أيضا لا يقل عمرهما عن سبعين سنة . وهما يتحسسان بجانب البحر في الأرض كل منهما في يده عصا وفي أسفلها آلة وفي أذن كل منهما سماعة مرتبطة بالآلة وهما جادان في البحث يتحسس أحدهما ثم يأخذ يبحث في الأرض فيأخذ شيئا ويضعه في جيبه . وكان الرجل أنشط من المرأة فقلت : ماذا يفعل هاذان ؟ فقال زميلى الدكتور : لاندري ولكن يمكن أن نقترب من الرجل ونسأله فاقترب الدكتور والأخ تاج الدين منه وسألاه عماذا يفعل فوقف وأجابهما بهدوء : اننا نبحث عن النقود المعدنية التى يرميها البحر ونذهب بها الى البنك لنأخذ قيمتها ونقتات بها ولنا مدة طويلة ونحن نفعل ذلك . واتضح ان في أسفل العصا آلـة تشير الى وجود الحديد .

● المنظر الثـــالث :

رأينا شابا أسود لا يزيد عمره عن عشرين سنة وهو يحمل فراشه تحت ابطه ويمر بأوعية القمامة التى يرمى الناس فيها فضلات أكلهم أو علب شرابهم . وكان يضع فراشه عند كل وعاء ويدخل يده ويحرك ما في داخل الوعاء ويأخذ منه أشياء ويضعها في كيس معه . ورأيناه يرفع يده أيضا الى فيه والظاهر أنه كان يضع بعض الفضلات في كيسه وبعضها في فمه يفطر بها .

والظاهر أنه يفعل ذلك يوميا . ينام على جانب المحيط ليلا واذا اصبح ذهب يلتمس رزقه من القمامة . لأن سيره كان عاديا جدا ووقوفه عند كل وعاء عادى كذلك . وكيفية تفتيشه في القمامة .

وقصة الزوجين العجوزين بالذات ذكرتنى بقصة اليهودى العجوز الذى رآه عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتكفف لينفق على نفسه فأمر باجراء رزقه وقال : أخذنا منه الجزية في حال قوته وتركناه في حال ضعفه . فلو كانت حقوق الانسان المنادى بها في تلك البلاد مطبقة لأمن رزقهما أما من بيت مال الدولة دون مقابل عمل لضعفهما وأما بايجاد عمل خفيف يناسب شيخوختهما .

وذلك الشاب الزنجى القادر على العمل دون شك كان يجب أن يعنى به في بعض مراكز التدريب المهنى حتى يؤهل للعمل ويوظف في العمل المناسب . كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل الذى سأله وهو قوى . اذ أمره أن يحتطب ويبيع ففعل واكتفى عن المسألة .

ولكن الذى يرى الزنوج في حى هارلم وفي بعض المدن الأمريكية لا يستغرب ذلك . بل يعده أمرا طبيعيا عند قوم ربيت نفوسهم على الأنانية الرأسمالة الجشعة والأثرة الفردية المسماة بالحرية التي حطمت الصلات الانسانية العادلة ثم أخذنا جولة طويلة في المدينة .

● **في معهد الدراسات الاسلامية :**

عدنا بعدها الى زيارة معهد الدراسات الاسلامية الذى تم انشاؤه عام ١٩٧٦ م وهو يتكون الآن من مدرستين : مدرسة قرطبة وهى تعنى بتعليم أولاد المسلمين هناك المواد الاسلامية . وبجانبها المواد التى تعتبر رسمية في المدارس الأخرى . ليكون الطالب مؤهلا لدخول الجامعات الأمريكية .

وهى تشمل الروضة والا بتدائى والاعدادى .

ثم مركز تعليم اللغة الانجليزية الذى يعنى بتعليم الطالبات المسلمات الوافدات اللغة الانجليزية مع الحفاظ على سلوكهن الاسلامى . وتدير المركز امرأة مسلمة . كما ان المعلمات مسلمات أيضا .

ولمدرسة قرطبة مبنى مستقل . وللمركز مبنى مستقل كذلك وهما ضيقان لا يتسعان ولكنهم مضطرون للبقاء فيهما لعدم الامكانات المادية . ويظهر من التعريف الرسمى بالمعهد أن المركز ذو شعبتين شعبة للاناث وشعبة للذكور .

ويشارك بالتدريس بمدرسة قرطبة بعض الطلبة المسلمين حيث يلقون بعض الدروس في أوقات فراغهم .

وقد اجتمعنا بأعضاء المعهد وعلى رأسهم رئيس مجلس الادارة الاستاذ سعد الدين الغزاوى وهو عراقى الجنسية وهو شاب صالح يتوقد حماسا للدعوة حريص على هداية الناس .

وقد صلينا في المدرسة الظهر مع المدرسين والطلبة وبعد ذلك شرح لنا حال المعهد والصعوبات التى تواجهه فهو قائم على تبرعات المحسنين من خارج أمريكا ومن داخلها ويسهم في المساعدة اتحاد الطلبة المسلمين .

وأهم ما يعترضهم عدم اتساع المبانى للطلبة والمكاتب الادارية لذلك حاولوا شراء مبنى كبير يتسع للمشروعات التى ينوون اقامتها وهى حسب المخطط : اعدادى · ابتدائى · مدارس صيفية رياض أطفال معهد اللغة الانجليزية · الكلية الاسلامية وهى ذات شعبتين : الدراسات الاسلامية · الدراسات العربية .

وقد وجد مبنى كبير جدا وأصله كنيسة كسدت بضاعتها فاضطر المسئولون عنها الى بيعها وانها لفرصة في وسط المدينة يرفع فيها ذكر الله الحق العليم والأذان . وقيمة المبنى زهيدة جدا انها ثلاثة ملايين دولار فقط وهم الآن في مساومة مع أصحاب المبنى وقد وعدوا ببعض المساعدات ولكن الى الآن لم يتلقوا شيئا يذكر .

ولقد سرنا ما يقومون به من تعليم أبناء المسلمين علما وعملا في جو كفر مظلم ومثل هذه المشاريع هى الجديرة بالمساعدة لأنها ثابتة ونفعها واضح وقد وعدوا بمساعدة من جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية وغيرها وسمحت لهم وزارة الداخلية في المملكة بجمع التبرعات

ونرى أن هذا المعهد من المؤسسات التى تتحقق بها بعض أهداف الجامعة الاسلامية ومثيلاتها فمساعدة الجامعة له أمر مطلوب وتركهم بدون مساعدة قد يقضى على نشاطهم وهم على ضآلة امكاناتهم جادون في التعليم بكل الوسائل عن طريق التدريس في الفصل والكتاب المبسط والشريط المسجل وغير ذلك ٠

وقد أرفق بالتقرير المقدم الى الجامعة الاسلامية بعض الوثائق المتعلقة بهذا المعهد ومشاريعه (١) ٠

وعلى من يريد أن يضع ماله في سبيل الله أن يسهم في مساعدة هذا المعهد وأمثاله ، وعلى من يريد أن يسهم في رفع لااله الا الله محمد رسول الله بدلا من ألوهية المسيح والتثليث الاشراكى أن يسهم في شراء ذلك المبنى ليتحول الى بيت من بيوت الله في تلك البلاد الكافرة ٠

وقد زرنا المركز الاسلامى في لوس انجلوس . ووجدنا بعض المسئولين في المركز من الجزائر ومصر وغيرها . وهو يتكون من مسجد . ومكتبة ومكاتب ادارية ٠ فاستقبلنا أحد موظفى المكتب وهو جزائري . وبمجرد وصولنا وضع يديه على جانبى رأسه يشكو بشدة من شدة التعب الذى يعانيه من خدمة الاسلام والمسلمين وفصل تلك الخدمة ببعض الأمور . وأهمها دفن الموتي المسلمين ومتابعة اجراءاتهم . وكثرة اتصال المسلمين به للسؤال عن مواعيد الصلاة . وتعيين أول شهر رمضان وكل من عيد الفطر وعيد الأضحى وليلة النصف من شعبان والسابع والعشرين من شهر رجب واتضح لنا أن ذلك لتهويل العمل الذى يقوم به واشعار الزائرين من الشرق أن المركز جاد في عمله للاسلام لينقل ذلك الى الجهات المسئولة من المؤسسات الاسلامية . أو حكام الشعوب الاسلامية للحصول على المساعدات المالية ٠

وبعد الخروج من المركز المذكور بين لنا بعض الأخوة الذين نثق فيهم أن أعضاء هذا المركز يعملون مع المنظمة الماسونية علنا دون خجل وأنه في الاحتفالات التى تقام في مسجد المركز يختلط الشبان بالشابات وهن شبه عرايا . وأن المسجد المذكور يعتبر من أماكن اللقاءات السيئة . كما ذكروا أن رئيس المركز السابق كان يفتى علنا بأنه ما دام الشاب بعيدا عن أهله ووطنه ولا يقدر على الزواج فلا ضير عليه في الاسلام أن يصادق شابة في بلاد الغربة ٠

لذلك حملنا الأخوة المسئولية في التحذير من هذا المركز وعدم مد يد العون له لأن اعانته تعتبر اعانه لقوم يهدمون الاسلام باسم الاسلام ٠

● فى القبـــة السماوية :

وفي يوم الخميس ١٥ / ٨ / ١٣٩٨ هـ زرنا القبة السماوية التى تحتوى على أفلام عن الكواكب السماوية والأرض . وعلى مكبرات النظر المباشر الى ما يمكن رؤيته بوضوح من الكواكب ٠

وكان الفليم الذى عرض في تلك الليلة عن نظريات بعض كتاب الغرب عن الحياة . مثل نظرية

---

(١) أنظر الملحق الأول

دارون وغيره ، كما احتوى على عرض لبعض الصور للنجوم والكواكب ، وكان الشارح يعلق على كل نظرية وأنها مجرد تكهنات قابلة للبحث ، هكذا ترجم لى الأخ تاج الدين شعيب .

● **وكان تعليقى على الموضوع بما يلى : ـ**

نحن المسلمين لسنا في حاجة الى من يشرح لنا معنى الحياة ولا كيفة نشأتها فقد وصلنا اليها بسهولة ومن مصدر لا يوجد غيره مطلقا في هذا الباب .

فقد علمنا أن الله هو الخالق سبحانه فهو خالق كل شيء ولا خالق سواه وعلمنا أنه اذا أراد شيئا يقول له كن فيكون وأنه خلق أبانا آدم من تراب ، وخلق منه زوجه حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء والكون كله خلقه وملكه خلقه بأحكام لاخلل فيه .

ومصدرنا في ذلك هو الوحى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بلغناه رسل الله عليهم الصلاة والسلام من نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا زال غيرنا ممن لا يؤمن بالوحى يتخبطون في ظلال دامس كلما أظهروا للناس نظرية أبطلوها بنظرية تالية . هذا من جهة . ومن جهة أخرى فقد أعجبنى موقف المذيع الذى كان يشرح للناس تلك النظريات ويذكر أنها ليست نهائية وانما هى قابلة للبحث وهو لا يحكى وجهة نظره ، وانما يحكى ووجهة نظر علماء الغرب في هذه الأيام فهم يذكرون نظرياتهم ولكنهم يتواضعون ـ نسبيا ـ فلا يجزمون بأنها علمية نهائية غير قابلة للبحث .

ومع ذلك فان أذيال أولئك الغربيين من أنصاف متعلمينا وأرباعهم يعلمون أبناء المسلمين في مدارسنا أن تلك النظريات علمية غير قابلة للبحث ، ولازالت نظرية دارون تسود بها صفحات بعض الكتب المقررة في بعض البلدان الاسلامية الى الآن .

وهذا يذكرنى بقول الشاعر الصوفى :

وكنت أمرأ من جند ابليس فارتمى   بى الدهر حتى صار ابليس من جندى

فقد تحمس أرباع متعلمينا لنظريات أسيادهم أكثر من أولئك السادة .

● **في مسجد البـلاليين :**

وبعد الانتهاء من مشاهدة الفليم المذكور ذهبنا الى مسجد البلاليين الذى يعمل به الأخ تاج الدين شعيب ، وكنا على موعد معهم لالقاء حديث فيهم ثم الاجابة على أسئلتهم .

وكان اجتماعهم قبل صلاة المغرب بساعة تقريبا تم فيه تعريف تاج الدين بنا للحاضرين ، أعقب ذلك تعريف الدكتور محمد بيلو الحاضرين بمهمتنا ومشاعرنا نحو المسلمين في البلدان التى زرناها ثم القاء الحديث الرئيسى الذى تضمن شرح معنى الاسلام العام وأنه دين الأنبياء والرسل من لدن آدم عليه السلام الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معنى الخلافة التى خلق الله البشر من أجلها ، وكيف تم تحقيقها في الأرض في تاريخ البشرية الطويل .

تم ايضاح معنى الاسلام بمعناه الخاص وهو دين الله الأخير بتفاصيله التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم في آخر كتاب نزل مهيمنا على كل ماعداه · وانقسام الناس حول هذا الدين وواجب الأمة الاسلامية التى أخرجها الله للناس لتهديهم الى سراط الله المستقيم · وان فهم هذا الدين لا يكون الا عن طريق العلم به من كتاب السنة الله وسنة رسوله وعلى أيدى علماء متخصصين فيه بذلوا جهدهم في تحصيله . وليس كل من ادعى فهم هذا الدين بصادق في دعواه مالم يأخذه عن طريق السلف الصالح ·

وان أقرب الناس الى فهمه هم الذين أخذوه كذلك باللغة العربية التى هي المفتاح الأساسى لفهم الوحيين العربيين ·

وأن الاكتفاء بنتف الترجمة ليس هو السبيل للفهم الصحيح للاسلام · وحان موعد صلاة المغرب فقطع الحديث واقيمت الصلاة . كما شرح لهم بعد ذلك أن الناس سواسية كلهم لآدم لافضل لعربى على عجمي ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى : ان أكرمكم عند الله أتقاكم · وضربت لهم أمثلة موضحة لذلك بأن الانسان لم يختر أباه ولا أمه ولم يختر الأرض التى ولد عليها . ولا اللون الذى خلق عليه ولذلك فلا فضل له في شيء من ذلك حتى يفتخر به على سواه من بني البشر . وانما اختار العقيدة التى آمن بها والسلوك الذى صار عليه فهو الذى يجدر به أن يعتز به لا بسواه : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ·

وغير ذلك من المعانى التى اقتضاها المقام ويسرها الله سبحانه : ومنها الحث على موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين والحذر من كيد أهل الكتاب وطوائف الكفر كالقاديانية وغيرها ثم فتح باب الاسئلة الذى استغرق وقتا أخرت من أجل صلاة العشاء عن الوقت المعتاد وكان الأخ تاج الدين شعيب هو الذى يترجم هذه الأحاديث جزاه الله خيرا ·

أذن بعد ذلك للصلاة وأقيمت صلاة العشاء وبعد الصلاة ودعنا الحاضرون بعاطفة أخوية وأظهروا تلهفهم لسماع مثل هذه الأحاديث ومحبة زيارة علماء المسلمين لهم ·

● نحن من المسجد وهم من المسرح :

ذهبنا بعد ذلك نلتمس بعض المطاعم لتناول طعام العشاء وكان الوقت متأخرا فوجدنا أكثر المطاعم التى يعرفها الأخ تاج مقفلة . ولكن هناك مطاعم تفتح أبوابها للناس ليلا ونهارا فذهبنا الى أحدها وطلب منا الأخ تاج الدين أن نبقى في السيارة ريثما يحجز لنا مقاعد تناسبنا لان دخول هذا المطعم وأمثاله بالترتيب لعدم اتساعه لكل الناس لكثرتهم ·

وبعد ان حجز لنا مقاعدنا في مكان يحظر فيه التدخين دخلنا الى هذا المطعم ورأينا كثرة الناس في هذا الوقت المتأخر من الليل فسألت الأخ تاج الدين : اهؤلاء كلهم زوار مثلنا ؟ فقال : بل هؤلاء من أهل المدينة بالذات . وهكذا هم دائما أسرا وأفرادا · انهم يخرجون في هذا الوقت من المسارح والمراقص ودور السينما والبارات ·

● غربـــاء في بـــلادهم :

ويذهبون مثلنا يلتمسون طعام العشاء · وكثير من الاسر الأمريكية لا يأكلون في بيوتهم ، بل بعض الاسر وبعض الأفراد لامنازل لهم فمنهم من يأوى الى الفنادق ، ومنهم من ينام في سيارته التى تعتبر منزله ووسيلة نقله . وأكثرهم مرهقون بالدين للبنوك التى تسيطر على مصادر رزقهم وتعطيهم بطاقات يعيشون بها وهم مهددون بسحبها في كل وقت اذا لم يدفعوا للبنك الأقساط المشروطة عليهم ·

وأضاف الأخ تاج الدين أن الزوج وزوجته ليقعدان على طاولة الطعام في المطعم ويطلب كل منهما ما يناسبه ، ويدفع الحساب من جيبه عن نفسه ولا يدفع الزوج عن زوجته ولا الزوجة عن زوجها وكذلك الآ باء والأ بناء والأمهات والإخوان والأخوات ·

بل كثير ممن تراهم وتظن أنهم اسرة واحدة تجدهم من ذوي العلاقات غير الشرعية ·

قلت عندئذ : الله أكبر ان أكبر دولة مادية في العالم لفى طريقها الى الانهيار وفقد المعانى الانسانية بين الأقرباء فضلا عمن سواهم وذكرت للأخوين تاج الدين وزميلى الدكتور ما هو معروف من تماسك الأسرة في الشرق على الرغم من الفساد الذى بدأ يدب فيها ، وذكرت لهم ما علمته من أحد الطلبة الأفارقة السنغاليين الذين تخرجوا في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة حيث ذكر لى أن عدد أفراد اسرته ما بين جد وجدة واب وام وخال وخالة وعم وعمة وأخ وبنت يبلغ مائة وعشرين صغارا وكبارا وأنهم كلهم يجتمعون على مائدة طعام واحدة في كل الوجبات الغذائية اليومية وان لذلك أمثلة أخرى متشا بهة ··

وعلقت على ذلك أيضا فقلت : **ان ما تراه من الامور الطيبة من تيسير المعاملات وبعض مظاهر العدالة والتقدم الادارى والتقدم الصناعى تعتبر مثل بالون الأطفال الذى ينفخ فيكبر ويعجبهم منظره ثم ينفجر في أيديهم فاذا هو مزق ترمى في القمامة وهكذا حضارة هؤلاء القوم** · ولولا ان من سنن الله الكونية أن يجعل أزمة أمور الدنيا في أيدي من يبذلون الأسباب لأخذها لما أبقى هؤلاء الناس لحظة واحدة ، ولكن لا بد من امة اخرى تستلم قيادة البشرية أكثر تعميرا للأرض وأقل فسادا فاذا وجدت هذه الأمة فستنتهى الحضارة المادية الغربية العفنة · وانى لأرجو ان تكون هى الأمة الاسلامية التى لا يخاف أهل الغرب غيرها من الامم كما يخافونها وهذا المعنى هو مضمون رسالة الاستاذ المودودى المسماة : الصـــلاح والفســـاد ·

● صـــلاة الجمعة في مسجـــد البـــلاليين :

وفي يوم الجمعة الموافق ١٦ / ٨ / ١٣٩٨ هـ أخذنا الأخ تاج الدين الى مسجد البلاليين لأداء صلاة الجمعة فيه ·

وبعد الآذان تقدم شاب في الثلاثين من عمره تقريبا ، وهو طبيب وبيده أوراق فيها ترجمة بعض

المعانى لسور قصيرة من القرآن الكريم وأخذ يقرأ وينفعل والناس ينفعلون معه . ويتكلمون بعض الكلمات التى كنت افسرها بأنها للتعجب حيث يكبرون في بعض الأوقات .

وتارة يضحكون . وبعد الصلاة ذكرت للأخ تاج الدين ان ذلك مما يجب التنبيه عليه . لانه يجب السكوت في خطبة الجمعة فوعد انه ينبه على ذلك في اقرب فرصة .

ولقد كان الامام لا يقدر على اخراج الحروف من مخارجها . بل انه اختصر سورة الفلق في قراءته لعدم تمكنه من حفظها . وساءنا ذلك وكلمت الأخ تاج الدين وقلت له : الأفضل ان تتولى انت خطبة الجمعة والامامة حتى تعلم من يجيد ذلك ويصلح للخطابة والامامة .

فاجاب بما مضمونه ان القوم يرغبون ان يتولوا ذلك بأنفسهم وان كانوا مقصرين .

ولقد ظهر لى هذا الأمر في كثير من المسلمين هناك . وهو انهم لا يحبون ان يعترفوا بالنقص في العلم . واذا أخذوا العلم عن غيرهم فانما يأخذونه اضطرارا مع عدم اظهار الحاجة . على عكس ما هو موجود في بلاد الشرق لاسيما الهند وباكستان وأندونيسيا وغيرها ، وهذا داء يجب ان يعالج .

وعلى من يريد ان يعلم القوم هناك ان يعرف هذا المعنى ويدخل عليهم من الباب الحكيم الذى يراه مناسبا .

● مع طلابنا المبتعثين :

وبعد صلاة الجمعة التقينا بالأخ احمد داود المزجاجى أحد الطلبة السعوديين المبتعثين من جامعة الملك عبد العزيز بجدة . وهو يحضر الدكتوراه في الادارة . وهو من الشباب الصالح الذين يعتبرون نادرين في تلك البلاد (ولا أزكى على الله احدا) .

ولقد قابلنا بحرارة . وكانت كلمته التى افتتح بها كلامه بعد السلام أتلبس هذا اللباس ونحن هنا نلبس لباس الأفرنج ؟ ثم طلب منا زيارته في منزله . وعندما حاولنا أن نجلس معه في المسجد أو يذهب معنا الى الفندق أصر على زيارته فذهبنا معه الى شقته الصغيرة التى وجدنا فيها أثاثه قد ربط استعدادا للسفر الى بلاده في أجازته التى توافق أخر شهر شعبان وشهر رمضان المبارك .

وكانت علامة سروره للسفر الى بلاده بادية على وجهه . وكان معه بعض الطلبة من زملائه من بعض البلدان العربية وهم مثله صالحون . واخذنا نتبادل الحديث عن الشرق والغرب . وكان الحديث يدور حول البلاء الذى انتشر في البلدان الاسلامية بسبب الأفكار الهدامة الغربية على الأمة الاسلامية في العقيدة والسلوك والتشريع والسياسة والاجتماع وغير ذلك . وان قسطا كبيرا من هذا البلاء يحمله المبتعثون الى الدول الغربية الذين يعودون الى بلدانهم بأدمغة تحمل عفن التفكير الغربى في المجالات المذكورة . مع الجهل بكثير من العلوم النافعة المفيدة التى توجد في الغرب والتى ابتعثوا - أصلا - من أجلها .

والسبب في ذلك ان أساتذة الغرب يسعون جادين في غسل مخ هؤلاء المبتعثين من كل فكر يمت

الى الاسلام بصلة ثم ملء هذه الادمغة بالأفكار المضادة . كما انهم يزينون لهم سبل الفساد والشر فينطلقون في اشباع شهواتهم انطلاقا لاحدود له . ومع عدم خشية الله في نفوسهم لا يوجد رقيب من البشر . ولذلك يعود الطالب ممسوخا في تخصصه حاملا أقذار الفكر الغربى وسوء سلوك الغربيين وذكر الاخوة ان اعدادا هائلة من هذا الشباب يوجدون الآن في أمريكا يرتبطون بأحزاب سياسية يسارية ويمينية هدفها الاساسى تحطيم ما بقى في البلدان الاسلامية بالاضافة الى الفوضى الخلقية التى يكتسبونها من المجتمع الأمريكى الوبىء

وذكر الأخ أحمد داود أن اعدادا كبيرة توجد في الجامعات لا يصلى منهم الا النزر اليسير . وبعض الذين يصلون في الأوقات العادية يتركون الصلاة لحضور بعض الحفلات التى تقام في وقت الصلاة ·

كما أرانا لافتات عملها للدعوة الى الاسلام في الجامعة . وعند ما رآه المسئولون في الجامعة سألوه عن ذلك فأخبرهم أنه يدعو الى الاسلام ·

والنشاط في الجامعات يسمح به للجمعيات فطلبوا منه أن يسجل جمعية ليأخذ اذنا بذلك فحاول مع الطلبة المسلمين الموجودين في الجامعة ليكونوا جمعيةفلم يستجب له أحد فاضطر الى أخذ لافتاته ووضعها في منزله . مع ان كثيرا من هؤلاء الطلبة الذين لم يرضوا بالانضمام اليه في تسجيل أسمائهم مرتبطون برابطة الطلبة العرب ويدعونه هو نفسه للانضمام اليهم بالحاح ·

ورأينا كذلك صورة خطاب بعث به الى معالى وزير التعليم العالى في المملكة العربية السعودية يصف له حالة المبتعثين ويطلب فيه العمل على تلافي الأمر والحد من الابتعاث والحلول التى يراها للاشراف على المبتعثين وان صور هذا الخطاب أرسلت الى مديرى الجامعات بالمملكة العربية السعودية (١) ·

وقد أعطانى صورة من الخطاب . كما أعطانى صورة من رده على الطلبة الذين ألحوا عليه في أن ينضم لرابطتهم · (●)

---

(١) أنظر الملحق الثانى ·

(●) تبين لى فيما بعد أن هناك جمعيتين : جمعية تضم الطلبة العرب المنحلين الذين يقفون موقف العداء السافر من الاسلام . وأغلب هولاء شيوعيون والجمعية الثانية تسمى رابطة الطلبة العرب المسلمين . وهؤلاء شباب فيهم خير وصلاح وعلى وعى جديد بالاسلام · والظاهر أن الخلاف بينهم وبين الأخ أحمد في التسمية فقط . كما ظهر لى من رد الأخ أحمد عليهم في خطابه ومثل هؤلاء أرى ألا تحول التسمية بينهم وبين الصالحين من الشباب في تلك البلاد الكافرة ·

ولهذا لا أرى داعيا لاقامة جمعية جديدة مادامت هذه الجمعية موجودة . كما ان اتحاد الطلبة المسلمين له نشاط في أغلب المدن الأمريكية والتعاون معه خير من ايجاد جمعيات متفرقة · جمع الله الكلمة وحقق الاخاء فيه ·

● **الواقع أيـد أصوات الانذار :**

بعد ذلك قلت للأخوة الحاضرين : لقد ارتفعت أصوات المنذرين من العلماء والكتاب من زمن طويل . وعند المسئولين علم ذلك وهناك محاولات للحد من الا بتعاث الا لضرورة ولكن الأمر يحتاج الى سرعة البت فيه واتخاذ الوسائل اللازمة ٠

ولقد شاركت فى الانذار قبل عشر سنوات عندما كتبت بحثا تحت عنوان المسئولية فى الاسلام(١) كان محوره الحديث الشريف كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . فى مسئولية الأب عن أبنائه ومسئولية وزراء التربية والتعليم . وقد نشر البحث تباعا في مجلة الجامعة الاسلامية . والذى يتعلق بموضوع الا بتعاث نشر في العدد الرابع من أعداد السنة الثالثة لعام ١٣٩١ هـ والعدد الرابع من أعداد السنة الرابعة لعام ١٣٩١ هـ ٠ أيضا وذكرت المضار التى تحصل من جراء الا بتعاث . كما ذكرت وجهة نظرى في الحل ٠

ولقد كانت تلك الأضرار واضحة في الشعوب الاسلامية . ولكنها تجسمت الآن أكثر وظهرت أضرارا أخرى غيرها ٠

واذا استمرت الحال على ما هى عليه الآن فان الخطر المتوقع لا يعلم مداه الا الله سبحانه ٠

وما حوادث الانقلابات الدموية المتوالية في بعض الشعوب الاسلامية وما التقلبات السياسية السريعة ، وما الفوضى وعدم الاستقرار واختلال الأمن ، وما المناهج التعليمية المشوهة وما البرامج الاعلامية السيئة ، اذاعية وتلفازية وصحفية وسينمائية وما كل بلاء وشر غير ذلك مما لايدخل تحت الحصر الا ثمار طبيعية لهذه الجيوش الزاحفة الى كراسى الحكم والادارة والتوجيه الذين أغلبهم من المبتعثين الى البلدان الأجنبية (٢) :

فهل يذكر قومى ويفيقون قبل أن يندموا ولات ساعة مندم أم تسيبقى الأمر كما هو ويأتى الله بما يشاء ؟

أرجو ان تكون الأولى والله المستعان ٠

---

(١) رتب هذا البحث واعد للطبع في أواخر هذا العام ١٣٩٩ هـ ٠

(٢) والعجيب في الأمر أن الفوضى التى يصدرها لنا الغرب ـ وبخاصة الفوضى السياسية والعسكرية ـ بذت كل المحاولات في الغرب للوقاية منها وعدم تمكنها في شعوبهم ... ؟ !

• اخفاق الكنيسة في الغرب رغم كل المحاولات :

وانتقل الحديث مع الأخوة الى وضع المسيحية في الغرب وحالة الكنائس فذكر الأخوة ان الكنيسة افلست وان كثيرا من الكنائس أغلقت وخسرت وانها معروضة للبيع . ومن ضمن ذلك كنيسة كبيرة في مدينة لوس أنجلس . وهى غير الكنيسة التى أراد شراءها المسئولون عن معهد الدراسات الاسلامية وقد مضى الحديث عنها . قال الأخ أحمد داود : انه كتب للرابطة وغيرها يقترح شراء هذه الكنيسة لتكون مركزا ومسجدا للشباب الصالحين يصلون فيها جماعة ويقومون بنشاط الدعوة الى الله فيها . ويمكن أن تنشأ فيها مدرسة لتعليم أبناء المسلمين ولكن لم يحصل شىء من ذلك .

كما ذكر الاخوة ان اسلوبا جديدا ظهر سيئا جدا للحفاظ على الكنيسة فقد أنشئت كنيسة باسم الكنيسة اللوطية . وان أعضاءها ـ فعلا ـ هم من أهل الخلق السيىء وان ذلك لم يجد شيئا فكسدت هذه الكنيسة أيضا وهى المعروضة للبيع .

• الكلب أكرم من الانسان في بلاد حقوق الانسان :

ومن الشكاوى المرة التى ذكرها الاخوة انه لايوجد للمسلمين مقابر مميزة . بل يدفنون في مقابر المسيحية وان كثيرا من شعائر المسيحيين تطبق على الموتى المسلمين . مع ان الكلاب في أمريكا لها مقابر خاصة . والكلام عن الكلاب طويل . فلها مستشفيات خاصة . وبعض الناس يموت فلا يجد العلاج . وتوقف عليها الملايين وبعض الناس لايجد قيمة ملبسه ولا مأكله . ولها أسرة خاصة مفروشة وبعض الناس بلا مأوى ولها أطعمة خاصة ـ رأينا الاعلان عنها في التلفاز ـ وبعض الناس يتمنى لقمة مما تأكل فلا يجد .

والكلب عند المرأة الغربية أحب اليها من الزوج والولد وكم مرة رأينا بين الرجل والمرأة في السيارة كلبا مثل أحدهما في الضخامة أو أكبر بدلا عن الولد .

• نكتـــة يهــودية !

انتقل الحديث بعد ذلك الى الأمور الايجابية في الغرب والتى تمنينا جميعا أن تطبق في بلادنا الشرقية . كأنظمة المرور الخاصة بتنظيم الشوارع التى تسهل السير على الرغم من كثرة السيارات والقطارات . والاستفادة من تخطيطها . وكذلك سرعة انجاز المعاملة في الادارات . ووجود الأجهزة المفيدة في ذلك مثل الكومبيوتر . ونظافة الشوارع والممرات وتعاون المواطنين مع الأجهزة الادارية في ذلك كله الى غير ذلك .

وبمناسبة الكلام عن النظافة وعدم القاء الناس القاذورات في الشوارع والممرات ذكر احد الحاضرين ، وهو عراقى الأصل أمريكى الجنسية يجيد مع اللغة العربية : الكردية والانجليزية واليونانية والعبرية والسنسكرتية يكنى بأبي الفداء ، ذكر نكتة يهودية زعم انها واقعية : قال : ان احد اليهود خرج مع بعض أصدقائه في سيارة للنزهة . وكانا يقعدان في احدى الحدائق يتحدثان ، ثم ان اليهودى شعر بالحاجة الى قضاء حاجته . ولكنه لا يوجد بجانبه بيت ماء . ورأى أن الجندى قريب منهما في الشارع وهو مضطر لقضاء حاجته فقال لصاحبه سائق السيارة اذهب الى مكان أشار اليه وقف لى هناك . فاذا جئتك فأسرع بقيادة السيارة .

ثم حفر حفر صغيرة وقعد فقضى حاجته فاستراب منه الجندى وتحرك يمشى اليه . فأسرع هو وأخذ طاقيته الصغيرة السوداء ووضعها على فضيحته وانحنى عليها ما سكا بأطراف الطاقية ضاغطا عليها . ولما جاء الجندى سأله : ماذا تفعل ؟ فقال : أن طائرا لى تحت الطاقية هذه أخشى ان رفعتها ان يطير وأنا في حاجة الى الوصول الى زميلى وراء تلك الأشجار وأعود لاخذ الطير فقال له الجندى كم مدة يستغرق ذهابك ؟ فقال : أقل من عشر دقائق . فقال : دعه أنا أمسك لك الطاقية حتى تعود . فانحنى الجندى ضاغطا على الطاقية وذهب اليهودى مع صاحبه ووقفا في مكان يرونه وهو لا يراهم (مثل الشيطان وقبيله) وكان الرجل يلتفت هنا وهناك يظن ان الرائحة من جهة اخرى وبعد أن يئس من رجوع اليهودى وشك في الأمر وقبض بالطاقية وما تحتها فوجد الفضيحة اليهودية وذهب ليغسل أثار العدوان اليهودى . وعلق ابو الفداء على القصة بقوله : انهم يهود . قلت : أى والله انهم يهود . وهذه النكتة . صحت أو لم تصح . يطبقها اليهود على كل المستويات . تطبقها قمتهم على القمم وتطبقها قاعدتهم على القواعد . ويعلم هذا كل مهتم بمكر القوم وخداعهم .

● فتوى مضحكة مبكية :

وفي يوم السبت الموافق ١٧ / ٨ / ١٣٩٨ هـ كنا نتناول طعام الغذاء في احد المطاعم . وكان احد الخدم في المطعم شابا فارسيا يدرس في احدى الجامعات والطلبة هناك يقومون ببعض الأعمال من أجل الحصول على بعض المال للانفاق على أنفسهم اذا لم تكن لهم منح . أو لهم منح لا تكفيهم . وغالب الطلبة هناك محتاجون للعمل فعلا . ويمتاز الطلبة السعوديون عن غيرهم في أن مكافآتهم تكفيهم وزيادة . وربما طلاب بعض دول الخليج العربى كذلك . وهذه نعمة يجب ان يشكروها وأن يضعوها في مكانها .

جاء الينا الطالب المذكور ونحن نتناول الطعام . وكنت طلبت سمكا . فقال لى : أنت مسلم ؟ قلت : نعم . فقال هذا الذى تأكله حرام ففزعت وتوقفت عن الأكل وقلت للأخ تاج الدين سله ماذا يعنى فقال هذا حيوان البحر وهو حرام . قلت له لعله يريد أن السمك مقلى بزيت خنزير أو اختلط به شيء من ذلك فكرر عليه السؤال فأصر ان السمك نفسه حرام في الاسلام .

فقلت له : أنت مسلم ؟ فقال : نعم . قلت : من أين لك هذا التحريم ؟ فقال : هذا معروف والعلماء يقولون به .

عند ذلك قلت : اذن يمد أبو حنيفة رجله ولا يبالى ونصحت الشاب ألا يستمر في هذا الاعتقاد . ولا يقوله للناس وأخبرته بحكم حيوان البحر حيا وميتا . ولكنه . وان لم يصرح يظهر انه لم يقتنع بذلك . وهكذا وجدنا من يفتى بتحريم السمك على المسلمين من الطلبة المسلمين الوافدين من بلدان اسلامية ·

● **مع جمـاعة مسجـد المؤمن :**

وفي مساء هذا اليوم كنا على موعد مع جماعة مسجد المؤمن وهم من المسلمين السود الذين تركوا جماعة اليجا محمد بسبب أفكاره الخارجة عن الاسلام . وهم كذلك يعتقدون ان ابنه « ولس الدين » لازال يعتقد ما كان يعتقده أبوه الا أنه يدلس على الناس . هكذا يعتقدون فيه ·

وكان امام المسجد غائبا ونائبه موجود . ومسجدهم غرفة واسعة نسبيا وهم متحمسون للاسلام حريصون على تطبيق ما يعلمون في واقع حياتهم ·

يلبس غالبهم الثوب العربى وعمامة سوداء . وبعضهم يلبس الطاقية بدل العمامة ·

ورأيتهم في صلاتهم يحاولن تطبيق صفة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم . وقد بلغنى انهم ساخطون على المجتمعات الاسلامية . وعندهم فكرة التكفير المعروفة ـ أصلا ـ عند الخوارج وأنهم مصممون على تطبيق أحكام الحدود والقصاص على أعضائهم وانهم طبقوا ـ فعلا ـ حد الشرب على أحدهم وانه ارتد عن الاسلام بسبب ذلك ·

صلينا معهم المغرب . وصلى بنا نائب الامام . وكانت قراءته غير مستقيمة مع شدة حرصه وتكلفه لتكون مستقيمة . **وهذه ظاهرة وجدناها في بعض المسلمين هناك يحرص الانسان أن يؤم الناس ولو كان في المصلين من هو أفضل منه بل ولو كانت قراءته هو غير مستقيمة ·** وكان من بين المصلين بعض الطلبة العرب وهم يجيدون التلاوة ولكن الامام الذى نصب اماما حرصا على الامامة والامرة لا يقدم غيره ·

وبعد أداء الصلاة طلبنا من الامام اجراء التعارف وخيرناهم بين أن يسمعوا حديثا أو فتح المجال للأسئلة والمناقشة . فاختار الثانى . ولم يجر التعارف المطلوب . وشعرنا بشىء من الجفوة في الجماعة . اذ لم يصافحنا الا الامام لقربه منا . ولا أذكر ان كان هو الذى مد يده أولا أم نحن ؟

وبدأ الرجل الحديث فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر ان الواجب هو أتباع محمد صلى الله عليه وسلم دون غيره . وان العلماء يجب ان يبينوا الحق للناس دون لبس . وفتح الكتاب الذى فيه ترجمة بعض معانى القرآن الكريم واستدل على قوله ببعض المعانى المترجمة . ثم قال للحاضرين من عنده سؤال فليتقدم بـه ·

● اعـــداد مسبق :

فبدأ الجميع يتحفزون وظهر لنا ان بعضهم كانوا قد أعدوا أسئلة في أوراق . وكانوا ينظرون في الورق ويسألون · ولذلك كان سؤال الواحد منهم عبارة عن رأى مسبق يصوغه في حديث ثم يسأل عن الرأى فيه · وكانوا اذا شعروا بأن سؤال أحدهم غير كامل أو كانت الاجابة مقنعة للسائل انبرى آخر لشرح وجهة نظر السائل ليشكك السائل والحاضرين بأن الاجابة غير كافية ·

وكانوا يظهرون الاعتداد بأنفسهم وقناعتهم بما عندهم ويحاولون تيئيسنا من اقناعهم بغير ما عندهم . وان ما توصلوا اليه من أفكار يعتبر نهائيا فليسوا في حاجة الى غير ما علموه . وهكذا شعرنا من مناقشاتهم وضايقنا ذلك كثيرا . وكانوا يقاطعوننا في الحديث ·

● أمران لابد منهما :

وعندما شعرت بأن الفوضى تخيم على الاجتماع والرأى عندهم جاهز وهم انما يستعدون لمساعدة بعضهم بعضا لتثبيت هذا الرأى الجاهز طلبت من الامام . أمرين : الأمر الأول : ضبط الاجتماع اداريا بحيث لا يتكلم أحد الا بعد أن يستأذن منه الأمر الثانى : وهو ألا يقطع أحد حديث أخيه امتثالا للأدب النبوى وأمرا ثالثا : وهو الا نخرج من نقطة النقاش الى غيرها حتى تنتهى مناقشتها ·

وبدأت المناقشة بعد ذلك تدور بنظام أحسن من ذى قبل وكأنى بالقارىء يتطلع الى موضوعات النقاش التى حصل فيها هذا الصراع وأقول : عد الى مطلع الحديث عن جماعة المؤمن فالموضوعات هى التى ذكرت انها بلغتنى عنهم قبل أن التقى بهم ·

● مـوضـــوعات الحوار :

وخلاصة مادار النقاش حوله ما يلى : ـ

ـ سألونا عن رأينا في البلاليين أهم مسلمون أم كفار وأخذوا يذكرون هم الأدلة على كفرهم · فكان الجواب أننا لم نختلط بهم كثيرا وعلمنا عن اليجا محمد انه تبنى أفكارا يكفر معتقدها أما ابنه فبلغنا انه بدا بتصحيح أفكار ابيه لاتباعه ونرجو ان يستمر في هذا التصحيح وقد صارحناه بذلك عندما اجتمعنا به

أما اتباعه فلا يحكم عليهم دون معرفة ما عندهم ومناقشاتهم وتفهيمهم الحق · فلم يرقهم الجواب وأخذوا يتعاونون في ذكر مساوىء امام البلاليين وبعض أفكاره التى لاتزال موجودة الى الآن ·

فقلت لهم : نحن يجب ان نجمع المعلومات عنهم من مصادرها ولانحكم عليهم الا بعد علم ما عندهم وذكرنا لهم الآية الكريمة : « **ولاتقف ماليس لك به علم أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** » ·

كما ذكرنا لهم ان اقتناعهم هم بأمر لوجود أدلة كافية عندهم لا يقتضى اقتناعنا نحن الا بعد تمحيص وأخذنا في هذا الموضوع مدة طويلة وهم يحاولون اقناعى بانه لا يلزم البحث والتفصيل لهذا الحكم بل يكفى ما سمعناه منهم عن البلاليين . فناقشناهم حتى ظننا أنهم فهموا رأينا وطلبنا أن ننتقل الى موضوع آخر ولكنهم لم يرضوا بترك هذا الموضوع وقصدهم أنَ يفهمونا أنه لا يجوز الاغترار بما نقل من أن ولس الدين صحح أفكار والده فعلا وان نقنع من ورائنا في المملكة وغيرها بألا يغتروا بهذا الرجل فأخبرتهم أننا لسنا مغترين ولكننا نريد التثبت في الحكم على الناس ووعدتهم بنقل رغبتهم في عدم الاغترار بالرجل .

● نصيحـة وسخـــط :

ثم قدمت لهم نصيحة تتضمن أمرين :

الأمر الأول : ان يجتهدوا في تلقى العلم ممن يوثق به من العلماء ، وأن يتعلموا اللغة العربية بجد حتى يفهموا كتاب الله وسنة رسوله عن طريقها لا عن طريق الترجمة التى تكثر أخطاؤها ولا تفى بترجمة معانى كتاب الله ، والا يظنوا ان ما قد حصلوا عليه من علم كاف في عبادة الله أو الدعوة الى الله .

الأمر الثـــانى : ان يطبقوا ما علموه في أعمالهم وفي أعضائهم وان يصححوا الأفكار المخالفة بالعلم مع الهدوء ولا يجعلوا همهم الوحيد هو محاربة فئة معينة . لان ذلك سيأخذ وقتهم في الخصام والنزاع ويصرفهم عن التعلم الذى هم في حاجة اليه .

وهنا ثارت ثائرتهم فأخذ كل واحد منهم يتحفز فتكلموا وكان كلامهم يدور حول أشعارنا بانهم ليسوا جهالا وان الذى يقدرون عليه قد علموه ولازالوا يتعلمون ولكنهم لا يقولون شيئا الا وهم على علم به وان لهم الحق ان يحاربوا جماعة ضالة تدعى الاسلام .

وهنا بدأ بعض النساء يشاركن في النقاش فقد استأذنت امرأة من وراء ستارة ان تتكلم فأذنوا لها وكان خلاصة كلامها أن الذي يدعى الاسلام ويضل الناس أولى بالجهاد من غيره وتسأل : ألا يجب علينا أن نترك العمل ونتفرغ للعبادة والجهاد ؟

وأجبتها بأن الجهاد واجب ولكن قبل جهاد الناس نجاهد أنفسنا في التعليم والعمل ثم لا بد من اسلوب نافع في الدعوة الى الله .

أما ترك العمل فهذا غير مطلوب شرعا من المسلم الا اذا كان تفريغ أشخاص بأعيانهم للقيام بالدعوة الى الله للحاجة اليهم . ولكن لا يتركون ما لأنفسهم أو غيرهم من حقوق . وذكرت لها قصة الصحابة الذين أرادوا الانقطاع للعبادة وترك العمل فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم : « أما أنا فأصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وقلت للجماعة لكم الحق أن تبينوا للناس الضلال بل يجب عليكم ولكن بشرط ان تكونوا عالمين بأن هذا حق وهذا باطل وهذا أمر ليس سهلا في كل أمر من الأمور .

وبعد نقاش طويل في هذا الموضوع وغيره وبعد أن ترجح لى انى وضحت ما يجب توضيحه قلت لهم : لقد أخذتم وقتا طويلا في ابداء ما تريدون من أسئلة وتوضيحات لآرائكم . أما الآن فأرجو أن تعطونى فرصة لأسألكم أنا . قالوا لا بأس .

● هجـــوم :

فقلت : أحقا انكم تقيمون أحكام الحدود والقصاص على جماعتكم فقال إمامهم : نعم لنا الحق في ذلك . قلت : هل فعلتم هذا عن علم سبقتم به غيركم ؟ قالوا : ان كتاب الله وسنة رسوله فيهما الكفاية . ولسنا في حاجة الى أقوال الناس . قلت : ولكن التطبيق العلمى للكتاب والسنة يجب الرجوع فيه الى الكتاب والسنة فهل وجدتم فيهما ان لكل فئة من المسلمين الحق في اقامة الأحكام المذكورة ؟ والمعروف ان ذلك يرجع للحاكم المسيطر بقوة على شئون المسلمين . وأنتم عددكم قليل فاما ان تعتبروا انفسكم جماعة دعوة تأمرون الناس بالمعروف وتنهون عن المنكر وتبينون الحلال والحرام للناس وقدرتكم قاصرة عن الأخذ بالقوة . واما ان تعتبروا انفسكم دولة اسلامية لها ان : ان تتصرف تصرف حكومة . وهذا ليس في مقدوركم .

وبلغنى أنكم اقمتم حد الخمر على أحد الأعضاء بالقوة وانه ارتد عن الاسلام وهذا ما يتوقع ان يحصل : انفضاض أعضائكم عنكم وارتداد بعضهم ونفور الناس من الدخول في الاسلام .

والأجدر بكم أن تعودوا الى تفاسير العلماء وشروح السنة وكتب السلف لتعلموا أأنتم سائرون على سنن السلف أم محدثون مالم يحدثه غيركم .

وهنا برز طالب مصرى هو أساس أفكارهم يحاول انقاذهم وكانت فرصة لمناقشته أمامهم حتى استسلم وطلبت منه أن يتقى الله ويصحح للقوم أفكارهم فذكر أنهم يقرأون في سبل السلام قلت له ستجد بحث هذا الموضوع فيه فارجع اليه .

● آخر الدواء الكى :

ولعلمى ان القوم مغرورون بما عندهم من علم مشوش رأيت أن ـ أصارحهم أكثر فقلت لهم : أنتم هنا أعاجم . والمراجع الاسلامية ليست متوفرة لديكم . والموجود بعض الكتب المترجمة التى لاتؤدى المعني بتمامه بصرف النظر عن أخطائها . وانا من الجزيرة العربية عربى الأصل والمنشأ واللغة . ولى ما يزيد عن ثلاثين سنة في طلب العلم والذين تلقيت العلم عنهم عرب وعندى مكتبة مملوءة بالمراجع الاسلامية في مختلف العلوم . ومع ذلك اذا قرأت القرآن أو كتب السنة لا أزال الى الآن يشكل على الكثير الذى احتاج أن أسأل عنه بعض العلماء أو أراجع وأتعب في الحصول الى فهمه .

أفيليق بكم انتم أن تظنوا أنكم بلغتم مبلغا لا تحتاجون فيه الى تصحيح أفكاركم ·

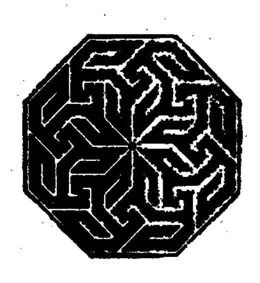
وكان هذا الكلام هو الذى أسكتهم وجعلهم يفكرون في الأمر حتى قال زميلى الدكتور محمد بيلو لقد ترك بعضهم النقاش وحفظ أوراقه التى كان يستعد لالقاء ماكتب بها ·

ولقد كاد زميلى الدكتور يخرج ويتركهم لشدة غضبه من تعنتهم ولكنى كنت أقول في نفسى هذه فرصة قد لا تتكرر مرة أخرى فيجب أن نعمل ما نقدر عليه ونصبر . وانا كنا في حاجة الى الرجوع الى الفندق لترتيب أثاثنا لأننا سنسافر صباح غد مبكرين ولم نصل الى هذه النتيجة الا في تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ولكنا حمدنا الله على ما حصل فان هؤلاء الأخوة يظهر عليهم ارادة الحق ولكن الجهل هو الذى حال بينهم وبين الاستجابة السريعة . وكان الجهل مركبا ولو كان بسيطا لما طال النقاش الى هذا الوقت والحمد لله رب العالمين ·

● تــــآلف :

وبعد الانتهاء من هذا النقاش ودعناهم وكانت عاطفتهم معنا أفضل من اللقاء الأول ورجونا ان نزورهم مرة أخرى كما طلبوا منا ابلاغ المسلمين العلماء الذين يزورون أمريكا ألا يكتفوا بزيارة الجماعات الاسلامية المشهورة ويتركوا بقية الجماعات التى قد تكون أولى من غيرها بالزيارة فوعدناهم بتحقيق هذه الرغبة حيث أمكن ·

ذهبنا بعد ذلك الى أحد المطاعم لتناول طعام العشاء ثم عدنا الى الفندق وذهب الأخ تاج الدين الى منزله على أن يعود الينا صباح غد لا يصالنا الى المطار للسفر الى اليابان ··



سنن الفطرة

بين المحدثين والفقهاء

«الحلقة الثالثة»

لفضيلة الدكتور أحمد ريان

أستاذ مساعد بكلية الحديث

الخصلة الثالثة عشرة : اعفاء اللحية :

واللحى : بكسر اللام وحكى ضمّها بالقصر والمد ـ جمع لحية ـ بكسر اللام فقط . وهي اسم لما ينبت من الشعر على الذقن والعارضين (١) .

واللَّحيان : حائطا الفم . وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم من كل ذى لَحْى . ويقال التحى الرجل : صار ذا لحية وكرهه بعضهم . قال ابن سيده النسب الى ذى اللحية : لَحَوى . ويقال رجل لَحْيان : إذا كان طويل اللحية (٢).

وقد جاء الأمر بإعفاء اللحية في أحاديث كثيرة صحيحة . منها ما جاء بلفظ الاعفاء كحديث ابن عمر عند البخارى « انهكوا الشوارب واعفوا اللحى » (٣) وعند مسلم « احفوا الشوارب واعفوا اللحى » (٤) وحديثه أيضا عند مسلم بلفظ «أنه أمر بإحفاء الشوارب واعفاء اللحية » (٥) وكذلك حديث عائشة عند مسلم « عشر من الفطرة » . ومنها : اعفاء اللحية (٦) .

كما جاء الأمر في بعض الأحاديث بلفظ « أرخوا اللحى » بالخاء المعجمة كما عند مسلم من حديث أبى هريرة (٧) وبعضهم ضبطها بالجيم « أرجوا » كما عند ابن ماهان (٨) .

---

(١) فتح الباري جزء ١٢ ص ٤٧١ ولسان العرب جزء : ٢٠ ص ١٠٨ مادة لحا .
(٢) لسان العرب جـ ٢٠ ص ١٠٨ . ص ١٠٩ مادة لحا .
(٣) فتح الباري جـ ١٢ ص ٤٧٣ .
(٤) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٥٣ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) المرجع السابق .
(٧) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٥٣ .
(٨) نيل الأوطار جـ ١ ص ١٣٨ .

كذلك قد جاء الأمر بالاعفاء في بعض الأحاديث بلفظ « أوفوا اللحى » كما هو عند مسلم من حديث ابن عمر (١) وبلفظ « وفروا اللحى » كما هو من حديثه عند البخارى (٢) .

وقال النووى : وكل هذه الروايات بمعنى واحد . وبيان ذلك :

أن الاعفاء معناه الترك . وترك التعرض للحية بقص أو حلق يترتب عليه تكثيرها فهو من اقامة السبب مقام المسبب .

وذهب البعض ؛ إلى أنها بمعنى : وفّروا وأكثروا . وصوبه صاحب الفتح ومعنى أرخوا اللحى : يعنى أطيلوها .

ومعنى أرجوا وأرجئوا : أى لا تحلقوها بل أخروا حلقها .

وأما معنى وفروا اللحى : فهو من التوفير . وهو الابقاء . أى اتركوها وافرة .

وأما رواية أوفوا اللحى : فمعناها : اتركوها وافية .

ما تحقق به سنة اللحية :

وقد اختلف أهل العلم فيما تتحقق به سنة اللحية ؛ فذهب فريق منهم إلى أنها لا تتحقق إلا إذا تركت وشأنها بحيث لا يؤخذ منها شيء أصلا إلا في حج أو عمرة .

وقد استند هذا الفريق الى ما يلى :

أ - الأحاديث الصحيحة التى جاءت في طلبها بلفظ الاعفاء وما في معناه . وبصيغة الأمر.

ب - ما أخرجه البخارى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم « قال : خالفوا المشركين وفروا اللحى واحفوا الشوارب . وكان ابن عمرإذا حج أو اعتمر قبض على لحيته فما فضل أخذه » (٣) .

وبما أن ابن عمر هو راوى الحديث ؛ فتصرفه يعتبر بيانا للمعنى المراد من الحديث . وعلى هذا فلا يجوز الأخذ من اللحية أبدا بل تترك على حالها إلا في حج أو عمرة .

ج - ما أخرجه أبو داود من حديث جابر بسند حسن قال : « كنا نُعْفِى السِّبَال إلا في حج أو عمرة » (٤) والسبال : جمع سَبَلة - بفتحتين - وهى ما طال من شعر اللحية . وقد سكت عنه أبو داود والمنذرى .

وقد ذهب إلى هذا الرأى من التابعين : الحسن وقتادة ؛ حيث قالا : يتركها عافية لقوله صلى الله عليه وسلم «واعفوا اللحى » (٥) .

وقد نسب العراقى هذا الرأى للجمهور . وقال إنه مذهب الشافعي وأصحابه (٦) .

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٥٣ .
(٢) صحيح البخاري جـ ١٢ ص ٤٧١ فتح الباري .
(٣) فتح الباري جـ ١٢ ص ٤٧١ .
(٤) عون المعبود جـ ١ ص ٢٥٥ .
(٥) المجموع جـ ١ ص ٣٤٩ مطبعة العاصمة .
(٦) طرح التثريب جـ ٢ ص ٨٣ .

وذهب فريق آخر إلى جواز الأخذ منها بشرط ألا ينقص طولها عن قبضة اليد بمعنى أنه يجوز له أخذ ما زاد على قبضة اليد أما إذا كانت أقل من قبضة فلا يجوز الأخذ منها . وقد استدل هذا الفريق بما يلي :

أ - أثر ابن عمر السابق وفيه « كان ابن عمر إذا حج أو اعتمر قبض على لحيته فما فضل أخذه

قال الحافظ ابن حجر في كيفية الاستدلال لهذا الفريق بهذا الأثر : الذى يظهر أنَ ابن عمر كان لا يخص هذا التقصير بالنسك بل كان يحمل الأمر بالاعفاء على غير الحالة التى تشوه فيها الصورة بإفراط طول شعر اللحية أو عرضه (١) .

وقد نقل البدر العينى عن الامام الطبرى قوله : فإن قلت : ما وجه قوله : اعفوا اللحى ؛ وقد علمت أن الاعفاء الاكثار ، وأن من الناس من إذا ترك شعر لحيته اتباعا منه لظاهر قوله : اعفوا اللحى ؛ فيتفاحش طولا وعرضا ويسمج حتى يصير للناس حديثا ومثلا .

ثم قال :

قد ثبتت الحجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على خصوص هذا الخبر ، وأن اللحية محظور اعفاؤها وواجب قصها على اختلاف من السلف في مقدار ذلك وحدّه . فقال بعضهم : حدّ ذلك أن يزاد على قدر القبضة طولا وأن ينتشر عرضا فيقبح .

وروى عن عمر رضى الله عنه أنه رأى رجلا قد ترك لحيته حتى كبرت فأخذ يجذبها ثم قال ائتونى بحلمتين ثم أمر رجلا فجز ما تحت يده ، ثم قال له اذهب فأصلح شعرك أو أفسده . يترك أحدكم نفسه حتى كأنه سبع من السباع .

وكان أبو هريرة يقبض على لحيته فيأخذ ما فضل وعن ابن عمر مثله (٢) .

وممن استحسن هذا الرأى : الشعبى وابن سيرين (٣) .

أما الفريق الثالث : فإنه يرى جواز الأخذ منها طولا وعرضا بغير حدّ مقدر ما لم يفحش الأخذ وينتهى إلى تقصيصها كما كانت تفعله الأعاجم .

ومن هذا الفريق : عطاء فقد نقل عنه قوله : لا بأس بأن يأخذ من لحيته من طولها وعرضها اذا كبرت وعلت : كراهة الشهرة وفيه تعريض نفسه لمن يسخر به واستدل بحديث عن أسامة بن زيد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها » قال الترمذى بعد أن أخرج هذا الحديث : هذا حديث غريب ثم قال بعد ذلك : وسمعت محمد بن اسماعيل - يعنى البخارى - يقول : عمر بن هارون مقارب الحديث لا أعرف له حديثا ليس له أصل أو قال : ينفرد به إلا هذا الحديث .. ولا نعرفه إلا من حديث ابن هارون ورأيته حسن الرأى في عمر بن هارون (٤) .

---

(١) فتح الباري جـ ١٢ ص ٤٧١ .

(٢) عمدة القارىء جـ ٢٢ ص ٤٧ .

(٣) المجموع جـ ١ ص ٣٤٩ .

(٤) تحفة الأحوذى جـ ٨ ص ٤٤ عمدة القارىء جـ ٢٢ ص ٤٧ .

ونقل عن القاضى عياض قوله : يكره حلقها وقصها وتحذيفها .. قال : وأما الأخذ من طولها فحسن وقال تكره الشهرة في تعظيمها كما يكره قصها .. وجزها .. وقال : وكره مالك طولها جدا (١) .

وسئل مالك عن اللحية إذا طالت جدًّا قال : أرى أن يؤخذ منها ويقص (٢) .

وفي المذهب المالكى قولان في مقدار الأخذ : المعروف منهما : أنه لا حد للأخذ فيقتصر على ما تحسن به الهيئة . ومقابله : يأخذ ما يزيد على القبضة (٣)

تعليق عام على الآراء السابقة وأدلتها :

الناظر في الأدلة السابقة التى استندت اليها الطائفة الأولى : يرى أنها أقوى سندا وأصرح دلالة من أدلة الفريقين الآخريين اللذين يريان جواز الأخذ من اللحية مع اختلافهما في المقدار الذى يجوز الأخذ عنده

كما أن إرسال اللحية ـ الى حد معلوم ـ يكسب المرء وقارا في سمته وثباتا في عواطفه . كما أن في اللحية عصمة للشباب والكهول إذ يصبح المرء ذا اللحية أكبر من سنه ، وأجل مقاما من درجته ، وأكثر احتراما بين أترابه .

ولكن ما يحتاج إلى تأمل هو : هل المعانى التى تدل عليها ألفاظ الاعفاء والتوفير والابقاء ، ونحوها من الألفاظ التى جاءت في أحاديث طلب اللحية ؛ مرادة على إطلاقها . وبتعبير آخر : هل المطلوب من كل مسلم ترك الأخذ من لحيته مدى حياته إلا إذا ذهب مرة أو مرات إلى الحج ؟ ومن يذهب الى الحج قليل الى مجموع المسلمين . فمعنى ذلك أن غالبية المسلمين يجب عليهم ترك لحاهم تطول الى ما شاء الله .

ما يتبادر الى فهمى ـ والله أعلم / أن التوفير أو الاعفاء المأمور به ، مقيد بما اذا لم تطل اللحية طولا فاحشا بحيث يشوه سمت صاحبه ويجعله هدفا لأعين الناس وأضحوكة في أفواه السفهاء . أو بحيث تصير اللحية علامة مميزة له دون الناس لا يعرف إلا بها .

لذلك نرى أن فعل عمر رضى الله عنه مع الرجل الذى ترك لحيته تطول دون حد ، ثم عدم إنكار الصحابة على عمر في هذا التصرف ؛ دلالة على أن المعنى الذى تدل عليه هذه الألفاظ ليس على اطلاقه بل هو مقيد بما اذا لم يفحش . كما أن توفيرها الى هذا الحد تتحقق فيه العلة التى أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بإعفاء اللحية لأجلها ؛ وهى مخالفة أهل الكتاب والمشركين الذين يحلقون لحاهم أو يقصرونها . ونستبعد عدم وصول شىء من هذه الأحاديث الى عمر كما نستبعد نسيانه لها .

ومن جهة أخرى فقد روى عن ابن عمر وأبى هريرة ، أنهما كانا يأخذان من لحيتهما ما يزيد على القبضة مع أنهما قد رويا بعض أحاديث الأمر بالاعفاء مما يدل على أن الأمر ليس على إطلاقه .

---

(١) طرح التثريب جـ ٢ ص ٨٣ .

(٢) شرح الزرقانى على الموطأ جـ ٤ ص ٣٣٤ .

(٣) العدوى على أبى الحسن جـ ٢ ص ٣٤٦ .

قد يقال : إن الثابت عن ابن عمر ؛ أنه كان يأخذ ما يزيد على قبضته في الحج أو العمرة . نقول : فمن أين أخذ ابن عمر جواز الأخذ في النسك مع أن الأحاديث التى جاءت في الإعفاء مطلقة لم تستثن حالة النسك . والنسك قد نص فيه على الأخذ من شعر الرأس حلقا أو تقصيرا .

وعلى ذلك نقول : إن التحديد بالقبضة أو مايقاربها زيادة أو نقصا ؛ هو المعيار الذى ينبغى أن يصار إليه ، مع عدم الإنكار على من يزيد على ذلك بشرط ألا يفحش وإلا أمر بالأخذ منها لأن هذا يتنافى مع الأمر بالزينة التى أمر الله الناس بالأخذ في أسبابها في قوله تعالى (**يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد الآية**) (١) .

وقوله صلى الله عليه وسلم من حديث طويل لقيس بن بشر التغلبى عن أبيه « نعم الرجل خريم الأسَدِى لولا طول جُمَّتِه وإسبال إزاره . فبلغ ذلك خريما فعجل فأخذ شفرة فقطع بها جُمَّته الى أذنيه ورفع إزاره الى أنصاف ساقيه » وفيه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : « إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس فان الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش » أخرجه أبو داود وسكت عنه (٢) والفحش كل ما يشتد قبحه من ذنوب ومعاصى . ويكثر وروده في الزنا . وكل خصلة قبيحة فاحشة من الأقوال والأفعال .

والتفحش : هو تكلف الفحش وتعمده في الهيئة الرديئة والحالة الكثيفة داخلة أيضا تحت الفحش والتفحش وإن الله جميل يحب الجمال (٣) .

الخصال المكروهة في اللحية :

ذكر الإمام النووى في المجموع عددا من الخصال المكروهة في اللحية نقلا عن الإحياء للغزالى الذى كان قد نقلها بدوره عن قوت القلوب لأبى طالب المكى . وفيما يلى بيان لهذه الخصال مع بيان سبب كراهتها وموقف العلماء منها إن وجد .

الخصلة الأولى : خضاب اللحية بالسواد . والأصل في كراهة الخضاب بالسواد ما جاء في حديث ابن عباس رضى الله عنهما عند أبى داود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يكون قوم في آخر الزمان يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة » (٤) .

وعند أحمد من حديث قصة إسلام أبى قحافة : « .. فأسلم ولحيته ورأسه كالثغامة بياضا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غيروهما وجنبوه السواد » (٥)

لذلك قال أكثر العلماء بكراهة الخضاب بالسواد .. وقال النووى : والصحيح بل الصواب : إنه حرام . ثم حكى عن مذهب الشافعية عدم التفرقة في المنع بين الرجال والنساء . وحكى عن اسحاق بن راهويه أنه رخص فيه للمرأة : أن تتزين به لزوجها (٦) .

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم ٣١ .
(٢) عون المعبود جـ ١١ ص ١٤٩ .
(٣) عون المعبود جـ ١١ ص ١٤٩ .
(٤) عوين المعبود جـ ١١ ص ٢٦٦ .
(٥) نيل الأوطار جـ ١ ص ١٤١ .
(٦) المجموع جـ ١ ص ٣٥٢ مطبعة العاصمة .

وقد رخص في الخضاب بالسواد طائفة من السلف : منهم سعد بن أبى وقاص وعقبة بن عامر والحسن والحسين وجرير وغير واحد . واختاره بن أبى عاصم من كتاب الخضاب له . وأجاب عن حديث ابن عباس السابق ؛ بأنه لا دلالة فيه على كراهة الخضاب بالسواد بل فيه الأخبار عن قوم هذه صفتهم . وعن حديث جابر السابق فى قصة إسلام أبى قحافة ؛ بأن ذلك في حق من صار شيب رأسه مستبشعا ولا يطرد ذلك في حق كل أحد (١) .

وقد رخص فيه بعض العلماء اذا كان المرء مجاهدا . لما فيه من ادخال الرهبة فى نفوس الأعداء باظهار الشباب وما ينطوى عليه ذلك من مظهر القوة (٢) .

الخصلة الثانية : تبييض اللحية بالكبريت أو غيره استعجالا للشيخوخة وإظهارا للعلو في السنّ لطلب الرياسة والتعظيم والمهابة والتكريم ، أو لقبول حديثه وايهام اللقاء بالمشايخ .

الخصلة الثالثة : خضابها بحمرة أو صفرة تشبها بالصالحين ومتبعى السنة . وعلة الكراهة هنا : هى النية السيئة أما الأصل في الخضاب بالتحمير أو التصفير فهو محمود وقد حثّ عليه صلى الله عليه وسلم فقد نقل عن أحمد في المسند بإسناد حسن عن أبى أمامة قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم فقال يا معشر الأنصار : حمّروا وصفّروا وخالفوا أهل الكتاب » (٣)

الخصلة الرابعة : :نتفها من أول طلوعها وتحفيفها بالموسى إيثارا للمرودة واستصحابا للصبا وحسن الوجه . وتعتبر هذه الخصلة أقبح الخصال المكروهة في اللحية .

الخامسة : نتف الشيب : لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : عن النبى صلى الله عليه وسلم عند أبى داود : « لا تنتفوا الشيب ؛ ما من مسلم يشيب شيبة في الاسلام ـ قال عن سفيان : إلا كانت له نورا يوم القيامة وقال في حديث يحى : إلا كتب الله له بها حسنة وحط بها عنه خطيئة » (٤)

وعن الترمذى : أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن نتف الشيب وقال إنه نور المسلم » وقال هذا حديث حسن (٥) .

قال ابن العربى : وإنما نهى عن النتف دون الخضب لأن النتف فيه تغيير الخلقة من أصلها بخلاف الخضب فانه لا يغير الخلقة على الناظر اليه (٦) .

---

(١) عون المعبود جـ ١١ ص ٢٦٧ بإيجاز .
(٢) المجموع ١ ص ٣٥٠ مطبعة العاصمة .
(٣) عون المعبود جـ ١١ ص ٢٦٧ .
(٤) عون المعبود جـ ١١ ص ٢٥٦ .
(٥) تحفة الأحوذى جـ ٨ ص ١٠٨ .
(٦) عون المعبود جـ ١١ ص ٢٥٦ .

السادسة : تصفيفها طاقة فوق طاقة تصنعا ليستحسنه النساء وغيرهن .

السابعة : الزيادة فيها والنقص منها ؛ قال الغزالى : تكره الزيادة في اللحية والنقص منها وهو أن يزيد في شعر العذارين من شعر الصدغين اذا حلق رأسه أو ينزل فيحلق بعض العذارين (١) .

الثامنة : تسريحها تصنعا ورياء لأجل الناس .

أقول : اعتبار التسريح من الخصال المكروهة إذا كانت تصحبه نية الرياء وحب الثناء والتظاهر بمظهر العجب والخيلاء أما التسريح لأجل النظافة وتحسين الهيئة فهو أمر محمود . فقد أخرج مالك عن عطاء بن يسار ، قال : « أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس واللحية فأشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم بيده أن أخرج كأنه يأمره بإصلاح شعره ولحيته ففعل ثم رجع ، فقال رسول الله صلى‌الله عليه وسلم أليس هذا خيرا من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان (٢) والثائر : الشعث : بعيد العهد بالدهن والترجيل .

وكذلك حديث أبى قتادة الأنصارى الذى أتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : « ان لى جمة أفأرجلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم وأكرمها ، فكان أبو قتادة ربما دهنها في اليوم مرتين لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وأكرمها (٣) الحديث رجال اسناده رجال الصحيح (٤) .

وأيضا حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من كان له شعر فليكرمه » قال في الفتح : واسناده حسن وسكت عنه أبو داود والمنذرى ورجاله ثقاة .

قال الشوكانى بعد ذكره لحديث أبى هريرة وما قاله الحافظ بشأنه : فيه دلالة على استحباب إكرام الشعر بالدهن والتسريح (٥) .

الخصلة التاسعة : ترك اللحية شعثة منتفشة إظهارا للزهادة وقلة المبالاة بنفسه . وأيضا كانت هذه الخصلة من الخصال المكروهة لأجل النية السيئة . أما من شغل عنها بعمل أو مرض أو غير ذلك حتى تشعثت فأرجو ألّا يكون عليه بأس .

الخصلة العاشرة : النظر الى اللحية إعجابا وخيلاء غرة بالشباب أو فخرا بالمشيب وتطاولا على الشباب (٦) .

حكم اتخاذ اللحية :

فيما تقدم عرفنا أن اتخاذ اللحية سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد هنا بيان موقع هذه السنة من الأحكام التكليفية الخمسة المعروفة لدى أكثر الفقهاء : الوجوب ، والندب ، والحرمة ، والكراهة ، والإباحة .

---

(١) المجموع جـ ١ ص ٣٥٠ مطبعة العاصمة .
(٢) الموطأ جـ ٤ ص ٣٣٨ من شرح الزرقانى .
(٣) المرجع السابق .
(٤) نيل الأوطار جـ ١ ص ١٤٨ .
(٥) نيل الأوطار جـ ١ ص ١٤٦ .
(٦) طرح التثريب جـ ٢ ص ٨٣ ، ٨٤ والمجموع ط ص ٣٥ .

وانما قلت أكثر الفقهاء : لأن بعضهم يعتبر الأحكام التكليفية ستة : باعتبار السنة من بين الأحكام وليست مندرجة في الوجوب أو الندب ، وبعضهم يعتبرها سبعة : الفرض ، والوجوب ، والندب ، والحرمة ، والكراهة التحريمية ، والكراهة التنزيهية ، والإباحة .

فهل إطلاق لفظ السنة على اللحية ، يقصد به معنى السنة عند الفقهاء . وهى ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه ، أو ما طلبه الشارع طلبا غير جازم أو الأمر الذى داوم عليه النبى صلى الله عليه وسلم من غير أن يأمر فيه بعزيمة ـ حسب اصطلاح كل منهم في بيان معنى السنة .

أو أن هذا الاطلاق : باعتبار أن مشروعية السنة إنما ثبتت بواسطة السنة ؟ .

واضح من استعراضنا للأحاديث الصحيحة والآثار الثابتة وما انطوت عليه من الأوامر المشددة ؛ إن اطلاق السنة على اللحية : هو أن مشروعيتها ثبتت بالسنة ، وأن حكم اتخاذها واجب وأن إزالتها نهائيا بالموسى أو بالنورة أو بأى مزيل آخر حرام .

وقد شدد بعض العلماء النكير على فاعل ذلك : قال أبو شامة : وقد حدث قوم يحلقون لحاهم وهو أشد مما نقل عن المجوس : إنهم كانوا يقصونها (١) .

وإنى لأعجب من قول القاضى عياض : يكره حلقها وقصها وتحريقها (٢) : إذ سوى بين إزالتها وبين تقصيرها . وقد ثبت التقصير ـ على الأقل من بعض الصحابة ؛ لكن لم ينقل عن أحد منهم أنه كان يحلق لحيته ولو مرة واحدة .

كما أعجب لبعض أهل العلم الذين يحلقون لحاهم ويدّعون أن سنّة اللحية كانت خاصة بسكان الجزيرة العربية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . مع أنه من المسلم فقها وأصولا : أن فعله صلى الله عليه وسلم : الأصل فيه التشريع إلا لقرينة دالة على الخصوصية ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى أن طلب اللحية جاء بألفاظ الأمر الصريحة المقتضية للوجوب ، والتى لا يمكن تأويلها أو ليّها الى مثل هذه الدعوى ، كما أننا لم نعثر على أى قرينة يمكن أن تكون صارفة لهذه الأوامر عن ظاهرها .

وأما ذكر إعفاء اللحية مع سنن الفطرة ؛ فقد قلنا : إن المراد من لفظ السنة في الحديث . هو الطريقة وليس هو المعنى الذى قصده الفقهاء من السنة : ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه .. الخ .

وقد صرح علماء المالكية بحرمة الحلق قولا واحدا حيث قال العدوى ان حلق اللحية بدعة محرمة (٣) إلا أنهم قد اختلفوا في حكم تقصيرها والمختار عندهم : أنه يستحب تقصيرها إن طالت جداً .فان لم تطل أو طالت قليلا : وحدثت مبالغة في القص بحيث صار الشخص مثلة ـ عند أهل الاعتبار ـ فإن القص يحرم في هذه الحالة وإن لم يحصل تجاوز في القص ولم تحصل به مثلة فإنه خلاف الأولى (٤) .

---

(١) فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٧٢ .

(٢) هذه اللفظة وجدت هكذا في كثير من النسخ ووجدت في بعضها بلفظ : تحذيفها .
فعلى الأول : تكون بمعنى التقصير وعلى الثانى تكون بمعنى أخذ جوانبها بالموسى .
ولا أدرى أى المعنيين أراد القاضى عياض .

(٣) العدوى على أبى الحسن جـ ٢ ص ٣٤٥ .

(٤) العدوى على أبى الحسن جـ ٢ ص ٣٤٦ .

الحكم فيما إذا نبتت للمرأة لحية :

اختلف الفقهاء فيما إذا نبتت للمرأة لحية أو شارب أو عنفقة فحكى عن الامام الطبرى : أنه لا يجوز لها حلق شيء من ذلك ولا تغيير شيء من خلقتها بزيادة ولا نقص (١) .

وحكى النووى عن مذهب الشافعية أنه يستحب لهل حلق ذلك (٢) .

وقال العدوى المالكى : ويجب على المرأة ازالة مافي إزالته جمال ولو شعر اللحية إن نبت لها لحية (٣) .

الحكمة من مشروعية اعفاء اللحية ،

تنطوى مشروعية إعفاء اللحية على كثير من الحكم الجليلة والمعانى العظيمة وقد أشرنا اليها فيما سبق ويمكن تلخيص هذه الحكم فيما يلي :

١ ـ تعتبر اللحية عنوانا بارزا على رجولة الرجل ومروءته وشجاعته .

٢ ـ اللحية تكسب الرجل ثباتا في عواطفه ورزانة في مواقفه وحكمة في تصرفاته مع أهله وغيرهم

٣ ـ تعتبر اللحية حارسا أمينا على نزعات القلب وخلجات الشيطان فاذا ما وسوس الشيطان وزين للمرء الاقتراب من معصية تذكر هيئته وموقف الناس منه .

٤ ـ اللحية شعار المسلمين فمن حافظ عليها فقد حافظ على شعار هام من شعارات الاسلام .

٥ ـ في ارسال اللحية مخالفة لأهل الكتاب والمجوس وغيرهم من ملل الكفر .

الخصلة الرابعة عشرة : فرق شعر الرأس :

الفرق ـ باسكان الراء ـ تفريق بين الشيئين حين يتفرقا . والفرق : الفصل بين الشيئين . ـ وقوله تعالى : (فالفارقات فرقا) (٤) : قال ثعلب : هى الملائكة تُزَيّل بين الحلال والحرام . وقوله تعالى : (وقرآنا فرقناه) (٥) أى فصلناه وأحكمناه .

وفرّق الشعر بالمشط : يَفرُقُه ، ويَفرِقُه فرْقا ، وفرَّقه :سرّحه . والفرق : موضع المفرِق من الرأس : وفرْق الرأس : ما بين الجبين الى الدائرة .. ومفْرَقه كذلك وسط الرأس .

وقولهم للمفْرِق : مفارق : كأنهم جعلوا كل موضع منه فرقا فجمعوه على ذلك . ومنه قول عائشة رضى الله عنها عند البخارى . « كأنى أنظر الى وبيصة الطيب في مفارق النبى صلى الله عليه وسلم وهو محرم ···· الحديث » (٦) ·

---

(١) المجموع جـ ١ ص ٣٤٩ العاصمة ·

(٢) المرجع السابق ·

(٣) العدوى على أبى الحسن جـ ٢ ص ٣٤٥ ·

(٤) سورة المرسلات الآية رقم : ٤ ·

(٥) سورة الاسراء الآية رقم : ١٠٦ ·

(٦) عمدة القارىء جـ ٢٢ ص ٥٦ لسان العرب جـ ١٢ ص ١٧٦ مادة فرق ·

ونقل الحافظ ابن حجر عن القاضى عياض قوله : الفرق : هو فرق شعر الرأس بعضه عن بعض وكشفه عن الجبين . والسدل هو ارسال الشعر وعدم ضم جوانبه (١) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الاسلام يخالف ما كان عليه المشركون من العوائد وكانوا يفرقون شعورهم . وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل فيه وحى ؛ على اعتبار أنهم أهل دين في الجملة . وقيل كان يوافقهم فيما لم ينزل فيه شيء ؛ رغبة في استئلافهم وميلهم إليه واتباعهم لشريعته . وكانوا يسدلون شعورهم . فكان صلى الله عليه وسلم يسدل شعره أولا مخالفة للكفار وموافقة لأهل الكتاب . فلما انتشر الإسلام وأسلم المشركون وظل أهل الكتاب على ما هم عليه وكفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم جحدا وعنادا خالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في سدلهم الشعر وكان يفرقه ويأمر زوجاته أن يفعلن ذلك به ؛ ففى حديث ابن عباس عند البخارى « كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه . وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم . وكان المشركون يفرقون رءوسهم فسدل النبى صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد » (٢) .

وفي الموطأ « سدل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته ما شاء الله ثم فرق بعد ذلك » (٣) .

حكم الفرق :

حكى الحافظ ابن حجر عن القاضى عياض : أن الفرق سنة واستند الى أنه هو الذى استقر عليه حال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويفهم مما حكاه الحافظ عن بعض العلماء : أن الفرق واجب وأنه قد نسخ به السدل . ووجهه : أنه قد جاء في حديث ابن عباس : « كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء : فالظاهر أنه فرق بأمر من الله . وقد حكى عن عمر بن عبد العزيز . كما جزم بذلك الحازمى .

أقول إن الظاهر الذى حكاه الحافظ قد صرح به في رواية معمر إذ جاءت بلفظ « ثم أمر بالفرق » ومعلوم أن الأمر إذا أطلق يستفاد منه الوجوب .

وقد عقب القرطبى على هذا بقوله : الظاهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب موافقة أهل الكتاب بقصد الاستئلاف فلما لم يؤثر فيهم ذلك . أحب مخالفتهم ففرق . وحينئذ يكون الفرق مستحبا . وما جاء في الحديث بلفظ الأمر ؛ لا يبعد عن ذلك لأن الأمر يشمل الواجب والمندوب .

كما أن دعوى النسخ ليست واردة إذ لو كان السدل منسوخا لتركه الصحابة رضى الله عنهم أو أكثرهم . لكن المنقول عنهم ان بعضهم كان يفرق والبعض الآخر كان يسدل شعره ولم يعب بعضهم على بعض ؛

لذلك قال الجمهور باستحباب الفرق اتباعا لما كان عليه صلى الله عليه وسلم في آخر حياته وهو المختار .

---

(١) فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٨٤ .

(٢) فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٨٣ .

(٣) الموطأ جـ ٢ ص ٢٣٢ .

وقد حكى الحافظ ابن حجر رأى النووى بقوله : قال النووى : الصحيح جواز السدل والفرق (١).

ولكن الموجود في المجموع له : قوله : يستحب فرق شعر الرأس لحديث ابن عباس وذكر الحديث (٢)

ولعله أطلق الجواز لما هو أعم من المباح المستوى الطرفين ؛ فقد يطلق الجواز على ما يقابل الحرام حيث يراد به ما يشمل المكروه والمندوب والمباح . أو كان يرى أولا الجواز الذى يراد به المباح المستوى الطرفين ، ثم تبين له بعد ذلك أنه مستحب فصرح به في المجموع وهو من آخر أعماله رحمه الله .

الخصلة الخامسة عشرة : الختان :

الختان - بكسر الخاء - من الختن وهو موضع القطع من الذكر والأنثى ومنه الحديث : « إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل » .

ويطلق الختان على الذكر والأنثى . وقيل الختْن للرجال والخفاض للإناث . ويقال لقطعهما : الاعذار والخفض .

والختانة : صناعة الخاتن . والختن فعل الخاتن الغلام (٣) .

وقد عرفه بعض العلماء بأنه : قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص (٤) والمراد به بالنسبة للرجل : هو قطع الجلدة التى تغطى الحشفة بحيث تنكشف الحشفة كلها وقيل : يكفى قطع شىء من القلفة وإن قل بشرط أن يستوعب القطع تدوير رأسها . وصحح القول الأول (٥) .

وبالنسبة للمرأة : قطع جزء من الجلدة التى توجد فوق مخرج البول وتشبه عرف الديك (٦) .

وقد استحب العلماء في ختان الرجل : العمل على استئصال الجلدة التى تغطى الحشفة بحيث يكون القطع من عند أول الحشفة . أما في المرأة فينبغى الاقتصار على أخذ جزء يسير ولا يبالغ في القطع أخذا بحديث أم عطيه . رضى الله عنها : أن امرأة كانت تختن بالمدينة فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم « لا تنهكى فان ذلك أحظى للمرأة وأحب الى البعل » ولا تنهكى : بفتح التاء والهاء - أى لا تبالغى في القطع . وفي رواية « أشمِّى ولا تنهكى » شبه القطع اليسير باشمام الرائحة والنهك المبالغة فيه .. والحديث أخرجه أبو داود وقال ليس بالقوى (٧) قال الحافظ ابن حجر وله شاهدان من حديث أنس ومن حديث أم أيمن عند أبى الشيخ في كتاب العقيقة وآخر عن الضحاك ابن قيس عند البيهقى (٨) .

وتزعم العرب أن الغلام إذا ولد في القمر فسخت له فلقته أى اتسعت فصار كالمختون . وقد استحب العلماء من الشافعية فيمن ولد مختونا أن يمر بالموسى على الموضع من غير قطع امتثالا للأمر .

---

(١) فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٨٤ .

(٢) المجموع جـ ١ ص ٣٥٣ .

(٣) لسان العرب جـ ١٦ ص ٢٩٥ مادة ختن .

(٤) تحفة الأحوذى جـ ٨ ص ٣٤ .

(٥) المجموع جـ ١ ص ٣٥٦ مطبعة العاصمة .

(٦) المرجع السابق .

(٧) عون المعبود جـ ١٤ - ص ١٨٣ . ص ١٨٤ .

(٨) فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٦٠ .

وحكى ابن الحاج المالكى قولين في المسألة : القول السابق عن الشافعية وقول آخر بعدم الحاجة الى ذلك ؛ لأن هذه مؤنة كفانا الله إياها فلا حاجة تدعو الى فعلها ولأن كشف العورة من كبير أو صغير لا يباح الا لضرورة شرعية ، والضرورة معدومة في هذه الحالة (١) .

وقال ابن الحاج : واختلف في حق النساء : هل يخفضن مطلقا أو يفرق بين نساء أهل المشرق ونساء أهل المغرب : فنساء أهل المشرق يؤمرن به لوجود الفضلة عندهن من أصل الخلقة ونساء أهل المغرب لا يؤمرن به لعدمها عندهن وذلك راجع الى مقتضى التعليل فيمن ولد مختونا ، فكذلك : سواء بسواء ؛ يقصد أنه يجرى في هذه المسألة القولان السابقان فيمن ولد مختونا (٢).

أقول : قد قطع الشيخ أبو محمد الجوينى في المسألة المقيس عليها : حيث قال : لو ولد مختونا بلا قلفة فلا ختان ؛ لا ايجابا ولا استحبابا ..

ثم قال : فان كان من القلفة التى تغطى الحشفة شىء موجود وجب قطعه ، كما لو ختن ختانا غير كامل فإنه يجب تكميله ثانيا حتى يَبِين جميع القلفة التى جرت العادة بازالتها في الختان (٣) .

حكم الختان :

نظرا لعدم ورود نصوص صريحة - ثابتة - من الشارع توضح مدى مشروعية الختان ، فقد اختلفت آراء الفقهاء فيه اختلافا كبيرا حسب ما وصل الى كل منهم من الأخبار الدالة على مدى هذه المشروعية . ونشير فيما يلى - بإيجاز - الى أهم الآراء في حكم الختان ثم نذكر أدلة كل منهم إن شاء الله تعالى .

ذهب الشافعى وأكثر الصحابة الى أن الختان واجب للرجال والنساء . وروى هذا القول عن عطاء ؛ إذ نقل عنه قوله : لو أسلم الكبير لم يتم اسلامه حتى يختتن . كما نقل هذا الرأى أيضا عن سحنون من المالكية .

وروى عن أبى حنيفة قولان : أحدهما : بأنه واجب وليس بفرض ،

ثانيهما : بأنه سنة يأثم تاركه .

وذهب مالك وأكثر العلماء إلى أنه سنة في حق الرجال والنساء - وفي كتب كثير من المالكية : بأنه سنة في حق الرجال مستحب في حق النساء - ونقل هذا الرأى عن بعض الشافعية وعن أبى حنيفة .

وذهب أحمد بن حنبل الى أنه واجب في حق الرجال سنة في حق النساء .

كما أن هناك وجهاً عند الشافعية يذهب إلى أنه ليس بواجب في حق النساء (٤) .

وبالجملة فقد انحصرت الأقوال في ثلاثة آراء .

الأول : واجب في حق الرجال والنساء .

الثانى : واجب في حق الرجال سنة في حق النساء .

الثالث : سنة في حق الرجال والنساء .

---

(١) المدخل جـ ٣ ص ٢٩٦ الطبعة الثانية دار الفكر .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المجموع جـ ١ ص ٣٥٩ .

(٤) المجموع جـ ١ ص ٣٥٦ فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٦٠ طرح التثريب جـ ٢ ص ٧٥ .

مستند كل رأى من هذه الآراء الثلاثة :

استند من يقول بالوجوب مطلقا الى عدد من الأدلة من أهمها ما يلى :

الأول : قال تعالى « .. أن اتبع ملة ا براهيم حنيفا .. » (١) وقد ثبت في صحيح البخارى من حديث إبراهيم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اختتن ا براهيم النبى صلى الله عليه وسلم وهو ا بن ثمانين سنة بالقدوم » (٢) .

وقد صح عن ا بن عباس رضى الله عنهما : أن الكلمات التى ا بتلى بهنّ إبراهيم فأتمهن : هى خصال الفطرة ، ومنها : الختان . والا بتلاء ؛ إنما يقع غالبا بما يكون واجبا .

وقد نوقش هذا الاستدلال : بأنه لا يتم الاستدلال بهذا الحديث الا إن كان إبراهيم عليه السلام قد فعله على سبيل الوجوب ؛ إذ من الجائز أن يكون قد فعله على سبيل الندب ، فيحصل الامتثال باتباعه على وفق ما فعل فيكون مندوبا ، وقد قال تعالى في حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (واتبعوه لعلكم تهتدون) (٣) وقد تقرر في الأصول : أن أفعاله بمجردها لا تدل على الوجوب ، كما أن باقى الكلمات العشر ليست بواجبة .

وقد أجيب عن هذه المناقشة : بأن إبراهيم عليه السلام لا يفعل ذلك في مثل سنه إلا عن أمر من الله .. وقد نقل الحافظ ا بن حجر عن أبى الشيخ في العقيقة من طريق موسى بن على بن رباح عن أبيه أن إبراهيم عليه السلام أمر أن يختتن وهو حينئذ ا بن ثمانين سنة ، فعجل واختتن بالقدوم ، فاشتد عليه الوجع فدعا ربه . فأوحى الله إليه ؛ إنك عجلت قبل أن نأمرك بآلته . قال يارب كرهت أن أؤخر أمرك ... ثم قال بعد ذلك .. والاستدلال متوقف على أنه كان في حق إبراهيم عليه السلام واجبا .. فإن ثبت ذلك استقام الاستدلال به وإلا فالنظر باق (٤) .

الثانى : ما أخرجه أبو داود من حديث كليب جد عثيم بن كثير أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « ألق عنك شعر الكفر واختتن » أخرجه أبو داود قال الحافظ ا بن حجر سنده ضعيف ، وقد قال ا بن المنذر لا يثبت فيه شيء (٥) .

الثالث : جواز كشف العورة من المختون ، وجواز نظر الخاتن اليها وكلاهما محرم في الأصل ، فلو لم يجب الختن لما أبيح ذلك (٦) .

وقد نوقش هذا الاستدلال من قبل القاضى عياض : بأن كشف العورة مباح لمصلحة الجسم ، والنظر اليها مباح للمداواة ، وليس ذلك واجبا اجماعا ، واذا جاز في المصلحة الدنيوية كان في المصلحة الدينية أولى ، بل قد يترك الواجب لغير الواجب كترك الإنصات للخطبة بالتشاغل بركعتى التحية وكترك القيام في الصلاة لسجود التلاوة ، ومن أمثال ذلك كثير (٧) .

---

(١) سورة النحل الآية رقم ١٣٣ .

(٢) صحيح البخارى جـ ٨ ص ٨١ .

(٣) سورة الأعراف الآية رقم ١٥٨ .

(٤) فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٦٣ والسنن الكبرى للبيهقى جـ ٨ ص ٣٢٦ .

(٥) فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٦٣ والسنن الكبرى جـ ص ٣٢٤ .

(٦) المرجع السابق جـ ١٢ ص ٤٦٣ .

(٧) طرح التثريب جـ ٢ ص ٧٥ . فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٦٢ .

الرابع : احتج الخطابى بأنه من شعار الدين وبه يعرف المسلم من الكافر حتى لو وجد مختون بين جماعة قتلى غير مختونين ، صلى عليه ودفن في مقابر المسلمين .

وقد نوقش هذا الاستدلال بأن شعائر الدين ليست كلها واجبة ، وما ادعاه في المقتول مردود لأن اليهود وكثيرا من النصارى يختنون فليقيد ما ذكر بالقرينة (١)

الخامس : أن القلفة تحبس النجاسة فتمنع صحة الصلاة ، كمن أمسك نجاسة بفمه .

وقد أجيب عن هذا بأن الفم في حكم الظاهر بدليل أن وضع المأكول فيه لا يفطر به الصائم ، بخلاف داخل القلفة فانه في حكم الباطن ، وقد صرح أبو الطيب البصرى بأنه عذر مغتفر عند الشافعية .

هذه هى أهم الأدلة التى استند اليها من أوجب الختان للرجال والنساء . وقد ذكرنا عقب كل دليل ما نوقش به ليتبين مدى صلابة كل دليل وقوته على الاحتجاج به .

أما الرأى الثانى الذى يذهب الى وجوبه على الرجال دون النساء فيمكن تقويته بالأدلة التى استند اليها الفريق الأول :

أما احتجاجه على أنه سنة للنساء فقد استدل له بحديث شداد بن أوس رفعه « الختان سنة للرجال مكرمة للنساء » أخرجه أحمد والبيهقى بإسناد فيه حجاج بن أرطاة ولا يحتج به .

وأخرجه الطبرانى في مسند الشافعى عن طريق سعيد بن بشر عن قتادة عن جابر بن زيد عن ابن عباس . وسعيد بن بشر مختلف فيه .

وأخرجه أبو الشيخ والبيهقى من وجه آخر عن ابن عباس ، كما أخرجه أيضا البيهقى من حديث أبى أيوب .

ونقل عن ابن عبد البر في التمهيد : هذا الحديث يدور على حجاج بن أرطاه وليس ممن يحتج به (٢) .

وجه الدلالة عند من استدل به : أن التفرقة قد وقعت في الحديث بين ختان الرجال والنساء ، فدل ذلك على افتراق الحكم وبما أنه قد ثبت بالفعل بالأدلة السابقة وجوب الختان في حق الرجال ، فيقابله : أنه سنة في حق النساء .

وقد أجيب عن ذلك بمنع أن السنة هى التى تقابل الواجب فقد يكون المقابل هو المندوب .

ومن جهة أخرى : فالسنة في الحديث : هى الطريق ؛ وليست بمعنى السنة عند الفقهاء .

يضاف الى ذلك ما قيل في ضعف الحديث .

أما الفريق الثالث : فقد استدل له بحديث « الفطرة خمس » وهو حديث صحيح . وقد ذكر الختان من الخمس .

---

(١) فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٦٢ .

(٢) فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٦١ وعون المعبود جـ ١٤ ص ١٨٦ والسنن الكبرى للبيهقى جـ ٨ ص ٣٢٥ .

وجه الدلالة فيه : أنه قد اتفق أكثر الفقهاء على أن ماذكر مع الختان من السنن ، وبما أن الختان قد ذكر معها فيكون سنة .

وقد نوقش هذا الاستدلال بأنه استدلال بالاقتران وهو ضعيف .

وقد جاء في الجوهر النقى نقلا عن شرح العمدة : الاستدلال بالقران في هذا المكان قوى لأن لفظ الفطرة لفظة واحدة استعملت في هذه الأشياء الخمسة فلو فرقت في الحكم أعنى أن تستعمل في بعض هذه الأشياء لإفادة الوجوب وفي بعضها لإفادة الندب لزم استعمال اللفظ الواحد في معنيين مختلفين .. وإنما يضعف دلالة الاقتران إذا استعملت (الجمل في الكلام) (١) ولم يلزم منه استعمال اللفظ الواحد في معنيين كما جاء فى الحديث « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ولا يغتسل فيه من الجنابة » . فاستدل به بعض الفقهاء على أن اغتسال الجنب في الماء يفسده لكونه مقرونا بالنهى عن البول فيه (٢) .

وقد أجيب بأنه لا مانع من جمع المختلفى الحكم بلفظ أمر واحد كما في قوله تعالى :

(كلوا من ثمره إذا أثمر وآتو حقه يوم حصاده)(٣) فإيتاء الحق واجب والأكل مباح .

وقد ردت هذه الاجابة : بأن هناك فرقا بين الآية والحديث :

إذ أن الحديث تضمن لفظة واحدة استعملت في الجميع فتعين أن يحمل على أحد الأمرين ؛ الوجوب أو الندب بخلاف الآية فان صيغة الأمر تكررت فيها والظاهر الوجوب فصرف في أحد الأمرين بدليل وبقى الآخر على الأصل .

وقد عقب الحافظ ابن حجر على هذا الرد بقوله : إنما يتم على طريقة من يمنع استعمال اللفظ الواحد في معنيين . وأما من يجيزه كالشافعية فلا يرد عليهم . (٤)

كما استدل أيضا لهذا الفريق بالحديث السابق « الختان سنة للرجال مكرمة للنساء » . وقد تقدم بيان وجه الدلالة منه وما ورد عليه من مناقشة (٥) .

كما أنه يمكن أن يستدل له ثالثا : بحديث اختتان إبراهيم عليه السلام المتقدم .

وجه الدلالة : فيه ثبوت اختتان ابراهيم عليه السلام ويزيده ثبوتا ما جاء في الموطأ « كان إبراهيم أول الناس ضيّف الضيف وأول الناس اختتن وأول الناس قص الشارب » (٦) .

والحديث وإن ذكره مالك موقوفا على سعيد بن المسيب : فقد قال الحافظ السيوطى : وصله ابن عدى والبيهقى في شعب الإيمان من حديث أبى هريرة مرفوعا (٧) .

---

(١) هكذا والمعنى غير واضح ولعل الأصح : في جملة من الكلام .

(٢) الجوهر النقى للعلامة علاء الدين بن على بن عثمان المردينى الشهير بابن التركمانى على حاشية كتاب السنن الكبرى للبيهقى جـ ٨ ص ٣٢٣ .

(٣) سورة الأنعام الآية رقم ١٤١ .

(٤) فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٦١ .

(٥) السنن الكبرى للبيهقى جـ ٨ ص ٣٢٥ ونيل الأوطار جـ ١ ص ١٣٥ .

(٦) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك جـ ٢ ص ٢١٩ الطبعة الأخيرة .

(٧) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك جـ ٢ ص ٢١٩ .

وبما أنه لم يثبت الاستدلال بهذا الحديث على الوجوب فأقل ما يستفاد منه أنه سنه نظرا لأننا قد أمرنا باتباع ما كان يفعله إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى : « أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا » .

قال الشوكاني : والحق أنه لم يقم دليل صحيح يدل على الوجوب . والمتيقن السنية كما في حديث (خمس من الفطرة) ونحوه والواجب الوقوف على المتيقن إلى أن يقوم ما يوجب الانتقال عنه (١) .

وهذا القول هو المختار ؛ إلا أنى أعتقد أنه الختان في حق النساءأقل تأكيدا منه في حق الرجال ؛ لما حكاه ابن عبد البر في التمهيد بقوله « والذى أجمع عليه المسلمون أن الختان للرجال (٢) .

ولضعف الحديث الوارد في حقهن . ولأن المشاهد أن حاجة النساء الى الختان أقل بكثير من حاجة الرجال اليه والله أعلم .

وقد توسع ابن القيم في هذا الموضوع فمن أراد المزيد فعليه الرجوع إليه (٣) .

وقت الختان :

لم يرد في السنة ـ فيما أعلم ـ حديث ثابت في تحديد وقت للختان . لذلك حاول بعض الفقهاء أن يضع تحديدا ؛ إما لأنه وجد حديثا ضعيفا فحاول أن يستند اليه ـ من باب : شىء خير من لا شىء ـ أو كان مراعاة لمصلحة المختون وسنوجز القول في بيان آراء هؤلاء العلماء ومستند كل منهم فيما يلى :

ذهب الشافعية إلى أن الختان له وقتان وقت وجوب ووقت استحباب ، أما الوجوب فيبدأ من وقت البلوغ على الفور . أما وقت الاستحباب فيبدأ منذ الصغر ، فإن لم يختن يوم السابع فيوم الأربعين ، فان كان لا يحتمل أُخّر للسنة السابعة فإن لم يختتن حتى بلغ وجب حينئذ الختان في حقه إلا أن يكون ضعيفا وعلم أن الختان يتلفه : فإن الوجوب يسقط ..

وهل يحسب يوم الولادة من السبعة أيام ؟ وجهان :

قال أبو على بن أبى هريرة يحسب وقال الأكثرون لا يحسب ؛ فيختن في السابع بعد يوم الولادة .

وذكر النووي : أنّ ختان الصّبى في وقت الصغر مستحب وليس بواجب وقال : هو المذهب الصحيح المشهور في المسألة (٤) .

وعند الشافعية وجهان آخران : أحدهما : أنه يجب على الولى ختانه في الصغر لأنه من مصالحه (٥) . وقد فسر أبو الفرج السرخسى العلة في ذلك بقوله : في ختان الصبى وهو صغير مصلحة من جهة أن الجلد بعد التمييز يغلظ ويخشن فمن ثم جوز الأئمة الختان قبل ذلك (٦) .

والوجه الثانى : أنه يحرم ختانه قبل عشر سنين لأن ألمه فوق ألم الضرب ولا يضرب على الصلاة إلا بعد عشر سنين وقد ضعف النووى هذا الوجه ، وقال عنه ليس بشىء وهو كالمخالف للإجماع (٧) .

---

(١) نيل الأوطار جـ ١ ص ٤٣٥ .
(٢) عون المعبود جـ ١٤ ص ١٩٠ .
(٣) تحفة الودود بأحكام المولود طبعة دار الكتب العلمية ـ لبنان من ص ١٢٧ الى ١٤١ .
(٤) المجموع جـ ١ ص ٣٥٧ .
(٥) المجموع ص جـ ١ ص ٣٥٧ .
(٦) فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٦٣ .
(٧) المجموع جـ ١ ص ٣٥٧ .

ونقل ابن المنذر عن الحسن ومالك كراهة الختان يوم السابع لأنه فعل اليهود .

وقال مالك: يحسن اذا أثغر أى ألقى ثغره وهو مقدم أسنانه وذلك يكون فى السبع سنين وما حولها .

وسئل مالك عن حديث جابر « أن النبى صلى الله عليه وسلم ختن حسنا وحسينا لسبعة أيام ؛ فقال : لا أدرى ولكن الختان طهرة فكلما قدمها كان أحب الىّ (١) .

ونقل النووى عنه : عامة من رأيت : الختان ببلدنا إذا أثغر الصبى . كما نقل عن الليث بن سعد : يستحب بابن سبع سنين إلى عشر سنين . ونقل عن أحمد قوله : لم أسمع فيه شيئا (٢) .

من هنا نتبين أنه لم يرد حديث صحيح في توقيت الختان ، وأن القول بوجوبه وقت البلوغ ليس عليه دليل وربما كان متمسك هذا الفريق حديث سعيد بن جبير عند البخارى .؛ قال « سئل ابن عباس مثل من أنت حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا يومئذ مختون وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك » أى يبلغ (٣)

وليس فيه دلالة على الوجوب : إذ كل ما يدل عليه أن عادتهم كانت كذلك . على أنه قد اختلف في سنه يوم وفاته صلى الله عليه وسلم من عشر سنين الى ثلاث عشرة سنة إل خمس عشرة سنة وقد صوب أحمد بن حنبل أنه كان ابن خمس عشرة سنة وقال ابن القيم « والذى عليه أكثر أهل السير والأخبار أن سنه كان يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة .. ثم قال وعندى أنه يجب على الولى أن يختن الصبى قبل البلوغ بحيث يبلغ مختونا فإن ذلك مما لا يتم الواجب الا به(٤)

والمختار ما قال به ابن المنذر : ليس في الختان خبر يرجع ولا سنة تتبع والأشياء على الإباحة (٥) وزاد ابن القيم نقلا عن ابن المنذر : ولا يجوز حظر شيء منها إلا بحجة ولا نعلم مع منع أن يختتن الصبى لسبعة أيام حجة (٦) .

قال ابن الحاج : قد مضت عادة السلف أنهم كانوا يختنون أولادهم حين يراهقون البلوغ . لكن قد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم ختن الحسن والحسين يوم السابع أو نحوه . والأمر في ذلك قريب . فأى شيء فعله المكلف كان ممتثلا . وذلك راجع إلى مقتضى التعليل لأن الصغير ليس بمكلف والقطع منه قبل تكليفه ؛ فيه ايلام له بما لا يلزمه في الوقت . وأما ختانه حين المراهقة فهو متعين لأن كشف عورته بعد البلوغ محرم لكن يدخل عليه فى ذلك الألم الشديد والبطء في البرء بخلاف الصغير فإن ألمه خفيف وبرأه قريب (٧) .

(١) فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٦١ .
(٢) المجموع جـ ١ ص ٣٥٩ .
(٣) نيل الأوطار جـ ١ ص ١٣٦ وصحيح البخارى جـ ٨ ص ٨١ طبعة صبيح بالقاهرة .
(٤) تحفة الودود ص ١٤٢ .
(٥) الجوهر النقى . انظر حاشية السنن الكبرى جـ ٨ ص ٣٢٧ .
(٦) تحفة الودود ص ١٤٥ .
(٧) المدخل جـ ٣ ص ٢٩٦ .

مقتضى ما تقدم : أنه يراعى في وقت الختان مصلحة الصبى ومصلحته تتطلب ختانه وهو صغير قبل أن يكبر وتكبر الآلام معه .

على أنه يراعى في التوقيت كذلك حالة الصبى من حيث الصحة وحالة والديه من جهة إمكانهما القيام على رعايته أثناء الختان وبعده حتى يبرأ

ختان الخنثى المشكل :

قال بعض علماء الشافعية : إن الخنثى المشكل يجب ختانه في فرجيه جميعا . لأن أحدهما واجب ولا يتوصل إليه إلا بختانهما .

وقال بعض آخر بعدم ختان الخنثى المشكل ؛ لأنه يترتب عليه أن يُجرح على الاشكال وهو لا يجوز . واستظهر النووى القول الثانى وقال إنه المختار (١) .

وأقول إن الخنثى يعطى حكم غيره في الختان لعموم الأدلة . إذ ليس فيها مخصص لمولود دون غيره على أنه يختن في فرجيه جميعا إن تساويا فى النمو وإلا بأن كان أحدهما ناميا دون الآخر فإنه يختن في النامى لأن هذا النمو غلّب انتماءه إلى أحد الجنسين . والله أعلم .

وقد صرح المالكية بأن الشخص إذا لم يختن قبل بلوغه فإنه يؤمر بختن نفسه بعد البلوغ ولو كان خنثى مشكلا . (٢)

إظهار ختان الذكر واخفاء الأنثى :

قال ابن الحاج يستحب في ختان الذكر إظهاره وفي ختان الأنثى إخفاؤه . وأما الدعوة الى الختان فقد صرح بعض العلماء باستحبابها كما تندب الإجابة لها . وقد حكى هذا القول عن أحمد والشافعى وأبى حنيفة وأصحابه .

وقال العنبرى تجب إجابة كل دعوة لعموم الأمر به فإن ابن عمر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرسا كان أو نحوه » أخرجه أبو داود (٣) ونسب ابن حزم الوجوب الى جمهور الصحابة والتابعين مستدلا بالحديث السابق وبما ورد في معناه (٤) .

والمختار الاستحباب ؛ لأن الأمر ورد بجوب اجابة الوليمة اذا كانت لعرس « إذا دعى أحدكم الى وليمة عرس فليجب » رواه ابن ماجه (٥)وقال عثمان ابن أبى العاص : « كنا لا نأتى الختان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ندعى اليه » (٦) .

---

(١) المجموع جـ ١ ص ٣٥٨ .

(٢) العدوى على أبى الحسن جـ ٢ ص ٣٤٥ .

(٣) عون المعبود جـ ١٠ ص ٢٠٤ .

(٤) المحلى جـ ١ ص ٢٢ . ص ٢٠٤ .

دار الاتحاد العربى للطباعة ـ القاهرة .

(٥) سنن ابن ماجه جـ ١ ص ٥٩١ الطبعة الثانية دار الفكر .

(٦) المغنى جـ ٧ ص ٢٨٦ .

أجرة الختان :

أجرة ختان الطفل في ماله ؛ فان لم يكن له مال فعلى من عليه نفقته (١) .

الحكمة من كون الختان من سنن الفطرة :

الختان إلى جانب كونه سنة من سنن أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام التى بينها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحثنا عليها فإنه يشتمل على معان سامية وحكم جليلة نجمل بعضها فيما يلى :

١ ـ في الختان فائدة صحية هامة فقد ثبت أن القلفة إذا لم تقطع في الوقت المناسب ؛ فإنه يتكون تحتها خلايا (ميكروبية ٩) تتكاثر باستمرار وتسبب أضرارا بالغة الشدة والخطورة على الشخص ولذلك يكون العلاج الطبى من المختصين هو الأمر بإزالة القلفة فورا ..

٢ ـ عند التبول تتسلل بعض قطرات البول الى التجويف الموجود بين القلفة وبين رأس الذكر . وهذه القطرات إلى جانب كونها مرتعا خصبا للجراثيم في هذه المنطقة . فانها كثيرا ما يخرج بعضها بعد التطهر فتصيب النجاسة الثوب والبدن كما أنها تسبب كثيرا من الوسوسة لدى الشخص إذ يظن أنها خارجة من الذكر فيعيد وضوءه المرة بعد الأخرى .

٣ ـ إزالة القلفة لها تأثير طيب على المعاشرة الزوجية ...

٤ ـ هذا كله الى جانب كون الختان شعاراً هاماً من شعارات الإسلام إذ به يفرق بين المسلم وغيره لأن الغالب ؛ أنه لا يحافظ على الختان إلا المسلمون . والله أعلم .

وبعد ؛ فبجهد المقل وما أتيح من مراجع وما أمكن اقتناصه من الوقت حاولت جاهدا تجلية ما تضمنته هذه السنن النبوية الكريمة من آداب وأحكام وتشريعات ؛ فأرجو أن أكون قد وفقت لما قصدت اليه كما أرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبله منى وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم . كما أتوجه اليه تعالى برجاء المغفرة لما يكون قد وقع فيه ـ عن غير قصد ـ من زلل أو خطأ ؛ إنه نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) المجموع جـ ١ ص ٣٥٨ .

تعدد الزوجات وحكمته في الإسلام

الدكتور جمعة الخولي
الأستاذ بكلية الدعوة بالجامعة

الزواج سنة الاسلام ، شرعه الله ليعف الانسان نفسه ، ويحافظ على بقاء نسله وليكون طريقا للتواصل والبر والمرحمة ، وسكنا يثوب اليه الزوجان ، فيلقيان عنده أعباء الحياةالخارجية الى حين .

والاسلام يرفع من مكانة الزواج وأهميته ، ويسمو بحكمته حتى يجعله من أقوى أسباب التواد بين الغرباء ، والتقارب بين البعداء ، وتوثيق أواصر القربى بين الأسر بعضها وبعض قال سبحانه « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (١)

ولقد ذهب كثير من فقهاء المسلمين الى أن الزواج واجب يأثم من تثاقل عنه ما دام قادرا . قال رسول عليه وسلم « النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني وتزوجوا فاني مكاثر بكم الأمم »(٢) .. كما قال عليه الصلاة والسلام « من كان منكم ذا طول فليتزوج فانه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج ومن لا فالصوم له وجاء(٣) .. وقد أحاط الاسلام الزواج بما يحفظ عليه استمراره واستقراره ، ويبقى على آثاره الطيبة ، وغاياته النبيلة .

فكان ان شرع من ما شرع ، رخصة تعدد الزوجات الى أربع اذا اقتضته الضرورة وألجأت اليه الظروف ، واشترط على الأزواج العدل والتسوية بينهن في السكن والرزق ، وأن تكون لديهم القدرة على الحياة الزوجية .. قال سبحانه «.. فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم » (٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم « من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل »(٥) .. وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله

---

(١) سورة الروم ـ ٢١ .
(٢) ابن ماجه : كتاب النكاح جـ ١ / ٥٩٢ ط ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ .
(٣) النسائى جـ ٦ / ٥٧ كتاب النكاح ط دار الفكر ببيروت ١٣٩٨ / ١٩٧٨ .
(٤) سورة النساء ـ ٣ .
(٥) النسائى جـ ٧ / ٦٣ كتاب عشرة النساء . وكذا رواه أحمد وابن ماجه عن أبى هريرة .

عليه وسلم قال « ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ، ـ وكلتا يديه يمين ـ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا » (١) .

وان أعداء الاسلام ومثيرى الشغب ضده ، اتخذوا من ذلك التشريع الحكيم ذريعة للطعن في نظام الاسلام ، والحط من قيمة المرأة ، ليشككوا في صلاحية هذا الدين ومقومات خلوده وبقائه على امتداد العصور ... وقبل الحديث عن التعدد وحكمته وواقعيته في الاسلام ، أحب أن أسال أولا ... هل الاسلام هو الذى أنشأ التعدد وابتدعه وأطلقه حتى يؤاخذ به ، أم هو الذى قيده وضبطه حتى يحمد له ..

ان الذين كتبوا عن تاريخ الزواج على اختلاف النظم الانسانية بينوا أن التعدد كان معروفا في جميع البيئات قبل الاسلام ، يهودية ومسيحية ، عربية وغير عربية .. أباحته اليهودية دون حد ، وكان ذلك شائعا في ملوكها وأنبيائها ، ولا توجد في أسفار العهد القديم نصوص تحرم التعدد أو تمنعه عن الآباء والأنبياء ولمن دونهم من الخاصة والعامة (٢) .

كما كان التعدد فاشيا في العالم المسيحى بين العامة ورجال الدين ، اذ أن أسفار العهد القديم وهى ـ مقدسة لدى النصارى ـ تبيحه ولا تمنعه .. ثم أنه لم يرد في النصوص الأولى للمسيحية التى تحكيها أناجيلهم المتداولة نص صريح يمنع تعـدد الزوجات بل أنه يوجد في رسالة بولس الى « تيموثاوس » ما يفيد أن التعدد جائز ، فقد جاء فيها « يلزم ان يكون الأسقف بعل امرأة واحدة » (٣) ، (٤) ... وفي ذلك ما يدل على أن الزيادة على الواحدة لغير الأسقف جائزة ، وأن منع تجدد الزوجات قاصر على رجال الدين ، ومن يعدد منهم ينخرط في سلك العامة ، ويمنع من الانخراط في سلك الكهنوت .

كما ثبت تاريخيا أن بين المسيحيين الأقدمين من كان يتزوج أكثر من واحدة ، وفي آباء الكنيسة الأقدمين من كان له كثير من الزوجات ، يذكر الاستاذ عباس العقاد ان « وسترمارك » العالم في تاريخ الزواج قال « ان تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقى الى القرن السابع عشر وكان يتكرر كثيرا في الحالات التى لا تحصيها الكنيسة والدولة (٥) .

ويقول الشيخ رشيد رضا «وقد فشا التعدد في الرومان فعلا لا قانونا حتى حظره جوستنيان في قوانينه ، ولكنه ظل فاشيا بالفعل ، وأباحه بعض البابوات لبعض الملوك بعد الاسلام كشرلمان ملك فرنسا الذى كان معاصرا للخليفتين المهدى والرشيد من العباسيين (٦) ويقول المستشرق الفرنسى « إتيين دينيه » الذى أسلم وسمى نفسه « ناصر الدين » هؤلاء ملوك فرنسا دع عنك الأفراد الذين كانت لهم

---

(١) مسلم ـ كتاب الامارة .

(٢) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه للأستاذ عباس العقاد ط الهلال / ١٧٧ .

(٣) رسالة بولس الأولى الى تيموثاوس / الاصحاح الثالث ـ ٢ .

(٤) (ان الاستشهاد بنصوص العهد القديم أو الجديد ليست اقراراً منا بصحة هذه النصوص والاعتراف بأنها نصوص الوحى الذى تنزل من عند الله ـ اذ أن نصوص التوراة التى أوحاها الله تعالى على موسى عليه السلام ، وكذلك نصوص الانجيل التى أوحاها على عيسى عليه السلام قد حرفت جميعا فلا يعتمد على النصوص التى بأيدى الناس اليوم ـ المجلة) .

(٥) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه / ١٧٨ ط الهلال .

(٦) حقوق النساء في الاسلام أو نداء الى الجنس اللطيف ط المكتب الاسلامى ١٣٩٥ ، ١٩٧٥ ص ٦١ .

الزوجات المتعددات والنساء الكثيرات وفي الوقت نفسه كان لهم من الكنيسة كل تعظيم واكرام (١) ٠

وهكذا لو ترك أتباع الكنيسة الأمر على عهوده الأولى لكان التعدد جائزا عندهم ، لكن الكنيسة خضوعا لمؤثرات أجنبية بعيدة عن تعاليم المسيحية ذاتها هى التى ابتدعت القول بمنع تعدد الزوجات ، وأخذ رؤساؤهم الدينيون يؤولون في آيات الزواج كما أولوا في غيرها حتى أصبح التزوج بأكثر من واحدة حراما عندهم كما هو معروف ·· وحتى قبل المسيحية واليهودية كان التعدد مباحا مأثورا عن الأنبياء أنفسهم فابراهيم عليه السلام تزوج سارة وهاجر ، ويعقوب تزوج ليئة وراحيل ، وفي العهد القديم ما يدل على أن موسى كانت له زوجة أخرى مع ابنة الرجل الصالح (٢) ، وأن كثيرا من أنبياء بنى اسرائيل كانوا يعددون ومعروف أن داود وسليمان عليهما السلام كان لهما زوجات كثيرة ، ولقد جاء في سفر الملوك الأول أن سليمان عليه السلام كان له سبعمائة من النساء السيدات ، وثلاثمائة من الجوارى (٣) ، (٤) ٠

فالاسلام لم يبتدع التعدد ، وانما جاء فوجده منتشرا في جميع الطبقات يمارسه اليهود والعرب وغيرهم على أوسع نطاق ، دون التقيد بأى اعتبار ، قال الطبرى « كان الرجل في الجاهلية يتزوج العشر من النساء والأكثر والأقل » (٥) ٠

فكان لابد أن يتدخل الاسلام لعلاج هذه الظاهرة التى وصلت الى حد الفوضى في كثير من الأحيان ، وأصبح لادافع من ورائها الا التلذذ الحيوانى ، والتنقل بين الزوجات كما يتنقل الخليل بين الخليلات ·· فكيف كان علاج الاسلام لها ·· ذلك ما نبينه في الفقرات التالية : ـ

أولا : بعد أن كان الزواج مطلقا دون حد ، متروكا للهوى دون قيد ، من شاء فليستكثر ومن شاء فليقلل قيد الاسلام ذلك بأربع نساء فقط ، (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) (٦) ··وعلى أثر نزول هذه الآية قام رسول الله عليه الصلاة والسلام يأمر من كان معه أكثر من أربع أن يمسك منهن أربعا ، ويُسَرِّح الباقى ·· روى ابن ماجه أن غيلان بن مسلمة الثقفى أسلم وتحته عشر نسوة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم (اختر منهن أربعا) (٧) وروى أيضا أن قيس ابن الحارث قال : أسلمت وعندى ثمانى نسوة فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : (اختر منهن أربعا) (٨) ٠

وعن نوفل بن معاوية الرملى قال أيضا « أسلمت وعندى خمس نسوة » فقال له رسول الله صلى

---

(١) كتاب محمد رسول الله تأليف « اتيين ديميه » سليمان ابراهيم ص ٣٩٤ هامش ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم محمود ٠ ط ثانية سنة ١٩٥٨ نهضة مصر ٠

(٢) أحكام الأسرة في الاسلام د٠ محمد سلام مدكور جـ ١ / ١٧٧ ط ثانية ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩ ٠

(٣) الاصحاح الحادى عشر ـ ١ ٠

(٤) انظر تعليق المجلة السابق ٠

(٥) تفسير الطبرى جـ ٤ / ٢٣٢ ط ثانية سنة ١٩٧٣ ـ ١٩٥٤ ٠

(٦) سورة النساء ٣ ٠

(٧) ابن ماجه ، باب النكاح جـ ١ / ٦٢٨ ، ومسند الشافعى جـ ٢ / ١٦ كتاب النكاح ٠

(٨) ابن ماجه ، باب النكاح جـ ١ / ٦٢٨ ٠

الله عليه وسلم (فارق واحدة وأمسك أربعا . فعمدت الى أقدمهن عندى عاقر منذ ستين سنة ففارقتها) (١)

وهكذا ضبط الاسلام نظام التعدد وحدده بما لا يزيد عن أربعة . بعد أن كان مطلقا بدون حد . منطلقا دون قيد .

ثانيا : اذا كان الاسلام حدد الزواج بما لا يزيد عن أربعة الا أنه جعل لذلك شرطا هو امكان القدرة على النفقة والقيام بأعباء الزوجية كاملة . وقيدا . هو ضرورة العدل بينهن في المعيشة والمعاشرة . وإلا . « فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » (٢) وبذلك الشرط والقيد تصان الحياة الزوجية من الفوضى والاختلال . ومن الجور والظلم .. وتحفظ كرامة المرأة حتى لا تتعرض للمهانة بدون ضرورة ملجئة واحتياط كامل .. والعدل المشروط هنا هو العدل المادى في المعاشرة والمعاملة . وفي النفقة والمعاشرة . وفي كل ما يمكن تحقيق العدل فيه ويدخل تحت طاقة الانسان وارادته بحيث لا تُبخسَ زوجة حقها . ولا تُؤثَرْ واحدة دون الأُخرى بشيء .. أما فيما يتعلق بمشاعر القلوب وأحاسيس النفوس . فذلك خارج عن ارادة الانسان . واستطاعته . ولا يطالب بالعدل فيه أحد . والى هذا المعنى جاءت الاشارة في قول الله تعالى « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذورها كالمعلقة » (٣) ..

ومع أن نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم كان يعدل بين نسائه كأرفع ما يكون وأنبل ما يكون . الا أنه مع ذلك كان يقول (اللهم هذا فعلى فيما أملك . فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك) (٤) . ذلك أن القلوب بيد الله . يقلبها كيف يشاء . ولا سلطان لبشر عليها .

ثالثا : التعدد علاج يقدمه الاسلام لما قد يطرأعلى حياة الاسرة من علل وأدواء .. وهذا العلاج محكوم عليه بحكم الحاجة ، وبحسب الحالة الطارئة الواقعة ، فمن خرج به عن هذه الملابسات فقد ظلم نفسه ، وجاوز حدود الله ، والاسلام في تشريعه هذا قائم على أساس أنه دين البشرية العام بمختلف أجناسها وبيئاتها وقد ضمنه الله عز وجل من الشرائع والأحكام ما يجعله صالحا وافيا بحاجات البشرية الى قيام الساعة ، وقد رخص في موضوع التعدد لمواجهة حالات واقعة في الحياة البشرية لا يمكن أن يقف حيالها مكتوف الأيدى ، والا كان قاصرا عن مواجهة ظروف الحياة ، وحاشا لشرع الله الكامل أن يكون كذلك .. ومن الحالات التى راعاها الاسلام ، ورخص في التعدد ازاءها ما يلى : -

١ - اذا عقمت المرأة ، أو ثبت أنها عاقر لا تلد ، ووجدت لدى الزوج الرغبة الفطرية في النسل والانجاب ، أو اذا مرضت الزوجة مرضا مزمنا يطول برؤه أو يستعصى على العلاج ، وقد لا يتمكن الزوج معه أن يعاشرها معاشرة الأزواج ، وقد لا تستطيع هى الأخرى بأزائه أن تقوم بواجباتها كزوجة .. إن المرأة في هاتين الحالتين تكون أمام أحد أمرين .. اما أن يطلقها الزوج ويتزوج بأخرى تستطيع القيام

---

(١) أخرجه الشافعى جـ ٢ / ١٦ كتاب النكاح ط سنة ١٣٦٩ - ١٩٥٠ .

(٢) سورة النساء - ٣ .

(٣) سورة النساء - ١٢٩ .

(٤) النسائى جـ ٧ / ٦٤ كتاب عشرة النساء .

بحقوق الزوجية وتحملها ، وقد لا يكون هذا من الوفاء مع زوجة أعطته خدمتها واخلاصها ، واما أن يبقى عليها مع زواجه بأخرى ، وهذا حل قد ترتاح له المرأة العاقلة وتفضله على الطلاق ، لأنه بالنسبة لحالة المرض تكون المرأة بحاجة الى من يقف بجوارها ويتولى شئون علاجها ، وفي حالة العقم نجد أن المرأة في كثير من الأحيان هي التى تقوم بعرض الزواج على الرجل وترغبه فيه ، وقد تقوم هى بالخطبة له ، وتعيش مع غيرها كعيشة الأختين ، وقد كان ذلك أمرا عاديا في صدر الاسلام عندما كان النسوة متدينات مسلمات ، يعرفن حق الله والزوج ، فلما ساد الجهل بالاسلام ، وفسدت التربية الصحيحة به أصبح الزواج بثانية مثار بغض بين العشائر وخلاف بين الأزواج ٠

٢ ـ يوجد لدى بعض الرجال شبق (١) ، لا يستطيعون معه التحكم في غرائزهم ، ولا تكفى المرأة الواحدة لاحصانهم إما لعزوف المرأة عن ذلك الشيء لضعفها العام ، أو لكبر سنها ، أو أنها ذات طبع لا ينشط لتلبية رغبات الزوج كثيرا : فهل يكبت الرجل شهوته ـ والحالة هذه ـ أو يطلق لنفسه العنان فيخادن من يشاء من النساء ؟ إن هذا وذاك لا يقبله شرع ولا دين ، فلم يبق الا أن يرخص له في الزواج بأخرى مع الابقاء على الاولى ، خاصة وأنه قد توجد لديها الرغبة الأكيدة في استدامة العشرة وعدم الانفصال عن بعضهما ٠

٣ ـ هناك حالات يزيد فيها عدد النساء على عدد الرجال ، ويظهر ذلك واضحا في أعقاب الحروب التى تأتى على كثير من الشباب ، فماذا يكون الوضع والحالة هذه ... اننا اذا منعنا التعدد ، وقلنا لا بد من الاقتصار على نظام الزوجة الواحدة كنا امام احتمالات ثلاث أمام ذلك العدد الزائد من النساء :

أ ـ إما أن تظل البنت حبيسة في بيت أبيها بدون زواج ، وتقضى حياتها هكذا ، لا تعرف الرجال ، ولا يعرفها الرجال ، وهذا حل لا ترضاه المرأة لنفسها لأنه يناقض فطرتها وطبيعة تكوينها مهما كابر المكابرون وادعوا أنه من الممكن أن تستغنى المرأة عن الرجل بالكسب والعمل فتلك مثالية صعبة التطبيق والتحقيق وجهل بنفسية المرأة وطبيعة تكوينها الجسدى والغريزى وحاجتها الى السكن والانس بالعشير ٠

ب ـ وإما أن تتخذ المرأة الرجل خدنا أو خليلا في الحرام ، وتتصل به اتصالا غير شريف في الظلام ... وهذا الحل لا ترضاه امرأة شريفة لنفسها ، فهو ضد كرامتهاومكانتها الانسانية ٠

ج ـ فلم يبق الا الحل الثالث وهو الزواج من رجل متزوج من قبل ، يصونها ويحميها من التبذل والضياع ..

وهذا الحل هو الذى يقول به الاسلام كرخصة لعلاج حالة واقعية مقيدا ذلك ـ بالعدل والقدرة على الانفاق والاحصان ، وهو حل ترضاه المرأة نفسها عن طيب خاطر ازاء تلك الظروف الطارئة ، وتشجعه ، وقد تطالب به ، كما حدث في المانيا بعد الحرب العالمة الثانية عندما طالبت نساء المانيا أنفسهن بتعدد الزوجات لذهاب كثير من رجالها وشبابها وقودا للحروب ، ورغبة في حماية المرأة من

---

(١) الشبق : شدة الشهوة ، كما في لسان العرب ٠

احتراف البغاء وما يتأدى عنه من أولاد غير شرعيين . ففى عام ١٩٤٨ أوصى مؤتمر الشباب العالمى في ميونخ بألمانيا باباحة تعدد الزوجات حلا لمشكلة تكاثر النساء وقلة الرجال بعد الحرب العالمية الثانية (١) وتقول احدى الألمانيات « ان حل مشكلة المرأة الألمانية هو في إباحة تعدد الزوجات » (٢) فالتعدد ـ على ما به ـ رحمة بالمرأة . فحياة برجل . أفضل للمرأة من حياة بلا رجل وهى تعلم ذلك جيدا

ومن يعرف نفسية المرأة يجد أنها ـ حتى في غير أوقات الحروب قد تختار التزوج برجل معه امرأة أخرى عن رضا واختيار . تقول أستاذة ألمانية . اننى أفضل أن أكون زوجة مع عشر نساء لرجل ناجح على أن أكون الزوجة الوحيدة لرجل فاشل تافه . ان هذا ليس رأيى وحدى . بل هو رأى كل نساء ألمانيا (٣) .. وأخيرا .. فنحن لا ننكر أن الزواج الثانى شديد على نفسية الأولى . وبغيض اليها . ولكن ماذا نفعل أمام ضرورات هذه أمثلة لها . لا بد أن تتجرع الزوجة الكأس مع ما فيها من مرارة فذلك أخف الضررين .

رابعا : المتمعن في موضوع التعدد في الاسلام يجد أن الفقهاء وكلوا الرضا به والرفض الى المرأة . فمن الممكن أن تقبله ومن الممكن ألا تقبله دون اكراه .. كيف ؟ المرأة يؤخذ رأيها أولا في موضوع الزواج كما قال صلى الله عليه وسلم (لا تنكح الأيم حتى تستأمر . ولا تنكح البكر حتى تستأذن). قالوا يارسول الله وكيف اذنها . قال : (أن تسكت) (٤) وفي رواية (الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر يستأذنها أبوها في نفسها واذنها صماتها) (٥) .

ولما شكت فتاة الى النبى صلى الله عليه وسلم موضوع اقدام والدها على تزويجها من ابن عمها على غير رغبة منها وكل عليه السلام ذلك الأمر اليها ان شاءت قبلته . وان شاءت رفضته دون ارغام . روى النسائى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أن فتاة دخلت عليها فقالت ان أبى زوجنى من ابن أخيه يرفع بى خسيسته وأنا كارهة . فقالت اجلسى حتى يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبرته فأرسل الى أبيها فدعاه فجعل الأمر اليها فقالت يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبى . ولكنى أردت أن أعلم ألنِساء من الأمر شيء (٦) .

وعن خنساء بنت خذام الانصارية أن أباها زوجها وهى ثيب فكرهت ذلك . فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها (٧) .

فالرأى في موضوع الزواج ـ تعدادا أو ابتداء ـ موكول الى المرأة . تقبل منه ما ترى فيه السكن والمودة . وتنتظر من ورائه الخير والأمان . أو ترى فيه ضرورة أخف من غيرها . وترفض منه ما تتوقع من ورائه القلق والمتاعب .

---

(١) محاضرات في الثقافة الاسلامية . أحمد محمد جمال / ١٦٠ ط الثالثة دار الشعب بالقاهرة .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق نقلا عن الأخبار المصرية .

(٤) البخارى : كتاب النكاح ج ٧ / ٢٣ ط الحلبى سنة ١٣٤٥ .

(٥) مسلم . كتاب النكاح ج ٢ / ١٠٣٧ ط الحلبى .

(٦) النسائى ج ٦ / ٨٦ كتاب النكاح . وابن ماجه كتاب النكاح ج ١ / ٦٠٢ واللفظ للنسائى .

(٧) البخارى كتاب النكاح ج ٧ / ٢٣ ط الحلبى .

وبعد فان الشريعة الاسلامية في اباحتها للتعدد انما اعتبرته نوافذ ضيقة لحالات استثنائية اضطرارية ، وأدوية محدودة لحالات قائمة ، وقد سلكت فيه مسلكا سائغا ومقبولا لا غلو فيه ولا افراط ، ولعل فيما هو منتشر الآن في البلاد التى لا تسمح نظمها بالتعدد وتحتم على أتباعها الاقتصار على واحدة مهما كانت الظروف والأسباب ، أقول : لعل فيما هو منتشر الآن في تلك البلاد من الفوضى الجنسية واستباحة الأعراض والتفسخ الأخلاقى والتخالل السرى والعلنى ، والتحايل على النظم ونقضها بشتى الحيل ، ان في بعض ذلك ما يكفى كدليل قاطع على سمو التشريع الاسلامى وحكمته التى يلتقى فيها مع الانسان في فطرته وواقعه ، ويتوافق مع شئونه وملابسات حياته لأنه ينظر اليها من جميع زواياها القريبة والبعيدة .

يقول « اتيين دينيه » ان نظرية التوحيد في الزوجة ، وهى النظرية الآخذة بها المسيحية ظاهرا تنطوى تحتها سيئات متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاء ، تلك هى الدعارة والعوانس من النساء ، والأبناء غير الشرعيين ، وأن هذه الأمراض الاجتماعية ذات السيئات الأخلاقية لم تكن تعرف في البلاد التى طبقت فيها الشريعة الاسلامية تمام التطبيق ، وانما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدنية الغربية (١) .

ان الغرب اذا كان قد عالج موضوع التعدد ، بالإغضاء عن الزنا وتيسير سبله للراغبين فيه والراغبات ، وبالاعتراف بالخنا والعلاقات المحرمة ، والاعتراف باللقطاء وأولاد الزنا الذين امتلأت بهم دور الحضانات وغيرها ، اذا كان الغرب رضى لنفسه هذا ، فان الاسلام لا يرضى لرجاله هذا السقوط والتحلل من قيود العفة والتسلل من حين لآخر الى بؤر الفسق وأماكن الشيطان .. وانما ينشد لهم مجتمعا نظيفاً طاهراً ، يحوطه العفاف والشرف ، وتجمله المروءة والتقوى .

يقول جوستاف لوبون « ان مبدأ تعدد الزوجات الشرقى نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقى في الأمم التى تقول به ، ويزيد الأسرة ارتباطا ، ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تراهما في أوربة (٢) .. وهذه امرأة غربية تقول عن بنى جنسها من النساء : لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء ، وقل الباحثون عن أسباب ذلك ، واذا كنت امرأة ترانى أنظر الى هاتيك البنات وقلبى يتقطع شفقة عليهن وحزنا ، وماذا عسى يفيدهن بثى وحزنى ، وان شاركنى فيه الناس أجمعون : لا فائدة الا في العمل بما يمنع هذه الحالة الرجسة ، وهو الاباحة للرجل بأن يتزوج بأكثر من واحدة ، وبهذه الواسطة يزول البلاء لامحالة وتصبح بناتنا ربات بيوت ، فالبلاء كل البلاء في اجبار الرجل الأوربى على الاكتفاء بامرأة واحدة » ان هذا التحديد بواحدة هو الذى جعل بناتنا شوارد وقذف بهن الى التماس أعمال الرجال (٣) وتقول .. أى ظن وخرص يحيط بعدد الرجال الذين لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا كلا وعارا وعالة على المجتمع فلو

---

(١) كتاب « محمد رسول الله » تأليف « ايتين دينيه » وسليمان ابراهيم ص ٣٩٥ هامش .. ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود . ومحمد عبد الحليم ط ثانية سنة ١٩٥٨ نهضة مصر .

(٢) حضارة العرب ـ ٣٩٧ ترجمة عادل زعيترط الرابعة .

(٣) حقوق النساء في الاسلام للشيخ رشيد رضا ص ٧٥ نقلا عن جريدة لندن تروت بقلم احدى الانجليزيات .

كان تعدد الزوجات مباحا لما حاق بأولئك الأولاد وأمهاتهم ما هم فيه من العذاب الهون ولسلم عرضهن وعرض أولادهن . ان اباحة تعدد الزوجات يجعل كل امرأة ربة بيت وأم أولاد شرعيين (١) .

ويقول الفليسوف الألمانى شوبنهور « إنه من العبث الجدال في أمر تعدد الزوجات مادام منتشرا بيننا لا ينقصه الا قانون ونظام (٢) .. وهو يقصدد تعدد الزوجات بصورة غير مشروعة .

وأريد أن أختم الحديث في هذا الموضوع بما يأتى :

ان الواقع يشهد والاحصائيات تدل على أن التعدد بين المسلمين يعتبر في حكم الشاذ . وأن الذين يعددونه قلة في المجتمع الاسلامى . أما الذين يقتصرون على واحدة فهم الكثرة الساحقة في المجتمعات الاسلامية .. ذلك أن ارتفاع النفقات وتكاليف المعيشة . وما يترتب على التعدد من مشاكل أسرية وخلافات مستمرة . كل ذلك جعل الرجل يفكر أكثر من مرة في الاقدام على مثل هذا العمل .

فالتعدد ليس منتشرا بالصورة التى تزعج المرأة . أو تقلق المفكرين . إن نسبته لاتزيد في معظم بلاد المسلمين عن ٢٪ فهل من أجل هذه النسبة الضئيلة تصرخ النسوة ويتقول المتقولون على الاسلام . وهى ما جاءت الا لظروف مقرونة بقيودها .. مع أننا لم نسمع لهؤلاء صوتا بكلمة استنكار واحدة لما ينتشر في بلاد العرب والمسلمين من عادات الغرب في الفسق والفجور واتخاذ الخليلات وسهولة بذل الأعراض فأى المسلكين أولى بحملات التنديد والاستنكار ؟؟ .

استطراد في تعدد أزواج النبى صلى الله عليه وسلم :

قلما يتعرض خصوم الاسلام لموضوع تعدد الزوجات فيه دون أن يتناولوا موضوع تعدد أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ليتخذوا منه مادة انتقاد وغمز لنبى الاسلام واظهاره لأتباعهم بصورة لا تناسب شرف النبوة ومقامها .

وقد ناقش كثير من علماء المسلمين هذا الموضوع . وردوا على هؤلاء بردود وجيهة أذكر منها في ايجاز :

انه كان من وراء ذلك الأغراض التشريعية والانسانية والتعليمية وغير ذلك مما يتعلق بمصلحة الدعوة وتبليغ الرسالة . توخى في بعضها عليه الصلاة والسلام توثيق الرابطة بين الاسلام وبعض القبائل . واستطاع عن طريق ذلك أن يصل الى قلوب زعماء الشرك وأن يصاهرهم فيصهر ما في قلوبهم من حقد على الاسلام . كما حدث عندما تزوج بجويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق التى كان من آثاره اسلام جميع قبيلتها . وكزواجه صلى الله عليه وسلم من أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان وصفية بنت حيى بن أخطب .. وتوخى في بعضها الآخر تكريم أرامل الشهداء الذين ماتوا في الحبشة . أو استشهدوا من أجل الدعوة في سبيل الله . وتركوا أرامل لا يقدرون على تحمل أثقال الحياة وأعبائها الجمة مثل هند أم سلمة المخزومية . وزينب بنت خزيمة . وسودة بنت زمعة .

---

(١) المرجع السابق .   (٢) الاسلام روح المدينة للشيخ مصطفى الفلايني ص ٢٢٦ ط بيروت ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠ .

وكان في بعضها الآخر زواجا تشريعيا كزواجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش لهدم نظام التبنى عند العرب . والذى كان يحرم على الرجل أن يتزوج امرأة ابنه المتبنى ولذلك كان وقع ذلك الزواج شديدا على نفس النبى صلى الله عليه وسلم لأنه سوف يطيل عليه الألسنة ، ويفتح أفواه المنافقين بالقيل والقال .. ولمثل هذه الأمور التى كانت تجول في نفس النبى عليه الصلاة والسلام نزل القرآن الكريم يعاتبه « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه . فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم (١) » .. وفي الخطاب بزوجناكها بيان أن التزويج من الله ، وليس للنبى أى دخل فيه . ومنها توثيق أواصر الترابط بينه وبين صاحبيه الجليلين أبى بكر وعمر وتكريمهما بشرف المصاهرة به عليه الصلاة والسلام لجهادهما الصادق ، واخلاصهما العميق في سبيل الدعوة ، وذلك ظاهر في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بعائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر رضى الله عنهم .

وأمر آخر يصح أن يزاد .. وهو أن الدعوة كانت بحاجة الى من يبلغ أحكامها الشرعية الخاصة بالنساء ، وهى كثيرة ، واذا كنا في موضوع الشهادة العادية في الديون والأقضية مثلا تقبل شهادة امرأتين مع رجل اذا لم يوجد رجلان ، فما بالنا بالأحكام الأخرى المتنوعة التى تتعلق بالنساء خاصة وما أكثرها ، إن زوجة واحدة لا تستطيع القيام بهذا العبء وحدها ، فالأمر أكبر بكثير من ذلك ، اذ أنه لا يقتصر على أمور الطهارة والحيض فقط ، كما قد يتصور البعض ، وانما كل ما يتعلق بأحكام الزوجية ، وآداب البيت ، وشئون المرأة عبادة ومعاملة وأخلاقاً ، خاصة تلك الأمور التى كان صلى الله عليه وسلم يستحى أن يصارح بها النساء ، أو يستحين أنفسهن من أن يسألنه فيها من أحكام الجنابة والطهارة وغيرها .. من أمثلة ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها ان امرأة من الأنصار سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن غسلها من المحيض ، فأمرها كيف تغتسل ، ثم قال : خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها قالت كيف أتطهر بها ؟ قال : سبحان الله تطهرى بها قالت عائشة ـ وكأنها تخفى ذلك ـ تتبعى بها أثر الدم(٢). ثم انه صلى الله عليه وسلم استحيا أو استتر بثوب كما فى رواية الترمذى . أى منعه الحياء بأن يصرح لها بوضع القطنة المطيبة بالمسك في المكان الذى كان يخرج منه الدم إتماماً للطهارة . فأخذتها السيدة عائشة وأفهمتها المراد . وهكذا كانت أمهات المؤمنين خير مبلغ لمثل هذه الأمور النسائية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم . كما كن فيها وفي غيرها من رواية الحديث والاستفتاء خير مرجع بعد وفاته عليه الصلاة والسلام .. يقول السيد رشيد رضا « كان الرجال يرجعون بعده عليه الصلاة والسلام الى أمهات المؤمنين في كثير من أحكام الدين ، ولاسيما الزوجية ، فمن كان له قرابة منهن ، كان يسألها دون غيرها ، فكان أكثر الرواة عن عائشة أختها أم كلثوم ، وأخوها من الرضاعة عوف بن الحارث ، وابن أخيها القاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبى بكر ، وحفصة وأسماء بنتا أخيها عبد الرحمن ، وعبد الله وعروة ابنا عبد الله بن الزبير من أختها أسماء وروى عنها غيرهم من أقاربها ومن الصحابة والتابعين ، وهم كثيرون جداً .

---

(١) سورة الأحزاب ـ ٣٧ .

(٢) رواه البخارى ومسلم وابن داود وابن ماجه ـ كتاب الحيض .

كذلك كان أكثر الرواة عن حفصة أخوها عبد الله بن عمر ، وابنه حمزه ، وزوجه صفية بنت عبيد ، وأم بشر الأنصارية .. الخ .

وأكثر الرواة عن ميمونة بنت الحارث أبناء أخوتها ، ولاسيما أعلمهم ، وأشهدهم عبد الله بن عباس ، وأشهر الرواة عن رملة بنت أبى سفيان ابنتها حبيبة وأخواها معاوية وعتبة وابنا أخيها وأختها .

وهكذا نرى كل واحدة من أمهات المؤمنين قد روى عنها من علم الدين كثير من أولى قرباها ، ومن النساء والرجال الآخرين .. ، ولعل أكثر ما سمعه النساء منهن لم يصل الى الذين دونوا أحاديثهن .

أن أمهات المؤمنين التسع اللائى توفي عنهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كن كلهن معلمات ومفتيات لنســـاء أمته ولرجـالها في مـا لم يعلمه غيرهن من أحكـــام شرعية وآداب زوجية ، وحكم نبوية (١)

أجل لقد ساهمت أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن مساهمة فعالة في نقل السنة النبوية ـ وهى المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله ـ بأمانة وضبط الى الأمة الاسلامية .. وناهيك بهؤلاء النسوة اللاتى ما خفيت عنهن صغيرة ولا كبيرة من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكن جميعا في اذن عام بأن يخبرن الناس ما دار في ظلام الليل قولا سمعنه ، أو فعلا رأينه من صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ، ولقد ذكر رواة السنة أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم روين عنه عليه الصلاة والسلام أكثر من ثلاثة آلاف حديث ، كان للسيدة عائشة فيهن النصيب الأكبر ، فقد روت ألفين ومائتين وعشر حديثا (٢) .. ثم تلتها السيدة أم سلمة حيث روت حوالى ثلاثمائة وثمانية وسبعين (٣) وتتابع الباقى يروين ما بين خمسة وستين مثل أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان (٤) ، وستين كحفصة بنت عمر (٥) ، وستة وأربعين كميمونة بنت الحارث (٦) ، وأحد عشر كزينب بنت جحش (٧) ، وغير ذلك ، رضى الله عنهن جميعاً ..

---

(١) حقوق النساء في الاسلام ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) اتفق الشيخان منها على مائة حديث وأربعة وسبعين ، وانفرد البخارى بأربعة وخمسين ، ومسلم بثمانية وستين ، انظر مقدمة ابن الصلاح تحقيق د / بنت الشاطىء ص ٧٩٨ ، ٧٩٩ ط دار الكتب سنة ١٩٧٤ .

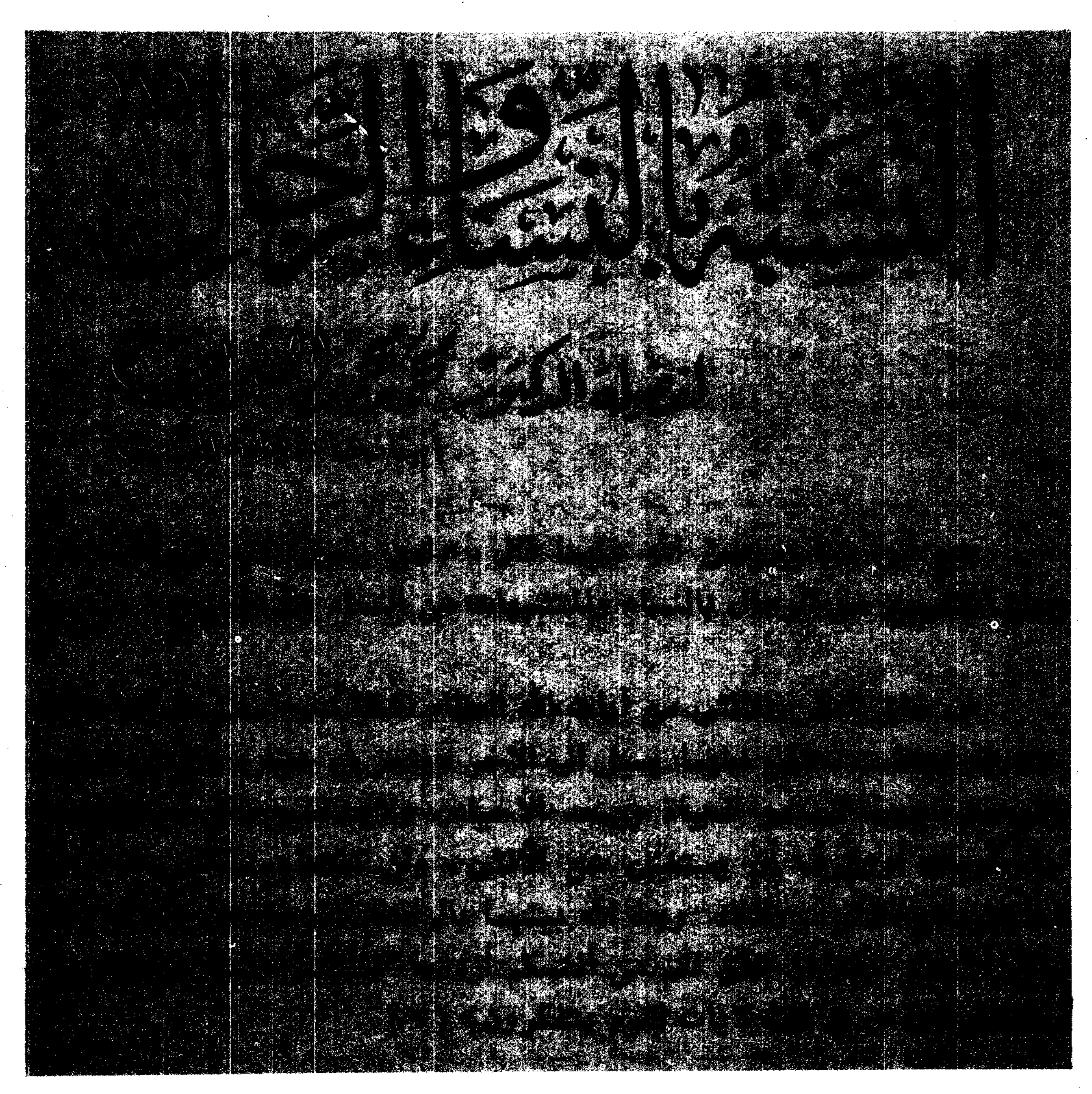
(٣) مقدمة ابن الصلاح ص ٧٦٦ تحقيق د / بنت الشاطىء ، ط دار الكتب اتفق الشيخان على ثلاثة عشر منها .

(٤) مقدمة ابن الصلاح ص ٧٩٠ تحقيق د / بنت الشاطىء ط دار الكتب .

(٥) المرجع السابق ص ٧٩١ .

(٦) المرجع السابق ص ٨٠٤ .

(٧) المرجع السابق ص ٧٩٥ .



وقد تعالت حكمة الله تعالى فخصص لكل نوع وظيفة هامة لا يقوم بها غيره وهيأ لكل من الأسباب والوسائل ما يمكنه من النهوض بهذه الوظيفة وبهذا يكون التكامل البشرى في أرقى صوره . فوظيفة الرجل الخلافة في الارض وتعميرها والمشى في مناكبها لا بتغاء فضل الله ورزقه . وقد اعطاه الله من القوة والتحمل والصبر والجلد ما يهيئه لهذا . وسخر له الكون وأعطاه من العقل والحكمة ما يحسن به تدبير أموره وما يصلح به شأنه . ولذلك كان الرجل جلدا قويا متعقلا مفطورا على الكدح والسعى !

وأما المرأة فوظيفتها الاولى انجاب الذرية . وحملها . ووضعها . وارضاعها . وتعهدها . ورعايتها . وتربيتها . والقيام عليها . بينما يشغل الرجل بواجباته ·

---

(١) البخارى ج ٤ ص ٣٦ ·　　　　(٢) الروم ٢١

وما أجل هذه الوظيفة التى تتميز بها المرأة . ولقد فطرها الله وهيأها للقيام بهذه الرسالة . فجعل نفسها مليئة بالعطف والرحمة والحنان وجعلها تحن الى الصغار وتميل الى تعهدهم منذ نعومة أظافرها . ولذا فانها تحب العرائس من اللعب لتستعد بفطرتها لوظيفتها . كما أنها تحب القرار في البيوت وتنفر من الخروج منها لغير ما حاجة . وقد أعطيت من الصبر على الحمل والوضع والرضاع والتربية ما يسهل عليها هذه المهمة الشاقة . كما أنها تخضع بذاتها لزوجها وتنقاد لأمره .

ولقد جعل الله تكوينها البدنى والنفسى مهيئا لهذه العمليات التى لا يقوم بها الا المرأة . بل إن تكوين المرأة كله يدور في محيط هذه الوظيفة ولذلك كانت المرأة القرار المكين الذى تتجلى فيه آيات الله الباهرة في تكوين الجنين في أطواره المختلفة فتبارك الله أحسن الخالقين .. ووظيفة هذا شأنها وهذه منزلتها جديرة بأن تتفرغ لها المرأة وتوفر جهدها عليها . وجدير بالمجتمع أن يقدر لها قدرها وأن يرعاها أحسن رعاية .

ولاننسى أن المرأة تساعد الرجل على القيام بوظيفته خير قيام فتعينه على التعفف والاستقامة . وتتعهد حاجياته الضرورية من مطعم ومشرب وملبس ومسكن . وتتعهد أولاده . فيكون فارغ البال لعمله هادىء النفس . وعلى هذا فطرت المرأة منذ نعومة أظافرها فتشعر أن هذه الوظيفة من أجمل أمانيها وأحلى آمالها مهما بلغت من الدنيا ! .. واذا قام كل من الرجل والمرأة بما هو مفطور عليه استقامت الأمور . وسعد الناس . وعاشوا عيشة راضية . لاستقامتهم على الفطرة التى فطرهم الله عليها .

ولقد أراد الله سبحانه ـ وله الحكمة البالغة ـ أن يجعل الذكر أفضل من الأنثى . وأن يكون له السيادة والقوامة عليها . وهى قوامة وسيادة قائمة على الفطرة السليمة التى خلق عليها كل من الذكر والأنثى . وهى كذلك قائمة على التبصر والحكمة والقدرة على تحصيل مطالب الحياة قال تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) (١) مع أنهما يستويان في الحقوق والواجبات . فلكل منهما حق على الآخر . فكما أن على الرجل أن يسعى . فعلى المرأة أن تقوم بالاعفاف والخدمة . وكذلك يستويان في الأمر بالعمل الصالح وجزائه . ولكن الله سبحانه قد كلف الأنثى بما يناسب فطرتها فأعفاها من الصلاة والصيام عند الحيض والنفاس . وجعل صلاتها في بيتها أكرم من صلاتها في المسجد وجعلها لا تتطوع بالصيام الا باذن زوجها .. قال تعالى (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) (٢) وليست القوامة قائمة على التحكم والتسلط والعدوان . ولذلك كان أعظم الناس حقا على الرجل أمه وعلى المرأة زوجها .. والله سبحانه عزيز لا يغلب حكيم لا يفعل شيئا عبثا . عليم بما يصلح الكون ويسعد البشر . وقد اقتضت حكمته هذا الصنع المتقن البديع .! وان من نعم الله على الرجل أن يختاره الله هكذا رجلا له القوامة والسيادة قال تعالى (هو الذى يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله الا هو العزيز الحكيم) (٣) فعليه أن يقدر النعمة

---

(١) النساء ٣٤ (٢) آل عمران ١٩٥

(٣) آل عمران ٦

ويصونها ويجعلها شكرا للمنعم حتى تدوم له ويزيده منها قال تعالى (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) (١) وقال تعالى (ياأيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك في أى صورة ما شاء ركبك) (٢) ولقد كان جديرا بالرجل والمرأة ان يرضى كل منهما بما كلف به من مهام ليعيش حميدا سعيدا . لكن الشيطان الرجيم - وقد قعد للناس يصدهم عن الصراط المستقيم - جعل البعض يعترضون على أمر الله فيهم ويتركون مهامهم المنوطة بهم . ولذا نرى بعض الرجال لا يقدر نعمة الرجولة . ويقوم بكل عمل ممكن ليكون شبيها بالانثى في

هيئتها وزينتها وسلوكها . وكذلك نرى بعض الاناث يتأبين على الفطرة ويحاولن الظهور بمظهر الرجال والتساوى بهم . وهذا انتكاس بالانسانية وتمرد على الفطرة الربانية لا يجنى منه المجتمع الا الشر المستطير والخطر الكبير ! ولقد حذر الله تعالى الانسان من تمنى ما ليس من شأنه . فلا يتمنى الذكر أن يكون أنثى أو كالأنثى . ولا تتمنى الانثى أن تكون ذكرا أو كالذكر . قال تعالى (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما) (٣) ولهذا حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد التحذير من الانتكاس بالفطرة وتغيير صنع الله البديع المحكم . ومن الاستجابة لكيد الشيطان اللعين الذى تهدد بنى آدم بالاغواء والاضلال . ولذلك أخبر صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه قد اشتد غضبه على قوم رغبوا عن خلقه وتشبهوا بالنساء (٤) .

وفي الحديث المصدر به البحث يقول ابن عباس رضى الله عنهما « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم » واللعن هو الطرد . فقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على من فعل ذلك بالطرد وهو البعد عن رحمة الله تعالى . كما أخبر صلى الله عليه وسلم أن من فعل ذلك فقد أحل بنفسه الطرد والابعاد من رحمة الله تعالى . هذا واللعن الصادر منه صلى الله عليه وسلم على ضربين : أحدهما يراد به الزجر عن الشئ الذى وقع اللعن بسببه . وهو مخوف فان اللعن من علامات الكبائر . والآخر يقع في حال الحرج وذلك غير مخوف بل هو رحمة في حق من لعنه بشرط أن لا يكون الذى لعنه مستحقا لذلك . فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم انى اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فانما أنا بشر فأى المؤمنين آذيته شتمته لعنته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربه تقربه بها اليك يوم القيامة » (٥) وفي حديث أنس رضى الله عنه « اننى اشترطت على ربى فقلت انما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر فأيما أحد دعوت عليه من أمتى بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورا وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة » (٦) ولقد كان صلى الله عليه وسلم في نهاية الشفقة والرحمة بأمته . ومعنى كونه « ليس لها بأهل » أى في حقيقة الامر عند الله تعالى . ولكنه في ظاهره مستوجب لذلك بأمارة شرعية . وهو صلى الله عليه وسلم يحكم بما ظهر له والله يتولى السرائر .

---

(١) الكهف ٣٧
(٢) الانفطار ٦ . ٧ . ٨
(٣) النساء ٣٢
(٤) المستغفرى
(٥) مسلم ج ١٦ ص ١٥٢
(٦) المرجع السابق

وقيل ان ماوقع منه صلى الله عليه وسلم من ذلك ليس مقصودا . بل هو مما جرت به العادة وسبق به اللسان ولا يراد حقيقة الدعاء فخاف أن يصادف شيئا من ذلك اجابة فسأل الله أن يجعل ذلك خيرا لصاحبه . ولم يكن يقع منه صلى الله عليه وسلم ذلك الا نادرا لسعة حلمه وعفوه . ولم يكن فاحشا ولامتفحشا ولا لعانا . بل كان رفيقا حليما يحب الرفق في الامر كله .

ولا ريب أن المتشبه بالمرأة والمتشبهة بالرجل يستحقان اللعن والطرد من رحمة الله إن لم يتوبا . والسر في هذا أن في التشبه تمردا على فطرة الله تعالى . واستجابة لكيد الشيطان الذى أبى أن يسجد لآدم تكبرا .فطرد من رحمة الله تعالى . فأراد لبنى آدم أن يكونوا مثله في ذلك . فأتاهم من كل سبيل ليضلهم ويغويهم ولقد تجاسر الشيطان الرجيم وأبان عن وظيفته الخبيثة . فقال « لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » (١) وفي هذا ضلال مبين . اذ أنه لا يرضى بصنع الله الذى اتقن كل شئ . ولا يروقه حسن الصنعة . وعظمة الصانع القادر . وهو سبحانه ما خلق كل شئ الا بالحق . ولم يخلق شيئا عبثا ولا باطلا ! ولكن الانسان لضعفه أمام الشيطان وغروره ومكره يرضخ له ويستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير .

ولذلك فان التشبه من الكبائر . لاستحقاق فاعله لعنة الله تعالى كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ! يقال : شبهت الشئ بالشئ أقمته مقامه بصفة جامعة بينهما . وأشبه الولد أباه وشابهه اذا شاركه في شئ من صفاته ... والصفة المشترك فيها قد تكون ذاتية . كما يقال هذا الدرهم ،كهذا الدرهم . وقد تكون معنوية . نحو زيد كعمرو أى في استقامته وورعه مثلا ! ويقال تشابه الرجلان اذا تساويا .

فالتشبه اذن هو تكلف المشاركة والاتفاق في معنى من المعانى . وتشبه الرجل بالمرأة أن يتصنع أن يكون مثلها في خاصية من خواصها وفي مظهر من مظاهرها . ولقد فطرت المرأة على حب التزين والتجمل لتكون محببة الى الرجل . وقد أحل الشارع الحكيم لها أن تلبس الحرير . وأن تتحلى بالذهب . ومنع من ذلك الرجل . كما أن المرأة تحب الالوان الزاهية والبراقة لما فيها من زينة ظاهرة تلائم فطرتها . كما أن العرف على أن للمرأة ثيابها الخاصة بها في صفتها وهيئتها . ولقد فطر الله المرأة على الحسن والجمال غالبا . وسوى لها أعضاءها على أتم ما تكون حسنا وجاذبية . وزودها بالشعر الغزير في رأسها ليزيدها جمالا وحسنا . في حين أنها فطرت على أنه لاشعر لها في وجهها وفي بعض أعضائها . لان ذلك حسن يلائمها .. وقد أباح الشارع الحكيم لها أن تتجمل بكل ذلك التجمل الفطرى الشرعى ! وللمرأة صوتها العذب الرقيق وبدنها الضعيف .

ان هذه الامور ونحوها خاصة بالنساء تلائم فطرتهن ! فاذا تكلف الرجل شيئا منها وعمد الى الاتصاف بها فقد تشبه بالمرأة ،واستحق اللعنة ! فاذا بالغ في التزين والتجمل وجعل كل همه الاعتناء الزائد بالزينة فقد تشبه بالمرأة . واذا لبس الحرير أو تحلق بالذهب في أصبعه أو وضعه على صدره فقد تشبه بها .

---

(١) النساء ١١٨ ، ١١٩

واذا اختار الألوان البراقة لثيابه أو لبس نعلا يشابه نعلها فقد تشبه بها . واذا ترك شعر رأسه لينمو ويكثر وصنع به كما تصنع بشعرها . فقد تشبه بها .. واذا أزال ما في وجهه من شعر اللحية فقد تشبه بها . واذا حاول التثنى والتكسر في كلامه وهيئته ومشيته فقد تشبه بها . وان دل ذلك على شئ . فانما يدل على ضعف الدين وضعف الرجولة وضعف الذات وفقد الغيرة والنخوة والمروءة والشهامة . وعلى الميل الى مظاهر الخسة والدناءة . وهذا هو التخنث المقيت الذى لعن صاحبه . ـ فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لعن النبى صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال : اخرجوهم من بيوتكم . قال : فأخرج النبى صلى الله عليه وسلم فلانا وأخرج عمر فلانا » (١) والمخنث هو المؤنث من الرجال وهومن يتشبه بالنساء في هيئاتهن وحركاتهن وثيابهن وفي كلامهن وأخلاقهن ! وانما يذم من تكلف وتصنع . وأمَّا مَنْ كان من أصل خلقته مشبها للمرأة في رقة الصوت وتكسره وفي هيئته وحركته . فلا ذم ولا لوم . لأن الذم واللوم لمن تكلف وتعمد وتصنع . كما يفهم ذلك من لفظ « المتشبهين » وغيره لم يتعمد وليس في وسعه وطاقته غير هذا . ومن كان مشبها للمرأة من أصل الخلقة يؤمر بتكلف تركه ومعالجة نفسه . ومداواة قصورها شيئا فشيئا حتى يصير رجلا سويا . فان فعل هذا ولم يقدر على العودة الى أصل الرجولة ولم يوفق لترك ما هومن خصائص المرأة . فلا لوم عليه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها . ومن لم يعالج نفسه بل تركها وشأنها وتمادى في ذلك فهو مذموم . لا سيما ان بدا منه ما يدل على الرِّضا بِه ! قال النووى :(فمن خلق كذلك ولم يتكلف التخلق بأخلاق النساء وزيهن وكلامهن وحركاتهن بل هو خلقه الله عليها فهذا لا ذم عليه ولا عتب ولا اثم ولا عقوبة لانه معذور لا صنع له في ذلك) ... وقال : (ومن لم يكن ذلك له خلقة بل يتكلف أخلاق النساء وحركاتهن وهيئاتهن وكلامهن ويتزيا بزيهن . فهذا هو المذموم الذى جاء في الأحاديث الصحيحة لعنه) اهـ (٢) .

ولقد شاع تشبه الرجل بالمرأة لدى الكفرة الذين ضلوا عن دينهم وأصبح دينهم هو الشهوات يبحثون عنها ويستمتعون بها بكل وسيلة . وقد فقدوا رجولتهم وكرامتهم . فصاروا عبيدا للشيطان وللنساء . وهم بفعلهم هذا يرغبون في التقرب الى المرأة ويطلبون ودها . ويوقعونها في حبائل الهوى لينالوا منها لذتهم ! .

وأما المسلمون فلهم من دينهم ورجولتهم ومروءتهم وأنفتهم ما يمنعهم من هذا التدنى والسقوط ! .

ولقد شذ البعض فتشبه بهن . ونسى هؤلاء أن المرأة لا تريد من هو مثلها ومن يخضع ويركع لها . ان المرأة لا تميل الى الرجل الذى هو كالمرأة . وانما تريد رجلا كامل الرجولة يعطيها ما تفقده من نفسها ومن بنات جنسها . وترى فيه السيد المطاع والآمر الحازم والرجل الشهم . انها تريد رجلا قوى الدين قوى الشخصية يغار عليها ويدافع عنها ويوفر لها كل ما تريد . وهى بفطرتها تميل الى الخضوع له والاستسلام لأمره ! وان الكفرة وقد ضلوا السبيل يريدون بنا أن نصير مثلهم . وبعد أن أفسدوا الضعيفات من النساء يحاولون افساد شباب الاسلام والقضاء على ما لديهم من بقية من رجولة وحمية . ولكى نقضى على هذه

(١) البخارى ج ص ٤ ص ٢٦ (٢) شرح مسلم ج ١٤ ص ١٦٤

الظاهرة الشاذة يجب أن نعود بالشباب الى دين ربهم ، حيث العفة والطهارة والإباء والرجولة . وما أكرم هذا الشباب الذى ينشأ على عبادة ربه ! انه يتأبى على كل هذه الانحرافات ولا يأبه لها .

وأما المرأة المترجلة فهى التى تتشبه بالرجال وتحاول أن تظهر بمظهرهم . فالرجل له ثيابه الخاصة به في هيئتها . وقد خلق الرجل للعمل والسعى والمشى في مناكب الارض طلبا للرزق وابتغاء من فضل الله ، فاذا لبست ثياب الرجل فقد تشبهت به واستحقت اللعنة . ولا ريب أن هذا الثوب تجعله بصورة تزيد في زينتها ، وتزيد الرجال فتنة بها . وكثيرا ما يكون ضيقا ملتصقا بالجسم . فيبرز محاسنها ويصور أعضاءها تماما ، وهذا يزيد الفتنة اشتعالا ، ويزيد الرجال ضعفا وعجزا عن مقاومة إغراء المرأة ، هذا وقد تقص شعرها من غير حاجة كما يقص الرجل . وقد تذهب في ذلك الى الرجل يقصه ويصففه لها ، وفي ذلك جرائم خلقية شتى لا يرضى بها صاحب مروءة وغيرة ... والمرأة شأنها القرار في البيوت والقيام بمصالح الرجال فيها ، من تربية أولاد واعداد طعام وتنظيف مسكن وثياب ... فاذا تركت بيتها كما يفعل الرجل وفرَّت الى الشوارع والاسواق لغير ما حاجة ، فقد تشبهت بالرجل ، واذا زاحمت الرجال بمنكبيها وتركت حياءها الفطرى وراءها ظهريا سعيا وراء المال فقد تشبهت بالرجل .وهى بذلك تفرُّ من مملكتها الكريمة ، ومن عرشها المصون ، وتترك البيت والاولاد للخدم والشوارع ودور الحضانة أو للاقارب والجيران ، ولا ريب أن ذلك يؤدى الى سوء أخلاق النشء ، وفساد طباعهم لأنهم فقدوا حنان الأمومة الحقيقية ورعايتها وتربيتها ، ولم تجن الأمة من جراء ذلك الا الشر والضياع والانحلال والضعف . والحق أن أكرم شىء للمرأة أن تلزم بيتها وأن تقوم بحق زوجها وحق أولادها . فهذه المرأة هى العاملة الناجحة التى تؤدى لأمتها دورا جليلا لا يقوم به غيرها . وحسن قيام المرأة بهذه الواجبات يعدل ما للرجل من أعمال البر كالحج بعد الحج والجهاد والجمعة والجماعة . فهى تقوم بأقدس الأعمال وأشرفها وأنفعها ، اذ توفر للرجل كل ما يعينه على امور دينه ودنياه ، وتربى للأمة الأجيال الصالحة . ومثل هذه المهمة جليلة وسامية ، وهى تستغرق كل وقتها ، ولا تجد فراغا لتستريح فيه من هذا العناء . فحق على الأمة أن أين تكافئ مثل هذه المرأة وأن تقدر لها جهدها . فاذا فقدت المرأة عائلها ، وجب على الأمة أن تتعهدها وترعاها ، واذا لم تجد من يقوم بحاجتها ، فلا بأس بأن تسعى على معاشها متأدبة بآداب الشريعة الغراء ، من تصوُن ، وتستُّر ، وعدم اختلاط ، أو اختلاء بالرجال.. وأما خروجها لطلب المال من غير ما حاجة ، فهو في الحقيقة ضار بالمرأة ، وبالأسرة ، وبالأمة ، وإن العرف يسميها بالعاملة ، وهى في الحقيقة هاربة عاطلة ، لانها تركت واجبها الملزمة به ، لتجلس عل المكتب ، أو تبيع أو تأخذ ثمن ما يباع . لقد جعلوها سلعة تستهوى أنظار الرجال ليتعاملوا معها فتروج التجارة .

وهذا لا يليق وكرامة المرأة ، كما أنها لا تقوى على تحمل أعباء العمل ومشاقه ، لأن فطرتها غير مهيأة لذلك ، وكثيرا ما تعجز عن عملها وتكله الى غيرها من الرجال .لتشغل نفسها بما يخف عليها من طعام وشراب وقراءة مسلية ونحو ذلك . كما أنها لا تسلم من الرجال ولا يسلم الرجال منها وان كانت غير متبرجة ! ومروءة الرجل وغيرته لا تسمح له بأن تجلس زوجه بين الرجال تنظر اليهم وينظرون اليها ، وتتحدث اليهم ويتحدثون اليها !

أضف الى ذلك هذه الأموال الطائلة التى تقتطعها من أموال الأمة . وهى تنفق في غير ما حاجة أو مصلحة . انما تبدد على أحدث ما في العصر من ثياب وزينة ومظاهر براقة . ولا تستفيد الأسرة من ذلك بقليل ولا كثير . ولقد كان الأولى بها أن تستقر في بيتها لتصلح من شأنه وتوفر ما تأخذ ليعطى للرجال الذين ينفقون على النساء والأولاد . ويكون ذلك سببا في خفة حدة كثير من مشاكل وسائل المواصلات وارتفاع الأسعار . ومن الانصاف أن نقول : ان المرأة وظيفتها في بيتها ! ومهما جمعت من مال . ومهما بلغت من منصب وجاه . فانها تحن الى عش الزوجية والى حياة الأمومة والى تربية الأطفال . ولا يصرف بالها عن ذلك أى صارف . ومن الانصاف أن نقول أيضا أن عمل المرأة خارج البيت يفقدها كثيرا من خصائص الأنوثة التى تجذب الرجال اليها ؛ فالصوت تذهب رقته . والحياء يقل أو ينعدم - والحياء مفتاح الطهر والعفة والشرف للمرأة - ويجعلها تنظر الى غير زوجها ممن يفوقه مالا أو جاها أو حسنا !

ولضعف المرأة فقد قلدت الرجل وتشبهت به في كل شيء . حتى فيما يضر بالصحة ويذهب بالمال ويؤدى الى نفرة الناس وكراهيتهم . ولقد رأينا بعض النساء من أهل الترف والغناء والتمثيل يشربن الدخان كما يشربه الرجال . ويعددن هذا من مظاهر المدنية والرقى . وما هو الا انحطاط وهوى . وما أعظم المضار التى تترتب على الدخان حتى عده الكثير من العلماء حراما . وما أشد ندامة صاحبه عند الكبر ويوم القيامة ! ولقد روى أبو هريرة رضى الله عنه قال « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل » (١) .

ولم يكتف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بزجر المتشبهين بالنساء وبيان أنهم مطرودون من رحمة الله تعالى ان لم يتوبوا . بل أمر باخراجهم من البيوت . فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (لعن النبى صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال أخرجوهم من بيوتكم » قال فأخرج النبى صلى الله عليه وسلم فلانا وأخرج عمر فلانا) (٢) .

وقد أخرج صلى الله عليه وسلم أنجشة - وهو العبد الحبشى الأسود - وكان غلاما لنبى الله صلى الله عليه وسلم . وكان حسن الصوت وكان يحدو بأمهات المؤمنين ونسائهم . وقد روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أُتى بمخنث قد خضب يديه ورجليه . فقيل يا رسول الله أن هذا يتشبه بالنساء . فنفاه الى النقيع فقيل ألا نقتله فقال «انى نهيت عن قتل المصلين»(٣) وعن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان عندها وفي البيت مخنث فقال لعبد الله أخى أم سلمة يا عبد الله ان فتح لكم غدا الطائف فانى أدلك على بنت غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يدخلن هؤلاء عليكن » (٤) .

وكان هذا المخنث يدخل على نسائه صلى الله عليه وسلم ونساء الصحابة لأنه كان يعتقد أنه من غير أولى الإرْبة . أى ممن لا حاجة له في النساء . كما في حديث عائشة رضى الله عنها « كان يدخل على

---

(١) أبو داود ج ٢ ص ٣٨١

(٢) البخارى ج ٤ ص ٢٦

(٣) أبو داود ج ٢ ص ٨٥٠

(٤) البخارى ج ٤ ص ٢٦

أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مخنث فكانوا يعدونه من غير أولى الاربة » (١) وانما أبيح دخول من لا اربة له في النساء لأنه ليس كامل الذكورة وفيه نوع من الأنوثة . فلا يشتهى النساء اذا دخل عليهن . فلما سمع منه النبى صلى الله عليه وسلم هذا الكلام الدقيق في وصف محاسن النساء . علم أنه من أولى الاربة وأصحاب الميل الى النساء . ولكنه يتستر ويخادع . ولقد وصف محاسن المرأة وعورتها بحضرة الرجال . وقد نهى أن تصف المرأة المرأة لزوجها خشية افتتانه بها فكيف اذا وصفها الرجل للرجل .

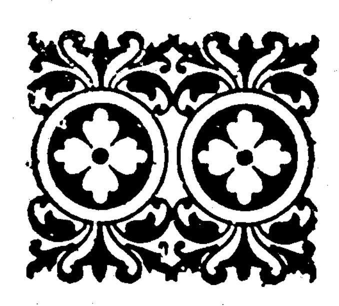
ولقد ظهر أن هذا المخنث كان يطلع على ما لا يطلع عليه كثير من النساء من عوراتهن ومحاسنهن . ولقد روى أنه وصف منها ما يستهجن ذكره ويفحش الاطلاع عليه . ولذلك منعه صلى الله عليه وسلم من الدخول على نسائه . ومنع نساءه من الظهور عليه . لأنه له حكم الفحول من الرجال الراغبين في النساء . فقال صلى الله عليه وسلم « لا يَدخلن هؤلاء عليكن » والداخل كان واحدا . وهو المخنث . وانما جمع اشارة الى جميع المخنثين لما رأى من وصفه للنساء . ومعرفته ما يعرفه الرجال منهن . ويمنع كذلك حرصا على حرمة البيوت وصيانة لها . وحفاظا على العفة والفضيلة وحتى لا يروا النساء في زينتهن . فتحصل الفتنة والشهوة . ومنعا لمن يتظاهر بأنه لا اربة له في النساء وقد يكون في الحقيقة غير ذلك . ولم يكتف صلى الله عليه وسلم بذلك بل أمر باخراجهم من المدينة . وعزلهم عن الناس ونفيهم بعيدا عن النساء . وقد ذكر العلماء أن اسم هذا المخنث « هِيْت » بكسر الهاء وسكون الياء وبالتاء . وقيل هِنْب بالنون والباء وهو الأحمق . وقيل « ماتع » مولى فاختة المخزومية . وقيل مانع والمحفوظ أنه (هيْت) . ولقد نفاه صلى الله عليه وسلم من المدينة الى موضع بالبيداء يسمى الحمى . وكان يدخل كل يوم جمعة الى المدينة يستطعم الناس . ثم يعود الى منفاه . وقد روى أن سعدا خطب امرأة بمكة فقال هيت أنا أنعتها لك . وكان يدخل على سودة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما أراه الا منكرا فمنعه . ولما قدم المدينة سيره الى خاخ . ولعل هذا تكرر منه فنفاه صلى الله عليه وسلم مرات وقد أخرج عمر رضى الله عنه من المدينة من كان كذلك . فلقد سمع قوما يقولون أبو ذؤيب أحسن أهل المدينة . فدعا به . فقال أنت لعمرى . فأخرج عن المدينة . فقال ان كنت تخرجنى فالى البصرة حيث أخرجت يا عمر نصر بن حجاج . وكان نصر هذا يتغنى به بعض النساء ليلا . فسأل عنه ونفاه من المدينة حتى لا يفسد النساء على الرجال . وجعدة السلمى كان يخرج وراء بعض النساء الى البقيع ويتحدث اليهن . فكتب بعض الرجال الى عمر يشكون ذلك فأخرجه ! . وقد يصل الأمر ببعض المخنثين الى أن يفقد رجولته حتى يؤتى . وقد ينتهى الأمر بالمسترجلة الى أن تتعاطى السحاق بغيرها من النساء ؛ ومن فعل ذلك من الرجال كان حكمه حكم الزانى وللمرأة من الذم والعقوبة القاسية ما يكون عبرة وعظة وردعا وزجرا .

وانما أمر النبى صلى الله عليه وسلم باخراج هؤلاء من المخنثين من المدينة قطعا لدابر الرذيلة ووأدا لها في مهدها . وحتى لاتؤدى بصاحبها الى ما هو أفحش وأشنع . وحتى لا يراه غيره ولا يسمع به . فلا يكون الأثر المذموم . وكذلك إيصاداً لباب الشهوة والفتنة . قال المهلب : (انما حجبه عن الدخول على النساء . لما سمعه يصف المرأة بهذه الصفة التى تهيج قلوب الرجال . فمنعه لئلا يصف الأزواج للناس

(١) مسلم ج ١٤ ص ١٦٤

فيسقط معنى الحجاب) أ هـ . ويستفاد من الحديث أنه يجب حجب النساء عمن يفطن لمحاسنهن . وأنه يجب ابعاد من يستراب به في أمر من الأمور لاسيما في أمر النساء . وفي الحديث تعزير من يتشبه بالنساء بالاخراج من البيوت والنفى . اذا تعين ذلك طريقا لردعه . وظاهر الأمر وجوب ذلك . وقد اتفق العلماء على أن تشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء من قاصدٍ مختارٍ، حرام .

وظاهر الحديث أن المرأة المسترجلة المتشبهة تنفى كذلك . وانما يكون ذلك اذا كان النفى الى مكان أمين . وكان معها محرم لها وحيث تؤمن الفتنة بها . فان لم يتيسر ذلك فلتعزر . ولتحبس . ولتمنع من المخالطة تأديبا وزجرا حتى تتوب الى ربها .. والمعروف أن عمر أخرج رجالا ولم يذكر العلماء من أخرجهن عمر من النساء ! وأكثر الروايات « وأخرج عمر فلانا » بالتذكير . ورواية أبى ذر للبخارى « فلانة » بالتأنيث ووقع ذلك أيضا في شرح ابن بطال . وأما رواية الباقين فبالتذكير وكذا عند الامام أحمد (١) والاعتماد على رواية التذكير ونسخ البخارى التى في أيدينا بالتذكير والله أعلم .



(١) أنظر : فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٥٧

فيمن تكون ... أسوة المسلم؟

بقلم الشيخ محمد المهدي محمود
المدرس بدار الحديث المدنية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبى الهدى ورسول الخير ، من اصطفاه الله رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . . .

أما بعد فيقول الله تبارك وتعالى : « **يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً** » .

جاء المصطفى صلى الله عليه وسلم الى هذا العالم داعياً الى الله راسماً الطريق الى رضوان الله ومحبته ، رافعاً علم التوحيد موضحاً معالم العبودية لذى الجلال والاكرام . عاش الهادى الأمين صلوات الله وسلامه عليه حياته الطيّبة المباركة مجاهداً أعظم ما يكون الجهاد ، عابداً أكمل ما تكون العبادة والإنابة والخشوع والخوف من الله تعالى .

عاش صلوات الله وسلامه عليه يبلغ رسالة ربه في رحمة ، ويرسم الطريق الى الله في رفق وحكمة وتؤدة ، داعيا الى الله بإذنه وسراجاً منيراً فكان المثل الأعلى في الأسوة الكاملة .

كان المثل الأعلى في عظمة الأخلاق في كل ناحية من النواحى وفي كل ميدان من الميادين أدبه ربنا تبارك وتعالى فأحسن تأديبه وأثنى عليه سبحانه بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » .

وكان صلى الله عليه وسلم الأسوة الكريمة والقدوة الحسنة ، ومثلا أعلى للمؤمنين الذين صفت أرواحهم ، وزكت نفوسهم ، وطهرت قلوبهم ، واطمأنت أفئدتهم واستنارت ألبابهم ، فعاشوا في دنياهم يريدون الله والدار الآخرة ، ويجمعون الزاد لدار البقاء برجاء أن يجعلهم مع أطيب رفقة ، رفقة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً . وقد أمر الله المؤمنين بقوله تبارك وتعالى :

« **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** » .

عاش صلوات الله وسلامه عليه حياته المباركة . فملأ الدنيا نوراً ورحمة وخيراً وبركة . وبراً وعدلاً . ملأها أمناً وإيماناً . وسلماً واسلاماً . وروحاً وريحانا . ثم ودعها راحلاً الى الله يلقى وجه الله الكريم بعد أن أدى الأمانة كاملة . ونصح الأمة . وجاهد في الله حق الجهاد .

بلغ الرسالة أعظم ما يكون التبليغ . وأدّى الأمانة أكمل ما يكون الأداء وترك الدنيا وفيها نور التوحيد الصادق وعبير الإيمان . وكمال الأخلاق . وعطر المحبة . والاخوة في الله ولله . والرحمة الشاملة المباركة في كل ناحية من نواحى الحياة . والعدالة في أسمى صورها ومحاسنها وأكمل معانيها . والأمانة مع أجمل ثمارها وأعظم بركاتها وفوائدها .

وبذلك تمت نعمة الله تبارك وتعالى على المؤمنين : فقال عز شأنه في آخر ما نزل من القرآن :

اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) .

فارق الرسول صلوات الله وسلامه عليه هذه الدنيا بعد أن بيَّن للمسلمين طريق العزة والمجد والسؤدد والسيادة .

بيّن لهم أنّ القرآن المصباح المعجز الالهى المبارك . والكتاب المعجز بتشريعاته . وبلاغته . وقصصه . وأخباره . وحكمه . وهدايته . وما أوضح من حقائق كونية . انه هداية البارى جل وعلا قال سبحانه وتعالى : .

« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » .

وكلما تقدم العلم والكشف والاختراع والابتكار تأكد صدق هذه الآيات البيّنات التى أنزلها الله جل جلاله .

قال سبحانه وتعالى :

« قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً » .

فما بالنا نرى المسلمين اليوم وقد تخلفوا عن ركب الحضارة والتقدم والمجد والعزة ؟

تخلفوا عن قيادة وتوجيه الإنسانية .

تفرقت كلمتهم . وتمزقت وحدتهم . وضاعت مقدساتهم . واعتدى على بلادهم ذلك لإنهم لم يستضيئوا بنور قوله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » . وقوله : « إن هذه أمتكم أمة واحدة » .

وقوله :

« انما المؤمنون إخوة » .

وقوله :

« ولا تنازعو فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »

وقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : .

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ما بالنا نرى المسلمين اليوم وقد تفشت فيهم الأمراض الاجتماعية الفتاكة ؟ .

تركوا الحكم بكتاب الله فحرموا نعمة الهدوء والعيش الآمن الوارف الظلال الطيب الثمار .

احتكموا لغير ما أنزل الله واستبدلوا بتشريع الله القوانين الوضعية التى هى من صنع البشر فحرموا نعمة الاستقرار وعاشوا فى شقاء وفوضى واضطراب.

خرجت المرأة عن مبادىء العز والشرف والحياء والفضيلة فاضطربت الحياة المنزلية . واهتزت السعادة الزوجية . وأصيبت حياة الأسرة بالفشل والشقاق . والنزاع . وحل الخصام محل الوئام . وضاع الأطفال الأ برياء .

انحرف الشباب فجنح الى التقليد الأعمى للأجانب . فضّل الصراط المستقيم . وفقد درب البطولة والشجاعة . بعد أن تردّى في هوة الغزو الفكرى والاستعمار الثقافي .

وتعامل المسلمون بالربا فزاد فقرهم . وكثر شقاؤهم . وانتزعت البركة من أموالهم وأصبحوا يتعاملون بالقروض الأجنبية . وهيهات أن يكون فيها خيرُ أو أن يكون فيها بركة . بعد أن أعلنوا الحرب على الله تعالى ورسوله و بعد أن لعنهم الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال الله سبحانه وتعالى : **« يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » .**

وقال صلى الله عليه وسلم **« لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده » .**

إن أكل المال الحلال الطيّب الطاهر تستجاب به الدعوات . وتنال به البركات والخيرات والحسنات . ويتنزل النصر من السموات .

ما بالنا نرى كثيراً من المسلمين اليوم عميت أبصارهم فضلوا سواء السبيل ؟ لقد حددوا النسل تارة . وحددوا الملكية تارة أخرى .

وكانت ثالثة الأثافى في أن حددوا عدد الحجاج الى بيت الله الحرام .

إن تحديد النسل افتراء على الله وسوء ظن بالرزّاق القادر على كل شىء . وليتهم حافظوا على أموال الله الذى آتاهم . ولم يبعثروها في أوجه الفساد .إن هذه الأموال تُنفق تارة فى إعانة الداعرين ؛

وتارة أخرى في استيراد الدخان والخمور ؛

وثالثة في أوجه الكماليات للنساء . فأخرجوهن عن الفطرة السليمة التى فطر الله المرأة عليها .

وتحديد ملكية الأفراد أكل أموال الناس بالباطل . وظلم شنيع للأسر الكريمة . واعتداء شنيع على الحرمات .

لقد أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم تحريم ذلك وأكّده في خطبته المباركة في حجة الوداع تلك

الخطبة التى هى منهج السعادة الحقة فقال صلوات الله وسلامه عليه :

« إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » .

أخرجه مسلم من حديث جابر .

إن أكل أموال الناس بالباطل ظلم وعدوان جزاؤه نار جهنم وبئس المصير !!

وأما تحديد عدد الحجاج فهو صد عن سبيل الله ، وعمل غير صالح ..

ان في الحج والعمرة الخير والبركة ، ومغفرة الذنوب ، وإبعاد للفقر ، إذ فيهما يلجأ الانسان الى مولاه ويتعرض لنفحات ربه سبحانه وتعالى ، قال الله تبارك وتعالى :

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

سبحانه هو الغنى ونحن الفقراء الى الله جل شأنه :

وقال صلى الله عليه وسلم :

(العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة)

وقال :

« تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب » .

وكان مما عظمت مصيبته أن خدع بعض المسلمين بالأفكار الضالة ، الغارقة في الفساد فتسربت اليهم سمومها .

خدعوا بالاشتراكية ، والشيوعية ، والوجودية ، والماسونية ، والعلمانية ، والقومية فضلوا سواء السبيل ..

إن الاشتراكية ضلال ومروق ، إن أصولها خبيثة ؛

إن نباتها سام ؛

إنها شجرة الزقوم ؛

إن الاشتراكية سراب خادع يحسبه الظمآن ماءً !!

إنها بيت العنكبوت .

إنها ظلمات بعضها فوق بعض .

هكذا أثبتت التجارب ، وهكذا أثبت الواقع ، وإن الاسلام دين الرحمة والأخوة والسماحة والوفاء .

إن الاسلام دين الإيثار ، والمحبة لله ورجاء رضوان الله تبارك وتعالى .

والمسلم الحق يتحلى بالأخلاق الكريمة فينفق في سخاء ، ويتصدق عن رضاء ومحبة ، يعمل ويكدح يبتغى من رزق الله ولا يرضى لنفسه الخسّة والدناءة ، همته عالية، وايمانه قوى ، فهو رجل

الحياة بحق . أما الشيوعيون وأذنابهم ومن على شاكلتهم فهم حيوانات سائمة . فقدوا انسانيتهم وفقدوا كرامتهم فهم عبيد مسخرون لعبادة أشخاص . أصحاب مبادىء ضالة أردتهم في أسْوأ نهاية . ثم لهم عاقبة السوء .

أما أجهزة الأعلام في كثير من البلاد الاسلامية . فقد انحرفت عن رسالتها وأصبحت أداة لنشر الأغانى الخليعة التى تتغنى بالمرأة ومفاتنها . وتشيع الفساد الخلقى . بالإضافة إلى نشر الآراء الإلحادية المتعفنة . التى خلقها الاستعمار . فانحرف كثير من الشباب !! وانحط المستوى الخلقى لكثير من الأفراد والجماعات والشعوب .

وما ذاك الا بسبب ترك المسلمين مصادر النور والخير والسعادة والهداية والشرف والفضيلة .. مصادر النور التى تتمثل في :

أ ـ كتاب الله العزيز القرآن الكريم :« **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم** » .

ب ـ وتتمثل أيضاً في هدى الرسول صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الله سراجا منيرا : « **يا أيها النبى انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً** » .

ج ـ وتتمثل فيما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم . الذين كانوا السفر الميامين . والنجوم الزاهرة . والنماذج الصادقة .

إنّ العلاج لتخلف المسلمين وضعفهم وتفرق كلمتهم وهزائمهم الفادحة انما هو بالعودة سريعا الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وفي هذا العصر الحديث :

بزغ نجم جديد في سماء الأمة الاسلامية . نجم قوى لامع :

هو نجم الجامعة الاسلامية التى قامت لتؤدى دورا عظيما للعالم الإسلامى . تؤدى دورها الايجابى البناء في إعادة مجد الاسلام وعزة المسلمين .

وقد سعدت الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة منذ تأسيسها في هذا العهد السعودى الميمون برعاية كريمة من قبل وُلاة الأمور في المملكة العربية السعودية . حيث وفروا لها كل أسباب التدعيم المادى والمعنوى حتى أصبحت صرحاً عظيماً ومصدراً لا ينضب معينه من مصادر علوم الشريعة الاسلامية في غضون أعوام قليلة .

يفد اليها أبناء المسلمين من كل مكان على وجه البسيطة . فيجدون العناية والرعاية في رحابها وينهلون من العلوم والمعارف . ويتفقهون في الدين ثم يعودون الى أهلهم وديارهم ينشرون علوم الشريعة ـ ويدعون الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة .

فيا أبناء الجامعة الاسلامية :

الميدان أمامكم فسيح . فتقدموا في ايمان وقوة وعزم وكفاح لحمل راية الجهاد المبارك في نشر رسالة الاسلام ؛

بلغوا أمانة العلم التى تحملتموها . وكان لكم شرف الانتساب اليها .

تزودوا من العلم الى أبعد الحدود . وجدوا ليلًا ونهاراً فى الارتشاف من رحيقه . واحرصوا على إجادة كتاب الله إجادة تامة فهو الخير والهدى والفلاح . واقرأوا دائما سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحاديثه المباركة وسيرة صحابته الكرام تنالوا شرف الأسوة الطيبة بالمصطفى صلى الله عليه وسلم ؛

إنكم ستجدون في كثير من البلاد الاسلامية تركة مثقلة خلّفها الاستعمار وأعداء الله في عصور ضعف المسلمين .

للحيلولة بين المسلمين وبين التفقه في دينهم فحاربوا كتاب الله وحاربوا اللغة العربية لغة القرآن . واضطهدوا العلماء الأجلّاء . ونشروا الفسق . والفجور . والخمور . وجردوا المرأة من الحياء والشرف والفضيلة . وجعلوا الكنائس أوكاراً للتبشير والصليبية . ونشروا الالحاد والكفر والزندقة ودنسوا المعاملات المالية بالربا . وحكموا بالقوانين الوضعية . وحولوا أجهزة الإعلام لنشر الفساد الخلقى .

فيا أبناء الجامعة الاسلامية .. أنتم حملة مشاعل الهداية المحمدية . فتقدموا لشرف الجهاد . واعتصموا بحبل الله جميعا . وجاهدوا كما جاهد العلماء الأبرار . واسلكوا طريق الهداة الراشدين المرشدين في العناية بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

لقد كان العلماء في عصورهم الزاهية ـ ولا زالوا ـ ينتشرون في أنحاء البلاد ينيرون للناس السبيل الى الله . ويبصّرونهم بكتاب الله تعالى . وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وتاريخ السلف الصالح في أخلاقهم وخوفهم من الله .. وفى بطولاتهم وشجاعتهم . وفي حبهم لما عند الله . وانابتهم الى الله ومجافاتهم لهذه الدار الفانية ٠ .

لقد كان العلماء يبلغون الرسالة في أمانة . وخوف . وخشية من الله . ذى الجلال والاكرام . وحب للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام . واقتداء به في جهاده في تبليغ الدعوة الى الله سبحانه وتعالى . تنظر اليهم فترى في وجوههم نور القرآن وجمال العلم وأدب الاسلام وشعار الفضيلة . فسعد بهم العالم وعرف الناس عن طريقهم هداية القرآن وما جاء به المبعوث رحمة للعالمين ٠

تمثلت المجتمعات الاسلامية المبادىء الانسانية السامية ووضح لها الحلال الطيّب من الحرام الخبيث . فكان هناك الأمن الشامل والسعادة الوارفة الظلال الطّيبة الثمار . فعمّ الهدوء . وساد الإخاء . وأثمرت المحبة والتعاطف . والمودة . والعفة . والورع . والحياء . والفضيلة . وحب الخير . والايثار . والتعاون على البر والتقوى ٠

اللهم اكتب للمسلمين عودة كريمة إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما كان عليه السلف الصالح رضوان عليهم . حتى تعود إليهم العزة والمنعة ٠ وصدق الله سبحانه وتعالى : « **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** » ٠

حقوق الإنسان في الإسلام

بقلم الشيخ : عبد الفتاح عشماوي
محاضر بكلية الحديث

الباب الثالث

موضوع هذه الحلقة هو الحديث عن المواد الآتية من إعلان حقوق الإنسان كما رتبناها حسب تقاربها واتجاهها لغرض واحد ، وهى المواد : ٣ و ٥ و ٩ و ١٢ ، وهذه نصوصها .

المادة الثالثة : لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه .

المادة الخامسة : لا يعرض أى إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة .

المادة التاسعة : لا يجوز القبض على أى إنسان أو حجزه أو نفيه تعَسُّفاً .

المادة الثانية عشرة : لا يعرض أحد لتدخل تعسفى في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته ، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات .

ونبدأ الحديث في هذا الباب بتقديم خمس آيات قصيرات تمثل أول واقعة تتم على الأرض يعتدى فيها على الحياة والحرية والسلامة الشخصية حسب التعبير اللفظى للمادة الأولى في هذا الباب والثالثة في إعلان حقوق الإنسان ، ثم بعد ذكر الآيات نقوم بتفصيل معناها لنرى ما هو الحق الذى تقرر من خالق الإنسان لصون حياة الإنسان من أن تكون في مهب أعاصير الهوى والميل ، تُقتَل وتُباد حيثما يقصد بها ويراد ، ولنذكر الآيات ثم نتعرض لها بالتحليل إن شاء الله تعالى .

(واتل عليهم نبأ ابنىْ آدم بالحق . إذ قربا قربانا . فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر . قال لأقتلنك . قال إنما يتقبل الله من المتقين .لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك

لأقتلك . إنى أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار . وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله . فأصبح من الخاسرين . فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه . قال يا ويلتى . أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى . فأصبح من النادمين) .

فالأمر في أول كلمة من هذه القصة من مُنَزِّل هذا الكلام سبحانه . على خاتم رسله صلى الله عليه وسلم مكلفا إياه أن يبلغها للناس (واتل عليهم) . أى بَلِّغ للعلم والفائدة . وليس للإخبار والإحاطة (نبأ ابنى آدم بالحق) . والإنباء تعبير بوصول بالنبوءة التى هى من شأن الأنبياء لما يلقى إليهم من نبأ كان غيبا وأظهرهم الله عليه لينقلوه إلى عباده ليأخوا عظته ويدركوا عِظَمَه . . (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) . ولهذا لم يقل : واتل عليهم خبر ابنى آدم . لأن الخبر مجرد أعلام بشئ ترك أثرا أو لم يترك . وابنى آدم هما بالتواتر والأرجح قابيل وهابيل . فقابيل هو أول من مثل الشر على الأرض .وكان بذلك أول جندى لابيلس نفذ به أول برنامج سوئه لما قال : فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين) . فالشطر الأول من تعبير إبيلس كان قابيل رمزه . والشطر الثانى كان هابيل رمزه أيضا . (بالحق) . أى بالحق الذى وقع . وبالحق الذى يجب أن يؤخذ من قصتهما.

(إذ قرَّبا قربانا) والكلام عن القربان تحدث فيه المفسرون كثيرا . وربما تسللت إليه خرافات الإسرائيليات . ولكن مبلغ اجتهادنا عن الأصح من الكثير الذى قيل . أن الله جعل حواء تنجب توأما ذكرا وأنثى في كل ولادة . وأنه كان تشريع ابتدائى أن يتزوج الذكر بالأنثى من كل توأم . حتى يكثر النوع البشرى ثم ينسخ ذلك ويحرم كما حدث في العصر التالى مباشرة . فلم يكن في البداية غير أولاد آدم ينتشر منهم الجنس الإنسانى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها . وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) . لكن زميلة قابيل لم تكن بالجمال التى عليه زميلة هابيل . فحقد على أخيه وطلب منه مبادلته . ـ وذلك مبدأ مؤلم صارت به الشهوة من أشد الدوافع إلى التوحش الإنسانى ـ لكن أخاه أخبره بأن هذا تنظيم الله ولا بد أن يتجه إليه ليسمح أو يمنع . وأن على كل منهما أن يقرب إلى الله قربانا . وأن قبول القربان من أحدهما دليل على قضاء مأربه . فكان أن تقبل الله من هابيل ولم يتقبل من أخيه (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) . وقالوا عن أن الذى جعله لم يتقبل منه . هو وقوع أسباب عدة . منها أنه استجاب للشهوة ولم يستجب لإيثار الأخوة . وأنه بسؤال أخيه ما هو من نصيبه المقسوم له من الله . اعتراض على هذه القسمة وعدم رضا بعدل الله وحكمه . وزادوا أنه لما احتكما إلى الله بالقربان . قرب هو أردأ ما عنده . بينما هابيل قرب خير ما عنده . وهذا أيضا مبدأ صحيح أقره القرآن بقوله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) . لكن الجندى الأول لإبليس أبى إلا أن ينفذ أمر الشر كاملا . فازداد حقده على أخيه رافضا حكم الله في القضية . حتى وصل به الأمر إلى قرار بقتله . ليسجل على نفسه أنه أول قاتل على الأرض بلا أسباب ولا حيثيات . سوى تطوعه ليكون أسبق ممثل لإبليس في الاعتداء

على(حقوق الإنسان) . ولو كان هذا الإنسان أخاه . وهذا الأمر كان ومازال يقع . إلى أن يعص الناس الشيطان ويطيعوا الرحمن فيما أحق لهم لخيرهم وأمنهم . (قال لأقتلنك) . وتأكيد الفعل هنا عزم على إتيانه بلا تردد ولا رجوع . وليجعل بداية ما تستقبل الأرض هو الدم الأحمر القانى يختلط بثراها . يتفجر من جسد المظلوم هابيل . بيد قابيل ابن أمه وأبيه . من هنا كان الشر في هذه الدنيا هو السائد . واعتداء الإنسان على الحقوق هو القائد . واستحق أن يكون ظلوما جهولا . لما لم يكن مع عهد الله من الأوفياء .ولا على أمانته من الأمناء . لكن الطرف الثانى الممثل للخير وهو هابيل . كان عند شموخ الخير وثبوته . فلم يستثره شر أخيه إل هجر الخير ليخط إلى شرٍ مثله . فذكره بشئ فتح به الباب إلى الله عسى أن يكون الأخ الأواب . فقال له ردا على عزمه القتل (إنما يتقبل الله من المتقين) . أى تلك قاعدة القبول فلما اتقيته تقبل منى . فارجع إليه بالتقوى يرجع عليك بالقبول . ولكن أنىّ له ذلك وهو كما قلنا أول مجند لطاعة إبليس . فقال له هابيل (لئن بسطت إلَىَّ يدك لتقتلنى . ما أنا بباسط يدىَ إليك لأقتلك) . وبذلك استمر هابيل في تمسكه بحبل الخير من جهة . ومن جهة أخرى بالقول الطيب ليرد

أخاه عن غيه . فالأخ القتيل ذكر أخاه بربه وخوفه منه . لما ذكر له أولاً أنه لن يرد سيئ العمل بمثله (ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك) . السبب . (إنى أخاف الله رب العالمين) . أى أنا خفته مع أنى أقوى منك ـ كما ذكر المفسرون ـ فعليك أن تخاف مثلى منه . وألا تفعل ما يغضبه . لكن ذلك لم يحرك في قابيل نحو أخيه شعرة من حُنُوٍ أو ترفق . ولم يؤثر شيئا في نفسه التى توحشت . ومع هذا لم يقطع هابيل الأمل في ردع أخيه عما ينتويه . واستمر يخوفه من قائلا : (إنى أريد أن تبوء باثمى وإثمك . فتكون من أصحاب النار . وذلك جزاء الظالمين) . تتحمل إثمى عندما تقتلنى . وإثمك لما عصيت الله بعدم رضاك عن قسمته وحكمته . إذًا فالتلوى في النار جزاؤك . لما ظلمت وقتلت بغير حق . وذلك أبدًا الجزاء الذى لا بد أن يحيق بكل ظالم غشوم .

بعد ذلك كله لم يفعل إلا التقدم نحو ضحيته البريئة . عابداً لشيطانه بأسرع ما تكون العبادة . ولنفسه بأخَسّ ما تطاع النفس . (فطوعت له نفسه) . وقتْلَ من ؟ تقول الآية في عجب : (قتل أخيه) . وبهذا قضى عليه .بالخسران الذى لا ينتهى بأوان (فأصبح من الخاسرين) . بها أول الخاسرين بعد شيطانه اللعين .

بدأ عذابه بحمل جثة أخيه على ظهره . متنقلا بها هنا وهناك لا يدرى ما يفعل بها . ورائحتها التى تعفنت لازمته ليستنشقها في ليله ونهاره . وظل هكذا زمنا طويلا أوصله بعض المفسرين إلى سنة . وهو يحمل وزره على ظهره حزيناً وحسيرا . ولما أخذ من هذا العذاب المؤقت إلى أن يبلغ العذاب المؤبد . أراد الله أن تصان كرامة الميت وأن تحفظ حرمته . خاصة الصالحين من أمثال هابيل . فعلَّم طريقة مواراة الأموات وإلى يوم القيامة . وذلك بواسطة غراب قتل زميله ثم نبش بمنقاره ورجليه قبراً له ودفنه فيه . واختيار الغراب لهذا الأمر لعله ـ والله أعلم ـ لسببين . أولهما أن الغراب من أكثر الطيور غدرا وقتلا . خاصة للطيور الأضعف منه . ولهذا كان من الخمس الفواسق التى ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم

وأمر بقتلها ، في حديث صحيح ، وثانى السببين أن الغراب حيوان وليس في عقل الإنسان ، ولكنه عرف كيف يخفى جريمته على الفور ، والإنسان فُضح بجريمته أولا ثم تعلم بعد ذلك من الغراب ، (قال يا ويلتى ، أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى ! فأصبح من النادمين) ، من النادمين على قتل أخيه من غير ذنب ارتكبه ، ومن النادمين على عدم دفنها كما فعل الغراب عقب القتل ، حيث شقى بحملها ورائحتها طويلا ، وفوق أن الندم نفْعُه منعدم ،فهو يقطع الأوصال ويطحن عزائم الرجال ، ويصبحهم ويمسيهم في هموم تطاردهم العمر كله ، ولعذاب الآخرة أخزى بعدئذ .

وكان أن ترتب على هذه الحادثة البشعة ، أن يجعل الله من أحق حقوق الإنسان أن تصان نفسه من طيش اللئام ونزق الإجرام ، فلم يكتف سبحانه بأن تراق دماء القاتل مقابل ما أراق من دماء ، وإنما اعتبره من حيث قدر الجرم كأنه قتل عباده أجمعين (فكأنما قتل الناس جميعا) ليضخم هذا الأمر ويجعله من الهول ما يرعب به الكواسر القتلة من بنى الإنسان .

ولكن الإنسان لما هانت عليه الحقوق التى فرضها الله لصونه وأمنه ، راح يلتمس حقوقا كانت في تضييعها أهون عليه ، فما توقف القتل والاعتداء والسطو على الحقوق في البلاد والعباد ، والقرصنة وقطع الطرق ، وفي سبيل ذلك تزهق أرواح وتمزق أشلاء ، كل هذا يحدث على مستوى الأفراد والجماعات والحكومات . . .

فأيهما أنفع للإنسان لو انتفع به ، حقوقه التى وضعها الله له ، أم التى وضعها لنفسه ، ثم لم يُبق هذه ولا تلك ، فقط لأنه إنسان ، وأشقى نوعه ما قال عنه خالقه (إن الإنسان لظلوم كفار) .

ولزيادة الإفادة لدى القارىء نقدم مجموعة من الأدلة والشواهد من غير تعليق ليعيها ويقتنيها ، نقدمها بلفظها من غير تعليق :

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديا ركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من ديا ركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) الآيتان ٨ و ٩ من سورة المتحنة .

من قتل معا هَدًا لم يرح رائحته الجنة) رواه البخارى

(من قتل قتيلا من أهل الذمة ، حرم الله عليه الجنة) رواه النسائى

روى هشام بن حكيم أنه مرّ بالشام على أناس من الأنباط وقد أقيموا في الشمس وصب على رؤوسهم الزيت ، فقال : ما هذا ؟

قيل : يعذبون في الخراج ، فقال هشام : أشهد لسمعت رسول الله يقول : (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا) ، رواه مسلم

حدث زيد بن سَعنه - وهو حبر يهودى - أنه أقرض النبى صلى الله عليه وسلم قرضا كان قد احتاج إليه ليسد به خللا في شؤون نفر من المؤلفة قلوبهم ، ثم رأى أن يذهب قبل ميعاد الوفاء المحدد ليطالب بقرضه ، قال ابن سعنه : أتيته - يعنى النبى صلوات الله عليه - فأخذت بمجامع قميصه وردائه

ونظرت إليه بوجه غليظ . قلت له يا محمد : ألا تقضينى حقى ؟ فو الله ما علمتكم بنى المطلب إلا قوم مُطْل ـ متراخين في الأداء ـ ولقد كان لى بمخالطتكم علم . ونظر إلَيّ عمر وعيناه تدوران في وجهه كما يدور الفلك المستدير .ثم رمانى ببصره فقال : ياعدو الله . أتقول لرسول الله صلى الله عليه ما أسمع ؟ وتصنع به ما أرى ؟ فوالذى نفسى بيده لولا ما أحاذر فوته ـ رضا الله ورسوله ـ لضربت بسيفى رأسك . ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه متئدا . فقال : (يا عمر . أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا . أن تأمرنى بحسن الأداء .تأمره بحسن اتباعه . إذهب به ياعمر فاعطه .وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما رعته . . قال زيد : فذهب بى عمر فأعطانى حقى وزادنى عشرين صاعا من تمر . فقلت : ما هذه الزيادة يا عمر ؟ قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أزيدك مكان ما رعتك) رواه الطبرانى .

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيما رجل كشف سترا فأدخل بصره قبل أن يؤذن له . فقد أتى حدا لايحل له أن يأتيه . ولو أن رجلا فقأ عينه ـ عندئذ ـ لهُدرتْ) رواه أحمد

(لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم) رواه مسلم .

(من جرد ظهر مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان) رواه الطبرانى .

(ظهر المسلم حِمًى إلا بحقه) رواه الطبرانى

(لا تروعوا المسلم . فأن روعة المسلم ظلم عظيم) رواه البزار .

(لا يحل لمسلم أن يروع مسلما) رواه أبو داود .

(لا يُشِر أحدكم إلى أخيه بالسلاح . فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع في يده . فيقع في حفرة من النار) زواه البخارى .

وقف النبى صلى الله عليه وسلم يوما أمام الكعبة فقال : (ما أطيبكِ وأطيب ريحك . وما أعظمك وأعظم حرمتك . والذى نفس محمد بيده . لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك . ماله . ودمه) رواه بن ماجه .

خطب صلى الله عليه وسلم فقال : (أى يوم هذا ؟ . قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . فقال : أليس يوم النحر ؟ قلنا بلى . ثم قال : أى شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . فقال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا : بلى . ثم قال : أى بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . فقال : أليست البلدة مكة ؟ قلنا : بلى . قال : فأن دماءكم وأموالكم ـ أحسبه قال : وأعراضكم ـ عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم) من حجة الوداع للبخارى .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : (لا يقفن أحدكم موقفا يضرب فيه رجل ظلما . فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه) رواه الطبرانى .

(من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه . ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزول الأقدام) رواه الأصبهانى بسنده .

وغيره كثير في ديننا . ولكن ما الحيلة وقد ترك هذا الذى ينفع إلى غيره الذى يضر . ولكن صبرا . فالله غالب على أمره .

(البـاب الرابـع)

ويشمل الحديث عن المواد الآتية من ميثاق حقوق الإنسان في (هيئة الأمم المختلفة) ٤ ـ ٦ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ .

المـادة الرابعــة : لا يجوز استرقاق أو استعباد أى شخص . ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعها .

المـادة الســادســة : لكل إنسان أينما وجد أن يعترف بشخصيته القانونية .

المادة الثامنة عشرة : لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين . ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته . وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء كان ذلك سرا أو مع الجماعة .

المادة التاسعة عشرة : لكل شخص الحق في حرية الرأى والتعبير . ويشمل ذلك حرية اعتناق الآراء دون أى تدخل . واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية .

المـادة العشرون : (ا) لكل شخص الحق في حرية الإشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية . (ب) لا يجوز إرغام أحد على جماعة ما .

المـادة الحادية والعشرون : (ا) لكل فرد الحق في الاشتراك في إدارة الشؤون العامة لبلاده . إما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يختارون اختيارا حرا .

(ب) لكل شخص نفس الحق الذى لغيره في تقلد الوظائف العامة في البلاد .

(ج) إن إرادة الشعب هى مصدر سلطة الحكومة . ويعبر عن هذه الإرادة بانتخابات نزيهة دورية تجرى على أساس الاقتراع السرى . وعلى قدم المساواة بين الجميع . أو حسب أى إجراء مماثل يضمن حرية التصويت .

ونبدأ بقصة الاسترقاق سائلين بقوة التحدى . هل في كتابنا أو في سنة نبينا أمر بأن يستعبد الإنسان أخاه الإنسان . وإنما الذى في قرآننا (ولقد كرمنا بنى آدم) كل بنى آدم . والذى في سنة نبينا (الناس سواسية كأسنان المشط) ؟ كل الناس .

إذا مصيبة الاسترقاق من أين أتت ؟ فليتدبر القارىء ما يأتى :

هل كان الإسلام موجودًا لما انتشرت تجارة الرق حتى بيع نبى كريم مرتين . وهو يوسف عليه السلام . الأولى عند الجب الذى ألقى فيه . وبأى ثمن بيع هذا الرسول . نعم . وإن لم يكن قد أرسل

يوُمها . ولكن أوحى إليه بها وهو في ظلمات البئر (وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا) بيع بما ذكرت الآية (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة) . والمرة الثانية التى بيع فيها هذا النبى العزيز . لما بيع لعزيز مصر من الذى اشتراه من إخوته . (وقال الذى اشتراه من مصر لامراته أكرمى مثواه) .

وهل كان الإسلام موجودا لما انتشر في عهد الدولة الرومانية بناء على قانون آمرٍ بالاسترقاق لكل من يقترض ويعجز عن قضاء دينه . ليصبح الذل ذلَّين . ذل الفقر وذل الاستعباد . .

وهل كان الإسلام موجودا لما كان اليهود يجعلون الرق شيئا مأمورا به واجب التنفيذ . لما سجلوه على النحو التالى في كتبهم . في الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الخروج ٢ ـ ١٢ ما نصه (إذا اشتريت عبدا عبرانيا . فست سنين يخدم . وفي السابعة يخرج حرا مجانا . إن دخل وحده . لوحده يخرج . إن كان بعل امرأة تخرج امرأته معه . وإن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين وبنات . فالمرأة وأولادها يكونون للسيد . وهو يخرج وحده . ولكن اذا قال العبد : أحب سيدى وامرأتى وأولادى لا أخرج حرا . يقدمه سيده إلى الله . ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة . ويثقب سيده أذنه بالمثقب يخدمه إلى الأبد . وإذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد . (هذا عن استعباد العبرانى) أما عن غير العبرانى فاسمع العجب الذى قالوه :

إن حام بن نوح ـ وهو أبو كنعان ـ كان قد أغضب أباه . لأن نوحا سكر يوما ـ هكذا جعل اليهود نوحا عليه السلام سكيرا ـ ثم تعرى وهو نائم في خبائه . فأبصر حام ذلك . فلما علم نوح بهذا بعد استيقاظه غضب . ولعن نسله الذين هم كنعان . وقال : في سفر التكوين إصحاح ٩ : ٢٥ و ٢٦ : ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته . وقال مبارك الرب إله سام . وليكن كنعان عبد لهم . وفي الإصحاح نفسه : ٢٧ : ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام . وليكن كنعان عبدا لهم .

وها أنت لاحظت أيها القارئ الأوامر المشددة التى قرأتها بتنفيذ الاستعباد بأبشع وجه وأفحش صورة .

وهل كان الإسلام موجود لما جاءت النصارى بعد اليهود ليأمر ملكهم بولس بما تسمع وتعجب :

أيها العبيد . أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح . ولا بخدمة العين كمن يرضى الناس . بل كعبيد المسيح . عاملين بمشيئة الله من القلب . خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس . عاملين أنه مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبدا كان أم حرا . وأوصى بطرس بمثل هذه الوصية وأوجبها آباء الكنيسة .

وفي المعجم الكبير للقرن التاسع عشر (لاروس) ما يلى : لا يعجب الإنسان من بقاء الرق واستمراره بين المسحيين إلى اليوم . فإن ثواب الدين الرسميين يقرون صحته ويسلمون بمشروعيته) وفي قاموس الكتاب المقدس : (إن المسيحية لا تعترض على العبودية من وجهها السياسى ولا من وجهها الاقتصادى . ولم تحرص (المؤمنين) أى بالمسيحية ـ على منابذة جيلهم في آدابهم من جهة العبودية .

وأسمع عن المسيحية التى استعمرت أفريقيا قرابة خمسة قرون أخيرا :

تقول دائرة المعارف البريطانية : ج ٢ ص ٧٧٩ . إن اصطياد الرقيق من قراهم المحاطة بالأدغال

كان يتم بايقاد النار في الهشيم الذى صنعت منه الحظائر المحيطة بالقرى ، حتى إذا انفر أهل القرية إلى الخلاء تصيدهم الإنجليز بما أعدوا لهم من الوسائل . ويموت في أثناء الشحن ٤،٥ ٪ و ١٢ ٪ أثناء الرحلة ، وهكذ فعل الأسبانيون والبرتغاليون وبقية دول أوربا التى أذلت هذه القارة دهورا طويلة ، إلى أن قالت دائرة المعارف : وبلغ من استعبد في المدة من ١٦٨٠ : ٨٦ م أكثر من مليونى عبد ، وكانت الملكة (اليزابث الأولى) من أكبر المتاجرين في العبيد ، وكان المورِّدُ لها أكبر نخاس في العالم يسمى (چون هوكنز) وقد أهدت إليه الملكة شعارا من تمثال لعبد موصدا بالسلاسل والأغلال .أما أمريكا فقد بلغ عدد العبيد فيها قرابة عشرين مليونا يوما ما . وكانت هذه الصورة البشعة بناء على فتوى من أحبار ورهبان اليهود والمسيحيين بأن استعباد السود واجب ، وعللوا الفتوى بأنهم من سلالة يافث بن نوح ، وظلوا على هذه العقيدة حتى قرن الحضارة الحالى ، القرن العشرين ، ويرجع تاريخ هذه الفتوى التى أخذت شكل القانون الواجب تطبيقه إلى عام ١٦٨٥ ، وكان من ضمن بنوده وإن كانت قد خفت حدته في السنوات الأخيرة(من أعتدى على السادة من العبيد بأقل اعتداء قتل ، وإذا سرق عوقب أشدا العقاب ، وإذا أبق العبد قطعت أذناه ورجلاه وكوى بالحديد المحمى ، وإذا أبق للمرة الثانية قتل .

وفي عهد لويس الرابع عشر الفرنسى صدر قانون ينص على أحتقار الجنس الأسود مهما كانت منزلته ، ولا يعطون مميزات الجنس الأبيض بأى حال) ، وأنذر من لم يخرج من البلاد قبل يناير سنة ١٨٦٠ م سيباع في المزاد العلنى .

فهل هذا كله في تعاليم الإسلام أو فعله المسلمون ، أم كان كما ذكرنا وهو قليل من كثير اكتفينا بما أوردنا تحاشيا للتطويل ، ومثل يكفى عن أمثال ، وهكذا فعله غيرنا ، وهذا الغير هو عدونا فعله ونسبه إلينا ، على طريقة (ضربنى وبكى ، وسبقنى واشتكى) و (رمتنى بدائها وانسلت) ، ليشفوا ما بصدورهم من عداوة الديانة ، وضغينة العقيدة .

فماذا فعل الإسلام لما جاء ، ووجد هذا الوباء قد هيمن على الأرض في كل الأرجاء ، كان من الحكمة ومن جمال التنظيم الإلهى لملكوته ، ألا يلغيه سبحانه بمجرد جملة وحى ينزلها ، وإنما درَّجها على طريقة ما فعل تعالى في أمر الخمر ، فملأ قرآنه بتشريعات جعل الشرط الأول في كفّارتها عتق الرقاب وحرية هؤلاء الأدلاء ، فقتل الخطأ بأنواعه الثلاثة ، قتل مطلق ولو كان ذا قرابى ، وقتل عداوة الخصومة والمقتول مؤمن ،وقتل المترابطين بميثاق ولو غير مؤمن ، يلزم فاعل الحالات الثلاثة بعتق رقبة ، ولا يقبل غيرها ما دام يملكها .

الإفطار العمد في رمضان ، كذلك .

كفارة الظهار ، كذلك .

كفارة اليمين ، كذلك .

وبغير كل مامر جعل الإسلام أعظم ما يتقرب به المسلم إلى ربه عتق الرقاب ، ولنقدم نماذج رائعة ليعرف الكل كيف كنا مع هذا التوجيه السماوى الرفيع ، بادئا بأقوالٍ من كلام رسولنا صلى الله عليه وسلم ثم بمن دونه .

ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصَمْتُه ، رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفي منه العمل ولم يعطه أجره) رواه البخارى .

(ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة : من تقدم قوما وهم له كارهون ، ورجل أتى الصلاة دبارا ـ أى يقضيها بعد فواتها ـ ورجل اعتبد محرره) رواه أبو داود .

(عودوا المريض ، وأطعموا الجائع ، وفكوا العانى) رواه البخارى .

روى أبو داود عن المعرور بن سويد قال : دخلنا على أبى ذر بالربذة ، فإذا عليه بُرد وعلى غلامه مثله ، فقلنا : يا أبا ذر ، لو أخذت بُرد غلامك إلى بردك فكانت حُلة ، وكسوته ثوبا غيره ؟ فقال أبو ذر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليكسه مما يكتسى ، ولا يكلفه ما يغلبه ، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه) رواه البخارى .

(من قذف مملوكه بريئا مما قال ، أقيم عليه الحد يوم القيامة ، إلا أن يكون كما قال) رواه البخارى .

وروى عمار بن ياسر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من ضرب مملوكه ظلما ، قِيدَ منه يوم القيامة) رواه الطبرانى .

عن ابن عمر أنه أعتق مملوكا له ، ثم أخذ من الأرض عودا أو شيئا فقال : مالى فيه من الأجر ما يساوى هذا ، سمعت رسول الله يقول : (من لطم مملوكا له أو ضربه فكفارته عتقه) رواه مسلم وأبو داود .

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (عبد أطاع الله وأطاع مواليه ، أدخله الله الجنة قبل مواليه بسبعين خريفا ، فيقول السيد : رب ، هذا كان عبدى في الدنيا ، قال :

جازيته بعمله ، وجازيتك بعملك) من تيسير الوصول .

عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : (من أعتق رقبة مسلمة ، أعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار ، حتى فرْجه بفرْجه) رواه البخارى .

وعنه صلى الله عليه وسلم : (أيما رجل مسلم أعتق رجلا مسلما فإن الله عز وجل جاعل وفاء كل عظم من عظامه ، عظما من عظام محرره ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة ، فإن الله عز وجل جاعل وفاء كل عظم من عظامها ، عظما من عظام محررتها من النار) رواه أبو داود .

أسر في بدر أبو عزير بن عمير أخو مصعب بن عمير رضى الله عنه ، فقال : كانوا إذا قدموا غداء أو عشاء خصونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية الله إياهم بنا .

وروى أن عليا كرم الله وجهه أعطى غلام دراهم ليشترى بها ثوبين متفاوتى القيمة ، فلما أحضرهما أعطاه أرقهما نسيجا وأغلاهما قيمة ، وحفظ لنفسه الآخر ، وقال له : أنت أحق منى بأجودهما ، لأنك شاب تميل نفسك للتجميل ، أما أنا فيكفينى هذا .

روى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، دعك أذن عبد له على ذنب فعله ، ثم قال له عثمان بعد ذلك : تقدم واقرص أذنى ، فامتنع العبد ، فألح عثمان عليه ، فبدأ يقرص بخفة ، فقال له عثمان : أقرص جيدا فأنى لا أتحمل عذاب يوم القيامة ، فقال العبد : وكذلك ياسيدى ، اليوم الذى تخشاه أخشاه أنا أيضا .

رَفع عبدٌ لزين العابدين شاة وكسر رجلها ، فسأله الإمام ، لماذا فعلت هذا ؟ فقال العبد : لأثير غضبك ،فرد عليه ، وأنا سأغضب من علَّمك وهو إبليس ، إذهب فأنت حر لوجه الله .

دخل رجل على سلمان الفارسى رضى الله عنه فوجده يعجن ، فقال له : يا أبا عبد الله ، ما هذا ؟ فقال : بعثنا الخادم في شغل ، فكرهنا أن نجمع عليه عملين .

هذا وقد أمر الإسلام الحاكم أن يرصد ثُمُنَ الزكاة لفك الرقاب ، أبعد هذا نتهم ونحن المدافعون ، ويُبَرَّأ غيرنا وهم الدافعون ؟ أيدان البرآء ويبرؤ المجرمون ؟ ولكن هكذا الإسلام ، كتب عليه أن يظل في المعترك طالما الدنيا قائمة ، وعندما تبيد بباطلها لن تكذب العين ناظرها ، عندما ترى لمن انعقد النصر والعز أبد الآبدين .

أما عن مواد هذا الباب (الباب الرابع) التى تحدثت عن حق كل إنسان في تولى الوظائف رئاسية كانت أو مرءوسية ، ونحن لا نتركها منفلته مطلقة ، وإنما نشترط في ذلك الاستقامة على أمر الله والاشهاد بالأمانة والحرص على قضاء مصالح المسلمين ، وسنكتفى بآيتين نفصلهما تفصيلا مسهبا إن شاء الله يستبين منهما القارئ ما وضعه الإسلام من ركيزة راسخة الغور ، تقوم عليها ولاية الأعمال في الدولة لتخدم غيرها وليس لتخدم هى ، والآية الأولى تتصل برأس الدولة ، والثانية بأعضائها الذين يتكون منهم جسم هذه الدولة .

فعن الأولى يقول عز من قائل : (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور) ، والتمكين في الأرض هو بأعلى ما يتولى الإنسان من شؤون يصبح بها سيد قومه المطاع ، وقد أشير بذلك في أكثر من آية ، كقوله سبحانه عن ذى القرنين (إنّا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شئ) ، فقد آتاه سبحانه من القوة والسلطان ما ذكرت الآيات بعد ذلك ، وكقوله تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض) ، وكقوله تعالى (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) أى القوة والجاه والسلطان .

(أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى أساس التمكين أن يقوم المَكَّن بما يجعل من نفسه نموذجا طيبا يُتَّبع الذين سادهم وتولى أمرهم ، وأساس هذا الذى يجعل منهم أهلا إلى أن يُهابوا ويُتبعوا ، هو أن يَتبَّعوا ما أمر به من الله جل علاه ، ومستحيل أن يكون ذلك بغير الصلاة والزكاة ، واكتفت الآية بهما لأنهما قمة العبادات وأحبها إلى الله ،وإتيانهما بصدق يلزم المعتز بهما أن يجعل بقية العبادات في نفس الدرجة من حيث الحرص والأداء ، ولو كانت سننا ومستحبات (وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) ، فهو بعد أن أخذ نفسه أولا حتى يُرَى من رعيته على الحال الجميل الذى أسلفنا ، فتأتى النظرية المأثورة سَلِسَة سهلة (الناس على دين ملوكهم) ، لكنه لم يقف عند تأثر الناس بمسلكه ، بل راح يبحث ويراقب من

حاد عن هذا المسلك . وبذلك أصبح آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر بما كرَّمته به الآية . ولأن الله شد ملكه ومكن سلطانه . لا يكتفى بالأمر والنهى على طريقة الوعاظ الذين لا يملكون إلا الكلمات يحركون بها اللسان . ثم ينفلتون تاركين الخيار لمن استمعوا إليهم طاعة أو معصية . ولكن الحاكم القائم بأمر الله يملك اللسان والسِّنان معا . ويعطى لكلٍّ من معينه حتى يلتقى النوعان معه على وجهُ . هَو ثم وجه الله (ولله عاقبة الأمور) . فإن كان أمر الحاكمين والمحكومين على إيداع ما ذكرت الآية . فلن يكون هناؤهم وعزهم في الدنيا فقط بسبب ما أطاعوا به الله . وإنما في العاقبة الكبرى لهم شئ آخر ما خطر على البال (فلنحيينه حياة طيبة) أى في الدنيا (ولنجز ينهم أحسن الذى كانوا يعملون) أى سيكون جزاء الآخرة أحسن من ذلك الذى استحسنوه في الدنيا . وإن كان الأمر على غير ما ذكرت الآية . فالعاقبة أيضا في انتظار وصولهم إليها . ولكن شتان . على صورة ما قال الشاعر :

سارتْ مشرِّقة وسرت مُغَرِّبا   شتان بين مُشَرِّق ومُغَرِّب

والآية الثانية التى قلنا إننا سنتناولها بالتحليل قوله تعالى : (وَعَدَا لله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم . وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم . وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . يعبدوننى لا يشركون بى شيئا . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .

(وَعَدَ الله) . ولو قلنا وعد غيره لما اطمأنت النفس على تنفيذ الوعد إلا إذا وقع وتم . لأن غيره قد يملك أسباب الوفاء بالوعد وقد لا يملك . وقد يكون ساعة الوعد صادق النية أو عكس ذلك . وحتى لو كان صادقها ويملك أسباب الوفاء فقد يطرأله ما لم يحتسبه فيرغم على عدم الوفاء أو يتأخر زمنا ما حتى تتوفر له ظروف الوفاء . لكن لما نسمع هذه الجملة (وَعَدَ الله) فيقفز إلى الذهن حالا أن الذى يملك أسباب الوفاء كاملة . هو الأقدر من كل مَنْ عداه على أن يفى بما وعد . وقد سأل سبحانه متحديا (ومن أوفى بعهده من الله ؟) ثم (وعد الله لا يخلف الله وعده) . ذلك لأن الإمكانات كلها هو آخذ بناصيتها . وبالتالى فلن يثنيه أحد عن إتمام الوعد والموعد . لأن كل من عداه مخلوق له يلازمه ضعف الخلقة العاجزة . المحتاجة إلى عون مُوجدها .

(الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) . فالوعد بالخير لا يُعَطى إلا لمن قدَّم له . وعكسه له الوعيد وليس الوعد . فأصحاب الوعد هم المذكورون بصفتهم الموضحة في الآية ـ آمنوا وعملوا الصالحات ـ ذلك لأن الكثير يدعى الإيمان . ولكن الدورة الإيمانية في القلب أضعف من أن تحرك آلات الجسم بالعمل الصالح . ومن هنا فَحظُه في وعد الله بعيد المنال . أما إذا كانتْ قوة الدفع في القلب تجعل الدورة دفاقة إلى جميع البدن . فستجعله ينحنى راكعا . ويمد يده مزكيا . ويلجم نفسه صائما . ويجعل من الحلال والحرام جنديين يقظينْ يوقفانه عند حدود الله . ومن هنا أصبح منتجا للخير يفيض منه على نفسه وغيره . فكان أن أردفت الآية ترفع شأنه لتجعله أهلا للظفر بالوعد الصدق وهو :

(ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) . والاستخلاف نوعان . نوع خاص . وهو الخلافة والإمارة فيصبح جليلا مهابا يُرْهب منه ويرغب فيه . ونوع عام وهو الاستخلاف في تولى الأعمال

بجميع أنواعها والاستيلاء بالوصايا والهدايا والتوارث ونحو ذلك . فيصبح المجتمع كله نعم الخليفة لله في أرضه . وفي الآخرة هم سعداء خلقه (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) (لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر) . هكذا مجتمع المعرفة بالله . من قبل ومن بعد . ثم تستمر الآية التى نحن بصددها والتى أعطت حق العمل الجليل المستمر من السفح إلى الذُّرَى . قائلة :

(وليمكنَنَّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم)) إذً لا عمل ولا هناء بعمل ولا استقرار به من الفرد إلى المجموع إلى الحاكم إلا بالدين الذى ارتضى لهم . وليس سواه البتة (ورضيت لكم الإسلام دينا) . يمكنه الله لهم يجعلهم يعيشون في عز أحكامه ونور تنفيذه . يعبدون به ويحكمون يه ويسوسون بأوامره ونواهيه . ويقاتلون به ومن أجله . وينشرونه ويمكنون مكانه في البلاد والعباد . وهل إذ أصبح قوم هذا شأنهم يخوفهم الله من أحد سواه ؟ (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)فلا قُوةَ كفارٍ أفرادا كانوا أو دولا يستطيعون تخويفهم أو كسر شوكتهم .أليس الله بكاف عبده ؟ ويخوفونك بالذين من دونه) . ثم تستمر آيتنا قائلة :

(يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) . ثناء من الله عليهم أولا . وسبب لما أصبحوا فيه ثانيا . وهل يكون العابد الموحد . والمعتمد على قهر القاهر فوق عباده . وعلى القائل عن نفسه (كتب الله لأغلبنّ) . هل يكون هذا النوع من الذين أدركوا الحقيقة . إلا أن يُمكَّن لهم في الدنيا وفي الآخرة من مالكهما وحده علا وعز .

(فمن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) . فبعد أن علم وفهم . ثم أنكر وراح يكفر . فهل بأقل من الفسق يوصف . وما من وصف هو أدنأ من الفسق . فهوا لمعصيته المتمردة على كل معقول ومنقول ومقبول . فهو متمرد على نفسه وظالم لها مبين . وكتمرد على كل ناصح أمين . ونهاية الأمر أن ذلك أوصله إلى التمرد على رب العالمين . فهل يبقى هملا ويترك عبثا . أم هو هذا الاستفهام الإنذارى التحقيرى (أليس في جهنم مثوى للكافرين ؟) .

ذلك - بعد تحليل هاتين الآيتين - هو حقيقة العمل للصغير والكبير والمحكوم والحاكم . بشروطه الرائعة التى وضعتها الآيتين . وميزته الفذة الفريدة . أنه عمل مُسْعد لأهله حالا مآلا . وليس على طريقة حقوق الإنسان التى وضعها لنفسه . فهى مادة صرفة تنتهى بنهاية مادة الدنيا . وما كان لغير الله انقطع وانفصل .

ثم كعادتنا نقدم من عاطر ما سلف من أيامنا نماذج نصِّيه لا تعليق معها .

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله : ألا تستعملنى ؟ - أى توكِل إلىّ عملا - فضرب بيده على منكبى ثم قال : (يا أبا ذر . إنك ضعيف . وإنها أمانة . وإنها يوم القيامة خزى وندامة . إلا من أخذها بحقها . وأدى الذى عليه فيها) رواه مسلم .

وعن يزيد بن أبى سفيان . قال : قال لى أبو بكر الصديق حين بعثنى إلى الشام . يا يزيد . إن لك قرابه عسيت أن تؤثرهم بالإمارة . وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمَّر عليهم أحد محاباه . فعليه لعنة الله . لا يقبل الله منه صرفا

ولا عدلا حتى يدخله جهنم) رواه الحاكم وصححه .

جاء رجل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : متى تقوم الساعة ؟ فقال له : (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة . فقال الرجل : وكيف إضاعتها ؟ قال : (إذا وُسِّد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة) رواه البخارى .

عن جنادة بن أبى أمية قال : دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض . قلنا : أصلحك الله . حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبى صلى الله عليه وسلم . قال : دعانا النبى صلى الله عليه وسلم فبايعناه . فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا . وعسرنا ويسرنا . وأثره علينا . وألا ننازع الأمر أهله . إلا أن تروْا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) رواه البخارى .

جمع أبو بكر رضى الله عنه كبار الصحابة في مرض وفاته وقال لهم : إنه قد نزل بى ما ترون . ولا أظننى إلا ميتا . فأمِّروا عليكم من أحببتم . فإنكم إن أمَّرتم في حياة منى . كان أجدر ألا تختلفوا بعدى . لكنهم لم يجمعوا على واحد منهم . وتركوا الأمر لأبى بكر . فاستشار وتم بذلك أن اختار عمر ثم وافقوا عليه . وبعد ذلك دخل عليه أحدهم قبل الوفاة وقال له : ما أنت بقائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته . وهو إذ اوُلِّىَ كان أفظ وأغلظ . فرد أبو بكر قائلا : أبالله تخوفنى ؟ خاف من تزود من أمركم بظلم . أقول : اللهم إنى استخلفت على أهلك خير أهلك .

لما طُعن عمر رضى الله عنه قيل له وهو بين الموت والحياة : أوْصِ يا أمير المؤمنين . إسْتَخلفْ . قال : أأتحمل أمركم حيا وميتا ...! وإن أسْتَخْلِفْ فقد أسْتَخْلَفَ من هو خير منى - أى أبو بكر - وإن أترككم فقد ترككم من هو خير منى - أى النبى صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر أسماء ستة من الصحابه . هم عثمان بن عفان . وعلى بن أبى طالب . وعبد الرحمن بن عوف . وسعد بن أبى وقاص . وطلحة بن عبيد الله . والزبير بن العوام . وأضاف إليهم ابنه عبد الله مخبرا إياه أن يبدى الرأى ولا يقبل الخلافة . حتى اختاروا بمحض إرادتهم عثمان رضى الله عنه .

قال المغيرة بن شعبة لعمر يوما وهو في عافيته : استخلف ابنك عبد الله على المسلمين . فقال له : لاأرَبَ لنا في أموركم . وما حمدتها لأرغب فيها لأحد من بيتى . إن كان خيرا فقد أصبنا منه . وإن كان شرا فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد .

ذهب بعض الصحابة إلى على في بيته بعد مقتل عثمان ليبايعوه في بيته . فقال رضى الله عنه : (في المسجد . فإن بيعتى لا تكون خُفية . ولا تكون إلا من رضا المسلمين . ولما طعن في نهاية خلافته أقبل بعضهم وقالوا : إن فقدناك . ولا نفقدك . أفنبايع الحسن ؟ . فقال لهم : ما آمركم ولا أنهاكم . أنتم أبصر .

تحدث عمر رضى الله عنه مع الناس يوما فقال : أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم . ثم أمرته بالعدل . كنت قضيت ما علىّ . قالوا : نعم . فقال : لا حتى أنظر عمله . أعمل بما أمرته أم لا ؟ ... . أيما عامل لى ظلم أحدا بلغتنى مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته . وقد ظلم أحد الولاة رجلا من

الرعية في أرضه فشكاه إلى عمر فبعث إليه يقول : أنصف فلانا من نفسك . وإلا فأقبل . والسلام . فسارع الوالى برد الأرض إلى صاحبها . وفي خطاب له إلى أحد الولاة يقول : (إفتح لهم بابك . وباشر أمورهم بنفسك . فأنما أنت رجل منهم . غير أن الله جعلك أثقل منهم حملا .

وكتب رضى الله عنه إل عامله أبى موسى الأشعرى يقول : قد بلغ أمير المؤمنين أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها . فإياك يا عبد الله أن تكون مثل البهيمة التى مرت بواد خصب . فلم يكن لها هم إلا السمن . وإنما حتفها في السمن . واعلم أن للعامل مردًا إلى الله . فإذا زاغ العامل زاغت رعيته . وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته .

وبلغه رضى الله عنه أن أميره على الكوفة قد بنى لنفسه منزلا فخما . وجعل عليه حاجبا . فأرسل محمد بن مسلمة رضى الله عنه وأمره أن يأخذ زيتا وحطبا ويحرق القصر . وأعطاه رسالة ليبلغها له (بلغنى أنك بنيت قصرا اتخذته حصنا . وجعلت بينك وبين الناس بابا . فليس بقصرك . ولكنه قصر الخبال . لا تجعل على منزلك بابا يمنع الناس من دخوله . وتنفيهم به عن حقوقهم .

كتب إلى عمرو بن العاص واليه على مصر يقول له : بلغنى أنك تتكئ في مجلسك . فإذا جلست فكن كسائر الناس .

وقوله رضى الله عنه : أنا في مال المسلمين كولى اليتيم . إن استغنيت استعففت . وإن افتقرت أكلت بالمعروف .

ونختم بهذا الحديث وإن لم يأت في ترتيبه مع الأحاديث (من استعمل رجلا على عصابة . وفيهم من هو أرضى لله منه . فقد خان الله ورسوله والمؤمنين) رواه الحاكم وصححه .

وحسبنا ذلك من كثير (أفغير دين الله يبغون ؟) .

أما عن حريةالفكر فيما يدعى بإعلان حقوق الإنسان . فَمَنْ في العالمين طُرًّا يضاهينا في هذا ؟ لقد زخر كتابنا الأعظم في الحصن على إطلاق الفكر بآيات عديدة . وليست باثنتين أو ثلاثة . (قل هل يستوى الأعمى والبصير ؟؟ أفلا تتفكرون ؟) (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) (قل إنما أعظكم بواحدة . أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) (أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جِنَّة) (أو لم يتفكروا في أنفسهم ؟) (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) . وكثير غيرها .

والتفكر عندنا ذو غايتين . تفكر في هذا الصّنعْ الملكوتى الهائل . سواء ما ثبت منه كالسماء وما فيها من شمس وقمر وكواكب . والأرض وما فيها من هواء وفضاء وماء وجبال ورمال . أو ما يتقلب فيها من عوارض إنسانية وحيوانية وزَرْعية . أو ما لا حصر له من عجائب هذه الصنعة الكونية المهيبة . فمن شأن الفكر في هذا أن يصلنا بغير انقطاع بالقَوىّ الأعظم الذى صنع فأبدع . فنزداد به إيمانا وعليه اعتمادا وبه وثوقا . فنأمن في جنابه وننأى عن عذابه . لما فنينا في طاعته وتسابقنا إلى مرضاته . نتيجة للتفكر في ملكوته زيادة على تصديقنا برسالاته .

والغاية الثانية من التفكر لننتج بها فجاجا من أصول شريعتنا ومعين سنتنا . بما نسميه (الاجتهـاد) . تلك الفجاج التى نأخذ نورها من نور الله الذى أنزله الله على رسول الإسلام صلى الله

عليه وسلم ليكفى به العالمين ضياء مثناء . فيستمر هذا النور بالاجتهاد وهاجا لا يخبو ما بقيت أيام الدنيا . فلا إثم يقع علينا ولا كبت يئد فكرنا .

أما عن الذين جاؤوا ليضعوا لنا في آخر الزمان حقوق الإنسان . فاسمع عنهم أيها القارئ ما ظنوه جُهل لدينا .

لقد عاقبت أوربا مفكريها في أحقاب متقاربة بالموت عددا بلغ في مجموعه ثلاثمائة ألف ، قتلوا منهم إحراقا بالنار وهم أحياء إثنين وثلاثين ألفا ، منهم الباحثان الشهيدان (برونو) و (غاليليوا) ، والأخير لأنه قال بدوران الأرض حول الشمس ـ سواء كان ذلك خطأ أو صوابا ـ فما كانت هناك ضرورة لقتله . ولما قال (دى رومنس) إن (قوس قزح) يظهر من انعكاس ضوء الشمس في ماء السحاب ، وليس قوسا حربية في يد الله ينتقم بها من عباده كما يقول الرهبان الكنسيون ليرهبوا الناس ، فكان أن سجن حتى مات ، ثم حاكموا جثته فألقيت في النار ،وأحرقا (چيوفث) و ((فأيتى) شيًا على النار لأفكار قد لا تستحق عندنا التعزير من الإمام ، إن لم يكن لها قدرو واحترام . ونحن المسلمين ماذا كنا وقتهذ ؟ لو تحدثنا عن أنفسنا لقيل إنه شئ طبيعى إن يقول الشحص عن نفسه ما يزين وينكر ما يشين ، لهذا سنقدم إليك قارئنا العزيز ما قاله مفكر منهم في كتاب ألفه بعنوان (خلاصة تاريخ العرب) وهو الوزير الفرنسى (سـيدو) يقول فيه :

لقد أتى محمد فربط علائق المودة بين قبائل جزيرة العرب ، ووجه أفكارها إلى مقصد واحد أعلى شأنها ، حتى امتدت سلطنها من نهر التاج المار بأسبانيا والبرتغال ، إلى نهر الكونج وهو أعظم أنهار الهند ، وانتشر نور العلم والتمدين بالشرق والغرب ، وأهل أوربا إذْ ذاك في ظلمة القرون المتوسطة وجهالتها ، وكأنهم نسوا نسيانا تاما ما وصل إليهم من أحاديث اليونان والرومان أسلافهم الأقدمين ، واجتهد العباسيون ببغداد ، والأمويون بقرطبة ، والفاطميون بالقاهرة ، في تقديم الفنون ، ثم تمزقت ممالكهم ، وفقدوا شوكتهم السياسية ، فاقتصروا على السلطة الدينية التى استمرت لهم في أرجاء ممالكهم .

واستطرد (سـيدو) يقول في كتابه : وكان لهم من الصنائع والمعلومات والاستكشافات ما استفاده منهم نصارى أسبانيا حين تم طردهم منها ، كما أن الأتراك والمغول بعد تغلبهم على ممالك آسيا استفادوا معارف من تغلبوا عليهم ، ولا نزال إلى الآن نرى آثار التمدن العربى حين نبحث عن مبادئ ما نحن فيه من المعلومات الأوربية ، فإن العرب في نهاية القرن الثامن بعد الميلاد فقدوا الحمية الحربية وشغفوا بحوز المعارف ، حتى أخذت مدائن قرطبة وطليطلة والقاهرة وفاس ومراكش والرقة وأصفهان وسمرقند تفاخر في حيازة العلوم والمعارف ، وقرئى ما ترجم إلى العربية من كتب اليونان في المدارس الإسلامية ، وبذل العرب همتهم في الاشغال بجميع ما ابتكرته الأفهام البشرية من العلوم والفنون ، واشتهروا في غالب البلاد خصوصا البلاد النصرانية من أوربا بابتكارات تدل على أنهم أئمتنا في المعارف .

ويستمر (المسيو . سيدو) في كتابه قائلا :

ولنا شاهد صدق على علو شأنهم الذى تجهله الفرنج من أزمان بعيدة .

الأول : ما أثر عنهم من تاريخ القرون المتوسطة وأخبار الرِّحَل والأسفار وقواميس ما اشتهر من

الأمكنة والرجال والمجاميع الشامله لكثير من الفنون الفاخرة .

الثانى : ما كان لديهم من الصناعات الفائقة والمبانى المتأنقة والاستكشافات المهمة في الفنون ، وما وسعوا دائرته من علوم الطب والتاريخ الطبيعى والكيمياء الصحيحة والفلاحة والعلوم الأخرى التى مارسوها بغاية النشاط .

ونختم ما نكتفى به من قول هذا الوزير الفرنسى المفكر ، المسيو (سيدو) بقوله : لقد كان المسلمون متفردين بالعلم في تلك القرون المظلمة ، فنشروه حيث وطئت أقدامهم ، وكانوا هم السبب في خروج أوربا من الظلمات إلى النور .

وحسبنا هذا فقد شهد شاهد من أهله ، وأى شاهد ، فهو من ساستهم وسادتهم ومفكريهم .

إن حرية الفكر عندنا لا تسامى في كل مبادئ الدنيا وقوانينها ، حيث وضعها بنفسه سبحانه في أقدس وأخلد كتاب نزل لما قال (لا إكراه في الدين) (أفأنت تُكرِه الناس حتى يكونوا مؤمنين) (قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) ثم بعد ذلك (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) وعندئذ يعرف من أحسن الفكر ومن أساءه ، فليس كل من فكر قدر .

لقد قلت إن الاجتهاد في شريعتنا فتْحٌ واسع لا يوصد بابه ، ولقد استعمله رجالنا العظام في أرشد عصور الإسلام ، فقد رفض علىٌ كرم الله وجهه الخلافة بكل عظمتها وصولجانها عقب وفاة عمر رضى الله عنه لما عرضت عليه مشروطة تحد من فكره ومن اجتهاده ، فقد جمع عبد الرحمن بن عوف المسلمين في المسجد ثم نادى عليا ، وكان عبد الرحمن قد فوض لاختيار الخليفة بعد أن اعْتَذَر هو عنها ، على أن يتبعه المسلمون في بيعة من يبايعه .

ووضع عبد الرحمن يده في يد على قائلا : نبايعك على أن تعمل بكتاب الله وسنة رسوله واجتهاد الشيخين - يقصد أبا بكر وعمر - فلم يوافق علىٌ على اجتهاد الشيخين وقال : بل أجتهد رأيى ، فدفع عبد الرحمن يده ونادى عثمان رضى الله عنه فقبل اجتهاد الشيخين وإن كان قد حدث بعد ذلك ما حدث .

وموقف على أيضا مع الخوارج مشهور ، لما أرسل إليهم عبد الله بن عباس رضى الله عنه ليناظرهم ، فرجع إلى علّى منهم أربعة آلاف وبقى أربعة آلاف حيث هم ، فأرسل إليهم علّى يقول : كونوا حيث شئتم ، وبيننا وبينكم ألا تسفكوا دما حراما ، ولا تقطعوا سبيلا ، ولا تظلموا أحدا ، فأن فعلتم نبذت إليكم الحرب .

ولما سئل رضى الله عنه عن حال الذين شقوا عليه عصا الطاعة وقاتلوه وهم معاوية ومن تبعه ، أكفارٌ هم ؟ قال لا ، أمشركون هم ؟ قال لا ، قالوا ما حالهم إذًا ؟ قال : إخوان لنا بغوا علينا ، فسلام عليه وعلى كل من صنعهم الإسلام في العالمين .

دراسة في أصول الفقه

د. علي أحمد محمد بابكر

أستاذ مساعد

١ ـ أهميّة علم الأصول وخصوبته . .

الحياة البشرية على الأرض بثقلها ومسؤولية الحفاظ على توازنها ليست هيّنة العبء ولا سهلة القياد . وذلك لما تتضمنه من عمق وتشعُّب ودقة . وما تزدحم به من رغبات تتفق وتختلف . ومصالح تتعارض وتصطلح . ومطامح تلتقى وتفترق . وأمزجة تصفو وتتكدر . وأصناف من السلوك . وأنواع من الظروف . وبما فيها من شعوب تتباين استعداداتها وأهدافها . وقبائل تتنوّع مساعيها . وبما يعتريها من أحداث الزمن وتقلبات الأيام وصروف الدهر . وبما يلابسهها من لمسات الخير ووخزات الشر . وما ينتظمها من حركة لا تتوقف . وبما تتطلبه من علاقة بمبدع الوجود وعلائق بالمخلوقات عموماً وبين البشر على وجه الخصوص .

هذه الحياة لابد لها من ميزان تنضبط به أمورها وترجع إليه مبهماتها وتوزن به اختلافاتها . وتقاس به جميع حالاتها .

ولقد وهب الخالق سبحانه وتعالى للانسان العقل ليميّز به ويزن به الأمور . ولكنه لم يترك هذا العقل يتخبط وحده في متاهات الحياة . والعقل عُرْضةٌ للتأثر باضطرابات النفوس واعتلال الأجسام ومؤثرات البيئة الخ . فجاء عونه تعالى للعقل البشرى ببيان مرتكزات مصالح البشر التى تشمل مصالحهم في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة . فبيّن للناس أصول النظم التى يسيّرون بها الحياة ويبصرون بها الطريق حتى يحقق الانسان معنى خلافته في الأرض :

«وإذ قال ربُك للملائكة إنى جاعلٌ في الأرض خليفة » (١) .

وحتى يستطيع الاهتداء والسير بلا عثرات . وحتى يطمئن للغايات الصالحة .

كان هذا العون الالهى للعقل البشرى عن طريق وحيه تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام وعصمته له . فتجلتْ في القرآن الكريم والسنة الشريفة أصول الأحكام الفقهية ومرتكزاتها . فقد فصّل لنا هذان المصدران ما فصّلا من الأحكام وتضمّنا من المبادىء والقواعد والتوجيهات العامة ما يقود العقول إلى سواء السبيل .

وبمجهودات الصحابة رضوان الله عليهم وما نقلوه عن الرسول صلى الله عليه وسلم من شرح وتوضيح وتوجيه . وبمجهودات أئمة الأجيال التى أعقبت الصحابة رضوان الله عليهم جاء البيان لهذه المصادر واتضحتْ المناهج التى يمكن اتباعها لاستمداد الأحكام التى يعتمد عليها الناس في مسارهم . وبذلك تكوّن علمٌ ذو شأن خطير وأهميّة بالغة هو علم أصول الفقه الإسلامى .

(١) البقرة ٣٠

ومن المعلوم أن الفقه الإسلامى الذى يقوم على هذه الأصول هو ميدان فسيح يشتمل على إجابات لجميع شؤون الناس وحاجاتهم . ومن هنا يمكن للناظر إدراك أهمية علم الأصول وخطورته والمكانة الرفيعة التى يحتلها بين العلوم . لأنه الأساس للأحكام التى تحدد مسار الخلق وترسم طريقهم الموصّل لبلوغ مصالحهم قبل الممات وبعد الممات .

وكما يتوصل بعلم الأصول لمدارك الأحكام ومسالكها كذلك يتوصل به لمقاصد الأحكام وأهداف الشريعة وروحها مما يطمئن القلوب والعقول .

ولعله مما يُفيد في هذا المقام أن ننقل ما أورده الإمام الاسنوى (١) في كتابه التمهيد حيث قال :

« وبعد فإن أصول الفقه علمٌ عظم نفعه وقدره ، وعلا شرفه وفخره ، إذ هو مثار الأحكام الشرعية ومثار الفتاوى الفرعية التى بها صلاح المكلفين معاشاً ومعاداً . ثم إنه العمدة في الاجتهاد . وأهم ما يتوقف عليه من المواد كما نص عليه العلماء ووصف به الأئمة الفضلاء . وقد أوضحه الإمام (٢) في المحصول فقال : يشترط فيه ـ أى في علم الأصول ـ أمورٌ هى : أن يعرف من الكتاب والسنة ما يتعلق بالأحكام ، ويعرف المسائل المجمع عليها ، والمنسوخ منها ، وحال الرواية ، لأن الجهل بهذه الأمور قد يوقع المجتهد في الخطأ . وأن يعرف اللغة إفراداً وتركيباً لأن الأدلة من الكتاب والسنة عربية . وان يعرف شرائط القياس لأن الاجتهاد متوقف عليه . وكيفية النظر وهو ترتيب المقدمات .. .. .. وأما شرائط القياس وهو الكلام في شرائط الأصل والفرع وشرائط العلة وأقسامها ومبطلاتها ، وتقديم بعضها على بعض عند التعارض فهو باب واسع يتفاوت فيه العلماء تفاوتا كبيراً . ومنه يحصل الاختلاف غالباً مع كونه بعض أصول الفقه .

فثبت بذلك ما قاله الإمام ان الركن الأعظم والأمر الأهم في الاجتهاد انما هو علم أصول الفقه (٣)

الخصوبة في علم الأصول :

من أبرز خصائص علم الأصول أنه علمٌ يتمتع بخصوبة ودسامة تميّزه عن غيره من العلوم . فهو غزير في مادته بعيد عن الجفاف يشبع نهم المقبلين ـ بجانب أهميته ومكانته الرفيعة . فاذا أدرك الدارس أبعاد هذا العلم يجده متصلا بجميع العلوم الشرعية ومتصلا بأكثر ـ ان لم يكن كل ـ بقية العلوم التى تسمى بالعلوم الانسانية .

فهو بتركيبته الخاصة يأخذ دارسه الى ميادين تلك العلوم المختلفة فلا يتمكن منه إلا بولوجه أبواباً مختلفة وفنوناً متنوعة يسبر أغوارها ويخوض غمارها .

فعلم الأصول ـ كما أشرنا من قبل ـ هو هو الأساس للنظام المتكامل لحياة الانسان . فبعلم الأصول تتضح المنابع وتعرف المناهج التى تقود الى الوصول للأحكام التى تنظم حياة الأفراد والجماعات في جميع صورها وجميع مراتبها . وعلم هذا شأن لابد من ترابطه مع علوم كثيرة تعالج حياة البشر من جوانبها المختلفة .

---

(١) جمال الدين عبد الرحيم الاسنوى (٧٠٤ ـ ٧٧٧ هـ) .

(٢) يقصد الامام الرازى الشافعى ـ صاحب المحصول في علم الأصول .

(٣) التمهيد ص ٣ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٧ هـ .

فدراسة منابع الأحكام تتطلب أول ما تتطلب دراسة القرآن الكريم . المنبع الأول للأحكام ؛ حقيقة وشموله لأحكام تفصيلية وقواعد عامة تندرج تحتها بقية الأحكام غير المنفصلة نصاً . ومعانيه ، والناسخ والمنسوخ منه ، وألفاظه مما يقود الى دراسة اللغة العربية . ولا معنى لدراسة القرآن الكريم كأصل من أصول الفقه إلاّ فهم حقيقته هذا الكتاب وفهم دلالاته والتعمق في دراسته .

وتتطلب دراسة منابع الأحكام الشرعية وأصولها . ثانيا : دراسة السنّة النبوية . بأنواعها وأقسامها ومصطلحاتها لتكون تفسيرا للقرآن الكريم ومفصلة له .

وتتطلب دراسة منابع الفقه ومصادره دراسة مكان العقل البشرى الذى حددته الشريعة من هذه الأصول ، ومجالات اللجوء اليه . وكيفية استخدامه ، وحدود ذلك . وهذا بدوره يسوق لدراسات منطقية وعقلية تدور حول قضيّة القياس وما يرتبط به من مصادر عقلية للأحكام ، والى دراسة المقاصد الشرعية في الخلق والأهداف العامة والخاصة .

وهذا بدوره يقود لدراسة النظريات والفلسفات الوضعية وتوضيح أهدافها ومقاصدها لمقارنتها وبيان أوجه النقص فيها .

وتتطلب دراسة علم الأصول دراسة للمجتمع الانسانى . دراسة تكشف عن عادات الناس فيه واختلافات بيئاتهم وتأثير ذلك في تصرفاتهم ، ومدى صلاح تلك التصرفات أو فسادها بمقياس الإسلام ومبادئه . وهذه الدراسة الاجتماعية يقدم عليها أصل من الأصول الفقهية التى اعتمدتها بعض المذاهب السنية وهو « العرف» .

ولعلنا ندرك أن إدراك علم الأصول كان في الماضى ضرورة لكل فقيه يُنصَّب للفتوى أو القضاء . وكان الفقهاء الملمون بالأصول مقدمين على غيرهم خاصة في منصب القضاء . ويُفضَّل من بين هؤلاء العارفون بحياة الناس الاجتماعية وعاداتهم .

ونورد هنا القصة التى رواها الفقيه ابن عرفة (٧١٧ ـ ٨٠٣ هـ) :

في هذا المضمار . قال : « ان ابن عبد السلام (١) كان على وشك أن يعيّن قاضيا ولكن معاصريه من العلماء طعنوا فيه بانه رجل حاد الطبع . فبلغ النبأ ابن عبد السلام فذهب الى الوالى وزكّى نفسه بأنه يعرف حياة الناس الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم أكثر من غيره « وهو يشير الى معرفته بالعرف » . وعندما تأكد الوالى من صدق دعواه عيّنه قاضيا ولم يلتفت لطعن الطاعنين (٢) .

وتتطلب دراسة منابع الفقه الإسلامى دراسة تاريخ التشريع في الاسلام وهو يشتمل على تاريخ الأصول والفقه . ودراسة الظروف التاريخية التى أحاطت بالفقه وأُصوله وهذه دراسة تقود للإلمام بالتاريخ عموما من أوسع أبوابه ولا يقتصر على دراسة تاريخ الأصول والفقه وحده ـ وبذلك يكون الأُصولىّ على علم بكل الظروف التى مرّ بها العلم .

ودراسة منابع الفقه تتطلب دراسة دقيقة وافية مستوعبة لتفاصيل علم الفقه الإسلامى ومذاهبه واختلافات الأئمة والمنصوص عليه وغير المنصوص عليه وأماكن الإجماع الخ حتى يمكنه معرفة الأصول

(١) عاش في القرن الثامن الهجرى .

(٢) انظر المرير . **الأبحاث السامية في المحاكم الاسلامية** ، جـ ١ ص ٦٢ ـ ٦٣ .

معرفة نظرية وتطبيقية عملية ولا يقتصر على المعرفة النظرية المجردة .

ولعله من الأكمل لدارس الأصول الإلمام بأصول ومنابع القوانين الوضعية وذلك لادراك مصادر تلك القوانين وكيفية استخراجها حتى يتجلى عنده سمو الشريعة الاسلامية ويستطيع ـ كما أشرنا من قبل ـ بيان نقائص القوانين الوضعية .

بجانب ما تقدم من علوم تتطلبها دراسة علم الأصول فهنالك علوم أخرى لها أهمية بالنسبة لدارس الأصول مثل علم الكلام أو العقيدة التى هى من مقدمات علم الأصول ـ ليتوصل بذلك الى ثبوت الكتاب والسنة ووجوب صدقهما ليتوصل بذلك إلى الفقه (١) وكذلك فإن قضايا متعددة خلال أبواب الأصول تحتاج الى زاد من العقيدة مثل قضايا التعليل . وصفات الأفعال العقلية واتفاق أو عدم اتفاق الشرع معها . وغير ذلك من القضايا التى تتطلب التسلُّح بسلاح العقيدة ليكون بحثها على بينة من الأمر .

من هنا يتبين لنا كيف أن علم أصول الفقه هو من أكثر العلوم خصوبة ودسامة . وان دراسته وتعمقه غاية في الامتاع واشباع النهم العلمى هذا بجانب أهميته وخطورته التى أوضحناها سالفاً وهى انه تحقيق لمصادر وقواعد استخراج الأحكام التى تضمنتها شريعة الله للخلق .

ولا غرابة أن تتطلب دراسة علم أصول الفقه الإسلامى ولوج أبواب هذه العلوم المختلفة . وكيف تكون هنالك غرابة بينما تتطلب دراسة القوانين الوضعية ـ وهى محصورة الفائدة في هذه الدنيا ـ دراسة العديد من العلوم . ولنستمع إلى أحد كتاب الفقه القانونى الوضعى وهو اللورد « راد كليف » يقول في كتابه : (القانون ومحيطه) يقول ما ترجمته :

« أرجو أن لا تخطىء فهمى أو تظن أننى أقلل من أهمية واحد من أعظم الدراسات الإنسانية إذا قلت : اننا لا نستطيع فهم القانون بتعلمنا للقانون . فالقانون أكبر من هذه المصطلحات التى ندرسها بمقدار عظيم . فهو جزء من التاريخ . وجزء من الاقتصاد . وجزء من الاجتماع . وجزء من علم الأخلاق وفلسفة الحياة » (٢) .

فإذا كان هذا هو حال القانون الوضعى ومصادره ـ وهو محدود الدائرة ـ واذا احتاج القانون الوضعى لدراسة كل هذه العلوم وسبر أغوارها ـ فكيف بالشريعة الإسلامية وأُصولها وهى غير منحصرة في هذه الحياة الحاضرة بل تتعداها لتضمن مصلحة الانسان في الحياة الآخرة أيضا . لا شك أنها أوسع نطاقا وأشمل بحيث تشمل النظرة الى مصادرها العلوم الأساسية التى تستمد منها صيانة المصلحة في هذه الحياة ثم تنفرد بالعلوم الأخرى وعلى رأسها القرآن الكريم والسنة النبوية واللغة العربية التى هى أساس فهم القرآن الكريم .

فعلم أصول الفقه ليس كما يتصوره البعض . علماً محصوراً في تعريفات ومناقشات لفظية . وعلما جافًا غير أخاذ بحيث لا يتسع ليشبع نهم النفوس . فهو عكس ذلك تماماً كما حاولنا توضيح ذلك في الفقرات الفائتة . وكما يدرك ذلك علماء الأصول الذين عاشوا تجربة دراسته وتدريسه .

---

(١) انظر التفتازانى ـ التلويح . جـ ١ ص ٢٠ .

(٢) أنظر اللورد كليف **القانون ومحيطه** (بالانجليزية) ص ٩٢ ـ ٩٣ .

وأنظر اللورد لويد (مقدمة لفقه القانون) ص ١ ـ ٢ الخ .

أسباب عدم وضوح الرؤية :

كثير من الدارسين لعلم الأصول تتعسر عليهم الرؤية الواضحة لحقيقة هذا العلم ولخصوبته . وعليه فهم يعتبرونه ـ كما أشرنا أعلاه ـ علماً يتسم بالجفاف والتعقيد والانحصار في مناقشات لفظية أو منطقية ثم ردود على المناقشات وردود على الردود وهلمّ جرّاً . ثم بعد ذلك تكون الحصيلة ضئيلة . وهذا المفهوم يبعث في نفوسهم مللا من دراسة الأصول ونفورا منه . وربما مر بنا هذا الاحساس في عهد الطلب . وبذلك ينصرف الدارسون عن هذا العلم العظيم الغزير المليء بالفوائد والتى تتجلى فيه مناهج بحث وضعها علماؤنا السابقون لم يسبق لها مثيل . ونادرا ما تجد أحدا يقبل على هذا العلم الا مضطرا لأداء امتحان مثلا . ثم لا تجده بعد ذلك يتناول مرجعاً من مراجع الأصول ليطّلع فيه طائعاً مختاراً مستسيغاً له متعمقاً في معانيه .

هذا الشعور الذى ينتاب المبتدىء في دراسة هذا العلم . وغالباً ما يظل معه خلال حياته العلمية . له أسباب نذكر منها بعضاً في الفقرات التالية :

لعلنا نستطيع القول بأن الأسباب التى تؤدى الى مثل هذا الاحساس وهذا المفهوم تنقسم الى مجموعتين :

(١) المجموعة الأولى ترجع الى الإضطراب في التكوين الثقافى والفكرى والبيئى للنشء في المجتمع الإسلامى .

(٢) والمجموعة الثانية ترجع إلى كتب الأصول نفسها .

أما فيما يختص بالمجموعة الأولى من الأسباب . وهى التى ترجع إلى التكوين البيئى للنشء فهى تتمثل فيتأثير أساليب الثقافات الأجنبية ومصطلحاتها وعباراتها في التكوين الثقافي لأبناء المسلمين . حدث ذلك منذ أن هجمت تلك الثقافات مع موجة الاستعمار لبلاد المسلمين وطفقت تنشىء اجيالا هى أقرب الى الثقافات الأجنبية منها الى الثقافة الإسلامية الأصيلة والعلوم الإسلامية في مصادرها الأوليّة . فأصبح بذلك الناشئون بعيدين عن المصطلحات العلمية العربية والاسلامية وعن الألفاظ والعبارات التى تزخر بها كتب العلوم الإسلامية . ومن بينها كتب الأصول .

كذلك فان الأجيال الاسلامية في العصور الحديثة تأثرت الى حدّ كبير بالحملة المغرضة التى واجهتها كتب التراث في كثير من البلدان الإسلامية . تلك الحملة التى وصمت هذه الكتب بالجمود والتحجر . فعزف شباب المسلمين عن جهل عن تناول تلك الكتب وعن الاجتهاد في إدراك مضامينها . يضاف الى ذلك ضعف اللغة العربية في جميع البلاد العربية والإسلامية . وعلم الأصول يتطلب في مقدمة ما يتطلب ادراك اللغة العربية ادراكا تاماً ومعرفة أسرارها . كما أوضحنا من قبل .

كل ذلك ساعد على خمول كثير من الشباب واحجامهم عن اقتحام هذه العلوم وسبر أغوارها . وتركوا ذلك الى قلة متخصصة في فروع هذه العلوم . فأصبح من العسير عليهم ـ ان هم أرادوا العودة الى كتب تراثهم ـ أن يتبينوا أساليب تلك الكتب .

أما المجموعة الثانية من أسباب النفور من علم الأصول ، والتى ترجع الى كتب الأصول نفسها ، فهى تتلخص في أن كتب الأصول القديمة غالباً ما تركز على المناقشات اللغوية واللفظية والمنطقية ، وعلى مناقشة القول ورد المناقشة الخ ـ كما أشرنا ـ مما يبعد بالطالب عن المعنى المقصود أو يجعل من الصعب الخروج بنتيجة واضحة بينة .

كذلك فان كتب الأصول كثيرا ما تقلل من إيراد الأمثلة التطبيقية للقواعد التى تناقشها . فمثلا تورد أحيانا مثالا واحدا لقضية أو قاعدة يكون الكتاب قد ناقشها طويلا . وربما لا تورد في بعض الأوقات أىّ مثال عقب مناقشة طويلة لبعض القواعد . وبذلك يفقد الدارس الجانب التطبيقى للعلم ويصعب عليه الربط بين القواعد الأصولية التى يقرؤها وبين الفقه التفصيلى فيفقد بذلك الهدف الرئيسى من علم الأصول .

فلو أن كتب الأصول زخرت بالأمثلة الكثيرة لكل قاعدة وبالتطبيق على المسائل الفقهية باستفاضة لساعد ذلك على جعل هذه المادة أكثر تشويقاً . ولو أنّ الأستاذ الذى يقوم بتدريس علم الأصول في الجامعات والمعاهد يقوم بتوسيع الجانب التطبيقى وعرضه ومناقشته مع الدارسين لساعد ذلك على أيضا على ايضاح خصوبة هذا العلم ودسامته .

إن أمنيتنا هى أن تميل الكتابات المعاصرة في علم الأصول إلى استجلاء عمق هذه المادة وغزارتها وأن يكثّف العمل في هذا الطريق حتى يدرك طلاب العلوم والمعرفة حقيقة علم الأصول ويكون الاقبال عليه كبيرا كما يكون طوعاً واختياراً . وبذلك يُعطى هذا العلم حقه من الاهتمام . وكما هو معلوم فإنه لاسبيل إلى الاجتهاد الا بادراك تام لهذا العلم .

إقبال العلماء في الماضى بمختلف تخصصاتهم على علم أصول الفقه :

ظل علم أصول الفقه وكذلك علم الفقه محط اهتمام السلمين في الماضى على مر العصور . وظلا في مقدمة العلوم التى يندفع الدارسون لتلقّيها وتدريسها . ولأن مجموع العلمين هو الذى يسترشد به الفرد والمجتمع في التصرفات والمسار وبه تبيّن أحكام أفعال البشر في دنياهم .

وكان عالم الأصول والفقه مقدما على غيره من العلماء لخطورة وأهمية ما يحمله . وهو الذى يولّى أخطر مناصب الدولة وهو القضاء . وهو الذى يهرع اليه الناس في الفتوى لحل مشكلاتهم الفقهية التى تتعلق بدنياهم وأُخراهم . فهو في الحقيقة الموجّه للمجتمع المسلم . ومن هنا كان الحادبون على صلاح المجتمع المسلم يحرصون على دخول ميدان الفقه واصوله حتى يتمكنوا من القيام بدور في توجيه المجتمع . خاصة وقد كان الذى لا يعرف الفقه وأصوله لا يعتبر من ذوى العلم مهما بلغ من المعرفة في كثير من العلوم الأخرى .

ولنستمع إلى الإمام الجليل ابن الجوزى (سنة ٥٩٧ هـ) وهو يتحدث عمّن يشتغلون بعلوم غير علوم الشريعة ثم يقتصرون عليها وهم يفخرون بتلك المعرفة . ونحن لا ننقل كلام ابن الجوزى للتقليل من العلوم الأخرى . ولكن لنوضح وجهة نظر الماضين . خاصة علماءهم ، فيمن يفرط في ادراك الشريعة وأصولها التى على رأسها القرآن الكريم والسنة النبوية . يقول ابن الجوزى :

« قد لبَّس (يعنى ابليس) على جمهورهم (يعنى أهل اللغة والأدب المقتصرين عليهما) فشغلهم بعلوم النحو واللغة من غير المهمات اللازمة التى هى فرض عين عن معرفة ما يلزمهم عرفانه من العبادات وما هو أولى بهم من آداب النفوس وصلاح القلوب وما هو أفضل من علوم التفسير والحديث والفقه . فأذهبوا الزمان كلّه في علوم لا تراد لنفسها بل لغيرها . فإن الإنسان إذا فهم الكلمة فينبغى أن يترقّى إلى العمل بها إذ هى مرادة لغيرها . فترى الانسان منهم لا يكاد يعرف من آداب الشريعة الآ القليل . ولا من الفقه - ومع هذا ففيهم كِبْرٌ عظيم وقد خيل لهم ابليس أنهم من علماء الاسلام . لأن النحو واللغة من علوم الإسلام وبها يعرف معنى القرآن العزيز .

ولعمرى إنّ هذا لا ينكر . ولكن معرفة ما يلزم من النحو لاصلاح اللسان . وما يحتاج اليه من اللغة في تفسير القرآن والحديث أمرٌ قريب وهو أمرٌ لازم . وما عدا ذلك فضلٌ لا يحتاج اليه . وانفاق الزمان مع تحصيل هذا الفاضل . وليس بمهم . مع ترك المهم غلط . وإيثاره على ما هو أنفع وأعلى رتبة كالفقه والحديث غُبنٌ . ولو اتسع العمر لمعرفة الكل كان حسناً . ولكن العمر قصير فينبغى إيثار الأهم والأفضل » (١) .

من حديث هذا الإمام الجليل نلاحظ كيف أنّ المسلمين بما فيهم العلماء . كانوا في العصور السالفة لا يعتدون كثيراً بمن لا يحمل علم الشريعة من العلماء الآ إذا كان ما يحمله من علم في خدمة علوم الشريعة - وهذا حق - .وجماع العلوم الشرعية وخلاصتها هو الفقه وأُصوله .

فالعالم الجليل في اللغة مثلا . في الماضى . كان لابد له من التزود بالعلوم الشرعية وإلا فإن الاعتداد بعلمه سيكون ضعيفاً . وكذلك عالم التاريخ . والكلام . والمنطق الخ الخ .

وبناء على هذه الروح السائدة . وبناء على اهتمام المسلمين عموما بعلوم الشريعة . أراد العلماء المتخصصون في غير الشريعة أن يدخلوا ميدان الشريعة ويدلوا بدلوهم .

ونحن لا نريد أن يفهم من هذا أن هؤلاء العلماء الذين أرادوا أن يلجوا ميدان الشريعة كانت دوافعهم دنيوية . فقد كانت دوافعهم كما هو واضح من أحاديثهم وسيرهم دينية . فهم يريدون خدمة العلم وتقديم ما يحملون من علم للناس . وهم لا يستطيعون تقديم شيء للناس إذا كان الناس لا يعتدون ببضاعتهم .

وقد دخل بناء على ذلك كثير من علماء اللغة وعلماء الكلام ميدان الشريعة . ووجدوا أن أوسع أبواب دخولهم هو علم الأصول . لأن علم الأصول يوضح كيف تفهم ألفاظ القرآن والحديث وعباراتهما . وعمومهما وخصوصهما . والمطلق والمقيّد . والمجمل والمبيّن . ودلالات الألفاظ . واشارات النصوص . والناسخ والمنسوخ . الى غير ذلك من القضايا التى ترتبط بفهم اللغة ارتباطاً تاماً .

وكذلك فإن علم الأصول هو الذى يبيّن فلسفة التشريع . وأهداف الشريعة وأغراضها وعللها ومبادئها . ومكان العقل البشرى من الشريعة ويبيّن اجمالا ما يوجب الثواب والعقاب عن أفعال العباد .

---

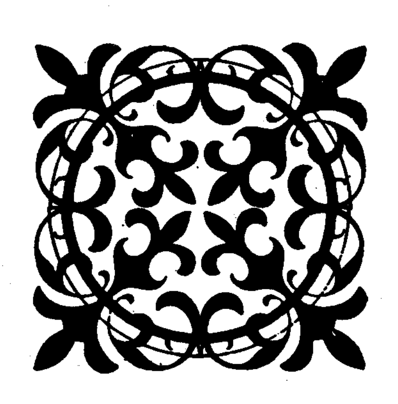
(١) ابن الجوزى تلبيس ابليس ص ١٢٦ .

ويبيّن الدليل والبرهان والحد والرسم والقياس . ويبيّن أساس تشريع الأحكام ومدخل حسن الأفعال وقبحها العقليين في ذلك . وغير ذلك من القضايا المتعددة التى ترتبط بعلم الكلام والمنطق والعقيدة ·

لهذا فقد وجدنا كثيرا من علماء اللغة والكلام والمنطق قد ولجوا علم الأصول ـ وألفوا فيه كتباً وأبرزوا فيه قدراتهم اللغوية والمنطقية والعقلية .

ومن هنا برزتْ قضايا الكلام واللغة بصورة واضحة في بعض المؤلفات مما دعا بعض كتاب الأصول المعاصرين الى القول : إنّ بعض القضايا الكلامية وردت في كتب الأصول من غير حاجة إلى إيرادها غير رغبة علماء الكلام في ابرازها ليمارسوا قدراتهم الكلامية .

ومن غير علماء اللغة والكلام فقد كان هنالك علماء في ميادين أُخري دخلوا ميدان علوم الشريعة ـ وكان مدخلهم هو علم أُصول الفقه لأنهم وجدوه يتصل بعلومهم التى أتقنوها ووجدوه علماً خصباً .



نظام الضرائب في الإسلام

د. أحمد جابر علي الأزرق
أستاذ مشارك بكلية الشريعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وبعد :

فإن مما عُنيت به الشريعة الاسلامية عناية كبيرة الشئون المالية ، حيث وضعت لها سياسة رشيدة عادلة راعت فيها تحقيق العدالة في كل من جمع المـــال من أربابه ، وصرفه في مصارفه . وإن الباحث ليجد في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفيما خلفه لنا الأئمة المجتهدون من الثروة الفقهية الغنية أصدق شاهد على عدالة تلك السياسة المالية .

أساس وضع الضريبة في الاسلام :

الضريبة فعيلة بمعنى مفعولة وهى : ما يقرره السيد على عبده في كل يوم أن يعطيه ، وقد ترجم لذلك الإمام البخارى في صحيحه بقوله : باب ضريبة العبد وتعاهد ضرائب الإماء ثم ذكر حديث أنس رضى الله عنه قال ، حجم أبو طيبة النبى صلى الله عليه وسلم فأمر له بصاع أو صاعين فكلم مواليه فخفف عن غلته أو ضريبته (١)؛

وفي القاموس المحيط : الضريبة واحدة الضرائب التى تؤخذ في الجزية ونحوها وعلة العبد .

أما أساس وضع الضريبة في الشريعة الاسلامية فيتضح لنا من استقراء حكمة تشريع الموارد المالية التى نطق بها القرآن الكريم ، وحدثتنا عنها السنة النبوية وجرت على ألسنة الأئمة المجتهدين.

والذى يؤخذ من نصوص الكتاب والسنة . ووجهة النظر التى أبانها كبار الصحـــابة في اجتهادهم أن الأســـاس الذى بنيت عليه الموارد المالية هو : توفير ما تتطلبه المصالح العامة من النفقات ، وتأمين أرباب الأموال على أنفسهم وأموالهم . وتحقيق التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع .

فالضرائب إذا في نظر الشارع الحكيم هى واجبات ألزم بها الأفراد في مقابل تمتعهم بالحقوق وتتمثل الضرائب الاسلامية فيما يأتى :

١ ـ ضريبة الأموال المنقولة وهى تشمل : (١) زكاة النقدين ـ الذهب والفضة ـ وزكاة عروض التجـارة ، وزكاة السائمة من بهيمة الأنعام .

٢ ـ ضريبة الأرض الزراعية وهى تشمل العشر ، ونصف العشر ، والخراج .

---

(١) انظر جـ ٥ من صحيح البخارى مع شرحه للقسطلانى ص ٦٥٤ ط دار الطباعة العامرة مصر .

٣ - ضريبة الأشخاص التى تؤخذ من أهل الذمة وهى الجزية . ويمكن أن تلحق زكاة الفطر بهذا الباب .

٤ - ضريبة العشور . وهى الرسوم الجمركية التى تؤخذ على الصادر من البلاد الاسلامية والوارد اليها .

٥ - خمس الغنائم .

٦ - خمس ما يعثر عليه من المعادن والركاز في باطن الأرض .

وهذه الضرائب كما ذكرنا هى واجبات ألزم بها الأفراد نظير تمتعهم بالحقوق ، ففى الزكاة يقول الحق سبحانه : « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** » (١) .

ويقول جل شأنه « **والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** » (٢) .

فالزكاة فيها تطهير للنفوس من دنس الشح والبخل ، وفيها تنمية وغرس للفضائل والأخلاق الكريمة في النفوس ، وفيها أيضا حماية لأرباب الأموال على أنفسهم وأموالهم من حقد المعوزين وأطماعهم .

وفي صرف الزكاة الى الأصناف الثمانية التى بينها الله تعالى في كتابه الكريم ما يوحى بالهدف الأسمى الذى توخاه الشارع الحكيم من فرض هذه الفريضة العظيمة .

والآية الكريمة التى حددت مصارف الزكاة بدأت بذكر الفقراء والمساكين ، وتقديمهما في الذكر يدل على عناية الاسلام بهما ، لأن هذا الصنف من الناس قلما يخلو منه مجتمع من المجتمعات وهو كثيراً ما يهدد بحاجته المجتمع في أمنه واستقراره فإن ثورة الفقر عارمة ، فبالزكاة تسدّ حاجة هذا الصنف ، ويطهر قلبه من الحقد والحسد فيعيش متعاونا مع إخوانه الأغنياء الذين شعر منهم بالعطف والرحمة ، قال تعالى وإنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها . والمؤلفة قلوبهم . وفي الرقاب . والغارمين . وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (٣) .

ومن مصارف الزكاة العاملون عليها وهم : السعاة الذين يبعثهم الامام لأخذها من أربابها ، وجمعها . وحفظها ونقلها ومن يعينهم في ذلك ممن يسوقها ويرعاها ويحملها . ويدخل فيهم الكاتب والحارس . والقاسم .

وقد حرص الاسلام على أن يقوم العامل بعمله مقابل أجر يتناسب والعمل الذى قام به وبهذا يتحقق الحافز المادى الذى يجعل العامل يخلص في عمله ويجتهد فيه ويؤديه على أكمل الوجوه وأحسنها . ومن هنا يظهر لنا أن الشريعة الاسلامية كان لها فضل السبق في تقرير هذا المبدأ العظيم .

وفي صرف الزكاة الى المؤلفة قلوبهم رجاء تأييدهم ، واتقاء كيدهم ، والى الغزاة في سبيل الله المقاتلين للأعداء الزائدين عن الدين والوطن . ما يوحى بأن من أغراض الزكاة تمكين ولاة الأمر من

(١) التوبة الآية ١٠٣

(٢) سورة المعارج الآية : ٢٤/٢٥

(٣) التوبة الآية : ٦٠

القيام بما عهد اليهم من الدفاع عن العقيدة . والدعوة اليها بالترغيب في الاسلام من طريق نشر محاسنه . ودحض المفتريات والشبه التى يثيرها أعداء الاسلام .

ومما ينبغى الوقوف عنده والإشادة به اهتمام الإسلام بمحاربة تلك المشكلة التى كانت ظاهرة متفشية في المجتمعات السابقة للاسلام لا سيما في جزيرة العرب إلا وهى مشكلة الرق » وقد بدأ الاسلام بمعالجة هذه المشكلة بوسائل شتى منها . أنه خصص جزءاً من ميزانية الزكاة لتحرير الرقاب . وذلك بأن يشترى من السهم المخصص لفك الرقاب عبيد ويعتنقون . ويعان منه المكاتبون . وبذلك تكون الدولة الاسلامية أول دولة حاربت الرق . وحسبها أنها خصصت جزءاً من الزكاة لفك الرقاب .
وفي قضاء دين المدين العاجز عن الوفاء من الزكاة إبقاء للثقة بين الناس . وتنمية لروح التعاون والتضامن بين الأفراد .

أما الجزية فقد وجبت على غير المسلمين كما وجبت الزكاة على المسلمين في مقابل تمنعهم بحقوقهم . وأمانهم على أنفسهم وأموالهم . لأن أهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ ينتفعون بمرافق الدولة العامة كما ينتفع المسلمون . ثم هم لا تجب عليهم الزكاة الواجبة على المسلمين . لأنها وجبت على وجه العبادة وهم ليسوا أهلا لها لعدم الاسلام . فأوجب الله عليهم الجزية بدلا من الزكاة . قال تعالى **« قالوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (١) .**
فهى كسائر الضرائب الاسلامية واجب في نظير حق .

وأما ضريبة الخراج . فقد وضعت على الأرض التى أقر عليها أهلها من غير المسلمين وتركت بيدهم يستغلونها وينتفعون بها . وأول من فعل ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه في خلافته عندما استولى المسلمون على سواد العراق عنوة . وكتب قائد جيش المسلمين في موقعة القادسية سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بذلك مستشيرا أياه في أمر أراضى سواد العراق . وكانت تعتبر في ذلك الوقت من أخصب بلاد الدنيا . وكان سعد بعد أن أتم الله النصر للمسلمين قام بقسمة الغنائم بين المجاهدين ما عدا الأرض فانه توقف في قسمتها . وكتب بذلك كتابا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب طالبا رأيه في ذلك . وبعد أن وصل الكتاب الى عمر ـ رضى الله عنه ـ استشار في ذلك كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار . وبعد حوار طويل استقر رأى عمر ووافقه مجلس شوراه الذى كونه لذلك على ترك الأراضى بيد أهلها . وفرض عليهم فيها الخراج ووضع على رقابهم الجزية (٢) .
ولم تكن ضريبة الخراج معروفة في عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا في عهد خليفته الأول أبى بكر الصّديق رضى الله عنه . فعمر ـ رضى الله عنه هو أول من اجتهد في فرضه . قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : وانما كان الخراج في عهد عمر رضى الله عنه (٣) .

---

(١) سورة التوبة الآية : ٢٩

(٢) انظر ما جرى بين عمر ومجلس الشورى من حوار في كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٣١/٢٩ط السلفية .

(٣) انظر كتاب الاستخراج في أحكام الخراج لابن رجب الحنبلى ص / ٧ ط أولى .

وروى أبو يوسف عن عامر الشعبى رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه - مسح السواد فبلغ ستة وثلاثين ألف ألف جريب ٠ وأنه وضع على جريب الزرع درهما وقفيزا ، وعلى الكرم عشرة دراهم ، وعلى الرطبة خمسة دراهم ، ووضع على الرجل - يعنى في رقبته - اثنى عشر درهما ٠ وأربعة وعشرين درهما وثمانية وأربعين درهما (١) ٠

وقد راعى عمر رضى الله عنه في وضع الجزية درجة يسار كل شخص ٠ فجعلها على ثـــلاث درجـــات :

١ - غنى موسر عليه ثمانية وأربعون درهما في العام . ومتوسط في حالته عليه أربعة وعشرون وفقير يعمل عليه اثنا عشر درهما في السنة ، كما أنه راعى في وضع الخراج على الأرض ما تحتمله ويطيقه أهلها٠

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعل بأرض الشام حين فتحت مثل ما فعل بأرض العراق وكذلك فعل بمصر ٠

يقول العلامة السَرَخْسى:واعتمد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيما صنع بسواد العراق على السنة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : منعت العراق درهما وقفيزها ومنعت الشام مُدْيَها ودينارها ، ومنعت مصر إرْدَبَّها ودينارها ٠ وعدتم من حيث بدأتم ٠ قالها ثلاثا (٢) ٠

قال أبو عبيد : معنى هذا الحديث والله أعلم أن هذا كائن وأنه سيمنع بعد في آخر الزمان . قال : وفي هذا الحديث تقوية وحجة لعمر فيما فرضه على أرض سواد العراق من الدرهم والقفيز . قال : فاسمع قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم في الدرهم والقفيز كما فعل عمر بالسواد وهذا هو التثبت (٣) .

وقال الامام الخطابى : معنى هذا أن ذلك كائن وأن هذه البلاد تفتح للمسلمين ويوضع عليها الخراج شيئا مقدراً بالمكاييل والأوزان ، وأنه سيمنع في آخر الزمان وخرج الأمر في ذلك على ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم . وبيان ذلك ما فعله عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بأرض السواد فوضع على كل جريب عامر أو غامر درهما وقفيزا (٤) ٠

وهذا الحديث من أعلام النبوة لإخباره صلى الله عليه وسلم بما سيكون من ملك المسلمين لهذه الأقاليم ووضعهم الجزية والخراج عليها ٠ كما يقول الامام الشوكانى (٥) ٠

وكما أن المسلم يجب عليه العشر أو نصفه في الخارج من أرضه فالكتابى يجب عليه الخراج فيما تنتجه أرضه ٠ وكلا من الزكاة والخراج إنما وجب بصفة المؤنة للأرض ؛ لأن بقاء الأرض بأيدى ملاكها يستغلونها وينتفعون بها موقوف على جهود كبيرة تبذل لشق الأنهار ، وتعبيد الطرق ، وبناء الجسور ، ثم

---

(١) انظر الخراج لأبى يوسف ص ٤٢ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبى هريرة وأبو داود انظر جـ ٤ من معالم السنن للخطابى بذيل مختصر السنن للمنذرى ص ٢٤٨ .

(٣) انظر كتاب الأموال لأبى عبيد ص ٧٢/٧١ ط امبابى بالقاهرة .

(٤) انظر جـ ٥ من معالم السنن للخطابى ص / ٢٤٨ .

(٥) انظر جـ ٨ من نيل الأوطار للشوكانى ص / ١٧ ط ٠ الحلبى .

إن أربابها لا ينتفعون بما تخرجه إذا لم تعين الدولة من يأخذ على أيدى المعتدين ، ويحفظ الأمن ويصون النظام . وبما أن هذه الأعمال التى تقوم بها الدولة مسخرة لمنفعة أرباب الأملاك ، وجب أن تكون نفقة من يقومون بها في غلات الأرض وخراجها .

وأما العشور التى تؤخذ في البلاد الاسلامية على عروض التجارة الواردة اليها . والصادرة منها . فأساسها تبادل المعاملة بالمثل بين البلاد الاسلامية وغيرها من البلدان .

وسمى الفقهاء العامل الذى يقوم بأخذ العشور : العاشر . لأن ما يأخذه يدور على العشر . فانه من المسلم ربع العشر . ومن الذمى نصف العشر . ومن الحربى العشر ان لم يعلم ما يأخذون منا .

ومما ينبغى في العمال الذين ينصبون لجباية العشور أن يكونوا أولى بأس ومنعة ، ليؤمّنوا التجار من اللصوص وقطاع الطرق ويحموهم منهم . وفي مقابل تلك الحماية ساغ لهم جباية رسوم على ما يمر به التجار من أموال ظاهرة أو باطنة تختلف في صفتها ، وقدرها تبعا لاختلاف الشخص المار بها . فهى من المسلم زكاة ومن الذمى جزية . ومن الحربى جزاء الحماية .

وأما ما يؤخذ غنيمة بالقتال فقد فرض خمسة لمصلحة عامة بينتها آية الأنفال .

قال تعالى « **واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ، ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل** » (١) .

وفي تخصيص هذا الخمس لمن سمى الله تعالى رعاية للمصلحة العامة . وتزكية لنصيب الغانمين حتى لا يحقد عليهم الضعفاء والمحتاجون .

أما الخمس الذى يؤخذ من المعادن والركاز فإنه يصرف في مصارف الزكاة التى مرجعها الى المصلحة العامة .

وهكذا نرى أن الأساس في هذه الضرائب الاسلامية هو تكوين مال للدولة تستعين به على القيام بواجباتها . والوفاء بالتزاماتها .

شرائط الضريبة العادلة :

لا شك أن جبالية الضريبة من الأفرد فيها استيلاء على جزء من مالهم وحرمان لهم من التمتع به . وهذا الحرمان إنما رخص فيه لأن الضرورة قضت به إذ لا يمكن القيام بالمصالح العامة بدونه . ومن القواعد المقررة أن الضرورة تقدر بقدرها . فيجب ألا يتجاوز بالضرورة القدر الضرورى . وأن يراعى في وضعها وطرق تحصيلها مما يخفف وقعها .

وقد وضع بعض علماء الاقتصاد في العصور الحديثة قواعد ثابتة لجباية الضرائب (٢) وتقديرها . وطرق تحصيلها . وموعد جبايتها . وأصبحت هذه القواعد المقياس الذى تقاس به صلاحية الضريبة . وسلامة النظام المالى كله . وأولى هذه القواعد :

---

(١) انظر سورة الأنفال الآية : ٤١ .

(٢) تنسب هذه القواعد الى أحد كتاب القرن الثامن عشر وهو آدم سميث . ويرجعها بعضهم الى غيره وفات هؤلاء أن الاسلام وضع هذه المبادىء والتزامها فيما فرضه من ضرائب .

قاعدة العدالة :

والمقصود بها : أن يكون اشتراك كل مكلف في نفقات الدولة متناسبا مع قدرته ويساره . أى أن يكون اشتراكه بنسبة الدخل الذى يتمتع به في ظل الدولة .

القاعدة الثانية ـ اليقين : ومعناها : أن الضريبة التى تفرض على كل فرد يجب أن تكون واضحة معلومة من حيث موعد الدفع . وكيفيته ومقدارها يدفع بحيث لا يتطرق الى ذلك أى شك .

القاعدة الثالثة ـ الملاءمة : ويقصد بها أن تكون جباية الضريبة في أكثر الأوقات ملاءمة للمكلف ، وبالكيفية المتيسرة له أكثر من غيرها .

القاعدة الرابعة ـ الاقتصاد : ومعناها : الاقتصاد في نفقات الجباية فتفضل الضرائب التى تقل نفقات جبايتها على الضرائب التى تكثر نفقات جبايتها ، حتى يكون الفرق بين ما يخرج من خزائن المكلفين وما يدخل في خزائن الدولة أقل فرق مستطاع .

والى هذه القواعد الأربعة أضاف بعض علماء الاقتصاد قواعد أخرى بعضها متفرع عنها ، وبعضها مكمل لها ، وأهم هذه القواعد : أن كل ضريبة يجب ألا تقع إلا على الدخل لا على رأس المال ، وعلى صافي الدخل لا على جملة الناتج لتكون الضريبة من ثمرة المال ، ولا بكون من عوامل نقص أصله ، وأن الضرائب يجب ألا تمس الدخل الضرورى لحياة المكلف ، فالحد الأدنى للمعيشة يجب أن يعفى من كل تكليف .

هذه هى القواعد والشروط التى التزمها علماء المالية في شأن الضرائب .

واذا نظرنا في الضرائب الاسلامية وعن مدى موافقتها لهده القواعد وجدنا أن الضرائب الاسلامية تجارى أحدث الأنظمة المالية في العصر الحديث .

فالعدالة التى هى أولى القواعد مطلب الشارع الحكيم ، وهذه القاعدة مراعاة في جميع الضرائب التى فرضها الاسلام .

ففى الزكاة يجب العشر ، أو نصفه . وهو مقدار نسبى ولا فرق في هذا بين مال ومال ولا بين شخص وشخص . وهذا خلاف ما كانت تسير عليه التشريعات الغربية القديمة التى كانت تعفى من الضريبة طبقة النبلاء ورجال الدين .

وحدد التشريع الاسلامى في الزكاة نصابا معينا فان بلغه المال أخذ منه الواجب بنسبة محددة ، والا فهو عفو .

وضريبة الجزية لا يطالب بها إلا الغنى القادر ، ولا يؤخذ من أحد إلا ما يناسب ماليته ودرجة يساره . وبذلك صدر أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ولاته في مختلف أقاليم الدولة ، وجعلها على ثلاث درجات : ثمانية وأربعين درهما . وأربعة وعشرين . واثنى عشر درهما على قدر إقلال الرجل واكثاره [1] .

---

(١) انظر كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٤٣ ط السلفية .

وكذلك ضريبة الخراج التى فرضها عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ على الأراضى التى فتحت في عهده ورأى عمر ابقاءها بيد أهلها . راعى في وضع الخراج عليها منتهى العدل والرفق بأهل الأرض كل على قدر طاقته . وما تحتمله الأرض من جودة يزكو بها زرعها . أو رداءة يقل بها انتاجها . وفي هذا يحدثنا القاضى أبو يوسف ـ رحمه الله فيقول : بعث عمر رضى الله عنه حذيفة بن اليمان على ما وراء دجلة . وبعث عثمان بن حنيف على ما دونه . فأتياه فسألهما كيف وضعتما على الأرض لعلكما كلفتما أهل عملكما مالا يطيقون . فقال حذيفة : لقد تركت فضلا . وقال عثمان : لقد تركت الضعف ولو شئت لأخذته . فقال عمر عند ذلك : والله لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعنهم لا يفتقرون لأمير بعدى (١) .

أما قاعدة اليقين فإنا نراها ماثلة في جميع الضرائب الاسلامية .

فمقدار الواجب . وموعد الدفع . وكيفيته كل ذلك معلوم علما يقينيا في كل الضرائب .

فموعد أداء الواجب حين يحول الحول على المال في الزكاة والخراج . وعلى الشخص في الجزية . ويوم الحصاد في العشر ونصف العشر .

وجعل الشارع أداء الحق موكولا الى رب المال في الأموال الباطنة . لأن في عدها على صاحبها حرجا واضرارا به . والستر على الناس من محاسن الشريعة الاسلامية فوكل الى رب المال الباطن أن يؤدى الواجب الذى عليه بوازع من دينه .

وطلب الى ولاة الأمور أن يراعوا في تحصيل الأموال من أربابها وصرفها في مصارفها ما يقضى به العدل والرفق .

وقد حرص القاضى أبو يوسف ـ رحمه الله ـ أن يؤكد هذا المعنى لأمير المؤمنين هارون الرشيد ويشير به عليه يقول أبو يوسف مخاطبا لهارون الرشيد في شأن من يوليه جباية الخراج : وتقدم الى من وليت ألاَّ يكون عسوفا لأهل عمله . ولا محتقرا لهم . ولا مستخفا بهم ولكن يلبس لهم جلبابا من اللين يشوبه بطرف من الشدة والاستقصاء من غير أن يظلموا . أو يحملوا مالا يجب عليهم . وأن تكون جبايته للخراج كما يرسم له وترك الابتداع فيما يعاملهم به . والمساواة بينهم في مجلسه ووجهه حتى يكون القريب والبعيد . والشريف والوضيع عنده في الحق سواء (٢) .

وأما قاعدة الملاءمة والاقتصاد فتقتضيهما المصلحة العامة التى يترسمها الشارع أينما وجدت . فقد روعى في تحصيل الضرائب الاسلامية وموعد جبايتها أكثر الأوقات ملاءمة للدافعين تيسيرا لهم ورحمة بهم .

وكانت الضرائب الاسلامية لا تكلف الدولة في النفقات على جبايتها الا الشيئ القليل . الأمر الذى يختلف عما تسير عليه كثير من الدول في العصر الحاضر حيث تعين لجمع الضرائب عدداً من الكتبة . والمحصلين . والمراجعين وغيرهم ممن يمكن الاستغناء عن بعضهم وليس هناك حاجة لبقائهم .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٣/٤٤ .

(٢) انظر كتاب الخراج لأبى يوسف ص ١٢٧ / ١٢٨ المطبعة الحلبية .

والشروط التكميلية التى أضافها بعض علماء المالية نجدها أيضا متحققة فيما جاء به التشريع الاسلامى . فاشترط أن تكون الضريبة في صافى الدخل لا في أصول المال هذا الشرط مراعى في كل الضرائب الاسلامية .

فمن شروط الزكاة أن يكون المال الذى تجب فيه ناميا ، وأن يحول عليه الحول الذى هو مظنة انتاجه وإثماره ، ومظنة لأن يكون أداء الزكاة منه من الثمرة لا من الأصل والخراج لا يؤخذ إلا من أرض أمكن زرعها ، بل يروى عن الامام مالك ـ رحمه الله ـ أنه لا يجبى إلا من أرض مزروعة بالفعل . أما إذا ترك ربها زرعها ولو مختارا فلا يؤخذ منها الخراج . وانما شرط زرعها ، أو امكان زرعها لتكون الضريبة من ثمرتها ونمائها والعشر . ونصف العشر في الزكاة . إنما يؤخذان من الثمر والزرع بعد بدوّ صلاحه واشتداده .

فمبادىء العدالة ، والاقتصاد ، واليقين ، والملائمة ، وغير ذلك مما ذكره علماء المالية والاقتصاد كل ذلك متحقق في النظام الضريبى في الاسلام . مما يدل على أنه نظام بلغ الغاية في الدقة ، وتوخى العدالة (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) .

وقد سبق التشريع الاسلامى إلى تقرير مبدأ يعتبر من المبادىء الأساسية في علم الضرائب وهو مبدأ عدم تعدد الضرائب ، وشرح فقهاء الاسلام حدود هذا المبدأ فقالوا: لا يجوز ايجاب زكاتين في حول واحد ، وبسبب واحد .

ومما يلاحظ في أمر الضرائب الاسلامية ، أن الاسلام لم يكتف ببيان أحكام الضريبة ، بل حرص على التدقيق في اختيار رجال الضرائب الذين يقومون بجمعها ممن تجب عليهم ، لأن العدالة في نظر الاسلام ليست في سن التشريع فقط بل هى مراعاة في حسن تطبيقه ، ولذلك نرى القاضى أبو يوسف في كتابه « الخراج يولى عناية كبيرة لمتولى جباية الخراج ، ويدقق في أمر من يختار لهذه الوظيفة .

يقول أبو يوسف مخاطبا لهارون الرشيد الذى طلب منه وضع كتاب يسير على هديه في السياسة المالية للدولة يقول : « ورأيت أبقى الله أمير المؤمنين أن تتخذ قوما من أهل الصلاح والدين ، والأمانة ، فتوليهم الخراج ، ومن وليت منهم فليكن عالما مشاورا لأهل الرأى ، عفيفا لا يطلع الناس منه على عورة ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، ما حفظ من حق وادى من أمانة احتسب به الجنة ، وما عمل به من غير ذلك خاف عقوبة الله فيما بعد الموت ... الى أن قال : وتقدم الى من وليت ألا يكون عسوفا لأهل عمله ، ولا محتقراً لهم ، ولامستخفابهم ، ولكن يلبس لهم جلبابا من اللين يشوبه بطرف من الشدة والاستقصاء من غير أن يظلموا أو يحملوا مالا يجب عليهم (١) .

هذا وأن العدل في الضرائب الاسلامية ، وإحاطتها بالشرائط الاقتصادية كان من أقوى الأسباب التى ساعدت المسلمين على فتح البلدان ، وتثبيت أقدامهم فيها والتفاف أهل البلاد المفتوحة حولهم ، وحبهم لهم ، لا سيما البلاد التى كانت تقع تحت سيطرة الرومان والفرس ، فقد كان أهل تلك البلاد يئنون من

---

(١) انظر كتاب الخراج لأبى يوسف ص ١٢٨/١٢٧ و ط السلفية .

وطأة الضرائب الفادحة . والمعاملة القاسية التى كانوا يعيشون فيها .

وأصدق شاهد على ذلك ما روى البلاذرى : أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين إقبالهم اليهم لوقعة « اليرموك » ردوا على أهل حمص ما كانوا أخدوا منهم من الخراج . وقالوا : قد شغلنا عن نصركم والدفع عنكم . فأنتم على أمركم فقال أهل حمص : لولا يتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب ونجهد . فاغلقوا الأبواب وحرسوها . وكذلك فعل أهل المدن التى صولحت من اليهود والنصارى () .

فالرومان والفرس كانوا قد أرهقوا بالضرائب . وحملوهم مالا يطيقون . ولم يرحموا أحداً . ولم ينقذ الناس من ظلمهم إلا الفتح الاسلامى الذى كان عدلا ورحمة لجميع الناس .

وهذه الضرائب الاسلامية التى تحدثنا عنها من زكاة . وجزية . وغنائم . وخراج . وعشور . كانت تمثل أهم موارد بيت المال المسلمين (خزانة الدولة الاسلامية) مضافا اليها ما يعثر عليه من معادن وركاز . والتركات التى لا وارث لها . ومال الضوائع وكل مال لا يعرف له مالك فمآله الى بيت مال المسلمين .

وقد يسأل بعض الناس قائلا : إذا كان دخل الخزانة العامة للدولة الاسلامية منحصراً في هذه الموارد . فهل تجيز الشريعة الاسلامية فرض ضرائب أخرى إذا لم تَفِ هذه الموارد بحاجة الدولة الاسلامية . والجواب على ذلك : نص كثير من علماء الاسلام على أنه لا مانع من فرض ضرائب عادلة إذا ادعت لذلك ضرورة ملحّة . وليس في بيت المال ما يكفى لسدها .

وقد ذكر ابن العربى المالكى والقرطبى اتفاق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فانه يجب صرف المال اليها . ونقلا عن الامام مالك ـ رحمه الله ـ قوله يجب على الناس فداء أسرهم وان استغرق ذلك أموالهم (٢) .

ونص الامام الغزالى والشاطبى على أنه إذا خلى بيت مال المسلمين من المال جاز للامام ـ ولى الأمر ـ أن يفرض على الأغنياء ما يراه كافيا .

يقول الشاطبى في الاعتصام : إذا قررنا إماماً مطاعا مفتقرا إلى تكثير الجنود لسدّ الثغور . وحماية الملك المتسع الأقطار . وخلا بيت المال . وارتفعت حاجات الجند الى مالا يكفيهم فللإمام اذا كان عدلا أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافيا لهم ـ أى الجند ـ في المال إلى أن يظهر مال بيت المال .

ثم يبين الامام الشاطبى أن هذا الأمر لم ينقل عن أهل الصدر الأول . لأن مافي بيت المال كافيا لسدّ نفقات الدولة . لكثرة الايرادات . والقصد في المصروفات فكانت رواتب العمال والولاة لا تتجاوز حدَّ الكفاية . والجند كان يكفيهم القليل والخلفاء أنفسهم كانوا متعففين عن أموال المسلمين . وكان ولاتهم على الأمصار والأقاليم متمسكين بدينهم يحذرون الإسراف في مال الدولة . ولا يضيعون مال الجباية في غير

---

(١) انظر فتوح البلدان للبلاذرى ص ٤٤/١٤٣ ط الأولى .

(٢) انظر جـ ١ من أحكام القرآن لابن العربى ص ٥٩/٦٠ ط الحلبى و جـ ٢ من تفسير القرطبى ص ٢٢٣ ط الأولى دار الكتب .

المصالح العامة . ولذلك حسنت حالة الدولة المالية . ولم تكن بها حاجة الى فرض ضرائب يقول الشاطبى وانما لم ينقل مثل هذا عن الأولين . لاتساع بيت المال في زمانهم بخلاف زماننا . فان القضية فيه أحرى ووجه المصلحة هنا ظاهر . فإنه لو لم يفعل الإمام ذلك النظام بطلت شوكة الإمام . وصارت ديارنا عرضه لاستيلاء الكفار . وانما نظام ذلك كله شوكة الإمام بعدله . فالذين يحذرون الدواهى لو تنقطع عنهم الشوكة . يستحقرون بالاضافة اليها أموالهم كلها . فضلا عن اليسير منها . فاذا عوض هذا الضرر العظيم بالضرر اللاحق بهم . بأخذ البعض من أموالهم فلا يتمارى في ترجيح الثانى على الأول . وهو مما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر في الشواهد » .

ونفس هذا المعنى ذكره الامام الغزالى في كتابيه شفاء الغليل والمستصفى (١) .

ويقول ابن حزم في كتابه المحلى : « إنه يجب على أغنياء كل بلدة أن يقوموا بفقرائهم . ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم . فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه . ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك . وبمسكن يكنّهم من المطر . والصيف . وعيون المارة (٢) .

هذا وان ما ذكرته من بعض أوجه الشبه بين النظام الضريبى في الاسلام والنظم الضريبية في عصرنا الحاضر لم أقصد منه عقد مقارنة بين ما جاء به الاسلام وما عرف في العصر الحديث . فان هذا الباب واسع . وانما أردت أن أبيّن أن الاسلام بتعاليمه السمحة . وتشريعاته الحكيمة . كان له فضل السبق في كثير مما يظنه الناس أنه وليد الحضارة الحديثة .

وقد كانت السياسة المالية التى انتهجها الاسلام سياسة رشيدة عادلة حققت الخير الكثير للمجتمع الاسلامى في صدر الاسلام . ولمن كانوا يعيشون في ظله الوارف من غير المسلمين .

وما أحوج المسلمين اليوم في أن يعودوا الى تعاليم دينهم ليتمسكوا بها حتى يكونوا كما وصفهم الله جل شأنه بأنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . ويؤمنون بالله .

والله ولى التوفيق وهو الهادى إلى أقوم طريق .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) انظر شفاء الغليل للامام الغزالى ص ٢٣٦/٣٧ط بغداد تحقيق د . الكبيسى و جـ ١ من المستصفى ص ٣٠٣ .

(٢) انظر جـ ٦ من كتاب المحلى لا بن حزم ص ١٥٦ ط منير .


سيرة
و
تاريخ



الدولة الإسلامية الأولى

تأسيسها وعوامل نجاحها

د . محمد السيد الوكيل وكيل كلية الحديث

١ ـ الهجرة :

أمعن أهل مكة في اضطهاد المؤمنين ، وزادوا في تعذيبهم ، وسدوا المسالك في وجوههم ، فلم يعد أمامهم سبيل إلى النجاة الا بترك بلادهم وأموالهم وعزم المسلمون المعذبون على أن يشتروا عقيدتهم بما يملكون من متاع الدنيا ، وأن يضحوا في سبيلها بكل شيء ، ولو كان ذلك الشيء هو الوطن الغالى على النفوس ولو كان هذا الشيء هو الأهل الذين هم أعز شيء في الدنيا على الانسان ، ذلك لأن الأرض ، والناس الذين يعيشون عليها لم تعد وطن المؤمن ، ولا سكانها أهله فقد جعل الاسلام معالم جديدة للوطن والأهل ، وتركزت تلك المعالم في قلوب المؤمنين .

لقد أصبح وطن المؤمن هو العقيدة التى يؤمن بها ، وأصبح أهل المؤمن واخوانه هم أولئك الذين يعتنقون تلك العقيدة ، ويشاركونه سراءه وضراءه . إن عقيدة المؤمن أعز عليه من الأرض والأهل . وما الأرض ؟ ؟ إنه يستطيع أن يجدها في كل مكان يحل فيه . وما الأهل ؟ إنه سيجد في إخوانه المسلمين عوضا عمن فارق من الأهل ، ولكنه لن يجد عوضا عن عقيدته إذا فقدها .

من أجل هذا ضحى المسلمون بالوطن والأهل والمال والولد فرارا بدينهم وعقيدتهم ولكن إلى أين يتجهون ؟ فليذهبوا الى الحبشة فإن فيها ملكا لا يضام من نزل بجواره وكانت الحبشة هى وجهة القوم ، وهناك وجدوا الأمن والسلام ، وراحة الجسم وهدوء البال ، ولكنهم مع ذلك لم يجدوا بغيتهم ، فليست الغاية من الهجرة الخلود الى الراحة واقتناص فرص الأمن والطمأنينة ، وإنما هى خطوة ايجابية لنشر الدعوة ، وتثبيت العقيدة ، وإقامة الدولة التى هى أمل المؤمنين ، وليست أرض الحبشة ميدانا لهذا العمل الجليل ، لقد خبروها بأنفسهم ، وعاشوا فيها بطاقاتهم ، فلم يجدوا فيها من الدلائل ما يبشر باستعدادها لتحتضن تلك الدولة ، وتمنحها فرص الحياة .

لقد ثار أهلها على النجاشى لما سمعوا منه ما يدل على تصديقه للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكيف يسمحون بنشر الدعوة وإقامة الدولة ؟ ؟ لا بد من البحث عن مكان صالح يلجأ إليه المهاجرون .

وكان موسم الحج ، وكان لقاء العقبة ، وسنحت يومئذ الفرصة فاهتبلها المسلمون ، وأرسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مصعب بن عمير ـ رضى الله عنه ـ مع أهل يثرب يعلمهم القرآن ، ويفقههم في الدين ، وفتحت يثرب ذراعيها للوافدين من المؤمنين .

٢ ـ عقبات في الطريق :

لم يرض أهل مكة أن يخرج المسلمون منها الى أى مكان ولو تركوا أموالهم وديارهم ، لذلك وضعوا العقبات في طريق المهاجرين ، وحالوا بينهم وبين ما يريدون ، واستعملوا في منعهم شتى الحيل .

فعندما أراد صهيب بن سنان الهجرة تصدوا له ، وقالوا : أتيتنا صعلوكا حقيرا،فكثر مالك عندنا،وبلغت الذى بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى ، أتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنى جعلت لكم مالى .

وهذا عياش بن أبى ربيعة ، هاجر ، وبلغ المدينة ، ولكن أهله لم يسكتوا على ذلك ، فخرج في إثره أبو جهل ابن هشام ، وأخوه الحارث بن هشام ـ وكان عياش ابن عمهما وأخوهما لأمهما ـ فلما قدما المدينة احتالا عليه ، وقالا : إن أمك قد نذرت ألا يمس رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فانخدع عياش بحيلتهما رغم نصيحة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ له وسار معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق أوثقاه وربطاه ، وعادا به إلى مكة وفتناه ، ودخلا به مكة نهارا موثقا ، وقالا : ياأهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهائكم ، كما فعلنا بسفيهنا هذا

ولما أراد أبو سلمة أن يهاجر رحل بعيره ، وحمل عليه زوجته ومعها ابنها سلمة وهم بالخروج فرآه قوم أم سلمة ، فقالوا له : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه ؟ علام نتركك تسير بها في البلاد ؟

ونزعوا خطام البعير من يده ، وأخذوا منه زوجه ، فلما رأى قوم أبى سلمة ذلك قالوا : لا والله لانترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، وتجاذبوا الصبى حتى خلعوا يده ، وانطلق به رهط أبى سلمة .

وهكذا تشتت الأسرة ، قوم أم سلمة حبسوها عندهم ، ومنعوها من الخروج مع زوجها ، وقوم أبى سلمة أخذوا الصبى الصغير عندهم نكالا في أم سلمة ، وأبو سلمة ذهب وحده مهاجرا الى المدينة (١) .

وإننا لنرى في هذه الأمثلة محاولات مستميتة لصد المؤمنين عن الهجرة ، لا حبا لهم ، ولا اشفاقا عليهم من وحشة الغربة وآلامها ، ولكن لفتنتهم وصدهم عن سبيل الله ، ولكن هيهات ، فقد صمم المؤمنون على الفرار بدينهم ، والتضحية بكل غال وعزيز لديهم حتى يبلغوا غايتهم .

وصل المهاجرون الى المدينة تباعا ، وهاجروا جماعات وفرادى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مقيم في مكة ينتظر أمر ربه ، وحين أذن له في الهجرة اصطحب أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ وودعا مكة ، وسارا الى المدينة ، ودخلاها في يوم الأثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول حين اشتد الضحى (٢) وبدت الشمس في كبد السماء (٣) .

واستقبل الأنصار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصاحبه رضى الله عنه ـ ومن قبلهما المهاجرين من المسلمين بالحفاوة والتكريم ، واحلوهم من أنفسهم محل التبجيل والتوقير ، وآثروهم على أنفسهم ، وقاسموهم لقمة العيش ، وعوضوهم عما فقدوا برا ومحبة وإخلاصا .

---

(١) ابن هشام (١/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩) . (٢) مختصر السيرة (١٧٣) . (٣) ابن هشام (١/ ٤٩٢) .

٣ ـ اسم جديد ليثرب :

سكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه المدينة ، وكانت تعرف عند العرب بيثرب ، ولم يرض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم / بهذا الاسم ، وكأنه لمح فيه معنى التثريب ـ وهو اللوم والتوبيخ ـ فغير اسمها وسماها المدينة .

روى مسلم في صحيحه عن أبى هريرة قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب وهى المدينة ، تنفى الناس ، كما ينفى الكير خبث الحديد) .

والمعروف عند المؤرخين المسلمين أن يثرب ليس اسما للمدينة ، وإنما هو اسم لقرية كانت تقع في الشمال الشرقى لجبل سلع بينه وبين وادى قناة ، وهى المنطقة التى كان يسكنها جماعات من العرب العماليق قبل مجىء اليهود .

يقول السمهودى : ونزل جمهورهم ـ أى اليهود ـ بمكان يقال له يثرب بمجتمع الأسيال مما يلى زغابة (١)

ويقول ابن النجار : يثرب اسم أرض ، ومدينة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ناحية منها (٢) ويروى عن ابن زبالة أنه قال : لو كانت يثرب أم قرى المدينة مابين طرف قناة إلى طرف الجرف ، وما بين المال الذى يقال له البرناوى الى زبالة (٣) .

ولعل اطلاق اسم يثرب على المدينة تغليبا للاسم لأنه كان اسم أكبر قرية في المنطقة كما نقل ابن زبالة .

والذى يظهر لى أن اسم المدينة ليس اسما جديدا على يثرب ، وانما هو اسم أطلق عليها من قديم الزمان ، يقول الدكتور جواد على : وعرفت بالمدينة كذلك من كلمة (مدينتا) الإرمية التى تعنى (مدينة) في عربيتنا ، ثم يقول : ويظهر أنها عرفت بمدينة يثرب ، على نحو ما وجدنا في كتاب (اصطيفان البيزنطى) ثم اختصرت فقيل لها (مدينتا) أى (المدينة) ولما نزل بها الرسول عرفت بمدينة الرسول في الاسلام (٤) .

ويزعم صاحب الرحلة الحجازية أن اسم يثرب تحريف عن الاسم المصرى القديم ، (أثربيس) كما أن (طيبة) أطلق على المدينة نقلا عن طيبة المصرية والذى دعاه إلى ذلك هو اعتقاده بأن اليهود هم الذين أطلقوا عليها الأسمين ، وهم نقلوهما من مصر عند خروجهم منها في زمن موسى ـ عليه السلام ـ .

والتحقيق الذى ذكرته لاسم يثرب يتعارض مع ذلك ، لأن اليهود قدموا الحجاز والبلدة معروفة باسم يثرب ، كما ان اسم طيبة لم يعرف إلا بعد تسمية الرسول لها بذلك الاسم ، ولهذا لم يطلق اسم طيبة عليها في المصادر القديمة التى ذكرتها قبل الهجرة .

وحيث ثبت بالتحقيق العلمى أن البلدة عرفت من قديم الزمان باسم يثرب ، كما عرفت باسم المدينة فيما نقل الدكتور جواد عن اصطيفان البيزنطى فإن معنى هذا ، أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) وفاء الوفا (١ / ١٦١) .
(٢) أخبار مدينة الرسول ص ١٢ .
(٣) نفسه .
(٤) المفصل (٤ / ١٣٠) .

يكون قد نهى عن تسميتها يثرب لما فيه من معنى التوبيخ واللوم . وأقر تسميتها المدينة على ماكانت عليه . وزاد على ذلك فسمى سكانها الأنصار . وسماها طيبة وطابة (١)

٤ ـ عوامل نجاح الدعوة في المدينة:

لم تأخذ الدعوة الاسلامية وضعها الطبيعي في مكة . ولم تهيأ لها الظروف التى تستطيع فيها أن تأخذ طريقها إلى قلوب الناس . وذلك لأن أهل مكة حسدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما آتاه من فضله . وقالوا : (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (٢) ودفعهم هذا الحسد إلى الوقوف في وجه الدعوة وصرف الناس عنها بالايذاء والتعذيب تارة . وبافتراء التهم والأكاذيب تارة أخرى .

وعاش المسلمون في مكة أصعب فترة في حياتهم . عاشوا مهددين في أرواحهم محرومين من حقوقهم. يتوقعون نزول الموت أكثر مما يأملون من الحياة . وكان هذا الموقف من المشركين من أكبر العوامل على توقف تيار الدعوة في مكة . وأعظم مؤثر في صد الناس عنها . حتى كانت القبائل ترد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين يعرض عليها الإسلام بقولها : أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك (٣) .

وعلى العكس من موقف أهل مكة كان موقف أهل المدينة من الدعوة الجديدة . فقد تهيأت في المدينةالظروف . واستعدت النفوس لقبول الدعوة وتوفرت الدواعى التى مهدت لاستقرار الدين في القلوب . فلم يكد رسول الله يعرض نفسه،ويشرح دعوته للنفر الذين قدموا من المدينة.حتى اشرأبت له الأعناق. وتطلعت إليه القلوب . وأقبل عليه أهل المدينة مخافة أن يسبقهم إليه اليهود .

وتتلخص عوامل نجاح الدعوة في المدينة فيما يأتى :

أ ـ تهيؤ الأذهان لاستقبال الدين الجديد :

كان وجود اليهود في المدينة سببا من أسباب تهيئة الجو . وإعداد النفوس لتقبل الدين الجديد . فقد كانوا أهل كتاب . وكانوا ينشرون تعاليم دينهم . ويعيبون الوثنية وأهلها . ويخوفون الناس من يوم تشتد فيه الأهوال . وكانوا كلما توترت الأوضاع بينهم وبين العرب يتوعدونهم بظهور نبى آخر الزمان . وأنه سيبعث بدين سماوى يوافق دينهم . ويكسر الأصنام . ويحارب من يعبدها .

كذلك كانت الخصومة بين اليهود وبين الأوس والخزرج سببا آخر من أسباب استعداد العرب للدخول في هذا الدين حيث اليهود يهددون العرب بأنهم سينضمون إلى هذا النبى عند ظهوره . وسيقتلونهم معه قتل عاد وأرم (٤) .

لا شك أن تعاليم الدين اليهودى . وترديد ذكر يوم القيامة وما فيه من حساب وعقاب وجنة ونار والتنديد بالأصنام . والاعتراف بوجود إله واحد لا شريك له . كل ذلك كان تهيئة للنفوس . وشحذا للعقول . ومقدمة جيدة لاستقبال تعاليم الدين الجديد . لأن الذى سيلقى عليها من تعاليمه لا يخرج عن ذلك . فتكون النفوس قد سمعته وألفته .

---

(١) مسلم بشرح النواوى (٩ / ١٥٥ ـ ١٥٦) (٢) الزخرف الآية : ٣١ (٣) مختصر السيرة ص ١٤٩ (٤) ابن هشام (١ / ٤٢٩) .

كما كانت الخصومة بين العرب واليهود سببا من أسباب حرص العرب على الدخول في الاسلام فلم يكد رسول الله يعرض الاسلام على النفر الذين قدموا من المدينة للحج . ويدعوهم الى الاسلام حتى قال بعضهم لبعض : يا قوم . تعلموا والله إنه للنبى الذى تهددكم به اليهود فلا يسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه . وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام (١).

ب ـ سيطرة الأوس والخزرج على المدينة :

كان الأوس والخزرج قبل الاسلام قد سيطروا على الأوضاع الداخلية في المدينة . حيث تغلبوا على اليهود . وأخضعوهم لسلطانهم ورضى اليهود بالعيش معهم كموال لهم . وبذلك أصبح موقف الأوس والخزرج في المدينة موقف السيد المسيطر . فهم لا يخافون أحدا . بل ولا يحسبون لأحد حسابا إذا عزموا على فعل شيء .

وكان نجاح الأوس والخزرج السياسى . وتسلطهم على مقاليد الأمور في يثرب سببا قويا من أسباب نجاح الدعوة الإسلامية فيها حيث دخلها الإسلام على أيد قوية . تملك التصرف في شئونها . وتستطيع أن تقرر مصيرها دون أن ترجع إلى غيرها في دلك . وبقبول الأوس والخزرج واستجابتهم لما دعاهم اليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكون الإسلام قد دخل المدينة من باب واسع . لا يزاحمه فيه شيء . ولا يستطيع أحد أن يعترض على دخوله اليها . أو يقف في طريق المؤمنين به .

وبذلك تكون الفرصة قد تهيأت لأن يستمع الناس للدين الجديد . وأن يتدبروه بعقول حرة لم تكبل بأغلال الظالمين الصادين عن سبيل الله . وكانت نتيجة ذلك أن أقبل الناس على الإسلام . واعتنقه السادة من القوم ودخل فيه المنصفون حتى من اليهود أنفسهم كعبد الله بن سلام ومخيريق .

حـ ـ حرب يوم بعاث :

دامت الحرب بين الأوس والخزرج زمنا طويلا . بدأت بحرب سمير وانتهت بحرب يوم بعاث . وقدر بعض المؤرخين الفترة التى دامت فيها تلك الحروب بمائة وعشرين عاما (٢) .

هذه الحروب أكلت قوة القوم . وذهبت بالكثير من رؤسائهم حتى لم يبق من الحيين سوى أفراد لم تكن لهم منزلة الزعماء السابقين ومكانتهم في قومهم . فقد كان هؤلاء الزعماء الذى أهلكتهم الحرب معتزين بشخصياتهم . كما كانوا موضع احترام وإجلال من أفراد قبائلهم . وكانت لهم الكلمة العليا في البلاد لا ينازعهم الرأى أحد ولا يتطلع الى السيادة دونهم انسان .

ولقد كان من المحتمل أن يكون هؤلاء الزعماء عقبة في الطريق إسلام قومهم كما كان زعماء مكة حين صدوا المستضعفين عن الدخول في الإسلام . وليس أدل على ذلك من موقف أبى الحيسر أنس بن رافع أحد زعماء الأوس . فانه قد ذهب الى مكة ومعه فتية من بنى عبد الأشهل . فيهم اياس بن معاذ . يلتمسون الحلف مع قريش على قومهم من الخزرج . ولما سمع بهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذهب اليهم . وكلمهم . وعرض عليهم الإسلام . وتلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ : أى قوم . هذا والله خير مما جئتم له . عندئذ أخذ أبو الحيسر حفنة من تراب البطحاء . فضرب بها وجه أياس بن معاذ . وقال دعنا منك . فلعمرى لقد جئنا لغير هذا (٣) .

(١) ابن هشام (١/ ٤٢٩) . (٢) وفاء الوفاء (١/ ٢٥٠) . (٣) ابن هشام (١/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨) .

هذا موقف لأحد زعماء الأوس ، أعرض فيه عن الاسلام ، ومنع غيره من الحديث عنه ، ولا شك أن غيره لن يكون أقل منه صدودا وإعراضا ، لأنهم كانوا يحرصون على المحافظة على مراكزهم القيادية بين قبائلهم ؛ ويرفضون أن ينازعهم فيها أحد .

وموقف آخر لزعيم من زعماء الخزرج ـ عبد الله بن أبى بن سلول ـ يحرض قومه على طرد المسلمين من المدينة ، فيقول : هذا ما فعلتم بأنفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم .

وبلغ رسول الله ما قال ابن أبى ، فغضب وسار بالقوم في وقت ليس من عادته أن يسير فيه ، فكلمه أسيد بن حضير في ذلك ، فقص عليه مقالة ابن أبى ، فقال أسيد : يا رسول الله ، أرفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا (١) .

إن حرب بعاث قد قضت على هؤلاء الزعماء من الفريقين ؛ ولم يبق هناك سوى زعماء من الطبقة الثانية ، وهؤلاء قد اصطلوا بنار الحرب ، وذاقوا ويلاتها ؛ وسئموها وإنهم ليفكرون في الانتظام تحت قيادة رجل منهم ، ولم يكن هناك غير عبد الله بن أبى وقد عزموا على أن يتوجوه ؛ ويجتمعوا عليه .

بالقضاء على هؤلاء الزعماء ، تمهد الطريق للاسلام ، وبتبرم النفوس من حياة الحرب والخوف والقلق ، وتطلعها إلى حياة آمنة مستقرة كان كل شيء قد تهيأ ليستقبل الإسلام والمسلمين .

د ـ الإيمان العميق :

ويتوج هذه الأسباب كلها ذلك الإيمان العميق الذى ملأ قلوب المهاجرين والأنصار على حد سواء ، فقد كانوا واثقين بوعد الله لهم ، وكانت المحنة التى عاشها المهاجرون تضاعف الإيمان في قلوبهم ، لأنهم يعلمون أن هذا الطريق لا يمكن أن يكون ممهدا سهلا ، فحياة الأنبياء كلها مشقات ، حياة المصلحين كلها عقبات ، وما داموا قد عزموا على السير في طريقهم ، فلابد لهم أن يتحملوا مثل تحملهم حتى تكون العاقبة لهم .

بهذا الإيمان العميق هاجر المسلمون من مكة ، وبمثل هذا الإيمان استقبلهم الأنصار في المدينة ، وبهذه العقيدة الراسخة ودعوا بلادهم وضحوا بالأموال والأولاد وبمثل هذه العقيدة الراسخة عوضهم الأنصار عن كل ما فقدوا فآثروهم بالأموال ، وهيأوا لهم حياة الأمن والاطمئنان .

وكانت الأوضاع في المدينة قد تهيأت لقبول الدين الذى حمله اليهم المهاجرون.إن الايمان العميق. والعقيدة الراسخة يجعلان صاحبهما أقدر على تحمل التبعات والنهوض بأعباء الرسالة التى آمن بها . إنهم بالإيمان صبروا على أذى المشركين في مكة ، وبالإيمان شقوا طريقهم في المدينة ، وتحملوا لأواءها حتى قامت على أكتافهم دولة الإسلام .

---

(١) نفسه (٢ / ٢٩١ ـ ٢٩٢) .

كيف نجا المسلمون
من عاصفة المغول والتتار المدمّرة ؟

د . حامد محمد رمضان
رئيس قسم التاريخ بالجامعة

الحمد لله العلى القدير والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله البشير النذير ؛ أما بعد : فإن الذى يتتبع أحداث التاريخ يجد أن المسلمين تعرضوا لأخطار جسيمة وأحداث أليمة وأن هذه الأخطار وتلك الأحداث كانت تعتريهم إذا ما ابتعدوا عن دينهم وتفرقت كلمتهم واختلفت أهواؤهم . فإذا عادوا الى دينهم واتفقت كلمتهم وتوحدت آراؤهم نجاهم الله من الخطر ومنحهم النصر والأمن وهيأ لهم أسباب الرخاء والسعادة .

ومن الأخطار التى تعرض لها المسلمون غارة المغول والتتار على بلادهم في القرن السابع الهجرى .

من هم المغول والتتار :

المغول والتتار قبائل من الترك البدو كانوا يسكنون الجزء الشرقى من بلاد التركستان وما يليها شرقا من بلاد الصين في العصور الوسطى . ويذكر مؤرخو الترك ونسابوهم أن ألنجة خان أحد ملوك الترك ولد له في الأزمنة القديمة ولدان توأمان هما مغول خان وتتار خان وقد تفرعت منهما قبائل المغول والتتار .

وقد عاش أولادهم في صفاء مدة طويلة ثم حدث نزاع بينهما تغلب فيه التتار أولا وصارت لهم السيادة مدة طويلة ثم اتحدت قبائل المغول وحاربت التتار وهزمتهم وانتزعت منهم السيادة وظل الملك متوارثا فيهم الى عهد بيسوكا بهادر والد جنكيز خان .

وقد ولد جنكيزخان سنة ٥٤٩ هـ ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره توفي أبوه فانفض أكثر قبائل المغول من حوله لصغر سنه فلما بلغ مبلغ الرجال ظهرت مواهبه السياسية والعسكرية فجمع قبائل المغول حوله وسنّ لهم قانونا يسيرون على هديه ويحكمون بمقتضاه ووحد صفوفهم واستعان بهم على توسيع ملكه .

أسباب غزو المغول للبلاد الاسلامية ،

ذكر المؤرخون أسبابا متعددة لغزو المغول للبلاد الاسلامية وقيل إن من بين هذه الأسباب أن الخليفة الناصر لدين الله العباسى (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ) كتب الى جنكيزخان يستنجد به على خوارزم شاه

علاء الدين محمد سلطان الدولة الخوارزمية الذى اتجه بجيوشه الى بغداد يريد فرض سيطرته عليها بالقوة (١) .

ونحن نستبعد ذلك لأن خليفة المسلمين لا يستعين بوثنى على مسلم مهما كان الأمر .

أما السبب المباشر لاجتياح المغول الوثنيين مملكة خوارزم شاه فهو طمع والى أحد ثغورها على نهر سيحون في أموال جماعة من التجار المغول كانوا قد جاءوا الى هذا الثغر سنة ٦١٥ هـ ومعهم أموال طائلة.

وقد تذرع الوالى للاستيلاء على أموال هؤلاء التجار باتهامهم بالتجسس لحساب جنكيزخان وكتب الى شاه خوارزم بذلك فأمره بقتلهم وكانوا نحو أربعمائة كما أمره بالاستيلاء على ما معهم من التجارة وكان شيئا كثيرا فنفذ أمر الشاه واستولى على تلك التجارة وباعها لتجار بخارى وسمرقند وقبض ثمنها .

ولما بلغ ذلك جنكيز خان استشاط غضبا وأرسل رسولا إلى خوارزم شاه يطلب إليه تسليم هذا الوالى ليقتص منه فارتكب خوارزم شاه غلطة أخرى وقتل رسول خان المغول (٢) .

وبذلك أتاح لجنكيز خان فرصة مهاجمة أملاكه ودفعه الغرور إلى البدء بالعدوان فجمع جيشه وهاجم حدود التركستان الغربية مما يلى مملكته ؛ ولم يكن على حدود بلاد المغول حامية قوية لأن جنكيز خان وجيشه كانوا في مهمة داخل الأمبراطورية . ولم يكن على الحدود سوى عدد قليل من النساء والأطفال ومع ذلك لم يتمكن ذلك المغرور من التغلب عليهم وعاد بخفى حنين (٣) .

أدرك خوارزم شاه خطأه وأحس أنه عرض دولته لخطر الغزو المغولى وأتاح لجنكيزخان الطامع في التوسع فرصة أخرى لاجتياح مملكته واستولى عليه الفزع فأمر سكان المدن القريبة من الحدود بالجلاء عنها خوفا من بطش المغول وكانت هذه المدن من أخصب بلاد الدولة وأكثرها حدائق وبساتين فهجرها سكانها وتركوها قفرا موحشة ولم يدر أنه بعمله هذا قد أخلى الطريق أمام الغزاة ومهّد لهم سبيل الوصول الى داخل مملكته .

ولما بلغ جنكيزخان خبر هجوم خوارزم شاه على أطراف أمبراطوريته عاد على رأس جيشه مسرعا الى حدود الدولة الخوارزمية وأعد العدة لغزوها في أواخر سنة ٦١٦ هـ وعبر نهر سيحون واجتاز الحدود بسهولة وواصل سيره نحو الغرب حتى وصل إلى أبواب مدينة بخارى وكانت حاميتها عشرين ألفا فلم تقو على الصمود في وجهه وولت مدبرة فدخلت جموع المغول المدينة وأسلمتها للنهب وفرّ من أمكنه الفرار من أهلها ومن لم يتمكن من الفرار ضرب عنقه .

وقد اتخذ جنكيزخان من مساجد بخارى التى كانت عامرة بالتقى والعلم والأدب مرابض لخيله ووصف نفسه بأنه لعنة الله سلطها على خلقه عقوبة لهم على خطاياهم (٤) .

---

(١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر جـ ٣ ص ١٣٦ .
(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ١٢ ص ١٥٠ .
(٣) الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية جـ ٢ ص ٤٧١ .
(٤) إبن الأثير : الكامل جـ ١٢ ص ١٥١ .

واصلت جيوش المغول سيرها نحو سمرقند في المحرم ٦١٧ هـ وأنزلت بها ما نزل ببخارى وكان خوارزم شاه معسكرا غربى نهر جيحون يستعد للدفاع عن بلاده وصد تلك العاصفة المدمرة التى هبت عليها من الشرق فأرسل جنكيز خان عشرين ألفا من جيشه في طلبه فلما اقتربت تلك الفرقة من معسكر خوارزم شاه فرّ نحو الغرب يقصد نيسابور فتبعته اليها فغادرها الى مازندران فطارت وراءه وما زال ينتقل من مكان الى مكان وهى في أثره حتى لجأإلى قلعة له على جزيرة بحر الخزر فتحصن بها هو وأتباعه وتوفي بعد ذلك بفترة قصيرة (١) .

ولما رأى المغول حصانة القلعة يئسوا من اقتحامها وعادوا الى مدينة مازندران فاستولوا عليها ثم سقطت في أيديهم مدن الرى وهمذان ومرو وغيرها من المدن ٠

أما جنكيزخان فأنه أقام بمدينة سمرقند بعد فتحها وأرسل جيشا تحت إمرة أحد أبنائه إلى مقاطعة خراسان فاستولى على جميع مدنها بسهولة ولم يتعرض لأهلها بسوء غير أنه كان يأخذ الرجال ليسخرهم في خدمة الجيش .

ولم يمض سوى فترة قصيرة حتى بسط المغول سيطرتهم على بلاد فارس وكان جنكيز خان قد أرسل جيشا آخر الى بلاد القفجاق فدانت له في أسرع وقت (٢) .

وتوفي جنكيز خان سنة ٦٢٤ بعد أن اتسعت امبراطوريته اتساعا عظيما ولما أحس بدنو أجله قسم امبراطوريته بين أبنائه الأربعة والذى يعنينا منهم تولوى خان الابن الرابع لجنكيز خان الذى خصه أبوه بحكم خراسان وما يؤمل فتحه من ديار بكر والعراق ٠

المغول يطرقون أبواب العراق :

تمكن تولوى خان من بسط نفوذه على بقية الإمارات الفارسية حتى وصل الى حدود العراق وتوفي سنة ٦٥٤ هـ فخلفه ابنه هولاكوخان الذى طمع في توسيع رقعة ملكه على حساب الدولة العباسية وأخذ يتلمس الأسباب لتحقيق غرضه فأرسل الى الخليفة العباسى المستعصم بالله (٦٤٠ ـ ٦٥٦ هـ) يدعوه لمساعدته على حرب الحشاشين (٣)ولكن الخليفة لم يلب الطلب فاتخذها هولاكوخان ذريعة لمهاجمة بغداد وأرسل اليه انذارا سنة ٦٥٥ هـ يطلب منه هدم حصون بغداد وردم الخنادق التى حولها وأن يسلم البلاد لابنه ويحضر لمقابلته أو يرسل من ينوب عنه فان أجاب إلى ذلك نال رضى خان المغول وأبقى على دولته وجيشه ورعيته وإن لم يصغ للنصح فليستعد للحرب (٤) .

---

(١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر جـ ٣ ص ١٢٧ .

(٢) الخضرى : محاضرات تاريخ الدول الاسلامية جـ ٢٨ ص ٤٧٤ .

(٣) الحشاشون جماعة من الباطنية سموا بذلك لاستعمالهم مادة الحشيش المخدرة في التأثير على بسطاء العقول حتى يطيعوهم طاعة عمياء . ومؤسس هذه الجماعة الحسن بن الصباح الذى يرجح أنه من أصل فارسى رحل إلى مصر في شبابه أثناء حكم الفاطميين لها وتلقى فيها تعاليم الباطنية ثم عاد الى وطنه لينشرها هناك . وتمكن سنة ٤٨٣ هـ من الاستيلاء على قلعة الموت القريبة من بحر قزوين واتخذها وكرا له ولأتباعه ثم اتخذت هذه الجماعة أوكارا لها في بلاد الشام فيما بعد .

(٤) رشيد الدين الهمدانى : تاريخ المغول (الترجمة العربية) مجلد ٢ جـ ١ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩ .

أعاد الخليفة رسل المغول الذين حملوا انذار سلطانهم إليه بعد أن زودهم بالهدايا والتحف وبعث معهم وفدا على رأسه شرف الدين بن الجوزى يحمل رده على السلطان المغولى . فاتجه الوفد ومعه رسل المغول الى همذان حيث كان السلطان يعسكر هناك فلما ترجم لهولاكوخان ردّ الخليفة الذى كان ينطوى على التهديد المشفوع بالرغبة في المسالمة أغضبه ما فيه من تهديد (١) وحمّل رسل الخليفة إنذارا ثانيا بمهاجمة بغداد فسلم الرسل الأنذار إلى الوزير مؤيد الدين بن العلقمى الذى سلمه بدوره الى الخليفة فاستشاره الخليفة فيما ينبغى أن يفعله لدرء هذا الخطر المغولى فأشار عليه الوزير بأرسال مبلغ كبير من المال وكثير من الهدايا والتحف إلى هولاكو مع الاعتذار عما ورد في رده عليه من عبارات التهديد والموافقة على الدعاء له في خطبة الجمعة ونقش اسمه على السكة (٢) .

ونحن نشك كثيرا في الجزء الأخير من هذه المشورة إذ كيف يطلب الوزير المسلم من الخليفة الدعاء لهولاكو على المنابر ونقش اسمه على السكة وهو وثنى باعتراف رشيد الدين نفسه الذى يذكر عنه في نفس مؤلفه ص ٣٣٧ أنه بنى معابد للأصنام في مدينة (خوى) مما يجعلنا نستبعد أن يكون ذلك من بين ما أشار به وزير الخليفة إلا اذا كان ذلك من قبيل التقية والتحايل للخروج من المأزق بارضاء هولاكو ليصرفه عن غزو بغداد ولو مؤقتا حتى تتهيأ للخليفة أسباب القوة ويتمكن من الصمود له وحماية رعيته من بطشه .

وقد مال الخليفة إلى الأخذ برأى وزيره ولكن منافسى الوزير اتهموه بممالأة المغول فعدل الخليفة عن العمل بمشورته وأرسل إليه رسالة جاء فيها « فقوّ قلبك ولا تخافن تهديد المغول ووعيدهم فإنهم رغم كونهم أرباب دولة وأصحاب شوكة الآ أنهم لا يملكون سوى الهوس في رؤوسهم والريح في أكفهم » فاضطرب الوزير لعدم فهم الخليفة للموقف وأيقن أن دولة العباسيين قاب قوسين أو أدنى من الزوال (٣) .

اجتمع الوزير وقادة الجند وأعيان بغداد وأخذوا يعدون الجيوش للدفاع عنها أما الخليفة فأنه أرسل هدية بسيطة مع أحد القضاة إلى هولاكو وحمله رسالة اليه جاء فيها : « لو غاب عن الملك فله أن يسأل المطلعين على الأحوال إذ أن كل ملك - حتى هذا العهد - قصد أسرة بنى العباس ودار السلام بغداد كانت عاقبته وخيمة ومهما قصدهم ذووا السطوة من الملوك وأصحاب الشوكة من السلاطين فإن بناء هذا البيت محكم للغاية وسيبقى الى يوم القيامة » .

استشاط هولاكو غضبا من رسالة الخليفة وصمم على مهاجمة بغداد .

وفي المحرم سنة ٦٥٦ هـ حاصر هولاكو بغداد فدافع جيش الخليفة عنها ولكنه لم يقو على الصمود

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى في الآداب السلطانية ص ٢١٦ .

(٢) رشيد الدين : تاريخ المغول (الترجمة العربية) مجلد ٢ جـ ١ ص ٢٧٢ .

(٣) رشيد الدين : تاريخ المغول مجلد ٢ جـ ١ ص ٢٧٢ .

لجيش المغول فسقطت المدينة في أيديهم آخر الشهر .

وقد أجمل ابن طباطبا ما نزل بأهل بغداد في قوله « فجرى من القتل الذريع والنهب العظيم والتمثيل البليغ ما يعظم سماعه جملة فما الظن بتفصيله .

وكان ماكان ما لست أذكره　　　فظن ظنا ولا تسأل عن الخبر (١)

وأصبحت بغداد التى كانت مضرب الأمثال في سعة العمران وتقدم الحضارة قفراً موحشة وتراكمت جثث القتلى في شوارعها فغيرت رائحتها الهواء وحدث بسبب هدا التغير وباء شديد راح ضحيته خلق كثير.

وفرّ بنفسه من أمكنه الفرار من أهل المدينة الى بلاد الشام ـ أما الخليفة ومعظم أفراد أسرته فقد خرجوا إلى هولاكو ولكنه أمر بقتلهم بعد أيام ولم يترك سوى الابن الأصغر للخليفة الذى يقال أنه تزوج بعد ذلك من امرأة مغولية وأنجب منها ولدين (٢) .

ويتهم كثير من المؤرخين الوزير ابن العلقمى الشيعى بتحريض هولاكو على غزو بغداد انتقاما من العباسيين الذين أساءوا معاملة الشيعة خصوصا في الأيام الأخيرة لحكم المستعصم عندما هاجم أهل السنة بتحريض من أبى بكر بن الخليفة حىّ الكرخ الذى كان يسكنه الشيعة ونهبوه وقتلوا كثيرا من أهله (٣) ـ ولكن ابن طباطبا العلوى ينفى تلك التهمة عن ابن العلقمى مستدلا بأن هولاكو أبقاه في منصبه ولو كان خائنا ما وثق به (٤) .

ومع أن ابن طباطبا قد يتهم بالتحيز لأنه شيعى مثل ابن العلقمى الا أن حجته قد يؤيدها الواقع لأن العادة جرت بأن من ارتكبت الخيانة من أجله هو أول من يحذر الخائن ويفقد الثقة به ويزدريه اللهم إلا أن يقال إنه أبقاه لينتفع بخبرته مع حذره منه ومراقبته له ومات ابن العلقمى بعد ثلاثة أشهر فخلفه ابنه ولكنه لحق بأبيه بعد قليل .

ومهما يكن من أمر فقد كانت هذه هى نهاية الدولة العباسية بعد أن حكمت معظم بلاد العالم الاسلامى خمسة قرون وربع قرن تقريبا وازدهرت في عصرها الحضارة الاسلامية ازدهارا ظل حتى اليوم مضرب الأمثال في الشرق والغرب .

المماليك يحمون البلاد الإسلامية من غارات المغول :

أرسل هولاكو بعد استيلائه على بغداد كتائب من جيشه استولت على بقية مدن العراق ثم اتجه

---

(١) الفخرى في الآداب السلطانية ص ٢٤٧ .

والمعروف أن الشطر الثانى فظن خيرا ولا تسأل عن السبب .

فتصرف فيه ابن طباطبا بما يناسب الغرض الذى ساق البيت من أجله حيث لا مجال لظن الخير في هذا الموقف .

(٢) رشيد الدين : تاريخ المغول مجلد ٢ جـ ١ ص ٢٩٤ .

(٣) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر جـ ٣ ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٤) الفخرى ص ٢٤٩ .

على رأس جيشه لفتح بلاد الشام وكانت مقسمة إلى إمارات يحكمها أمراء من الأيوبيين وحاصر مدينة حلب وفتحها سنة ٦٥٧ هـ وأباحها لجنده سبعة أيام يقتلون وينهبون أما القلعة فأنها قاومت أربعين يوما وأسر المغول كثيرا من مهرة الصناع ونقلوهم إلى عاصمة ملكهم لينتفعوا بفنهم ويستفيدوا من خبرتهم (١) .

ثم اتجه هولاكو على رأس جيشه الى مدينة حارم الواقعة في الجنوب الغربى لمدينة حلب وحاصرها وطلب من أهلها تسليمها فأبوا أن يسلموها لغير فخر الدين والى قلعة حلب فاستدعاه هولاكو وسلموها إليه ولكن هولاكو غضب من ذلك وأمر بقتلهم فقتلوا جميعا وسبيت نساؤهم (٢) .

ولما سمع أهل دمشق بما حلّ باخوانهم من أهل حلب وحارم أرسلوا وفدا من الأعيان إلى هولاكو يعلنون الخضوع والولاء وتسليم المدينة فأمنهم على حياتهم ثم اضطر بعد ذلك إلى العودة الى فارس حيث بلغه موت أخيه وغادر الشام في جمادى الآخرة سنة ٦٥٨ هـ وترك جيشه تحت قيادة الأمير كيتوبوغا نويان ليحمى بلاد الشام ويتم فتح ما بقى من مدنها ثم يتجه إلى مصر ٠

وكان يحكم مصر إذ ذاك السلطان المنصور على بن معز الدين أيبك أول سلاطين دولة المماليك البحرية وكان المنصور على في الخامسة عشرة من عمره فجمع نائب السلطنة الأمير سيف الدين قطز مجلسا من الأمراء والعلماء وأعيان الدولة في أواخر سنة ٦٥٧ هـ للنظر في أمر السلطنة وجمع المال اللازم للتجهيز لصد تيار المغول عن مصر واتفقت الكلمة على خلع المنصور على لصغر سنه وتولية سيف الدين قطز السلطنة والاستعداد لصدّ موجة المغول عن مصر (٣) .

وكان الملك الناصر يوسف الأيوبى صاحب حلب قد أرسل إلى مصر الصاحب كمال الدين المعروف بابن العديم يستنجد بها لصد تيار المغول المدمر فوصل إليها في أواخر أيام المنصور على وحضر المجلس الذى قرر عزله ولما استقر الأمر لسيف الدين قطز ردّ على رسالة الملك الناصر بأنه سيصل الى الشام على جناح السرعة لنجدته وعاد ابن العديم إلى الشام يحمل ردّ السلطان المظفر قطز (٤) .

أخذ السلطان يجمع الرجال والأموال والسلاح ويسبعد لصد المغول وأدرك أن مهمته على جانب كبير من الخطورة فالشعب الذى سيواجه به المغول قد استولت عليه الرهبة واستبد به الخوف من هول ما سمعه عن فظائع المغول ووحشيتهم وسفكهم للدماء وتخريبهم للديار فضعف روحه العنوى عن الجرأة على الوقوف في مهب هذا الأعصار المهلك .

ولم يوهن من عزم قطز أو يضعف من تصميمه على الخروج لمنازلة المغول ما سمعه من أقوال المرجفين ولم يأبه بما احتج به الداعون إلى الانتظار داخل الحدود المصرية حتى يدخل إليها المغول ونادى بالنفير العام للجهاد في سبيل الله ودرب المتطوعين على فنون القتال في وقت قصير جدا ولم يكد ينتهى من مهمته حتى اقترب المغول بقيادة كيوبوغانيان من حدود مصر (٥) .

---

(١) رشيد الدين : تاريخ المغول مجلد ٢ ط جـ ١ ص ٣٠٥ ـ ٣٠٧ .

(٢) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر جـ ٣ ص ٢٠٣ .

(٣) ابن اياس : بدائع الزهو وائع الدهور جـ ٢ ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٤) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر جـ ٣ ص ١٩٩ .

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٧٧ و ٧٨ .

موقعة عين جالوت الفاصلة :

اتجه السلطان قطز على رأس جيش كثير العدد تام العدد إلى بلاد الشام في أوائل رمضان سنة ٦٥٨ هـ وكانت الخطة التى رسمها هى أن يقابل المغول في أرض الشام وألا ينتظر قدومهم الى مصر وكان يهدف من وراء ذلك الى أمرين :

الأول : انتهاز فرصة البدء بالقتال التى كان المغول يحرصون على انتهازها أولا ليضعفوا الروح المعنوى في نفوس أعدائهم .

الثانى : لقاء المغول خارج أرض مصر حتى لا تكون ميدانا للحروب وعرضة للتدمير والتخريب .

وقد أرسل السلطان أمام قواته طليعة من الفرسان بقيادة ركن الدين بيبرس وعند بلدة الصالحية (١) انضمت الكتائب الشامية التى كانت قد جاءت الى مصر فارة من وجه المغول إلى الجيوش المصرية .

وصلت طلائع الجيوش المصرية إلى غزة وأرغمت المغول على التخلى عنها ودخلها الأمير بيبرس على رأس فرسانه . ولم يكن المغول يتوقعون أن يصل المصريون إليهم بهذه السرعة فلما رأوا الجحافل الاسلامية قد ملأت السهول والأودية اضطروا إلى إخلاء جنوب الشام وأشار بعض ضباطهم على قائدهم كيتوبوغا نويان بطلب النجدة من السلطان هولاكو ولكنه اغتر بقوته وخدع بانتصاراته السابقة ولم يعمل بمشورته .

سارت الجيوش الاسلامية من غزة متجهة إلى الشمال ومحاذية ساحل البحر الأبيض ومرت بيافا وقيسارية إلى جبل الكرمل جنوب حيفا وعند قرية « عين جالوت » الواقعة بين بيسان ونابلس دارت المعركة الفاصلة بين الجيش الاسلامى وجيش المغول في ٢٥ من رمضان سنة ٦٥٨ هـ .

بدأت المعركة بهجوم عنيف من المغول فتراجعت ميسرة الجيش الاسلامى وإذا بنداء يدوّى في ساحة المعركة « وا إسلاماه وإسلاماه وا إسلاماه » فاتجهت الأنظار إلى مصدر الصوت فاذا المنادى هو السلطان نفسه فالتهب حماس الجيش وعادت الميسرة إلى مكانها الأول وحمل الجيش الاسلامى حملة صادقة على جيش المغول حتى هزمهم هزيمة ساحقة ومزقهم شرّ ممزق وخرّ قائدهم كيتو بوغا صريعا في الميدان واعتصمت طائفة منهم بالتل المجاور لمكان الموقعة فأحدقت بهم العساكر المسلمة وصابروهم على القتال حتى قتلوا معظمهم وفرّ الباقون لا يلوون على شيء وقتل الأهالى الموتورون من المغول من وقع في أيديهم من هؤلاء الفارين (٢) .

وبعد انتهاء الموقعة اتجه السلطان قطز إلى دمشق فقوبل بحفاوة بالغة من أهلها لأنه صدّ هذه الموجة العاتية التى اجتاحت بلادهم وأنزلت بهم صنوف البلايا وقد أمر السلطان بشنق الذين تعاونوا مع المغول وعيّن على دمشق حاكما من قبله (٣) .

---

(١) الصالحية : إحدى قرى مركز فاقوس بمحافظة الشرقية بالوجه البحرى بمصر أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب ٦٤٤ هـ . المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨٤ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٣) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر جـ ٢ ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

أما بيبرس فأنه تعقب المنهزمين من المغول حتى كاد أن يلحق بهم على مقربة من مدينة حلب ولكنهم أطلقوا من كان في أيديهم من الأسرى وتركوا أولادهم وأسرعوا خفافا حتى لا يلحق بهم فتخطف الناس أولادهم ودانت حلب بالطاعة لسلطان مصر .

نتيجة الموقعة :

لو قدر للمغول أن ينتصروا في موقعة عين جالوت » لانسابوا في مصر كالسيل الجارف ولامتدت موجتهم المدمرة إلى السودان وبلاد المغرب وعبرت الى الأندلس واجتاحت أوربا وقضت على الحضارة الاسلامية والمسيحية على السواء لذلك تعتبر هذه الموقعة من أهم المواقع الفاصلة في التاريخ لأنها أنقذت العالم من شر مستطير وأطفأت هذه الصاعقة المهلكة التى كادت أن تقضى على حضارة العالم ومدنيته .

علاقة المغول بالمماليك بعد موقعة عين جالوت :

كانت علاقة المغول بالمماليك بعد موقعة عين حالوت عدائية تارة وودية تارة أخرى وكان أشد خطر هددت به مصر من جانب المغول في عهد سلطانهم تيمور لنك الذى نظم جموع المغول واتجه على رأسها نحو الغرب وأعاد سيطرة المغول على بغداد ٧٩٥ هـ .

وفي ٨٠٣ هـ انقض على بلاد الشام انقضاض الصاعقة واستباح مدينة حلب ثلاثة أيام وقتل من سكانها نحو عشرين ألفا وخرّب مساجدها ومدارسها ثم اجتاح مدن حماه وحمص وبعلبك وعاث فيها فسادا .

وصلت أخبار هذه العاصفة المغولية المدمرة الى القاهرة فخرج السلطان الناصر فرج بن برقوق منها على رأس جيشه متجها نحو الشام ووصل إلى دمشق في جمادى الأولى من السنة نفسها واشتبك الجيش الاسلامى مع جيش المغول في معارك جزئية ثبت فيها الجيش الاسلامى أمام هجمات المغول الشديدة وبرهن على مقدرته الحربية .

ثم بدأت مفاوضات الصلح بين الطرفين غير أن السلطان فرج اضطر إلى مغادرة الشام لأحباط مؤامرة في مصر دبرت لخلعه فرأى علماء دمشق وفقهاؤها ومعهم ابن خلدون المؤرخ العربى المشهور رأوا أنه لا مناص من التماس الأمان والصلح مع تيمور لنك فتظاهر باجابة ملتمسهم ولكنه غدر بهم وأسلم المدينة للنيران (١) .

وبعد أن عاد الناصر فرج إلى القاهرة أرسل رسالة شديدة اللهجة إلى تيمورلنك يخبره فيها أنه عائد إلى الشام ليطرده منها وأنه لم يترك الميدان خوفا منه ولا ضعفا عن منازلته ولكن أمورا داخلية اضطرته الى الرجوع الى عاصمة ملكه وأنه سوف يعود الى ميدان القتال بمجرد انتهاء مهمته في القاهرة .

وقد أشعلت هذه الرسالة نار الحقد في نفس تيمورلنك فصمم على الانتقام .

ولكنه غادر الشام قبل أن ينفذ ما صمم عليه . ولا يستبعد المستشرق الألمانى « بروكلمان » أن يكون تيمورلنك قد تذكر بطولة جيش مصر في مقاومة جيش هولاكو وسحقه فأراد أن لا يعرض جيشه

---

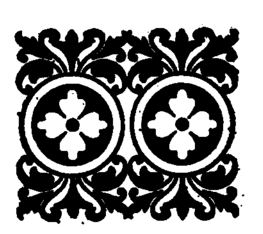
(١) ابن عرب شاه : عجائب المقدور في أخبار تيمور ص ١٠٢ وما يليها .

لما تعرض له جيش المغول على عهد هولاكو (١) .

وقبل أن يغادر تيمورلنك دمشق نقل صفوة علمائها ونخبة من صناعها وأهل الفن فيها إلى عاصمته « سمرقند » فبدأت الصناعات الدقيقة والفنون الجميلة تزدهر هناك وانحطت الصناعة في دمشق . وندرت الفنون الجميلة .

ولم يقدر لتيمورلنك أن يعود إلى بلاد الشام مرة أخرى فقد أمضى العامين التاليين في غزو آسيا الصغرى وتمكن من هزيمة السلطان العثمانى با يزيد الأول وأسره وشغل بذلك عن مهاجمة الشام ولم تمهله المنية حتى يحقق هذه الأمنية حيث توفي ٨٠٧ هـ وبعد موته ضعف جانب المغول ولم يعد يخشى على البلاد الاسلامية منهم بل هدى الله سبحانه وتعالى الأجيال التالية منهم إلى الأسلام وجعلهم أنصارا له .

« ويأبى الله إلا أن يُتم نُورَه ولو كره الكافرون » ..



---

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية (الترجمة العربية) جـ ٣ ص ٣٠ .

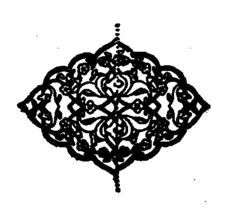
هـل تعـلم أن الكهـربـاء ثمرة ؟

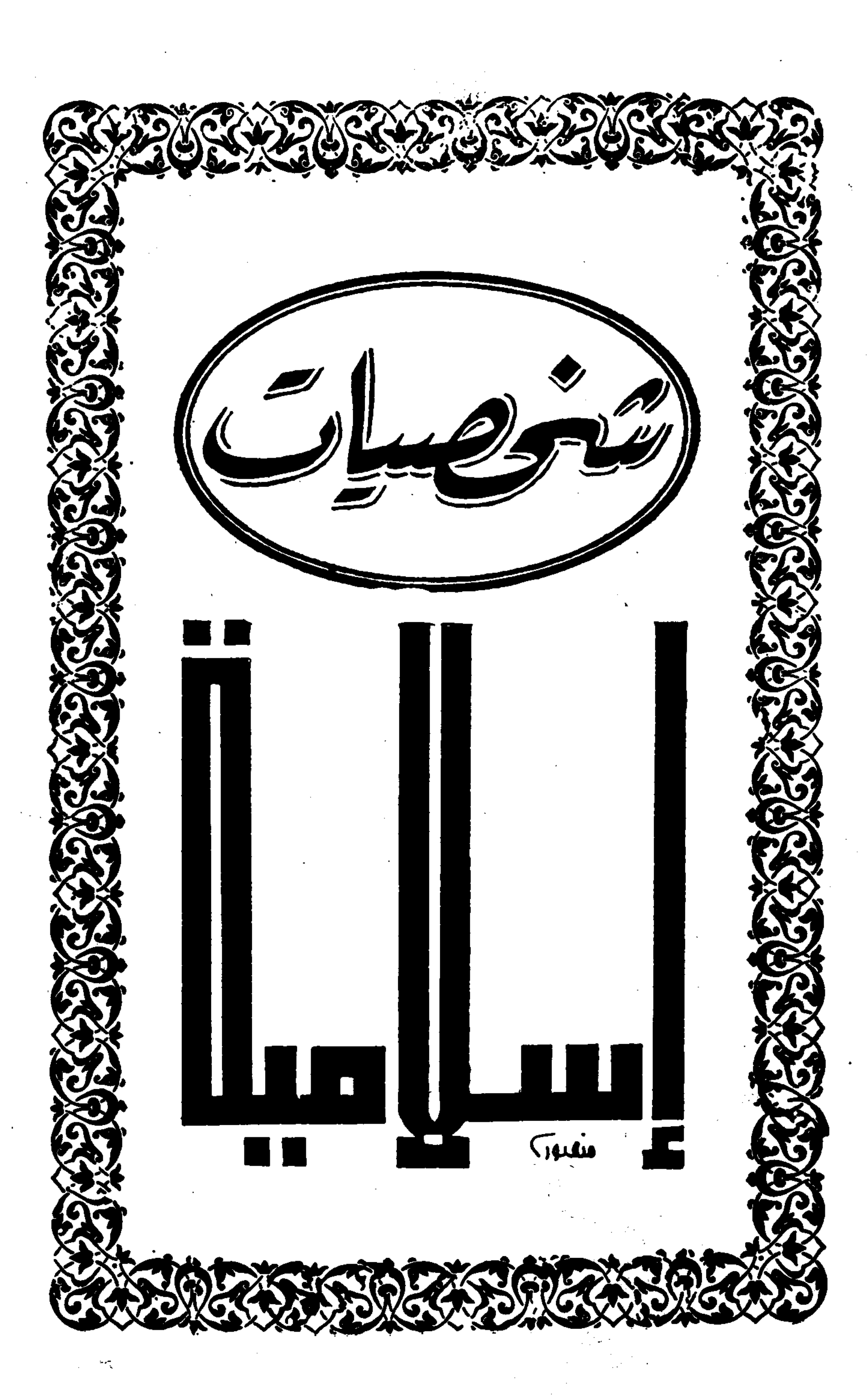
لو نظرنا بعين المتفكر في آيات الله لوجدنا ثمرة الكهرباء سرٌ تحار فيه العقول فهى ثمرة مكونة من زوجين ليسا ككل الأزواج فهما زوجان لايمكن الجمع بينهما واخراج ثمرتهما إلا بثالث بينهما ۰ ولك في اشتعال المصباح ودوران المحركات والتقاء السحاب المسخر بين السماء والأرض أمثلة ..

فمثلا يلتقى السالب والموجب في طرفي المصباح فيحدث الاشتعال ولا يمكن لك أن ترى بالعين المجردة أيهما السالب وأيهما الموجب فكلا السلكين لافرق بينهما في الحجم ولا في اللون ولكن مجرد اتصالهما بثالث وهو فتيل المصباح يُرى الثمرة الطيبة وهى النور ۰ وكذلك المحركات بالتقاء طرفي الكهرباء في أسلاك المحركات تخرج خطوط مغناطيسية تدفع ما يقابلها من أعمدة الحركة فتتحرك حسبما نريد ..

وأما السحاب فلنا فيه عظة وعبرة فكل سحابة تحمل صفة واحدة إما سالبة وإما موجبة واذا التقت السحابتان تخرج منهما البرق فيبشر بثمرة اللقاء وهى سقوط الماء الذى نستغله في حركة مولدات الكهرباء فتنتج الكهرباء التى تنير باذن الله ۰

فنى كهرباء بالجامعة
أحمد حسن بركات




شخصيات
إسلامية



نماذج أخرى من الدعاة الصالحين

«الحلقة الثالثة»

«أبو بكر الصديق»

لفضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري
رئيس قسم التفسير بالجامعة

ان عرضنا لهؤلاء النماذج من الدعاة الصالحين لم يكن المقصود منه استيفاء كل كمال كانوا عليه ، في حياتهم فان ذلك يتطلب منا وقتا وجهدا في حين أن الجانب المهم فيما نتوخاه من حياة هؤلاء النماذج الصالحين هو جانب الدعوة الى الله تعالى ، فنعنى بإبرازه ليكون قدوة لنا ومثالا صالحا نحتذيه وننسج على منواله ، عسى الله تعالى أن يهبنا بعض ما وهبهم من الإخلاص له في الدعوة لله تعالى وأصدق فيها والجد الذى لا يعرف الهزل والعمل الذى لا يعرف الكلل ولا الملل .

لقد كانت النماذج الأولى التى استعرضنا جوانب حياة الدعوة فيها هى أعاظم الرسل من أولى العزم عليهم الصلاة والسلام وهم : نوح وا براهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين .

أما المجموعة الثانية من نماذج الدعاة الصالحين فهى الخلفاء الراشدون الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين .

ولنبدأ استعراضنا بأبى بكر الصديق . فمن هو أبو بكر الصديق ؟ انه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى.

كنى أبى بكر ولقب بالعتيق . والصديق وهما لقبا شرف وكمال فالأول من العتاقة التى هى الحسن والجمال في الوجه . والثانى من الصديقية التى هى أسمى ألقاب الصالحين في الحياة وكأن ذلك

لصدقه وتصديقه . فهو أول من آمن من الرجال بالرسول صلى الله عليه وسلم وصدقه فيما جاء به وقد قال صلى الله عليه وسلم ما معناه ما من أحد عرضت عليه الاسلام إلا وكانت له كبوة الا أبا بكر رضى الله عنه .

هذا أبو بكر الصديق بن أبى قحافة من حيث اسمه وكنيته ولقبه ونسبه .

أما أبو بكر من حيث كمالاته النفسية والخلقية . والتى هى مدار الأسوة للدعاة الناشئين فنستعرض طرفامنها فنقول : ان فضل أبى بكر نتركه للرسول صلى الله عليه وسلم وحده يذكره لنا ويقف بنا عليه . فما هناك من هو أصدق من رسول الله . ولا أعرف بأبى بكر الصديق منه فلنستمع الى أعظم بيان في هذا الشأن روى الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ان من أمن الناس على في صحبته وماله . أبا بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لأتخذت أبا بكر خليلا . ولكن أخوة الاسلام » .

ان هذا الخبر الصادق يعلن عن سمو أبى بكر وعلو شأنه بحيث لا ينبغى لأحد أن يطمع في درجة أبى بكر بحال من الأحوال . ولو اكتفينا بذكر هذا الخبر في بيان فضل أبى بكر لكان كافيا . غير أن حبنا للصديق يأبى علينا أن لانذكر المزيد من فضائله .

أخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أصبح منكم اليوم صائما ؟ قال أبو بكر أنا . قال فمن تبع اليوم منكم جنازة ؟ قال أبو بكر أنا . قال فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ؟ قال أبو بكر أنا . قال فمن عاد منكم اليوم مريضا ؟ قال أبو بكر أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اجتمعن في امرىء الا دخل الجنة .

وأخرج البيهقى في شعب الايمان ان عمر رضى الله عنه قال : لو وزن ايمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم .

عفته :

ومن كمالات الصديق النفسية والخلقية التى اشتهر بها بين قومه في الجاهلية قبل الإسلام أنه لم يشرب خمرا قط ولم يقل شعرا . وقد روى ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها بسند صحيح قالت والله ما قال أبو بكر شعرا قط في جاهليته ولا في إسلامه . ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية

وهذا دال على كمال الرجل العقلى ومدى ما كان عليه من مروءة تأبى عليه أن يسف في قول أو عمل يتنزه عنهما عظماء الرجال . وهذا الكمال هو الذى رشح أبا بكر الصديق للدعوة الى الاسلام فدعا أخيار قريش في الجاهلية الى الاسلام فأجابوه طواعية واختيارا وهم من كانوا من كبار الصحابة وخيارهم

فيما بعد كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والزبير بن العوام وغيرهم من رجالات الاسلام بمكة ذكر ابن عساكر الرواية التالية وانها مع غرابة سندها لا تتعارض مع حياة الصديق وتطلعاته الى الكمال حتى في عهد الجاهلية قبل الاسلام قال فيها ابن عساكر قيل لأبى بكر الصديق في مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هل شربت الخمر في الجاهلية ؟ فقال أعوذ بالله . فقيل له ولم ؟ قال : كنت أصون عرضى وأحفظ مروءتى فان من شرب الخمر لم يحفظ عرضه وأضاع مروءته وكيف يحفظ مروءته أو يصون عرضه من يفسد عليه عقله فيصبح في حالة سكر لا فرق بينه وبين المجانين اذ قد يقول الهجز ويأتى العهر وهو لا يرى ماقال ولا ما فعل . والعياذ بالله تعالى .

كمال عقله :

ان كمال العقل في المرء مصدر شرفه وينبوع كمالاته ومن أوتى كمال العقل تأهل للعبادة بين الناس والشرف فيهم والسلطان عليهم وان حظ الصديق من كمال العقل كان وافرا كبيرا . ولنورد تدليلا على ذلك بعض مظاهر ذلك لنشاهد من خلالها كمال عقل الصديق رضى الله عنه فنقول :

١ ـ اسلامه المبكر الذى لم يسبقه فيه أحد من رجال قريش أبدا بشهادة الكثيرين كعلى بن أبى طالب وزيد بن أرقم وابن عباس وغيرهم وفي ذلك قال حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم والدعوة الاسلامية رضى الله عنه :

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة	فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البريئة أتقاها وأعدلها	الا النبى وأوفاها بما حملا
والثانى التالى المحموهد مشهده	وأول الناس منهم صدق الرسلا

٢ ـ ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم في غير موطن من مواطن الشرف غير موطن من مواطن الشرف والكمال أخرجه البخارى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنتم تاركون لى أصحابى ؟ انى قلت أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا فقلتم كذبت !!!! وقال أبو بكر صدقت !!!!

وأخرج الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما لأحد عندنا يد الا وقد كافأناه الا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه بها الله يوم القيامة وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر .

ولننه الحديث عن كمال عقل أبى بكر الصديق بالاشارة الى أحداث جسام تجلى فيها عقل أبى بكر ورجحانه بما لا تزيد عليه .

الأولى :ثباته يوم وفاة الرسول حيث ذهلت العقول . وطاشت الأحلام . وقال عمر ما قال (١)
فقام أبو بكر يخطب الناس ويهدىء روعهم . ويسكن من نفوسهم . ويقول من كان يعبد محمدا فات محمدا قد مات . ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت . وقرأ : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين .

الثانية : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ونجم الشر وارتد من ارتد من العرب وقالوا نصلى ولا نزكى . أتى عمر رضى الله عنه أبا بكر وقال له : يا خليفة رسول الله تألف الناس وأرفق بهم وانهم بمنزلة الوحش فقال له أبو بكر : رجوت نصرتك . وجئتنى بخزلانك . وجئتنى بخذلانك . جبارا في الجاهلية خوارا في الاسلام ؟؟ بماذا عسيت أن أتألفهم بشعر مفتعل أو بسحر مفترى هيهات هيهات . مضى النبى صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى . والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدى . وان منعونى عقالا .

والثالثة : هى استخلافة عمر بن الخطاب على المسلمين ذلك الاستخلاف الذى لم تر الدنيا خيرا منه قط الا ماكان من استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم له رضى الله عنه . ذلك الاستخلاف الذى بدأه باستشارة خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا واحدا ، فقد استشار عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد وأسيد بن حضر في أناس من المهاجرين والأنصار وذلك لما ثقل في مرضه الذى توفي فيه .. وقد قال له بعض ما أنت قائل لربك اذا سألك عن استخلاف عمر علينا وقد ترى غلظته ؟ وقال أبو بكر بالله تخوفنى ؟ أقول اللهم انى استخلفت عليهم خير أهلك ، أبلغ عنى ما قلت من وراءك ثم دعا عثمان فقال : أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ، ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب ، انى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب فأسمعوا له وأطيعوا ، وانى لم آل الله ورسوله ودينه ونفسى واياكم خيرا فان عدل فذلك ظنى به ، وعلمى فيه ، وان بدل فلكل امرىء ما اكتسب والخير أردت ، ولا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم أمر بالكتاب فختمه . ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما . فبايع الناس ورضوا به

فكان في هذه الخلافة من عز الاسلام وامتداد سلطانه . ونصرة المسلمين وصلاح حالهم ما لم يكن يخطر على بال أحد . فدلت هذه وسابقتاها على ما أوتى أبو بكر من رجاحة العقل . وكماله وكمال

---

(١) قول عمر رضى الله عنه كما رواه ابو هريرة : ان رجالا من المنافقين يدعون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات .
ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران . وقد غاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد ان قيل قد مات ووالله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا ان رسول الله مات .

العقل ورجاحته من ضروريات الداعى الناجح ومن أخص صفاته الكمالية .

شجاعته :

ان الشجاعة القلبية لا تقل أهمية عن الشجاعة العقلية بالنسبة لدعاة الحق والخير من رجال الدعوات بين الناس ، واذا كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مضرب الأمثال في رجحان العقل وكماله وقد وقفنا على مظاهر ذلك في الكلمة السابقة فان الصديق كان في باب الشجاعة القلبية مضرب المثل أيضا ، ولنكتف في التدليل على ذلك واثباته ببعض الوقائع فقط اذ لا يخامرنا شك في شجاعة أبى بكر الصديق ولنترك للبزار يذكر لنا في مسنده الحديث الطريف التالى : قال على رضى الله عنه : أخبرونى من أشجع الناس ؟ : أنت . فقال : أما أنا ما بارزت أحدا الا انتصفت منه ولكن أخبرونى من أشجع الناس ؟ قالوا لا نعلم فمن ؟ قال أبو بكر الصديق أنه لما كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا ، فقلنا : من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا يهوى اليه أحد من المشركين ، فوالله مادنا منا أحد الا أبو بكر شاهرا سيفه على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا يهوى اليه أحد من المشركين ، فهو أشجعنا .

ان شهادة بطل كعلى طبقت شهرة شجاعته الآفاق لأكبر دليل على شجاعة أبى بكر الصديق وهاهو ذا على مرة أخرى يذكر من شجاعة أبى بكر ما يبهر العقل ويقرر تفوق أبى بكر الصديق على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشجاعتين العقلية والقلبية قال على رضى الله عنه ، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخذته قريش ، هذا يجبأه (بيغته) وهذا يتلته (يحركه ويزلزله) وهم يقولون : أنت الذى جعلت الآلهة الها واحدا قال على فوالله مادنا منه أحد منا الا أبو بكر ، فكان يضرب هذا ويجبأ هذا ويتلتل هذا وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله

واخيرا فقد أخرج البخارى عن مروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت عقبة بن أبى معيط جاء الى رسول الله النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله . وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟؟ ان تقدم أبو بكر لدفع عقبة ابن أبى معيط وتخليص رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذاه ودفع ذلك الشقى عليه لعائن الله على مرأى ومسمع من رجالات قريش المتواطئة على الجريمة الراضية بما صنع أخوهم لموقف بطولى ينم على شجاعة نادرة لمن قام به وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه ..

جوده وكرمه :

ان الجود والكرم من صفات الكمال في الانسان . وما زالت البشرية منذ أن كانت تقدس هذين الوصفين في الانسان وتعتبرهما من مظاهر الكمال النفسى في الانسان .

بيد أن أصحاب الدعوات والذين يوقفون حياتهم على نصر دعواتهم . لا مناص من أن يتكلفوا الجود والكرم ويوطنوا له النفس على ذلك حتى يصبح الجود والكرم من أخص صفاتهم اذ الجود والسخاء والكرم وهى صفات ثلاث وان اختلفت لفظا فإنها متحدة معنى وهى بذل المعروف وتقديم الاحسان والمبالغة في ذلك الى حد الايثار على الاهل والولد والنفس . وبذلك يملك الداعى النفوس . ويجذبها الى محيط دعوته . كما قال الشاعر :ـ

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

وان أبا بكر الصديق وهو أحد نماذج الدعاة الصالحين من غير النبيين قد كان مع عفته وكمال عقله وعظم شجاعته جوادا كريما يبذل في سبيل الله . وينفق على نصرة دينه ورسوله ما لا يبذله غيره . وذلك ثابت في السنن .

وحسبنا من ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم المتقدم : ان من أمن الناس علىّ في صحبته وماله ابا بكر . ولو كنت متخذا غير ربى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام واصرح من هذا في بذل أبى بكر في سبيل نصرة رسول الله ودين الله تعالى رواية أحمد عن ابى هريرة اذ فيها قوله صلى الله عليه وسلم : ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر رضى الله عنه ولما سمع هذا الثناء العطر من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ينحدر كأنه حبّ الغمام على قلب ظمأن . بكى رضى الله عنه وقال : هل أنا ومالى الا لك يا رسول الله !

وأقوى من هذا أيضا رواية الترمذى عن ابى هريرة وفيها قوله صلى الله عليه وسلم ما لاحد عندنا يد الا وقد كافأناه الا أبابكر فان له يدا يكافئه الله بها يوم القيامة . وما نفعنى مال احد قط ما نفعنى مال ابى بكر !

وتقول الآثار وهى متوافرة بين رجال السلف ونسائهم ان أبا بكر الصديق اسلم وعنده أربعون الف دينار من ذهب فانفقها كلها في سبيل الله نصرة لرسول الله وانقاذا للمعذبين من المماليك المؤمنين كبلال وغيره . وفيه جرى قول الله تعالى : « وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى » .

ولا ننسى ان نسينا ما قال أبو قحافة لما هاجر ابو بكر وما صنعت معه حفيدته اسماء بنت الصديق . اذ لو ترك أبو بكر لأهله مالا لما وضعت اسماء الحجارة في كوة المنزل ووضعت عليها منديلا وقالت للشيخ تطمئنه . وتبددمن مخاوفه : ضع يدك يا جدى على هذا فانه قد ترك لنا ابو بكر فلم نرزأ في ماله ان رزئنا في نفســه .

ومادمنا نورد هذه الشواهد لا لندلل بها على كرم أبى بكر فحسب بل لنحيى في نفوسنا ونحن نتهيأ لحمل رسالة دعوة الاسلام هذا الخلق الكريم خلق الجود والسخاء والكرم لضرورة الدعوة والداعى اليه . فاننا سنعرض مسابقة عمر وابى بكر في هذا المضمار كما رواها ابو داود والترمذى علنا نخرج منها وقد اشبعت أرواحنا بمعانى البذل في سبيل الله وتهيأت نفوسنا لذلك واصبحنا بحمد الله نضرب في هذا السبيل بسهم غير قصير ولا قليل .

وهذا عرض المسابقة قال عمر رضى الله عنه : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق . فوافق ذلك مالا عندى فقلت اليوم اسبق أبا بكر - ان سبقته يوما - فجئت بنصف مالى فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله .

وأتى ابو بكر رضى الله عنه بكل ما عنده - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟ قال : ابقيت لهم الله ورسوله . فقلت لا أسبقه في شئ ابدا .

انتهت المسابقة كما هو ظاهر بفوز الصديق وسبقه وفضل السبق يظهر في كون المسبوق عمر بن الخطاب ازهد الناس في الدنيا . واقوى الناس على فعل الحق وقوله والسؤال هو ما نصيبنا نحن من هذا الخلق الضرورى للداعى . انه باجراء الخاطر على مثل هذة الامثال لأعاظم الرجال لا نعدم روح الجود ولا نفقد نفسية الكرم وان ما أنصح به الداعى الناشىء ان يمرن نفسه ويروضها شيئا فشيئا على اكتساب هذه الخلال والاتصاف بهذه المعانى الروحية الكريمة . وانه لا بد آخذ منها بنصيب غير قليل لا سيما عبد هيأه الله تعالى لدعوة عباده اليه فسوف يمده بكل ما يؤهله لذلك وانا والحمد لله لواجدون من ذلك أثراً في نفوسنا وان كان يقل أحيانا ويكثر اخرى .

علم ابى بكر رضى الله عنه

ومن جود أبى بكر الى علمه وفقهه رضى الله عنه

ان الجانب العلمى في حياة الداعى يعتبر من أهم جوانب حياته . اذ بدون العلم بدعوة الله تعالى والفقه في اسرارها والبصيرة في شرائعها واحكامها . لا يتأتى للمرء مهما كان صادقا مخلصا أن يدعو الى الله تعالى . ويفيد الناس بدعوته ان من لا يعرف الله تعالى ولا يعرف الطريق الموصل اليه سبحانه وتعالى . ليس من حقه ولا من شأنه الدعوة اليه اذ فاقد الشىء لا يعطيه .

ولما كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه أحد نماذج الدعاة الصالحين كان لا بد من الكشف عن جانب حياته العلمية والفقهية ليقتدى به في ذلك ويؤتسى . اذ الغرض من دراسة هذه الشخصيات التى لمعت اسماؤها في دنيا الدعوة وازدهرت بدعوتها الحياة هو الاقتداء بهم وتقمص حياتهم . ليكون المقتدى بهم خلفا لهم في دعوتهم . يبلغها كما بلغوها . ويبينها للناس كما بينوها وبذلك تتصل حلقات الدعوة ويستمر هدى الله في الناس .

ان أبا بكر الصديق على جانب كبير من العلم والفقهْ . اذ كان كبار علماء الصحابة يعترفون له بذلك ويعدونه أعلمهم وأفقههم في دين الله تعالى . ولنذكر شواهد ذلك براهين على علم أبى بكر وكماله فيه وعلى فقهه في شرع الله وتفوقه فيه ولما عسانا ان نكتسب من علم أبى بكر وفقهه .

١ ـ روىَ الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال ان الله تعالى خيّر عبدا بين الدنيا ، وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله تعالى فبكى أبو بكر . وقال نفديك بآبائنا وأمهاتنا وقال أبو سعيد فعجبنا لبكاء أبى بكر وقلنا يخير الله عبدا من عباده بين الدنيا وبين ما عنده فتختار ما عنده فيبكى أبو بكر ولكن لم يلبث حتى عرفنا ان المخيّر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان ذلك كان نعيا لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا ، فعرفنا ان

أبا بكر كان أعلمنا ...

٢ ـ قوله رضى الله عنه في أهل الردة كما في الصحيح : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه هذا القول منه رضى الله عنه دل على طول باع أبى بكر في العلم وعلى سعة آفاقه في فهم نصوص الشريعة ومعرفة أسرارها ، وكيفية وجه الاستنباط منها اذ قال الزكاة اخت الصلاة فوالله لأقاتلن من فرق بينهما وأندهش الصحابة لموقف أبى بكر وعلى رأسهم عمر ولكن لم يلبثوا الا قليلا حتى ظهر لهم الحق وأستصوبوا رأى أبى بكر في المسألة وقاتلوا أهل الردة حتى خضعوا للاسلام .

٣ ـ موقفه رضى الله عنه من صلح الحديبية ورضاه به وسكون نفسه اليه في حين اضطرب عمر رضى الله عنه وقال ما لا ينبغى ان يقال ازاء قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكمه الأمر الذى جعل عمر يقول مازلت أتصدق وأصوم وأصلى واعتق من الذى صنعت يومئذ . مخافة لكلامى الذى تكلمت به حتى رجوت ان يكون خيرا .

وبيان الحادثة كما في البخارى وسيرة ابن هشام أنه لما التأم الأمر بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش ولم يبق الا الكتاب ، وثب عمر رضى الله عنه فأتى أبا بكر رضى الله عنه وقال : يا أبا بكر اليس برسول الله ؟ قال : أبو بكر بلى . قال : اولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى . قال أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال فعلام نعطى الدنية في ديننا ؟ قال ابو بكر ياعمر الزم غرزه . فإنى أشهد أنه رسول الله قال عمر أنا أشهد انه رسول الله .ثم اتى رسول الله فقال : يارسول الله ألست برسول الله ؟ قال : بلى . قال أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال أوليسوا بالمشركين ؟ قال : فعلام تعطى الدنية في ديننا ؟ قال أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى .

لقد قارن أهل العلم بين موقف أبى بكر من هذه القضية وبين موقف.عمر رضى الله عنهما فخرجوا بنتيجة حاسمة ألا وهو فقه أبى بكر وسعة علمه . وأنه أعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإطلاق .

وهناك مظاهر كثيرة تجلى فيها فقهه وعلمه رضى الله عنه .

حسبنا منها قول النبى صلى الله عليه وسلم يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وقوله في رواية الترمذى : لا ينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره .

حلمه وتواضعه

وبما ان الحلم والتواضع من مكارم الأخلاق والداعى الصادق في دعوته لا غنى له عنهما بحال من الأحوال . اذ ضد الحلم السفه والطيش ومقابل التواضع الكبر.والعياذ بالله . فمن هنا نذكر بعض مظاهر هاتين الخلتين الكريمتين في أبى بكر الصديق وهو أحد نماذج الدعاة الصالحين بعد الانبياء المرسلين

فنقول ذكر السيوطى في كتابه تاريخ الخلفاء الراشدين ان ابن عساكر رحمة الله تعالى أخرج في كتابه أن أنيسة قالت نزلت بفناء أبى بكر ثلاث سنين قبل ان يستخلف وستة بعد ما استخلف . فكان جوارى الحمى يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن . ان عملا هكذا أبو بكر الوزير والصاحب الاول والصديق الأوفى لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم وهو خليفة المسلمين كافة يتنازل في تواضع لا نظير له عند أمثاله في دنيا الناس ابدا فيحلب لجوارى الحى أغنامهن . انها لمثل في التواضع لا يسامى فيه أبو بكر ولا يدانى بحال من الأحوال .

وأخرج ابن عساكر أيضا عن أبى صالح القفارى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يتعهد عجوزا كبيرة من النساء عمياء في بعض أطراف المدينة يسقى لها ويقوم ببعض أمرها وذلك من الليل . فكان يأتيها أحيانا فيجد غيره قد سبقه اليها فسقى لها وقضى حاجاتها فحاول عمر أن لا يسبقه الى خدمة هذه العجوز فكان يسبقه فعزم عمر على أن يرصده ليعرف من هو هذا السابق للخير فوجده أبا بكر الصديق . والعجب في ذلك أنه كان يفعل ذلك أيام خلافته رضى الله عنه فقال عمر لما تبين له أنه أبو بكر أنت هو لعمرى !

فهذه كالتى سبقت من مظاهر التواضع الفذ النادر الذى لم يعرف به أحد غير أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأخرى فقد روى عنه رضى الله تعالىعنه أنه كان اذا مدح يقول : اللهم أنت اعلم منى أنت اعلم منى بنفسى وأنا اعلم بنفسى منهم اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون واغفر لى مالا يعلمون ولا تواخذنى بما يقولون .

هذا عن تواضع أبى بكر رضى الله عنه أما حلمه فالحديث عنه يطول ومن أحلم من أبى بكر ؟ اخرج ابو نعيم وغيره عن عبد الرحمن الاصبهانى قال : جاء الحسن بن على رضى الله عنهما إلى أبى بكر وهو على منبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال انزل عن مجلس أبى . فقال صدقت : إنه مجلس أبيك وأجلسه في حجره وبكى . فقال رضى الله عنه : والله ما هذا عن أمرى فقال أبو بكر صدقت . والله ما أتهمك .

ان هذه الحادثة إن تمت على وجهها كما رويت تكشف عن مدى حلم ابى بكر الصديق وتجعله بحق مضرب المثل في الحلم وضبط النفس ورباطة الجأش . وصدق القول وسلامة الصدر ولنستعرض جزئيات الحادثة مفصلة ليتبين لنا وجه الكمال النفسى فيها . ونظهر حقيقة الحلم اللذى كان خلق ابى بكر رضى الله عنه .

يجلس أبو بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خليفته في أمته بإشارته صلى الله عليه وسلم واجماع الأمة عليه . فياتيه من يقول له : انزل من على منبرنا فانه مجلس أبينا وجدنا . فلايتردد أبو بكر في اعترافه بالحق فيقول : نعم أنه مجلس أبيك ولا يكتفى بدل الغضب بالاعتراف الصريح بل يرفع الغلام المنحنى له العاقب عليه في حجره ويبكى وما أبكته كلمة الحسن وانما أبكاه فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتفطن ابو الحسن لتصرف ولده الصغير الذى حلمه فقد جده الذى

كان يجلس على منبره فيأتيه فيجلسه معه عليه فيقول لأبى بكر أنزل عن مجلس أبى وهى كلمة مثيرة للغاية ولو كانت من صبى صغير لا يعقل . اذ قد يظن أن الغلام مدفوع لأن يقول هذا وهو ما جعل أبا الحسن رضى الله عنهما يقول لأبى بكر مقسما له بالله تعالى أن هذا ما صدر عن أمره . وانما هو من تصرف الحسن. فقط وعرف ابو بكر نفسية ابن عم رسول الله وخاف ان يظن به غير رحابة الصدر وسلامة النية وطيب الطوية فبادر بتصديقه . ونفى التهمة عليه بقوله : صدقت ووالله ما أتهمك .

ولنكتف في الاستشهاد على حلم أبى بكر وتواضعه بهذا الذى أسلفنا ونحن نعلم أن كمال أبى بكر النفسى الذى نظمه في سلك الدعاة الصالحين ولا يأتى عليه قول ولا تتسع له الصفحات مهما كبرت وطالت .

حســـن ســياســته

ان الكمال النفسى الناجم عن الإيمان الكامل والعلم الواسع والتقوى العامة . يؤهل صاحبه لحسن السياسة وسلامة الحكم وقوة القيادة والحكمة فيها وهذا الذى تم للصديق بحذافيره وبرز فيه وكان مثال الحاكم العادل . والسياسى البارع والقائد المظفر الرشيد ويكفينا شاهدا على كمال أبى بكر في رشده وحسن سياسته . وعظمة قيادته . من عشرات الشواهد والتى من أبرزها اعلان الحرب على المرتدين وقتالهم الى أن أخضعهم للاسلام وعادوا اليه . وتسيير جيش أسامة الذى عبأه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحال دون تحركه وخروجه الى بلاد الشام مرض رسول الله صلى‌الله عليه وسلم ثم وفاته فان أبا بكر ــ والفتنة قائمة والمسلمون في أحرج المواقف وأصعب الأحوال ــ قد أنفذ جيش أسامة كما أراد الله ورسوله فكان في ذلك من الخير والنصرة للاسلام والعزة مالا يقادر قدره .

أقول يكفينا شاهداً خطبته التى خطبها بعد أن تمت بيعته خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين فقد رسم في تلك الخطبة التاريخية الشهيرة سياسته في الحرب والسلم وفي الحكم والقضاء كما في القيادة والتدبير فقال : يا أيها الناس أنى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت أعينونى . وان أسأت فقومونى . الصدق أمانة والكذب خيانة . والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له إن شاء الله تعالى والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله تعالى . ولا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا قوم ضربهم الله بالذل . ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله تعالى بالبلاء . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله

ففى هذه الخطبة الموجزة الفصيحة البليغة قرر أبو بكر بيعة المسلمين له . في تواضع كامل . حيث قال قد وليت عليكم ولست بخيركم وقابل فيها الاحسان بالإساءة وطالب مبايعيه بإعانته في حال احسانه في حكمهم وادارة شؤونهم . وبتقويمه وتسديده في حال خطئه واساءته كما أعلمهم ان القوى والضعيف امام الحق متسايان . وأنه لابد من انصاف القوى من الضعيف مهما كانت قوة القوى وضعف الضعيف وأعلن مبدأ الجهاد وقرره ودعا الى القيام به . وحذر من الخيانة والفساد والشر . وختم خطابه

بتقرير مبدأ البقاء للأصلح بقوله أطيغونى ما أطعت الله ورسوله فيكم . فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم . فاشتمل خطابه على دعائم سياسته وخطط حكمها فضرب بذلك المثل واستلم من يومئذ القيادة وساس الأمة بما رسم من خطط فكان أشبه بنبى في أمة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم .

وفاته رضى الله عنه

ولم تكتمل الثلاث سنوات التى تولى فيها أبو بكر الصديق المسلمين حتى وافاه أجله فتوفي في بيته نتيجة مرض لازمه قرابة نصف شهر ودفن بجوار نبيه وحبيبه ولحقت روحه بالرفيق الأعلى فسلام الله عليه ومغفرته ورضوانه .

اخرج الحاكم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كان أول بدء مرض أبى بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج فيها الى صلاة . وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة . وله ثلاث وستون سنة فرضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه .

عمر بن الخطاب

ان كان ابو بكر الصديق رضى الله عنه الأول في سلسلة الدعاة الصالحين في هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم فإن عمر بن الخطاب يكون الحلقة الثانية من تلك السلسلة فهو أفضل هذه الأمة واكرمها على ربه تعالى بعد أبى بكر الصديق . ولا نزاع . فمن هو عمر ياترى ؟ وما هى مظاهر كماله التى يقتدى به فيها . وهو أنموذج من الدعاة الصالحين ؟

وفي الجواب نقول : ان عمر بن الخطاب هو الفاروق ثانى الخلفاء الراشدين . والده نفيل بن عبد العزى بن رباح بن فرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى العدوى القرشى . يكنى أبا حفص ، ولقبه الفاروق لأن الله تعالى فرق بإسلامه بين الحق والباطل من السابقين الأولين ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة وأسلم في السنة السادسة من البعثة المحمدية تقدم إسلامه فلم يسلم قبله إلا أربعون رجلا إحدى عشرة امرأة ومن مميزاته أنه قرشى شغل سفارة قريش في الجاهلية . أعز الله تعالى الإسلام بإسلامه . وبشر بالجنة وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وصاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث زوجه ابنته حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها وكان ثانى الخلفاء الراشدين الأربعة . وله أوليات سما به عن غيره وفاز بها دون سواه منها :

أنه أول من سمى بأمير المؤمنين وأول من وضع التاريخ الهجرى وأول من اتخذ بيت المال وأول من سن قيام شهر رمضان وأول من عس وأول من عاقب على الهجاء وأول من جلد في الخمر ثمانين جلدة . وأول من اتخذ الدرة وكانت أهيب من سيف . وأول من فتح الفتوح . ومصر الإمصار وبرد البريد . وله اوليات غير هذه فحسبنا منها ما ذكرنا .

ومن مظاهر كمالات عمر التى يقتدى به فيها ما يلى :

١ ـ شجاعته

ان عمر كان مضرب الأمثال في الشجاعة القلبية والعقلية معا .والأحداث التالية تجلى لنا حقيقة شجاعة عمر وتظهرها كما هى آية في بابها لا يشك فيها ولا يرتاب .

اعلان اسلامه . فقد روى أنه لما أراد الله اسلامه خرج إلى المسجد الحرام ليلا وقد ضرب أخته المخاض فدخل في أستار الكعبة ـ لعله يدعو الله تعالى ان يخفف عن أخته ويسهل أمر ولادتها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل الحجر فصلى ما شاء الله أن يصلى ثم انصرف . قال عمر فسمعت ـ يعنى من قراءة رسول الله شيئا لم أسمعه مثله . فخرج قال فاتبعته . فقال من هذا ؟ فقلت عمر . فقال ياعمر : ما تدعنى لا ليلا . ولا نهارا فحسبت ان يدعو علّى فقلت أشهد ان لا اله الا الله . وانك رسولُ الله فقال ياعمر اسره يعنى أمر اعلان شهادته واسلامه . فقلت لا والذى بعثك بالحق لأعلننه كما أعلنت الشرك فهذه الرواية وهى احدى روايات وردت في اسلامه عمر رضى الله عنه تدل على شجاعة عمر القلبية والعقلية معا فقد أقسم ان يجاهد بعقيدته الإسلامية ولا يبالى بمن يؤذيه من أجلها .

٢ ـ اعلان عن هجرته

فقد روى إن المؤمنين لما كانوا يهاجرون من مكة يخرجون منها متسللينمختفين خشية أن يعلم بهم المشركين فيردوهم الا عمر لما أراد الهجرة فإنه أعلن عن هجرته .

اخرج ابن عساكر عن على رضى الله عنه قال : ما علمت أحداً هاجر إلا مختفيا إلا عمر بن الخطاب فإنه لما هاجر هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه . وانتضى في يده أسهما . وأتى الكعبة واشراف قريش بفنائها فطاف سبعا ثم صلى ركعتين عند المقام . ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال : شاهت الوجوه من أراد أن تثكله أمه ويتم ولده (١) . وترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى . فما تبعه منهم أحد .

٢ ـ شهوده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد الحربية كلها فلم يتخلف عن غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قط . وكان ممن ثبت معه يوم أحد فدل هذا على شجاعة عمر التى هى مضرب الأمثال . ومناط قدوة للرجال والأبطال .

زهده

ان الزهد في الدنيا والإعراض عن طلب زينتها . والعزوف عن شهواتها دلالة على كمال إيمان المرء ورجاحة عقله إذ الدنيا حقيرة . وزينتها خداع وشهواتها آلام تدفع بآلام أشد منها وفي الحديث « لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة لما سقى الكافر منها جرعة مـاء » .

وفي القرآن الكريم : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبواباً وسررا يتكئون وزخرفا . وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا . والآخرة عند ربك للمتقين » .

---

(١) يتم من باب ضرب وعلم

ومن هنا كان أكمل الناس إيمانا وأرجحهم عقلا من عزف عن الدنيا . وترفع عنها . واستهان بشهواتها وتخلى عنها إلا ما كان بلاغا لا بد منه .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه كان مثلا ناطقا في هذا الباب . وباستعراضنا لمواقفه التالية تتأكد هذه الحقيقة عندنا . ويثبت زهد عمر لدينا .

ذكر السيوطى في كتابه تاريخ الخلفاء الراشدين أن إبن سعد أخرج أن حفصة وعبد الله ابنى عمر وغيرهما كلموا عمر : فقالوا لو أكلت طعاما طيبا كان أقوى لك على الحق ؟ قال : أكلكم على هذا الرأى ؟ قالوا : نعم قال قد علمت نصحكم . ولكنى تركت صاحبى على جادة . فإن تركت جادتهما لم ادركهما في المنزل .

وذكر القرطبى في تفسيره عن قتادة انه قال : ذكر لنا أن عمر رضى الله عنه قال : لو شئت كنت أطيبكم طعاما وألينكم لباسا . ولكنى استبقى طيباتى للآخرة . قال ولما قدم عمر الشام صنع له طعام لم ير قط مثله . قال هذا لنا ؟ فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز الشعير !

فقال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر بالدموع . وقال لئن كان حظنا من الدنيا هذا الحطام . وذهبوا هم في حظهم بالجنة . فلقد باينونا بونا بعيدا .

وذكر ابن سعد عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : رأيت بين كتفى عمر أربع رقاع في قميصه وذكر ابن سعد أيضا أن عثمان النهدى قال رأيت على عمر ازارا مرقوعا بأدم . وقال : عبد الله بن عامر بن ربيعة حججت مع عمر فما ضرب فسطاطا ولا خباء كان يلقى الكساء على الشجرة ويستظل تحته . وقال : قال عبد الله بن عيسى كان في وجه عمر بن الخطاب خطان أسودان من البكاء .

والذى ينبغى ان يذكر هنا ونحن نستعرض زهد عمر من خلال ذكريات حياته الخالدة في عالم الفضائل والكمالات ان زهد عمر قد تلقاه دروسا عملية من سيد الزاهدين كلهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وهذا مسلم يروى لنا الرواية التالية فيقول : ان عمر رضى الله عنه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو في مشربته حين هجر نساءه . قال فالتفت فلم أرشيئا يره البصر إلا إهبا جلودا معطونة قد سطع ريحها . فقلت يارسول الله انت رسول الله وخيرته . وهذا كسرى وقيصر في الديباج والحرير ؟ قال فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال أفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لى اللهم اغفر له فبمثل هذا الدرس النبوى تشبعت روح عمر بمعانى الكمال وأصبح عمر في ذلك نعم المثال .

٢ ـ عدله

ان عدل عمر قد طبقت لشهرته الآفاق . وما هناك من المسلمين من يذكر لديه عمر ولم يذكر عدله في أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم استخلف عليها حتى كان لفظ العدل مقرونا في ذهن كل مؤمن يا أبن الخطاب رضى الله عنه وكعدله شدته في الحق وعدم تساهله في شىء منه ولنذكر بعض مظاهر عدل عمر وشدته في الحق . ذكر ابن سعد عن الإحنف بن قيس قال كنا جلوساباب عمر رضى

الله عنه فمرت جارية فقالوا هذه سرية أمير المؤمنين . فقال عمر ماهى لأمير المؤمنين سرية . ولا تحل له . انها من مال الله تعالى . فقلنا ماذا يحل له من مال الله تعالى : قال ألا لا يحل لعمر من مال الله تعالى . فقلنا إلا حلتين : حلة للشتاء وحلة للصيف . وما أحج به وأعتمر . وقوتى وقوت أهلى كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم . ثم أنا بعد رجل من المسلمين وقال خزيمة بن ثابت رضى الله عنه كان عمر اذا استعمل عاملا كتب له واشترط عليه ان لا يركب برذونا ولا يأكل فقيا ولا يلبس رقيقا ولا يغلق بابه دون ذوى الحاجات . فإن فعل فقد حلت عليه العقوبة .

وروى عن ابن جرير قال أخبرنى من أصدقه أن عمر بينما هو يطوف عاسًّا متفقدا أحوال الناس ليلا سمع أمرأة تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه ... وأرقنى أن لا خليل ألاعبه
فو الله لولا الله تخشى عواقبه ... لزحزح من هذا السرير جوانبه

فقال عمر مالك ؟ قالت اغزيت زوجى منذ أشهر . وقد اشتقت إليه . قال أردت سوءا ؟ قالت معاذ الله فقال فأملكى عليك نفسك فإنما هو البريد إليه .

فبعث إليه . ثم دخل على حفصة فقال إنى اسائلك عن أمر أهمنى فأفرجيه عنى . كم تشتاق المرأة الى زوجها ؟ فخفضت حفصة رأسها واستحت فقال لها عمر إن الله لا يستحى من الحق . فأشارت بيدها ثلاثة أشهر وإلا فأربعة أشهر . فكتب عمر أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر .

وروى أن أبا موسى الأشعرى كان عاملا لعمر رضى الله عنهما . وأنه أعطى يوما رجلا من رجاله بعض سهمه فرفض أن يقبله فجلده أبو موسى عشرون سوطا وجز شعر رأسه عقوبة له فأخذ الرجل شعره وأتى عمر فشكا اليه ما لقى من عامله ابى موسى رضى الله عنه فكتب عمر الى ابى موسى : سلام عليك أما بعد فان فلانا اخبرنى بكذا وكذا فان كنت فعلت ذلك في ملأ من الناس فعزمت عليك لقعدت له في ملأ من الناس حتى يقتص منك . وان كنت فعلت ذلك في خلاء من الناس فاقعد له في خلاء من الناس فقدم الرجل على أبى موسى وتعاظم الناس الأمر وقالوا له أعف عنه فقال الرجل لا والله لا ادع حقى لرجاء أحد من الناس فلما قعد أبو موسى للقصاص رفع الرجل رأسه الى السماء . ثم قال اللهم انى قد عفوت .

ومثل هذه الحادثة وهى من أكبر مظاهر العدل في الحكم حادثة المصرى الذى سابق ابنا لعمرو ابن العاص والى مصر على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد شكا المصرى الى عمر وقال له : ان الوالى أجرى الخيل وسابقنى ابنه فسبقته . فغضب ابنه محمد بن عمرو ووثب علىّ يضربنى بالسوط ويقول خذها وأنا ابن الأكرمين . فبعث عمر الى عمرو وابنه محمد فقدما اليه من مصر فاجلسهما عمر في مجلس القصاص . ونادى عمر قائلا أين المصرى وأعطاه الدرة وقال له أضرب ابن الأكرمين فضربه المصرى حتى أخذ حقه منه . ثم قال عمر بن الخطاب اجعلها على صلعة عمرو . فوالى ما ضربك ابنه الا بفضل

سلطانه . فقال المصرى يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى فقال عمر أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه . ثم التفت الى عمرو قائلا في غضب متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟

ومن مظاهر العدل الشورى . وقد عرف عمر رضى الله عنه بمالا مجال للشك فيه أنه كان يستشير أصحابه ويعرض عليهم كل ما يهمه من أمر المسلمين اذا التبس عليه . ويسترشد بآرائهم . ويأخذ بما يراه أقرب الى الحق والصواب في كل مايشتبه عليه من الأمور ويختلط .

والرواية التالية تمثل نموذجا لما يراه عمر في الشورى ويؤمن به . روى أنه قال لأصحابه يوما دلونى على رجل استعمله عل امر أهمنى قالوا : فلان . قال لا حاجة لنا فيه قالوا فمن تريد ؟ قال أريد رجلا اذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم واذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم . قالوا ما نعرف هذه الصفة الا في الربيع بن زياد الحارثى قال صدقتم فولاه .

وروى ان أهل الكوفة قدموا يوما يشكون أميرهم سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فقال : من يعذرنى من أهل الكوفة إن وليتهم التقى ضعفوه (١) وإن وليتهم القوى فجروه (٢) فقال المغيرة بن شعبة يا أمير المؤمنين إن التقى الضعيف له تقواه ولك ضعفه وإن القوى الفاجر لك قوته وعليه فجوره . قال صدقت أنت القوى الفاجر فاخرج اليهم .

علمـــــه

ان علم ابن الخطاب كان مسلما به بين علماء الصحابة رضوان الله عليهم ولو اكتفينا بقول على رضى الله عنه فيه اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر ماكنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر . أخرجه الطبرانى في الأوسط لكفانا دليلا على علم عمر ولو طلبنا شهادة على علم عمر لكفتنا شهادة عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان اذ قال الأول لو ان علم عمر وضع في كفة ميزان . ووضع علم أحياء الارض في كفة لرجح علم عمر بعلمهم ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم أخرجه الطبرانى في الكبير .

وقال الثانى : أى حذيفة رضى الله عنه كان علم الناس مدسوسا في حجر عمر .

وليس أدل على علم عمر رضى الله عنه من موافقاته للقرآن الكريم تلك الموافقات التى يرى فيها عمر الرأى فينزل القرآن بموافقته فيما رآه وتقريره ومن ذلك أسرى بدر أذ رأى قتلهم . ورأى غيره فداهم فنزل قول الله تعالى « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

ومنه رأيه في احتجاب نساء الرسـول حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرت أمهات المؤمنين ان يحتجبن فنزلت آية الحجاب : « فاذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب »

ومنه رأيه الصلاة . خلف المقام واشارته بذلك فأنزل الله تعالى : « وإتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » .

---

(١) ضعفوه : جعلوه ضعيفا بالاحتيال عليه والخروج عن طاعته أو نسبوه الى الضعف فيكون كاستضعفوه أى نسبوه الى الضعف وهو العجز

(٢) فجوره نسبوه الى الفجور وهى ارتكاب المعاصى واصل الميل عن القصد والعدول عن الحق .

ومنه قوله لما تمالأ بعض نساء الرسول صلى الله عليه وسلم لغيرتهن فاعتزلهن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

: يا رسول الله : ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك والملائكة وجبريل وميكائيل وانا وأبو بكر والمؤمنون معك فأنزل الله تعالى قوله : « عسى ربه ان طلقكن » . الآ يتين .

والذى عرف ايمان عمر وتقواه لم يشك في علمه أبدا لان العلم نور يقذفه الله في قلوب عباده المؤمنين المتقين . فليس هو بكثرة الرواية ولا بكثرة الدرس والتحصيل كما يقولون وتلك الفراسة القوية التى أوتيها عمر وشهد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : لو كان في أمتى محدثون لكان منهم عمر وشهد بها ابنه عبد الله حيث قال : ما قال أبى في شئ أظنه كذا . الا كان كما ظن ما هى الا من نور علمه وصفاء روحه . وقوة يقينه .

فعن هذه الثلاث مكتملة تتولد الفراسة ويعظم الفرقان فيصبح صاحبها يقول فلا يخطىء ويظن فلا يكذب . وما أحوج الداعى الى الله تعالى الى مثل علم عمر وايمانه وقوة يقينه ليحظى بالفرقان ويظفر بالفراسة فينجح في دعوته . ويصل الى أقصى ما يريده لها من الذيوع والانتشار .

تواضعه

ان تواضع عمر رضى الله عنه ليس مقصورا على خدمة الارامل . وضعفة المسلمين . ولا على أكله الخشن ولباسه الخشن . فإن وراء ذلك ما هو أعظم إنه معرفة الحق والخضوع له وقبوله ممن يقوله ويدعوه اليه ولنكتف في ذلك بالرواية التالية : خطب عمر الناس يوما فنهى في خطابه عن التغالى في المهور فقامت امرأة فقالت ياعمر أنصدقك أم نصدق قول الله تعالى ـ وفي لفظ أيعطينا الله وتمنعنا ياعمر يقول الله تعالى « وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا » فقال عمر صدق الله وكذب عمر وأصابت المرأة وأخطأ عمر وفي رواية كل الناس أفقه منك يا عمر .

سياسته وقضاؤه

ان سياسة عمر الرشيدة السديدة التى كان من اثارها الفتوحات العظيمة اذ تم على عهد حكمه فتح العراق وفارس والشام وفلسطين ومصر وازدهرت على عهده البلاد الاسلامية أزدهارا لم تزدهر قبله ولا بعده مثله أبدا فعز الاسلام والمسلمون ونعمت أمة الاسلام بالأمن والرخاء في كل ديارها ومن هنا لم تصبح بنا حاجة الى ذكر نماذج من أوجه سياسته لأمة الإسلام . التى حكمها بإذن الله عمر رضى الله عنه .

أما قضاؤه فحسبنا أن نستعرض له كتابه الى أبى موسى الأشعرى حيث جمع فيه أصول القضاء وقواعده . وأتى فيه بما لم يعرفه القضاء في أى عصر من عصور الأمة الاسلامية خلا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهذا نص الكتاب فلنقرأ متملينه متأملين فيه فإنه لوحة مشرقة في القضاء ونظام خالد للقضاة في دنيا المسلمين . قال رضى الله عنه أما بعد ...

فان القضاء فريضة محكمة . وسنة متبعة فعليك بالعقل والفهم وكثرة الذكر فافهم اذا ادلى اليك الرجل بالحجة . فاقض اذا فهمت وأمض اذا قضيت فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آس بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على المدعى واليمين على من أنكر .

والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما . وحرم حلالا ومن ادعى حقا غائبا أو بينة فاضرب له أمدا ينتهى اليه . فإن جاء ببينة أعطه حقه والا استحللت عليه القضية . فان ذلك ابلغ في العذر وأجلى للقمى ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم . ومراجعة الحق خير من التمادى في الباطل . الفهم فيما يختلج في صدرك مما ليس في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم اعرف الأشباه والأمثال . وقس الأمور عند ذلك واعمد الى اقربها الى الله تعالى وأشبهها بالحق . المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد أو مجريا عليه شهادة زور . أو ظنينا في ولاء أو نسب أو قرابة . فان الله تولى منكم السرائر وادر بالبينات والايمان . واياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالناس عند الخصومة والتنكر عند الخصومات فإن القضاء عند مواطن الحق يوجب الله تعالى به الأمر ويحسن به الذكر فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس . ومن تخلق للناس بما ليس في قلبه شأنه الله تعالى لا يقبل من العباد الا ما كان خالصا فما ظنك بثواب من الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام.

وفاته رضى الله عنه

ان وفاة عمر قد يستغربها المرء الى حد الانكار لولا ان أمرها اصبح بين المسلمين من الضروريات التى لا يختلف فيها الانسان مع الانسان وذلك للتواتر العظيم الذى تم لها . ووجه الغرابة فيها ان عمر الخليفة العادل والامام الراشد والأمير الصالح الذى أحبه كل المسلمين . ولم يبغضه حتى الكافرون يموت قتيلا في عاصمة الاسلام بل في محراب الصلاة والمسلمون يصلون وراءه وهم مئات أو الوف .

ولكن الذى تبلغه دعوة عمر لنفسه بأن يموت شهيدا بالمدينة النبوية ويعلم استجابة الله دعاء اوليائه يبطل استغرابه وينتهى انكاره فقد صح عنه رضى الله عنه أنه كان يسأل الله تعالى فيقول (اللهم ارزقنى شهادة في سبيلك ووفاة في بلد نبيك) .

واستجاب الله لعمر دعوته وحقق له أمنيته ففى يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة طعن عمر رضى الله عنه وهو يصلى في المحراب طعنه أبو لؤلؤة المجوسى غلام للمغيرة بن شعبة وبقى يعالج تلك الطعنة حتى توفاه الله ودفن يوم الاحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين هجرية في مثواه الأخير في حجرة عائشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والصاحب والصديق أبى بكر رضى الله عنه .

وكان لوفاة عمر من الآثار السيئة على الإسلام والمسلمين ما يعجز المرء عن ذكره والقلم عن حصره . إذ كانت حياة عمر بابا مغلقا دون الفتن وبموت عمر انكسر الباب وماجت الفتن فلم تزل

بالمسلمين الى يومنا هذا كما جاء ذلك في صحيح البخارى اذ جاء فيه قول عمر أيكم يحفظ قول النبى صلى الله عليه وسلم في الفتنة قال حذيفة فتنة الرجل في اهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . قال ليس عن هذا أسألك ولكن التى تموج كموج البحر . قال ليس عليك منها بأس يأمير المؤمنين ان بينك وبينها بابا مغلقا . قال عمر أيكسر الباب أم يفتح قال بل يكسر . قال عمر : اذا لا يغلق أبدا . قلت : أجل وسئل حذيفة هل كان عمر يعلم أنه الباب ؟ قال نعم كما أن دون غد ليلة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لَلَّهُ أشدُّ فرَحاً بتوبة عبده المؤمن من رجلٍ بأرض فلاة دوية مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فنزل عنها فنام وراحلته عند رأسه ، فاستيقظ وقد ذهبت ، فذهب فى طلبها فلم يقدر عليها حتى أدركه الموتُ من العطش ، فقال : والله لأرجِعَنَّ فلأمُوتَنَّ حيث كان رحلى ، فرجع فنام ، فاستيقظ ، فإذا راحلته عند رأسه ، فقال : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح) .

(متفق عليه)


لغة وأدب

الأدب و الحياة

د. شوقي عبد الحليم حمادة
أستاذ مشارك بكلية اللغة العربية بالجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه الى يوم الدين .

ان رقى الأمم وتقدمها لا يقاس في الحقيقة بما تشيده من مبان فخمة ولا بما تستعمله من وسائل الحضارة الحديثة . فهذا أمر من الأمور الميسورة التى لاتكلف شيئا الا المال .

انما يقاس رقيها بما تنتجه من عطاء في مجال الفكر أو العلم وهذا أمر لا يقدر عليه الا الذين أخلصوا للحقيقة ولخدمة الانسانية كل الاخلاص ، ولهذا تعنى الأمم الحية الراقية بأدبائها ومفكريها وعلمائها أشد العناية ، لأن هذه الفئة يمكنها أن تساهم في توعية الناس وتعميق ادراكهم وفهمهم للحياة وجعلها سهلة سعيدة ، وهذه أشياء تسعى اليها البشرية عبر تاريخها الطويل .

والأمة العربية ـ بحمد الله ـ لها تراث قديم يعتبر ركنا من أركان الحضارة الانسانية الحديثة ، الا أن العطاء الفكرى والعلمى يتفاوت بين فرد وفرد وأمة وأمة حسب الطاقات والامكانيات .

ولهذا رأينا بعض الأمم الراقية تدعو كتابها ومفكريها بمهندسى الحياة ، وهذه التسمية تعنى أن تلك الأمم تقّدر أدباءها ومفكريها حق التقدير وتفهمهم حق الفهم ، كما أنها تعنى أن أولئك الكتاب والمفكرين لم يستحقوا هذه المنزلة العظيمة الا لأنهم شاركوا في صنع الحياة .

فائدة الأدب :

الحقيقة أن الأدب ليس للعبث والمتعة الشخصية فحسب ، بل لا بد له من هدف وغاية يرنو اليها وينادى بها ، لأنه التعبير الحر عن واقع الأمة في آمالها الكبيرة ومثلها من وراء التصوير الصادق لواقعها فيما يشف عنه من امكانيات أو يوحى بها .

والأديب هو لسان الحياة والمجتمع وعليه توضيح ما في هذه الحياة وما في هذا المجتمع من عقائد ومبادىء ومشكلات لأنه ابن لهذه الحياة وفرد من ذلك المجتمع ، بل هو أعظم مسئولية لأن عنده الأداة التى يستطيع بها المشاركة وليست مع غيره هذه الأداة . ولأن معه أدبا وفنا ليسا لدى سواه يستطيع بهما وصف الحياة بصدق وتوضيح العقيدة باخلاص وتوجيه المجتمع الى ربه الذى أسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة .

فلا بد اذن من التزامه بواجبه تجاه عقيدته ومجتمعه . وليس الالتزام شيئا مناقضا للحرية بل هو منظم لها ، والحرية بدون التزام فوضى .

فالانسان المفكر والأديب مثلا لم يكن له الاختيار في وجوده في هذا العالم وليس سببا مباشرا في أوضاعه الراهنة ، لكنه ملزم بأن يتخذ موقفا من هذه الأوضاع وفي نفس الوقت تتأكد حريته في اختيار الوسائل في كل موقف،وفي نوعية الموقف ذاته وفي اختياره للجماعة التى يعمل معها وللجماعة التى يعمل ضدها ، ووسائل المناصرة أو النضال هى أيضا تدخل في اطار مفروض عليه ولكنها متفتحة على أنواع كثيرة من الاختيارات .

فالحرية المطلقة بالنسبة للأديب اذن شيء وهمى والالتزام في الوقت نفسه دون حرية عبودية وغباء ، لأن الانسان اجتماعى بطبعه أى أنه مسئول لأنه حر وملتزم لأنه يتحمل مسئولية حريته وهذا شيء لا بد أن يضعه الأديب نصب عينيه .

والأديب الاسلامى المسلم خاصة لا بد أن يأتى انتاجه الفكرى متأثرا بأوضاعه التاريخية لأن شخصيته تستمد جذورها من الاسلام .

ان الأدب العربى كان خير مصور لحياة العرب السياسية والاجتماعية والخلقية ، وأودع للزمن صحائف حياته مسجلة تتداولها الأجيال ، وقد نظمت تلك الصفحات من الصفات التى اعتز بها العرب كالشجاعة وحماية الجار والكرم الذى لا يبقى على شيء رغبة في الفوز بالذكر والشكر ، ولم تزل أمثال العرب تذكر حاتما الطائى رأس الكرماء ولم يزل لومه لماويّة زوجته حين تأخذ عليه اسرافه فيقول لها :

أماوىّ ان المال غاد ورائح
ويبقى من المال الأحاديث والذكر

أماوىّ ما يغنى الثراء عن الفتى

اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

ولم يزل يذكر شعر زهير وهو يرن في سمع الأجيال بمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف حين تحملا من مالهما الخاص ديات القتلى من عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء التى مكثت أربعين سنة أكلت خلالها شباب القبيلتين وذلك ما يصوره زهير في مدحهما بقوله :

تداركتما عبساً وذبيان بعدما

تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

« ومنشم هذه : امرأة ضرب بعطرها المثل في الشؤم فقيل : أشأم من عطر منشم »

ويطول بنا الحديث لو تتبعنا ذلك في كل العصور الأدبية .

ويطول بنا الحديث لو تتبعنا ذلك في كل العصور الأدبية .

وعلى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نجمل ثمرة الأدب في هذه الأمور :

١ ـ تسجيل الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحربية .
٢ ـ تسجيل الشعر لأسماء الأماكن التى لم يسجلها التاريخ .
٣ ـ تسجيل الآراء والنزعات والاتجاهات للفرق والطوائف الدينية وغيرها .
٤ ـ نقل التجارب الانسانية عبر الأجيال لافادة البشرية .
٥ ـ اذكاء روح التوثب والتقدم والوصول الى الأفضل بصفة مستمرة .
٦ ـ توفير الوقت والجهد للآخرين سواء أكانوا معاصرين أو تالين .
٧ ـ التعبير عن مشاعر اللذة بغرض استمرارها أو الاستزادة منها .
٨ ـ ازالة مشاعر الألم بالتخفيف منها أو تحويلها .
٩ ـ ربط مشاعر الجماعة والعمل على التفافها حول موضوعات وأهداف موحدة .
١٠ ـ الارتفاع بالغرائز الانسانية وترقيتها أو تحويلها لتكون عوامل سمو .
١١ ـ فتح مجالات حضارية جديدة أمام البشرية وتعميق فهمنا للحياة .

وكم للأدب غير ذلك من مهمة فهو يربى العقول والمشاعر ويهذب الطباع ، وهو لسان الدعاة الى الله وهداة البشرية الى الخير وهو وسيلة المصلحين الذين وهبوا حياتهم لاصلاح النفوس .

وما أقدر الكلمة الأدبية المدعمة بالآية القرآنية أو التوجيه النبوى على التأثير والاقناع اذا أرسلتها نفس مؤمنة بها منفعلة معها .

مجالات الأدب تشمل الكون كله :

لقد أثرى تراثنا القديم الحضارة الانسانية بلا ادعاء أو مكابرة . تلك حقيقة لا ريب فيها ، فابن سينا وابن رشد والخوارزمى والرازى وابن النفيس وغيرهم قد قدموا للأنسانية ما يجعلها تدين لنا به .

ولكن عندما توقفت ثقافة العرب الإسلامية عن النمو ـ بفعل عوامل من صنع أعداء أمتنا ـ فقد أصبحت لا ترضى نفسها ولا غيرها .

وبالنسبة لما لدينا في الحاضر فنحن في طور الأخذ من الآخرين أكثر من طور العطاء ، وهذا واقع علينا أن نعترف به في شجاعة ، وكما أعطينا في الماضى علينا أن نأخذ في الحاضرعلى شرط ألا نكون مجرد ببغائية نعيد صدى أصوات الآخرين ، علينا أن نهضم ما نأخذ ونتمثله وأن نعيد تشكيله ليتوافق مع بيئتنا وذاتيتنا واضعين نصب أعيننا مقوماتنا الأخلاقية والروحية .

وبهذا يمكننا أن نقدم شيئا هاما ومجددًا للتراث الإنسانى ، فالتنكر للذات مسخ للشخصية والإعراض عن أوضاع العصر تدمير للشخصية أيضا .

ومما لاريب فيه أن فنَّ القصة القصيرة الذى نضج واشتد عوده فى الأدب الحديث فن عربى قديم يتمثل ـ أظهر ما يتمثل ـ في تلك المقامات الرائعة التى صاغها بديع الزمان الهمذانى والحريرى من بعده وخلقا بها نموذجا إنسانيا خالدًا في الأدب العالمى وهو نموذج الأفاق الذكى الحاضر البديهة الذلق اللسان القوى الخيال الذى لم يجد له مكانا في مجتمع فاسد مضطرب القيم فاضطر أن يحتال لكسب قوته بشتى الحيل مستغلا غفلة العوام وفساد الحكام .

هذا النموذج الإنسانى عرفه الأدب الأسبانى بعد أدبنا العربى ، وأغلب الظن أن الأدباء الأسبان عرفوه من النماذج العربية ثم انتقل من الأدب الأسبانىإلى سائرالآداب الأوربية فيما عرف فى تلك الآداب باسم (قصص الصعاليك) فلا مجال إذن لإنكار ذلك في الأدب العربى .

وعند النظرة الفاحصة نرى أن للأدب مجالات عديدة ووظائف لا تقتصر على ناحيةمن النواحى ولا على جانب من الجوانب ، فهو يتناول العقيدة والعواطف الإنسانية والحياة الاجتماعية والسياسية والقيم الأخلاقية والروحية ، فالحياة كلها مجال للأدب ، فلم يعد من الممكن القول إن هناك بعض موضوعات تصلح للتناول وبعضا آخر لا يصلح فقد اتسع ميدان الأدب اتساعا عظيما وهاهى بعض تلك المجالات : ـ

ـ العقيدة

لقد عبر الأدب عن العقيدة منذ وجد الإنسان ، بل لقد نشأ في ظلها ، ومازالت هذه العلاقة الوثيقة مرتبطة أشد الارتباط حيث قام الأدب بنشر الدين فسجل دعوته وبث شعائره بين البشر وشرح شرائعه ، وأمام أعيننا الدين الإسلامى الحنيف فالقرآن الكريم في الذروة من الإعجاز والتسامى البيانى والنبى صلى الله عليه وسلم في قمة الفصاحة والبلاغة ، وقد اعتمد الإسلام على الأدب واعتبره عنصرًا فعالاً يجب أن يقوم بدوره كما ينبغى ، فقام الخطباء ونهض الشعراء يشرحون هذا الدين ويناضلون عنه يجادلون المرجفين ويعالجون الرذائل ويهدون الناس إلى الطريق الأقوم ، بل إن هدف كل من الدين والأدب تصفية النفس وتهذيب الجنس البشرى بطريق أداء الشعائر المقدسة من إثارة العواطف النبيلة والأخيلة الجميلة .

وفي أدبنا العربى نماذج عديدة لتوضيح ذلك نقتصر منها على نموذجين أولهما لكعب بن زهير حيث يقول في دعوته إلى الله :

رَحلتُ الى قومى لأدعوا جُلّهم
الى أمر حزمٍ أحْكمتْـه الجوامعُ
سأدعوهُمُ جَهْدى الى البرّ والتُّقى
وأمرِ العُلا ماشا يعتْنى الأصابعُ
فكونوا جميعاً ما استطعتم فإنه
سَيَلبَسُكم ثوبٌ من الله واسعُ

وثانيهما لشاعر معاصر هو أستاذنا وشيخنا المجذوب حيث يقول :

أتزعمُ يا مسكينُ أنك مسلمٌ
وليس على الاسلام فيك دليل !
هجرتَ كتَاب الله توصدُ دونه
فؤادَك حتى ما إليه سبيل
وعفتَ بيوت الله حتى كأنما
بهنَّ لأهل الغىِّ مثلِك غول
وجافيتَ دنيا المؤمنين مُنابذاً
فما لك بين المؤمنين خليل
ولو كنت ممن يعرف الحقَّ قلبُه
لأدركتَ أن العقل منك عليل
توهمتَ أن الدين محض هُويَّةٍ
وكلُّ كلامٍ بعدها ففضول
وفاتكَ أن الدين عقدٌ مُوَثَّقٌ
عليه إلهُ العالمين وكيل
ضمنتَ به ألاّ تزايل نهجَهُ
ولو أوشكتْ شمُّ الجبال تزول
وألا ترومَ الأنس في غير أهله
فهم لك من دون الأنام قبيل
وألا يرى أعداؤه منك ذلةً
وتلقى أولى التقى وأنت ذليل

فأين وفاء المؤمنين لربهمْ
ومالذاله ياخا سرأ ستقول
كتأديبها للجانحين مثيل
لعلك بعد الجهل تصحو فترعوى
« فليس سواء عالم وجهول »

العواطف والمشاعر النفسية

وهذه من أبرز مجالات الأدب فميزته أنه يوجد العبارة التى تعوزنا للتعبير عما في نفوسنا . فالأديب يعبر عن عواطفنا ومشاعرنا كما أنه يحاول أن يوصل انفعالاته ومشاعره إلينا .

ومن النماذج الطاهرة النظيفة على ذلك قول خُبيب بن عدىّ :

لقد جمّع الأحزابُ حوْلى وألّبُوا
قبائلهم واستجمعوا كلّ مجمع
وكُلُّهُمُ مُبْدِى العداوة جاهد
عَلَّى لأنىِّ في وَثاقى بمضْيَع
وقد جَمَّعوا أبناءَهم ونساءَهم
وقَرّبتُ من جِذْعٍ طويلٍ مُمَنَّع
إلى الله أشكو غربتى ثم كُرْبتى
وما أرْصَدَ الأحزاب لى عند مصْرعى
فذا العرشِ صَبِّرنى على ما يُراد بى
فقد قبضوا الحمى وقد ياس مطْمَعِى
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يُبارك على أوْصالِ شِلْوٍ مُمَزَّع
وقد خيرونى الكفرَ والموتُ دونهُ
وقد هَمَلَتْ عيناىَ من غير مجْزع
وما بى حِذَارُ الموت إنى لميِّتٌ
ولكنّ حِذارى جحمَ نارٍ ملَفع

فلستُ أبالى حين أقتلُ مُسلماً
على أيِّ جنب كان في الله مصْرعى
فلستُ بمبدٍ للعدوّ تَخَشُّعاً
ولا جزعاً إنى إلى الله مرْجعى

ومن النماذج قول شيخنا المجذوب أيضا :

يقولون : معْ أيِّ الفريقين تضلعُ
فلم يبقَ للإحجام والصبر موضعُ !
هنا (عَنترٌ) يُزجى بقايا فُلولِهِ
وثَمَّ (فلان) خلفَه نتجمعُ
وأنتم دعاةَ الحقِّ أوْلى بنصره
إذا الناس خانوا الحقَّ جُبْناً وضَيّعُوا
فقلت : أما والله ما في قلوبنا
لغير جلال الله والحق موقع
وكل خلافٍ بيننا فلأننا
وَعَيناه في ضوء الكتاب ولم تعُوا
إذا ما دعوناكم إليه جمحْتُمو
وبالغتمو في ما يسوءُ ويَشنع
وقلنا : هلموا نُعْلِ في الأرض شَرعَهُ
فقلتم : فلانٌ لا سواه المشرِّعُ
وقد فاتكمْ أنْ ليس للخلق مالكٌ
سوى الله يقضى فيهمُ ويشرِّع
وكل احتكامٍ في الحياة لغيره
هو الشرك لا بل دونَهُ الشرك أجمع

إلى أن يقول :

فقد تُصْبِحُ الدنيا لإبليسَ شيعةً
ونحن لغير الله لا نتشيّع

أنعدَلُ بالله العظيم وشرعه
أضاليلَ يجلوها الخداع فتلمع
فأين إذن عهد قطعنا لربنا
بأناله دون البرية خُضَّع
بلى نحن جندُ الله بعناه واشترى
فلا هو يُعفينا ولا نحن نرجع

القيم الأخلاقية والإنسانية

الحقيقة أن كل أدب ليست وراءه غاية خلقية لا بد أن يكون كسيحاً ضاراً . لكن أصدق الفضائل ما نبعث من التصور الإلهى للحق الذى يعلم الدقيق والجليل ولا يغرب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض . ولقد هدانا الدين الإسلامى العظيم إلى الخير وحذرنا من الشر ورسم لنا صراطا مستقيما يجب علينا سلوك محجته .

ومن النماذج الصادقة على ذلك قول امرأة مسلمة تغيّب زوجها في معارك الجهاد في سبيل الله :

تطاول هذا الليلُ تسرِى كواكبُهُ
وأرقنى ألاّ ضجيع ألاعبُه
يُسَرُّ به من كان يلهو بقربه
لطيفُ الحشا لا تجْتويه أقاربُهُ
فو الله لو لا الله لا شيءَ غيره
لينْقضُ من هذا السرير جَوانبُه
ولكننى أخشى رقيباً موَكَّلاً
بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبُهُ
مخافة رَبىّ والحياءُ يصدُّنى
وأكرمُ بعلى أن تُنالَ مراكبُه

ومن النماذج أيضا قول شيخنا المجذوب في نشيد المؤمن :

دعوة الله وحدَه — حبذا الموتُ فداها
كيف لا ينصر جندَه — وبهمْ يعلو لواها
عصبةٌ هامت بحقٍ — أبصرتْ فيه هداها
كلُهم إخوانُ صدق — وهبوا الروح الإلها
ربنا إنا تَخذنا — قائدا للمجد (طاها)

وأبينـــــــا ورفضنـــــــا	غـــير رضـــوانِك جـــاهـــا
فـــاحبُنـــا اللهـــم صنـــبراً	يُبلـــغ النفـــس منـــاهـــا
وهـــبِ الإســـلام نـــصراً	عن يدينـــا لا يضـــاهى
رب إن الأرض نـــــــاءتْ	تحـــت أثقـــال شـــقاهـــا
وإلى عـطـفِـــك جـــاءتْ	تـــرتجـــى اليـــوم شـــفاهـــا
فـــامـــحُ بالقـــرآن عنهـــا	ظـلـمـــــة عـــم دجـــاهـــا
وأنـــره بالحـــق منهـــا	أعينـــاً طـــال عمـــاهـــا

٤ ـ ومن ميادين الأدب ومجالاته الطبعية والكون والحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحياة الفكرية والثقافية . وتوسيع المدارك وزيادة التجارب ويطول بنا الحديث لو ذكرنا النماذج الدالة على ذلك .

لكننا نستطيع أن نقرر أن الأدب من وجهة النظر الإسلامية يملك من الزاد الفكرى العظيم والثقافة العريقة ما يفضل تراث أية أمة . ويملك من التجارب الرائعة والنماذج الإنسانية الفذة ما يقف أمامها العقل مكبرًا دهشا . والأدب لا يمكن أن ينفصل عن المجالات الحيوية في هذه الحياة باعتباره رسالة إصلاحية وليس متعة شخصية فحسب .

من أجل ذلك كله ينبغى على الأدباء والشعراء العرب المسلمين أن يجعلوا عصر صدر الإسلام نصب أعينهم ليستقوا من معينه الفياض ويرتشفوا من ينبوعه الصافي حتى تكون شخصيتهم متميزة وقائدة ورائدة كماأراد الله لهذه الأمة أن تكون وأن يستجيبوا لله وللرسول إذا دعاهم لما يحييهم كما استجاب الأدباء والشعراء في عصر النبوة والخلفاء الراشدين .

وبهذا تستعيد الأمة الإسلامية عزتها المسلوبة وكرامتها المفقودة فهل من مدكر ؟

أرجـو أن يكون ذلك إن شـاء الله .

بعض مراجع البحث :

١ ـ الأدب الهادف ـ محمود تيمور .

٢ ـ الإسلام والشعر ـ د . يحيى الجبورى .

٣ ـ الإسلامية والمذاهب الأدبية ـ د . نجيب الكيلانى .

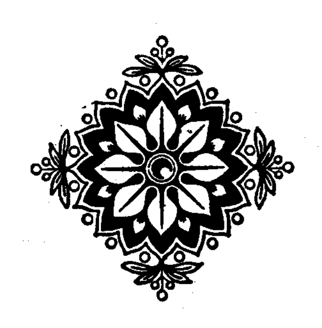
٤ ـ تذوق الأدب ـ محمود ذهنى .

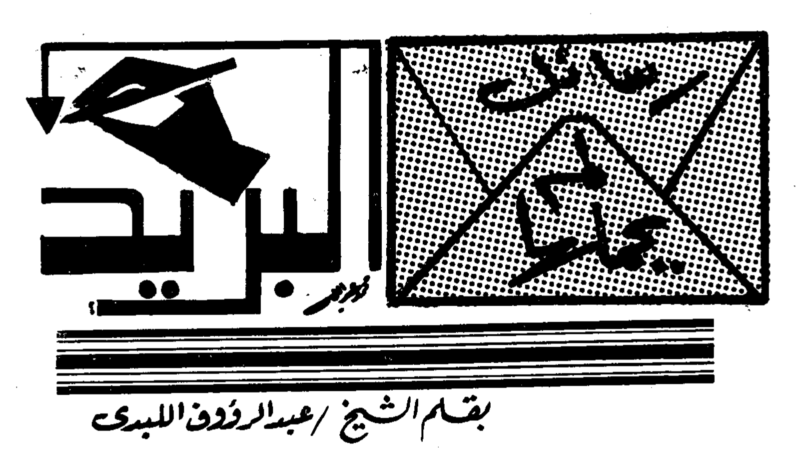
٥ ـ تيارات أدبية بين الشرق والغرب ـ د . إبراهيم سلامه

٦ ـ الأدب وفنونه ـ د . عز الدين إسماعيل .

٧ ـ شعر الدعوة الإسلامية ـ د . عبد الرحمن رأفت .
٨ ـ وظيفة الأدب بين الالتزام الفنى والانفصام الحالى ـ د . محمد النويهى
٩ ـ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ـ للمرزبانى .
١٠ ـ همسات قلب ـ الشيخ المجذوب .
١١ ـ الأدب في عالم متغير ـ د . شكرى عياد .

● « **يخطىء بعضهم فى الاجابة فعندما يقال : أليس محمد رسول الله » ، يقول بعضهم : « نعم » وهذا خطأ . والصحيح أن يقال فى مثل هذا ونحوه « بلى » ، لانك إن سألت بـ « أليس » فقلت مثلا : « أليس الله بقادر على أن يحيى الموتى » و « أليس الله بأحكم الحاكمين » وقلت « نعم » صار الكلام « نعم ليس الله بقادر على أن يحيى الموتى » و « نعم ليس الله بأحكم الحاكمين » نعوذ بالله من ذلك . وعندما تقول « بلى » يصبح الكلام : بلى ، إن الله قادر على أن يحيى الموتى ، بلى ، إن الله أحكم الحاكمين . وقال تعالى : « ألست بربكم » ، قالوا : بلى » ولو قالوا « نعم » لكفروا ، والسر فى ذلك ، أنَّ بلى تأتى لايجاب المنفى ، فأما نعم فانها تقع لتصديق المخبر ، أو اعلام المستخبر ، أو وعد طالب فالأول كقولك « نعم » لمن قال : قام زيد . والثانى كقولك « نعمْ» لمن قال : هل جاء زيد . والثالث كقولك « نعم » لمن قال : اضرب زيدا . أي : نعم أضربه .**





بقلم الشيخ / عبد الرؤوف اللبدى

أختى العزيزة هل :

في رسالة سلفت كتبت إليك بالصيغة الأولى من الصيغ التى تدخل فيها همزة الاستفهام على لم النافية الجازمة وهذه الصيغة « ألم تر إلى » .

وذكرت أن معنى الاستفهام في هذه الصيغة هو التعجب والتعجب والتنبيه ، وأن المراد بالتعجيب حمل المخاطب على التعجب ، وأن المراد بالتنبيه طلب التأمل والتبصر والتفكير .

وأرجو أن تتذكرى هذا المعنى لهمزة الاستفهام في هذه الصيغة في آياتها الخمس عشرة التى وردت فيها إذا ما نسيت أن أذكره بعد كل آية ، على أننى سأتبع كل آية ما ترين فيه موضع التعجب والعبرة .

لقد كتبت إليك في الرسالة الأولى الآية الأولى من هذه الآيات ، وها أناذى (١) أكتب إليك في هذه الرسالة الآيات الباقيات :

الآية الثانية :

قول الله تعالى : « ألم تر إلى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هلم عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين » . الآية : ٢٤٦ ـ البقرة .

أسلوب الحوار الذى جاءت فيه هذه القصة قد أكسبها حياة وحركة ووقعا عظيما في النفس وفي الحس . حتى كأنما المخاطب يرى أشخاصها وأحداثها ماثلة أمام عينيه . يرى هؤلاء القوم من بنى

(١) كتبتها هكذا ثلاث كلمات منفصلا بعضها عن بعض لأنه الأصل ولأنه أوضح قراءة وعلماء الإملاء يرون أن تكتب هكذا : (هأنذى) (الكاتب) .

إسرائيل أو أشرافهم يمشون إلى نبى لهم فيقولون له بحزم وعزم وحماس : ابعث لنا ملكا يدبر شئوننا ويجمع صفوفنا ويقودنا إلى الحرب في سبيل الله .

فيسألهم النبى سؤال من يتوقع منهم ألا يقاتلوا . فينكرون عليه ذاك التوقع . ويعجبون أن يظن بهم هذا الظن . وقد أخرجهم عدوهم إخراجا مرًّا من ديارهم التى كانوا فيها آمنين . وانتزعهم من أبنائهم وأهليهم انتزاعا ينزف الدم والدمع .

ويجاب الطلب ويكتب القتال . ويقودهم ملكهم طالوت إلى المعركة . وكان ما توقعه ذلك النبى . فتولوا مدبرين قد نسوا أوطانا وديارا وأبناء اتخذوها من قبل ذريعة . وأعرضوا عن جهاد مفروض كانوا قد طلبوه .ولم يثبت في ميدان المعركة إلا القليل .

لقد جاء الاستفهام في « ألم تر الى » للتعجب والتعجيب والتنبيه .

ولقد رأيت في هذه القصة العجب . وعرفت من أين يجئ التعجب . وتدبرت ما تضمنته من عواقب .

لقد رأيت كيف يقولون ولم يفعلوا . وكيف يطلبون الجهاد رغبة من أنفسهم . حتى إذا فرض عليهم القتال ولوا مدبرين مخالفين عن أمر الله . كانوا ظالمين . « والله عليم بالظالمين » لا يخفى عليه ظلم . ولا ينجو من عقابه ظالم .

الآية الثالثة :

يقول الله تعالى : « **ألم تر إلى الذى حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين** . الآية ـ ٢٥٨ ـ سورة البقرة .

التعجب والتنبيه معنى همزة الاستفهام في صدر هذه الآية . وموضع التعجب والتفكير حال هذا الملك الظالم الذى آتاه الله الملك . فاستولى عليه الأشر والبطر . وأخذ يجادل ابراهيم عليه السلام ويحاول التغلب عليه في مغالطة حمقاء .

اقرئى هذا الحوار المعجب الرائع مثنى وثلاث ورباع . وتدبرى كيف يعمى الظالمون عن الحق . وكيف تفقد النعم ولا سيما نعمة الملك صواب كثير من المنعم عليه . فبدل الشكر والطاعة يكون الجحود والطغيان :

« قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت » وهذا القول يفيد الحصر . ومنشأ الحصر تعريف الطرفين . ومدلول هذا الحصر أن الإحياء والإماتة مقصوران على رب ابراهيم رب العالمين . لا يتجاوزانه تعالى إلى شىء آخر مطلقا :

قال الذى حاج ابراهيم في ربه . « قال أنا أحيى وأميت » يعنى بذلك أنا أشارك ربك ـ يا

إبراهيم ـ في الإحياء والإماتة ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ وليس ذلك مقصورا عليه ومختصا به . ثم أحضر رجلين قتل أحدهما وأرسل الآخر . ليدل بذلك على ما ادعاه .

لقد كان في استطاعة ابراهيم عليه السلام أن يفحمه ويقول له : أحى هذا الذى أمتّه . ولكنه حين رأى منه هذه المغالطة الحمقاء آثر أن يأتى بصفة من صفات الله تعالى لا يستطيع هذا الملك الضال أن يمارى فيها ويغالط . « **قال ابراهيم إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . فبهت الذى كفر** » .

وددت ـ والله ـ لو كنّا أنا وأنت حاضرتين ذاك المجلس . لنمتع الأبصار بما ظهر عليه حين بهت لنراه وقد أخذته الحيرة والعجز . وامتقع لونه من خزى . وبرق بصره من دهش . وحاولت شفتاه أن تنطقا بمغالطة حمقاء أخرى فلم تقدرا على شيء . لنراه وقد أطرق إلى الأرض عاجزا مغلوبا والناس من حوله ينظرون إليه باحتقار وذهول .

كيف لا يبهت « والله لا يهدى القوم الظالمين » الذين يزعمون أنهم يقدرون على ما يقدر عليه الله سبحانه وتعالى . ويرغبون عن ملة ابراهيم حنيفا ؟ ! !

إن الله لا يهديهم ولا يرشدهم إلى ما يدحضون به حجج أهل الحق والتوحيد .

الآية الرابعة :

قول الله تعالى : « **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون** » . الآية ـ ٢٣ ـ آل عمران .

الاستفهام في قوله تعالى : « ألم تر إلى » استفهام تعجب وتعجيب وتنبيه . وموضع هذا التعجب والتنبيه حال هؤلاء اليهود يزعمون أنهم يتمسكون بكتاب الله الذى بين أيديهم وهو التوراة . وإذا دعوا إلى هذه التوراة لتحكم بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو بين من أسلم منهم ومن لم يسلم ركبوا مطايا العناد . وأعرضوا إعراضا شديدا . ذلك لأن في هذه التوراة نعوت النبى صلى الله عليه وسلم وحقّ اتّباعه . وهذا مالا يوافق أهواءهم التى ضلّت ضلالا بعيدا .

الآية الخامسة :

قول الله تعالى : « **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل** »**الآية (٤٤) من سورة النساء** .

« ألم تر إلى » استفهام تعجب وتعجيب وتنبيه . وموضع هذا كله حال هؤلاء اليهود الذين أوتوا نصيبا من التوراة يوجب عليهم اتباع النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل . ومع ذلك يؤثرون الكفر والمعاندة والمخالفة على الإيمان به واتباع هداه .

ولا تكفيهم ضلالتهم . بل يريدون أن تضلوا أيها المؤمنون السبيل المستقيم كما ضلوا . إنهم يكرهون أن تكونوا مختصين بالهدى واتباع الحق . « ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء » .

لقد رأيت ـ يا أخت ـ أن اليهود قد استبدلوا الضلالة بالهدى . وأن الآية الكريمة عبرت عن هذا الاستبدال ب (يشترون) لتبين أن حرصهم على الضلالة ورغبتهم فيها حرص المشترى على السلعة . لقد كان في هذا توبيخ لهم وتقريع . وتشنيع عليهم أيما تشنيع .

ولقد رأيت أيضا أن التعبير بالفعل المضارع : (يشترون) (ويريدون) يدل على أن ذلك متجدد مستمر فيهم ما تجدد الليل والنهار .

الآية السادسة :

قوله تعالى : « **ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلا** » . ـ الآية ـ ٤٦ ـ سورة النساء .

موضع ما تدل عليه همزة الاستفهام من تعجب وتعجيب وتنبيه موضعه حال هؤلاء اليهودالذين يزكون أنفسهم فيبرئونها من الذنوب ويطهرونها على حين أنهم أئمة الكفر ورؤوس الفتن . لا يستأهلون هذه التزكية . ولا يعتد بها منهم .

فالله هو الذى يزكى من يشاء من عباده . لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسىء . يجازى كل إنسان بما يستحق . ولا يظلم أحدا شيئا مهما بلغ ذلك الشىء من القلة والحقارة والصغر .

الآية السابعة :

قوله تعالى : « **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** » . الآية ـ ٥١ ـ سورة النساء .

« ألم تر إلى » استفهام تعجب وتعجيب وتنبيه . وموضع ذلك حال هؤلاء اليهود الذين أُوتوا نصيبا من التوراة . ثم هم يخالفون ما جاء فيه . ويستجيبون لطلب كفار قريش في مكة فيسجدون للأصنام ويشركون بالله . ويقولون لهم أنتم أهدى من الذين آمنوا بمحمد سبيلا .

يقولون هذا وهم يعلمون أنه افتراء وبهتان . يقودهم اليه الحقد والحسد لرسول الله صلى اللهعليه وسلم ولمن آمن به .

الآية الثامنة :

قوله تعالى : « **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أين يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا (٦٠) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا . (٦١)** . الآيتان : ٦٠ ـ ٦١ . من سورة النساء

موضع التعجب والتعجيب والتنبيه في هاتين الآيتين حال هؤلاء المنافقين الذين يزعمون أنهم آمنوا

بما أنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وما أنزل على الأنبياء من قبله . يريدون أن يتحاكموا إلى غير الله ورسوله إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به .

ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . ويستجيبون لتلك الإرادة . فإذا قيل لهم تعالوا إلى حكم ما أنزل الله وإلى حكم الرسول أعرضوا عن التحاكم اليك أيها الرسول إعراضا شديدا .

الآية التاسعة :

قوله تعالى : « **ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا** » . الآية - ٧٧ - من سورة النساء .

« ألم تر إلى » استفهام تعجب وتعجيب وتنبيه . وموضع التعجب والتنبيه حال جماعة من الصحابة رغبوا فيقتال مشركى مكة . فطلب منهم الموادعة وأن يكفوا أيديهم عن ذاك القتال ثم فرض عليهم القتال الذى كانوا يودونه . فاذا فريق منهم يخافون أولئك الذين كانوا يرغبون في قتالهم أشد ما يكون عليه الخوف . « وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب » قالوا ذلك خوفا من الموت لا إنكارا للحكم ولا اعتراضا على إيجابه .

قل متاع الدنيا فانٍ لا يدوم . ونعيم الآخرة هو الدائم الباقى . وهو خير للذين يتقون الله ويمتثلون أوامره . وسيجزيهم الله ثواب أعمالهم لا ينقصون منه شيئا .

الآية العاشرة :

قوله تعالى : « **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار** » . الآية - ٢٩ - سورة ابراهيم .

« ألم تر إلى » استفهام تعجب وتعجيب وتنبيه . وموضع التعجب والتنبيه حال أهل مكة . أنعم الله عليهم : خلقهم ورزقهم وأسكنهم بيته الحرام الآمن يجبى إليه ثمرات كل شيء . وجعلهم قُوّاماً عليه . ثم أكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم . وبدل أن يشكروا الله على هذا كله كفروه جميعا . وأحلوا قومهم الذين اتبعوهم على الكفر أحلوهم جهنم دار الهلاك . وبئس القرار تلك الدار .

الآية الحادية عشرة :

قوله تعالى : « **ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا . (٤٥) ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا . (٤٦) الآيتان : - ٤٥ - ٤٦ - من سورة الفرقان .**

« ألم تر إلى » استفهام يثير تعجب المخاطب من هذا الظل الدال على عظمة الله جلت قدرته - وبديع صنعه . وبالغ حكمته . ويدعو المتأمل المتبصر الى التفكير فيه : كيف يمدّه الله ويبسطه فينتفع به الناس انتفاعا لا يبلغه إحصاء ولا وصف . ولو شاء لجعله ساكنا لا يتحرك .

ثم كيف جعل الشمس دليلا عليه . يستدل الناس بها وبأحوالها على أحوال الظل : أين يمتد وينبسط ومتى يكون ذلك . وأين يتقلص ويتلاشى ومتى يكون ذلك .

ثم كيف جعل الشمس بمشيئته تعالى تنسخ شيئا شيئا هذا الظل الممتد المبسوط .

الآية الثانية عشرة :

قوله تعالى : « **ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون** »الآية : - ٦٩ - سورة غافر .

« ألم تر إلى » استفهام تعجب وتعجيب وتنبيه . وموضع التعجب والتنبيه حال هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن الكريم وبما أرسل به الرسل من قبل . يجادلون في آيات الله بالباطل وعلى غير علم ولا هدى .

كيف يصرفون عن تلك الآيات الواضحة البينة الهادية إلى الصراط المستقيم ؟ ! ! سوف يعلمون يوم القيامة عاقبة هذا الجدال والتكذيب .

الآية الثالثة عشرة :

قوله تعالى : « **ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيّك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير** » . الآية : - ٨ - سورة المجادلة .

« ألم تر إلى » استفهام تعجب وتعجيب وتنبيه . وموضع هذا حال أولئك اليهود والمنافقين الذين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم ليوقعوا الريبة والخوف في قلوب المؤمنين . فنهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم فلم ينتهوا . ويعودون مرة بعد أخرى إلى ما نهوا عنه . ويتناجون بالاثم وعداوة المؤمنين ومخالفة ما يأمر به الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم هم يحيّون الرسول صلى الله عليه وسلم إذا جاءوه ب (السام عليك) وهى تحيّة لم يحىّ الله بها رسوله . ويقولون في أنفسهم هلا يعذبنا الله بما نقول من سوء . لو كان نبيّا حقا لعذبنا الله بهذا السوء الذى نقوله . ستكون جهنم عذابا لهم يقاسون حرّها . وجهنم كافية لتعذيبهم . ومصيرهم فيها بئس المصير ! !

الآية الرابعة عشرة :

قوله تعالى : « **ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون** » . الآية - ١٤ - سورة المجادلة .

« ألم تر إلى » استفهام تعجب وتعجيب وتنبيه . وموضع التعجب والتأمل حال هؤلاء المنافقين الذين اتخذوا اليهود المغضوب عليهم أولياء يناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين .

لم يكن هؤلاء المنافقون من المؤمنين لأنهم كانوا يضمرون الكفر . ولم يكونوا من اليهود لأنهم كانوا يتظاهرون بالإسلام . كانوا مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . وكانوا يحلفون كذبا إنهم مؤمنون . وهم يعلمون أن ما يحلفون عليه هو الكذب المحض .

الآية الخامسة عشرة :

قوله تعالى : « **ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون** » الآية : - ١١ - سورة الحشر .

« ألم تر إلى » استفهام تعجب وتعجيب وتنبيه . . وموضع هذا التعجب والتنبيه حال جماعة من المنافقين يقولون ليهود بنى النضير إخوانهم في الكفر والموالاة : لئن أُخرجتم من المدينة لنخرجنّ معكم ولا نتخلى عن صحبتكم . ولا نطيع - مهما تطاول العمر - أحدا يمنعنا من الخروج معكم . ولئن قوتلتم لننصرنكم على أعدائكم .

يقول هؤلاء المنافقون لأولئك اليهود هذا القول . ويقسمون عليه . والله يشهد إنهم لكاذبون في تلك الأقوال والوعود .

أختى العزيزة هل :

هذه الآيات الخمس عشرة التى وردت فيها صيغة الاستفهام : « ألم تر إلى » . ولعلك قد رأيت أن أحوال اليهود في هذه الآيات كان لها النصيب الأوفر لمن أراد أن يتعجب أو يتدبر ؛ وأن المنافقين قد جاءوا دونهم منزلة في هذه الأحوال العجيبة . ثم جاء كفار مكة بعد هؤلاء وأولئك . ثم تفرقت فرادى مواضع العجب والتأمل والتفكير .

وما أظنك في حاجة إلى أن أنبهك على أن تعجب المخاطب في هذه الآيات ما عدا الآية الحادية عشرة آية الظل قد قام على الإنكار و « الاستغراب » والاستهجان . وأن تعجب المخاطب في آية الظل قد قام على التعظيم والإجلال والاستحسان .

أختى العزيزة هل :

لقد تعبت من الكتابة وقد آن لى أن أستريح . وما أظنك إلا قد تعبت من القراءة . وقد آن لك أن تستريحى .

أسأل الله تعالى أن نلتقى في رسالة ثالثة عما قريب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أختك

همزة الاستفهام

مراجع ذكرت معنى همزة الاستفهام في الآيات الواردة في هذه الرسالة :

الآية الثانية :

١ ـ تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى : جـ ٢ ص ٢٥٣ . طبعة مصورة عن طبعة السلطان عبد الحفيظ سلطان أغرب . الناشر : دار الفكر/ بيروت .

٢ ـ تفسير أبى السعود : جـ ١ ص ٢٣٩ . الناشر : دار المصحف ـ شركة مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد ـ القاهرة .

الآية الثالثة :

تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى جـ ٢ ص ٢٨٦ . المطبعة المتقدم ذكرها .

٢ ـ تفسير القرطبى جـ ٣ ص ٢٥٣ . طبعة مصورة عن طبغة دار الكتب بالقاهرة .

٤ ـ البرهان للزركشى جـ ٢ ص ٣٤٠ . الطبعة الثانية . الناشر : عيسى البا بى الحلبى وشركاه .

٥ ـ تفسير الكشاف للزمخشرى . جـ ١ ص ٣٨٧ . الناشر : مكتبة ومطبعة مصطفى البا بى الحلبى وأولاده بمصر .

الآية الرابعة :

١ ـ تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى جـ ٢ ص ٤١٦ ـ الطبعة المتقدم ذكرها .

٢ ـ تفسير أبى السعود جـ ٢ ص ٢٠ الطبعة المتقدم ذكرها .

الآية الخامسة :

١ ـ تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى جـ ٣ ص ٢٦٠ الطبعة المتقدم ذكرها .

٢ ـ تفسير أبى السعود جـ ٢ ص ١٨١ الطبعة المتقدم ذكرها .

الآية السادسة :

١ ـ تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى جـ ٣ ص ٢٧٠ . الطبعة المتقدم ذكرها . .

٢ ـ تفسير أبى السعود جـ ٢ ص ١٨٧ الطبعة المتقدم ذكرها .

الآية السابعة :

١ تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى . ج ٣ ص ٢٧٢ الطبعة المتقدم ذكرها .

٢ ـ تفسير أبى السعود جـ ٢ ص ١٨٨ الطبعة المتقدم ذكرها .

الآية الثامنة :

١ تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى جـ ٣ ص ٢٧٩ الطبعة المتقدم ذكرها .

٢ ـ تفسير أبى السعود جـ ٢ ص ١٩٤ الطبعة المتقدم ذكرها .

٣ ـ الفتوحات الإلهية لسليمان بن عمر العجيلى الشهير بالحمل جـ ١ ص ٣٩٦ طبعة عيسى البا بى الحلبى وشركائه بمصر .

الآية التاسعة :

تفسير المحيط لأبى حيان الأندلسى جـ ٣ ص ٢٩٦ . الطبعة المتقدم ذكرها .

٢ ـ تفسير أبى السعود جـ ٢ ص ٢٠٣ الطبعة المتقدم ذكرها .

تابع المراجع

الآية العاشرة :

تفسير أبى السعود جـ ٥ ص ٤٥ الطبعة المتقدم ذكرها .

الآية الحادية عشرة :

١ - تفسير البحر المحيط جـ ٦ ص ٥٠٢ الطبعة المتقدم ذكرها .

٢ - تفسير أبى السعود جـ ٦ ص ٢٢٢ الطبعة المتقدم ذكرها .

٣ - الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص ٢٦٠ المؤلف والطبعة المتقدم ذكرها .

٤ - مغن اللبيب لابن هشام الأنصارى ص ١٣ الطبعة الثانية - الناشر دار الفكر .

٥ - دار الفكر للزركشى جـ ٢ ص ٣٤٠ الطبعة المتقدم ذكرها .

الآية الثانية عشرة :

١ - البحر المحيط جـ ٧ ص ٤٧٤ لأبى حيان الأندلسى : الطبعة المتقدم ذكرها .

٢ - تفسير أبى السعود جـ ٧ ص ٢٨٢ الطبعة المتقدم ذكرها .

٣ - تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٨٨ طبعة عيسى البابى الحلبى وشركائه .

الآية الثالثة عشرة :

تفسير أبى السعود جـ ٨ ص ٢٧١ الطبعة المتقدم ذكرها .

الآية الرابعة عشرة :

١ - تفسير أبى السعود جـ ٨ ص ٢٢١ . الطبعة المتقدم ذكرها .

٢ - تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى جـ ٨ ص ٢٣٨ . الطبعة المتقدم ذكرها.

الآية الخامسة عشرة :

١ - تفسير أبى السعود جـ ٨ ص ٢٣٠ . الطبعة المتقدم ذكرها .

تفسير القرطبى ج ١٨ ص ٣٤ الطبعة المتقدم ذكرها .

تابع المراجع

الآية العاشرة :

تفسير أبى السعود جـ ٥ ص ٤٥ الطبعة المتقدم ذكرها .

الآية الحادية عشرة :

١ - تفسير البحر المحيط جـ ٦ ص ٥٠٢ الطبعة المتقدم ذكرها .

٢ - تفسير أبى السعود جـ ٦ ص ٢٢٢ الطبغة المتقدم ذكرها .

٣ - الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص ٢٦٠ المؤلف والطبعة المتقدم ذكرها .

٤ - مغن اللبيب لابن هشام الأنصارى ص ١٣ الطبعة الثانية - الناشر دار الفكر .

٥ - دار الفكر للزركشي جـ ٢ ص ٣٤٠ الطبعة المتقدم ذكرها .

الآية الثانية عشرة :

١ - البحر المحيط جـ ٧ ص ٤٧٤ لأبى حيان الأندلسى ؛ الطبعة المتقدم ذكرها .

٢ - تفسير أبى السعود جـ ٧ ص ٢٨٢ الطبعة المتقدم ذكرها .

٣ - تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٨٨ طبعة عيسى البابى الحلبى وشركائه .

الآية الثالثة عشرة :

تفسير أبى السعود جـ ٨ ص ٢٧١ الطبعة المتقدم ذكرها .

الآية الرابعة عشرة :

١ - تفسير أبى السعود جـ ٨ ص ٢٢١ . الطبعة المتقدم ذكرها .

٢ - تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى جـ ٨ ص ٢٣٨ . الطبعة المتقدم ذكرها.

الآية الخامسة عشرة :

١ - تفسير أبى السعود جـ ٨ ص ٢٣٠ . الطبعة المتقدم ذكرها .

تفسير القرطبى ج ١٨ ص ٣٤ الطبعة المتقدم ذكرها .

الطريقة المثلى لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

أعد البحث

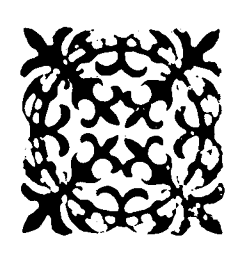
الدكتور / محي الدين الالوائى
المدرس بشعبة تعليم اللغة العربية
بالجامعة الاسلامية ـ المدينة المنورة

حقيقة اللغة :

إن اللغة نعمة من الله العظمى . وميزة الانسان الكبرى . ولها قيمتها في جميع مجالات الحياة البشرية · وهى الخاصية التى تميز بها الانسان عن سائر الحيوان · ولو أن البعض قد عدها وسيلة فإنها في الحقيقة غاية تدرس لذاتها بمناهجها وقواعدها لأنها وعاء الأفكار بل هى جزء منها وربطت بين الفكر والعمل · ومن عناصرها : التفكير والصوت . والتعبير عن الفكر الداخلى والعمل الخارجى · وبفضل هذه النعمة قد أصبح الانسان كائنا مثاليا على وجه الأرض ·

فاللغة بمفهومها الحقيقى من خصائص الانسان . ولكنا نقرأ ونسمع عن لغات كثيرة لمخلوقات أخرى مثل :

لغات النمل والطيور والحيوان والأسماك وغيرها · وجاء في القرآن الكريم إشارة لبعض هذه اللغات . حيث حكى عن نملة سليمان عليه السلام : « قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها ···· » وقوله تعالى عن الهدهد وسليمان : « فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين » ·



وهذا يدل على أن لمخلوقات الله الأخرى لغات تتخاطب بها . ولكنها تختلف عن لغات البشر . وأن لغة الانسان مقرونة بالفكر في إصدار الأصوات وتلقيها ويحكمها العقل وينظم عملياتها ولا يجعلها أصواتا خالية من المعنى . والنظام هو الذى يمنحها الثراء والفاعلية والتعبير عن الأهداف السامية والذهنية المجردة . ويتطوّر أمرها بتطور نضج الانسان . ونضج عقله وترقى تفكيره . واللغة بهذا المعنى من خصائص الانسان وحده دون سائر المخلوقات الأرضية الحية الأخرى . وما أعظم منة من الله على الانسان حيث يقول : « **الرحمن علّم القرآن خلق الانسان علّمه البيان** » .

أن للغة البشر مقدرة على الابداع والامتاع والابتكار . والمقاطع التى ننطقها هى تأثيرات صوتية طبيعية تستقبلها الأذن لكنها مرتبطة بأعضاء النطق فلا نستطيع أن نعرف حركات الأعضاء النطقية إذا صرفنا النظر عن التأثير الصوتى . والصوت ـ اذن ـ أداة للتفكر . **وأن للغة في كلّ لحظة نظاما ثابتا وحركة متطورة . ولها في مجموعها أشكال كثيرة متضاربة لأنها في مجالاتها المتعددة : مادية وعضوية ونفسانية . وكما أن اللغة ـ بصفتها المذكورة ـ من خصائص الانسان فانها غاية منشودة في حياته الفردية والاجتماعية .**

مكانـة اللغـة العربيـة :

إن اللغة العربية هى من أقدم اللغات وأغناها على الاطلاق . ولأسرار وحكم يعلمها خالق البشر والقوى . اختار هذه اللغة وعاء لكتابه الخالد . كما أشار اليه قوله : « وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » . (الشعراء : ١٩٢ـ١٩٥) . وكانت اللغة العربية قد بلغت قبل البعثة المحمدية أوج كمالها في التعبير البليغ السامى عن جميع مقومات الحياة . وأوج مجدها في الفصاحة والنتاج الأدبى شعرا ونثرا . وظهرت روائع انتاجها في الأشعار والأمثال والقصص .

ومع نزول القرآن في هذه اللغة ارتفع شأنها وأصبحت اللغة السائدة في بلاد العرب والمسلمين . وأن للغة العربية فضلا كبيرا على نشر حضارة الفكر العربى الاسلامى . وتقدم العلوم والفنون والآداب المختلفة . ولأجل القرآن ظهرت علوم القرآن كلّها كما ظهرت علوم اللغة والنحو والصرف . والبلاغة التى كانت أساسا لتفسير نصوص القرآن وفهمها . ومن أجله أيضا ظهرت علوم منهجية مثل علوم التاريخ والأخبار والاسانيد وغيرها . كما تقدمت ـ تطبيقا لتعاليم القرآن ـ علوم كثيرة مثل الرحلات والجغرافيا والسير . واستحدثت علوم الطب والكيمياء والاجتماع وعلوم أخرى تابعة لدراسة القرآن . مثل التجويد والتلاوة الى جانب علوم عديدة اسلامية .

ويتضح من هذا كله مدى طاقة اللغة العربية لما تمتاز به من قوة بيانها وأصالة ألفاظها وأصواتها وموسيقى كلماتها ووفرة معانيها . ولّما كانت العلوم الاسلامية كلها تقوم على المبادئ القرآنية والسنة النبوية فيجب اغترافها من مناهلها الفياضة الأصلية ألا وهى نصوص القرآن والحديث النبوى فلا يتحقق

هذا الهدف المنشود الاّ عن طريق اللغة العربية التى هى وعاءهما الأصلى · واذا رجعنا الى نصوص القرآن وجدنا أن اللغة العربية هى مركز الانطلاق الى حظيرة القرآن اذ جاء فيه : « انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » · و « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » · و « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » ·

وأن دراسة القرآن والحديث تحتاج الى اللغة العربية لما فيها من معان سامية ومفاهيم أصلية · واذا قدمت معانى القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية مترجمة الى اللغات الأجنبية فتعوزها روح الأصالة وروعة النصوص التى ينوط بها اعجاز القرآن وكذلك غزارة المعانى التى تمتاز بها اللغة العربية · ومن ناحية أخرى أن نشر اللغة العربية بين الشعوب الاسلامية في مقدمة الوسائل الفعالة التى تساعد على إيجاد التقارب الفكرى بين الأمة الاسلامية لأنها تحملى في طياتها القيم الروحية التى يمنحها الاسلام لكل مسلم كما تكمن فيها روح الألفة والمودة والأخوة التى تربط بين قلوب المسلمين برباط وثيق · ومنح الله سبحانه وتعالى للمسلمين هذه اللغة لتحقيق التفاهم والترابط بينهم في أنحاء الأرض . بحيث يسعى كل مسلم لأن يقرأها ويفهمها بل ويتحدث بها · وأنها أيضا الوسيلة الأولى لنشر الدعوة الاسلامية ·

ومن هنا يمكن أن نقول أن اللغة العربية تربط بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها برباط فكرى ولفظى . لأن القرآن ليس مجرد مبادىء وتعاليم منعزلة عن الظاهر اللفظى وأن اعجاز القرآن منوط باللغة العربية · وأن اللغة العربية بطاقتها وتراثها لجديرة بأن تكون وسيلة للتفاهم بين الشعوب المسلمة في كل مكان وعونا على المحافظة على الوحدة الفكرية والمظهرية بين أفرادها وجماعاتها · وأن الوحدة الفكرية بين المسلمين تلعب دورا هاما في هذه المرحلة الحرجة الخطيرة التى يمر بها العالم العربى والاسلامى ·

ويمكن تلخيص أهمية نشر اللغة العربية في البلدان الآسيوية والأفريقية والأوربية والأمريكية في النقاط التالية :

١ ـ ان هناك خطة خفية لنشر الفرقة بين المسلمين بالانتزاع من أيديهم حبل اللغة العربية الذى يعتصمون به جميعا . فحينئذ يسهل تشويه تعاليم الاسلام بين من لا يعرفون اللغة العربية . عن طريق كتب ومنشورات ومطبوعات عن الاسلام بغير اللغة العربية يراد بها القضاء على الاسلام معنويا وفكريا بتشويه تعاليمه وبثّ السموم الفكرية بين أتباعه ·

٢ ـ إن اللغة العربية تلعب دورا هاما وفعالا في مواجهة التحديات المعاصرة لأن انتشارها بين المسلمين المنتشرين في أنحاء العالم يساعدهم على تفهم دينهم والتمسك بطاقتهم الروحيـــة ·

٣ ـ إنها تساعدهم على استعمالها في التفاهم المتبادل فيما بينهم حتى يتيسر ايجاد تجاوب مشترك يمكنهم من مقاومة التخريب الفكرى التى تمارسه الجهات المغرضة لتشويه تعاليم الاسلام الحقة وتقطيع ذلك الرباط الذى يربط بين أبناء الأمة الاسلامية برباط فكرى وروحى ·

٤ ـ إن اللغة العربية هى وعاء القرآن الكريم ومركز الانطلاق الى حظيرة القرآن والمنبع الأصلى للعلوم الاسلامية كلّها كما أنها تساعد على توطيد ركنَ التعارف وتوثيق عرى التفاهم بين أبناء العالم العربى الناهض وبين أبناء البلدان غير الناطقة بها ٠

وجــوب اختيار اللغة الفصحى في التعليم :

يجب اختيار اللغة الفصحى منطلقا لتعليم العربية لغير العرب لعدة أسباب علمية وعملية ومنهجية ٠ وفيما يلى مجموعة من هذه الأسباب :

أولا ـ إن العامية تختلف من بلد إلى بلد بل ومن منطقة إلى منطقة في كل قطر عربى . وانما هى صورة أو صور من الكلام تحمل في ثناياها فوارق عديدة واختلافات شتى . سواء في الحروف أو النطق أو التراكيب الكلامية بحيث تخلو من خاصة الوحدة اللغوية التى تمثل العرب من حيث المجموع كأمة واحدة ٠ ومن هنا تعجز هذه العاميات عن سدّ حاجات المتعلّمين الاجانب في الاطار العربى العام ٠ وتظهر هذه النتيجة واضحة حينما ينتقل المتعلم الاجنبى من بلد عربى الى آخر بل ومن منطقة الى أخرى في دولة عربية واحدة ٠

وثانيا ـ أن الفصحى هى التى تلبى لأغراض المتعلمين الاجانب وتوفى بحاجاتهم على المدى البعيد والنطاق الواسع بحيث لا يصعب عليهم الاستماع الى أى عربى وفي أى بلد والتفاهم معه في صورة موحدة أو شبه موحدة ٠ ولا يتعبون في فهم العاميات المختلفة ذات السمات المحلية الخاصة ببلد عربى دون آخر ٠ وأما الفروق الصوتية والاختلافات في نطق بعض الحروف فيستطيع المتعلم الاجنبى المتمكن في اللغة الفصحى العامة أن يدرك تلك الفروق بمجرد أن يستمع الى الكلمة أو الجملة منطوقة في اطار القواعد العامة ٠ وأما العاميات فيحتاج الدارسون الاجانب لفهمها الى أن يتعرفوا على المفردات والتراكيب المختلفة مع تحديد بيئة وبلد كل منها ٠

وثالثا ـ أن اختيار العامية أو اللهجات المختلفة لتعليم العربية لغير الناطقين بها يضعنا أمام مشكلة كبرى عملية . اذ أن العاميات واللهجات ذات صور متعددة في الوطن العربى كاطار عام . فأى عامية أو لهجة نختارها للتعليم العام ؟ فمثلا : هل العامية المصرية ؟ أو الجزائرية ؟ أو العراقية ؟ وما الى ذلك ٠ وهذه التساؤلات تدل على صعوبة أو استحالة هذه المهمة . ولو اخترنا نظام تقديم بعض اللهجات العامية الى جانب الفصحى أو الفصحى لمجموعة والعامية لأخرى فان هذا المنهج يؤدى الى اضطراب في العملية التعليمية . وعرقلة لاستمرار الوحدة المنهجية للتعليم في مراحله المختلفة ٠ ولو اخترنا عامية لسبب من الأسباب أو نظرا لظروف خاصة لمجموعة من المتعلمين فتكون فائدتها مقصورة على فترات زمنية محدودة وعلى بيئات عربية ضيقة وعلى حالات معينة ٠ ولا يحقق هدفهم العام بعيد المدى من تعلم اللغة العربية ٠

ورابعا ـ عرفنا أن اللغة العربية الفصحى هى الوعاء الحقيقى للقرآن والسنة والعلوم الاسلامية . فان الدارسين للغة العربية من أجل فهم القرآن والعلوم الاسلامية ليواجهون مشكلات أساسية كبرى وعديدة لو قدمنا اليهم اللهجات العامية أو الخليط منها ومن الفصحى ٠ وجدير بالذكر أن الفصحى مازالت ـ ولا تزال ـ منهل العلوم والفنون والآداب على رغم الجهود الفاشلة لبعض الاشخاص المغرضين أو الجهات المغرضة لنشر العامية كتابة وقراءة ٠ والواقع أن اللغة العربية الفصحى ما تزال ـ بفضل القرآن الكريم والعلوم الاسلامية والأدب العربى والاسلامى الرائع المدوّن في أمهات الكتب باللغة الفصحى القديمة والمعاصرة ـ تنتظم مجموعة الخواص الأساسية للغة العربية . فجميع قواعدها ثابتة ومحدودة بحيث يسهل فهمها وتناولها والتعايش مع التدريبات اللغوية وفقا لقواعد الأعراب وقوانين نظم الكلام وأحكام الصياغة والتصريف وغيرها ٠

وخامسا ـ إن في إختيار الفصحى منطلقا لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها خدمة عظيمة للاسلام والمسلمين فان الفصحى هى دعامة كبرى لوحدة الكيان العالم العربى والاسلامى وفيه أيضا خدمة لمقوّماته الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية ٠ وإن أختيار الفصحى في جميع مراحل التعليم فيه إنصاف لواقع العالم العربى الذى ينتظم تحت اطار واحد من العقيدة والدين واللغة والثقافة والتاريخ والموقع الجغرافى والمصير بصفة عامة ٠ وإن في تقديم العامية في التعليم . أو العمل لنشرها مجانبة للصواب ومخالفة للواقع المحسوس ٠ وأضف الى ذلك أن اللغة العربية الفصحى انما هى همزة الوصل ونقطة الالتقاء بين أبناء العالم العربى وبين مئات الملايين من المسلمين في البلدان غير العربية بصفة كونها لغة القرآن ولغة العبادات ولغة العلوم الاسلامية ٠

طريقة اختيار الفصحى ونوعيتها :

وخلاصة ما تقدم وجوب الاصرار على تعليم اللغة العربية الفصحى لغير الناطقين بها بهدف الوصول الى صيغة لغوية موحدة وعامة في الاطار العربى العام بحيث تنتظم الخواص العربية الأصلية المشتركة وتخلو بقدر الامكان من الاختلافات المحلية الخاصة ببلد عربى دون الآخر سواء في النطق أو اللهجات أو المفردات أو التراكيب ذات السمات المحلية ٠

ومن المعروف أن اللغة الفصحى أيضا في جميع لغات العالم . ذات أنماط وأشكال متنوعة من الاساليب وصور التعبير . باختلاف العوامل والظروف المحيطة بها من بعد الفترة الزمنية وأسباب النموّ والتطوّر ٠ ومن هنا يقال . بتجاوز في التعبير . أن هناك نوعين من الفصحى : أما أولهما فالفصحى الكلاسيكية أى القديمة مثل فصحى العصر الجاهلى وما بعده التى فقدت الممارسة العملية لها أو قلّ استخدامها في مجالات الحياة اليومية ٠ وأما ثانيهما فالفصحى المعاصرة التى تعيش في مجالات الحياة عن طريق الاستعمال الواقعى بصورة أو أخرى ٠ وكلّما بعدت الفترة الزمنية وكلّما قلّت الممارسة العصرية كانت النتيجة جفوة بين اللغة وأهلها وتتفاوت درجات السهولة والصعوبة في فهمها واستخدامها اليومى ٠

ومن ثم ينبغى أن نضع في الاعتبار مجموعة من المبادئ العامة عند اختيار مادة اللغة الفصحى العربية لتعليمها . سواء لغير العرب أو العرب أنفسهم :ـ

أ ـ يجب اختيار فصحى العصر لتعليم العربية لغير أهلها ، اذ هى الصيغة الاسهل تناولا والأقرب منالا بحكم قربها الزمنى ومعايشتها لمجالات الحياة اليومية ٠ وجدير بالذكر أن هذه الفصحى ما تزال تنطوى على جميع الخواص الأساسية للغة العربية . بفضل القرآن الكريم ٠ ويقال في هذا المجال ، إن العرب يختلفون فيما بينهم . بنوع ما . في نطق الفصحى العصرية وفي بعض تراكيبها وصيغها ٠ ويمكن الردّ عليه بأن هذا أمر يمكن تناوله تناولا علميا وموضوعيا يصل بنا في النهاية الى خطوط عريضة للغة مشتركة صالحة للتطبيق في العملية التعليمية على المستوى العربى العام ٠ وإن اختيار مثل هذا المنهج ليكون أيضا عونا كبيرا على توحيد أو تقريب بين هذه الصور المتعددة كما أن فيه خدمة للقضاء على سطوة اللهجات العامية ٠

ويتحقق هذا الهدف المنشود بالالتجاء الى الظواهر الصوتية التى يغلب استعمالها في الوطن العربى في عمومه مع مراعاة ما قرره الأقدمون من علماء اللغة في هذا المجال ٠ وكذلك يجب استخدام المفردات والتراكيب العامة التى يشيع استعمالها لدى العرب بصفة عامة . عند وضع المواد المقررة في جميع المراحل وخاصة في المرحلة الأولى ٠

ب ـ اتخاذ طريق متدرج الخطوات ٠ ويبدأ بالعبارات والأساليب التى تقرّب من لغة الحياة اليومية . والتى يشيع استعمالها في شتى المجالات الاجتماعية ٠ ونتيجة في اختيار المواد المقررة والنصوص المطلوبة نحو لغة الأدب الحديث الجيد . ولغة وسائل الإعلام المعروفة مثل مفردات وأساليب نشرات الأخبار والأحاديث في الاذاعة والتلفزيون والصحف المعتد بها ٠ وأن اللغة الفصحى اليوم لغة مكتوبة في أغلب أحوالها ٠ ويمكن أن تتخذ هذه اللغة المكتوبة ذاتها أساساً عند اختيار المواد المقررة في مختلف المراحل التعليمية ٠ ولا ينبغى أن نهمل فصحى العصور القديمة . وخاصة الزاهرة منها في العصور الذهبية للحضارة الاسلامية ٠ وهكذا يستطيع الدارسون الإلمام بصورة متكاملة للغة العربية في عصورها المختلفة وفقا لمنهج دراسى متطور حسب الأهداف والفترات المحددة لكل دورة تدريبية أو مرحلة تعليمية ٠

جـ ـ ينبغى أن تكون المواد المختارة ذات تنوع في المعانى وأغراض التعبير . بحيث تصور الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ٠ وكذلك يجب أن توزع قواعد اللغة الصرفية والنحوية وغيرها توزيعا عادلا مناسبا لكل مستوى ومرحلة ٠ وبالنسبة الى التدريبات الصوتية يمكن أن توضح الصور النطقية الصحيحة في تسجيلات صوتية تتخذ نموذجا يحتذى به ٠ ويلاحظ في اختيار الصور الصوتية أن تكون المفردات والتراكيب مستعملة في أغلب البلدان العربية ومشتركة فيما بينها في الوقت الحاضر حتى تكون هذه المواد نموذجية ومعيارية وعصرية ٠

د ـ في ضوء هذه المبادىء الأساسية نختار بعض الآيات القرآنية التى تمدّ المتعلّم بأفكار نافعة وثروة لغوية مفيدة ٠ وكذلك بعض الأحاديث النبوية الشريفة التى تعدّ أيضا مصدرا غنيا في هذا الشأن ٠

ثم نورد أمثلة من أعمال المفكرين والكتاب والشعراء المعاصرين والقدامى من عصور العربية الزاهرة · وكل هذا وذاك حسب حاجات المتعلمين أو تخصصاتهم ومستوياتهم المختلفة · ومن المعروف أن هذا المنهج ليكون مقصورا على دورات تعليمية متخصصة فتكون المادة المختارة في مجموعها على الأساليب العلمية المتخصصة بهذا الفرع أو ذاك ·

ويمكن أن نطلق عليها (الدورات التدريبية التخصصية) · وهى تختلف تماما في المدة والهدف عن النهج العام لهذه النوعية من التعليم . ولا ضير في هذه الحالة أن تكون المادة المختارة في مجموعها مقصورة على الأساليب العلمية المتخصصة . مع امكانية الاسترشاد بالمبادئ العامة لتعليم العربية لغير الناطقين بها ·

هـ ـ الاهتمام بتعليم أصوات اللغة العربية · إذ أن الأصوات هى اللبنات الأولى للبناء اللغوى من المفردات والجمل والتراكيب والأساليب التى تشكل أية لغة في مجموعها · وأن المتعلم الاجنبى لا يستطيع أن يستوعب ما يتعلّم ويجيد نطقه بدون تعلّم الأصوات · أما من قواعد أصوات الفصحى بصورها المختلفة فانها مسجلة في كتب المحدثين والأقدمين جميعا · ويتحتم علينا لأدائها العملى أن نلجأ الى صورة مشتركة من النطق تمثل الخواص الصوتية للعربية الفصحى تمثيلا صادقا · ولتحقيق هذا الهدف نستطيع مراجعة المجيدين من قراء القرآن الكريم والاستعانة من المتخصصين في اللغة العربية الفصحى بالنطق والأداء النموذجى ·

ويجب أن نراعى في هذا المجال كلّ الجوانب الصوتية للغة . بحيث يشمل نطق الأصوات للمفردات والجمل والعبارات فكما أن لاصوات المفردات حدودا من الصحة والأداء فهناك حدود معينة لكل ما يتألف منها من جمل وتراكيب أو صيغ منها من وحدات لغوية وكما ينبغى مراعاة قواعد النطق والنبرات في الأداء الصحيح للكلمات . يجب الاهتمام بالادغام وتوزيع الفواصل والوقفات ودرجات المدّ والشدّ وما الى ذلك من القواعد المطردة في الجمل والعبارات · ومن المعروف أن طريقة أداء الكلام أو القائه في صورة معينة منسقة هى التى تكشف عن معانيه ومقاصده الحقيقية · وبعبارة أخرى أن معانى الجمل والعبارات تظهر وتتحدد بأدائها أداء موسيقيا أو تنغيميا معينا حسب خواص التركيب اللغوى وتوجيه مقامات الكلام وظروفه المختلفة ·

و ـ تحديد نوعية قواعد النحو والصرف التي تقدم الى هؤلاء المتعلمين · ويجب أن يكون ما يقدم مناسبا لمستويات الطلاب أو أهدافهم من تعلم اللغة · ونتفادى مجاراة نهج الأقدمين في تقديم مجموعات من القواعد بقطع النظر عن التدريبات العملية التى يقوم بها المتعلّم بكل ما يتلقاه من القواعد قراءة وكتابة وتمرينا · وأول مبدء لاختيار القواعد النحوية والصرفية لهؤلاء الدارسين هو الادراك بأن تعليم القواعد انما هو وسيلة لا غاية في ذاته أى أنه وسيلة لاكتساب عملية فهم المسموع والمقرؤ وأفهام الآخرين ونقل الافكار اليهم بالتعبير الشفوى والتعبير الكتابى ·

فينبغي اختيار تلك القواعد التى تساعد الطلاب على هذا القدر من الفهم والتعبير بسهولة ويسر . ونستبعد بقدر الامكان من قواعد الصرف . مثلا . مسائل الاعلال بالنقل والقلب والحذف ومسائل التقدير والافتراض والتأويل وما شابه ذلك من الأمثلة الجدلية والقواعد الشاذة . ويمكن أن يقدم مثل هذه المسائل العويصة في المراحل المتخصصة أو المتقدمة فليس من الضرورى الانسياق وراءها في المراحل الأولى لتعليم الدارسين غير الناطقين باللغة العربية .

وبالنسبة الى قواعد النحو فيكفى تقديم قواعد تركيب الكلام من تقديم وتأخير وتنسيق مفردات الجملة بعضها ببعض . وقواعد التذكير والتأنيث والأفراد والتثنية والجمع والتعريف والتنكير . وكذلك علامات الأعراب الأصلية والفرعية . ويجب أن نلاحظ في تقديم قواعد النحو أن لا تكون منحصرة في الأعراب فقط لأن أهمية التدريب في الكلام ونظمه لا تقل عن أهمية الأعراب . وأن الاهتمام المبالغ فيه هو الذى يؤدى الى الدخول في المسائل النحوية المعقدة كمسائل التقدير والافتراض وحشد الامثلة الشاذة . الأمر الذى يعقد العملية التعليمية للدارسين المبتدئين .

وأما الأبواب الشائعة ولكنها معقدة الى حد ما مثل أبواب التحذير والأغراء والندبة والتعجب وغيرها فيمكن أن تقدم أمثلتها على أساس أنها أساليب عربية تستعمل في الظروف والمناسبات الخاصة . دون الدخول في تفاصيل التحليل الاعرابى والتحليل اللغوى . ومن الضرورى كذلك أن نضع في الاعتبار عند اختيار مادة القواعد أن لا نقدم قواعد الصرف مستقلة عن قواعد النحو . فالصرف هو جزء لا يتجزّأ للنحو بل هو الذى يمهد له الطريق . ولا تظهر قيمة أمثلة الصرف اذا أخذت منعزلة عن قواعد التركيب النحوى . ولهذا يجب الإهتمام بتقديم قواعد النحو والصرف وأمثلتهما معا . مع مراعاة مستويات الطلاب وأهدافهم من تعلّم هذه اللغة من حيث النوعية والكيفية المذكورتين .

مراعاة أهداف المتعلّمين ومستوياتهم الثقافية :

لا بد أن نأخذ في الاعتبار عند وضع منهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها واختيار المواد المطلوبة ونوعيتها . أهداف هؤلاء المتعلمين وأغراضهم من تعلم هذه اللغة وكذلك المستويات الثقافية لهم . وأن نوعية اللغة التى تقدم لهم وحدودها وخواصها وصيغها ومفرداتها وتراكيبها يجب أن تكون ملائمة لأوضاعهم الثقافية ومحققة لأهدافهم من تعلّمها .

أما فيما يتعلّق بالأغراض التى من أجلها يتعلم الدارسون الاجانب اللغة العربية فمنهم من يتعلم العربية لأهداف علمية وثقافية أو لأغراض تجارية وإقتصادية أو سياسية أو لأجل مجرد التحدث مع أصحاب هذه اللغة في المعاملات اليومية . ويقبل البعض على تعلمها لفهم القرآن والعلوم الاسلامية . وهذا التنوع في أغراض الدارسين يتطلب تنويع الصيغة اللغوية التى تقدم اليهم لتلبية حاجات كل فريق حسب مقاصدهم التى من أجلها يدرسونها .

ويأتى بعد ذلك اختلاف المستويات الثقافية بين المتعلمين الاجانب ٠ وأن هؤلاء المتعلّمين يكونون ذوى ثقافات متفاوته وأنماط متباينة من التربية البيئية والسلوك الاجتماعي ٠ فليس من المقبول تربويا وعمليا أن تقدم لهؤلاء الدارسين المنتمين الى بيئات متعددة وأوضاع ثقافية متفاوته . مادة موحدة وبدرجة واحدة ٠ وأن هذا النهج يحدث الخلط والاضطراب في التدريس ٠ وربما يفوت فرص الفهم للمادة والتشوق لهذا الفريق أو ذاك لاستيعاب الدروس ٠

وهنا تنشأ أيضا مشكلة أخرى هامة وهي اختلاف اللغات القومية بين هؤلاء المتعلمين ٠ وقد ثبت من التجارب أن الطلاب يختلفون فيما بينهم في درجة الفهم والتحصيل للغة العربية باختلاف لغاتهم القومية ٠ فان طالبا مسلما من الهند أو باكستان أو بنجلاديش أو من تشاد أو من جزر القمر ونحوها من البلدان التى قد تأثرت لغاتها المحلية باللغة العربية . حيث إن هذا الطالب له نوع من الألمام ببعض الكلمات العربية أو المصطلحات الاسلامية كما أنه عادة يحفظ بعض السور من القرآن الكريم أو أدعية الصلوات وغيرها . فلا ينبغى أن يوضع هو في عداد الطلاب الذين يأتون من البلاد الاوربية أو الامريكية بدون أن يكون لهم أدنى المام باللغة العربية أو حروفها الهجائية وخاصة بنطقها ومخارجها الصحيحة ٠

وقد سمعت رأيين من قبل بعض رجال التربية والعلماء المتخصصين في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها . في معالجة هذه المشكلة أى مشكلة اختلاف المستويات والأهداف واللغات القومية . فيرى البعض : وجوب العمل للتوفيق بين هذه الاعتبارات المختلفة اجمالا أى بتقديم مجموعة من المواد المختلطة من الفصحى والعامية والمصطلحات التجارية والعلمية والسياسية والتدريبات اللغوية المشتملة على القواعد الأساسية لاصوات اللغة ونحوها وصرفها وبلاغتها ٠ وهذه هى الطريقة الممكنة للجمع بين هذه الحالات المختلفة والاوضاع المتفاوتة ٠

ويرى البعض الآخر : أن هذا المنهج يؤدى الى الاضطراب في العملية التعليمية ٠ وربما يصلح في حالة دورات تدريبية قصيرة ذات هدف محدد من تعليم هذه اللغة لمجموعة من الدارسين ٠ أما التعليم بصورة علمية ومنظمة لمدة طويلة فينبغى أن يكون على أساس خطة مدروسه طويلة المدى ٠ ولهذا اقترحوا توزيع الطلاب على فصول الدراسة بحسب أوضاعهم الثقافية ولغاتهم القومية مع مراعاة مدى ملائمة المادة المختارة لهذه الاوضاع وكذلك لمقاصد هؤلاء وأولئك ٠ وإن كانت هذه الطريقة تبدو صعبة في أول وهلة فانها هى الطريقة المُثلى لتفادى محظور الخلط والاضطراب . وتحقيق التقدم في تعليم العربية لغير الناطقين بها بصورة أسهل وأنفع ٠

التخطيط المنهجى لتدريس المواد المقررة ٠

تطرقنا فيما سبق الى ضرورة اختيار اللغة الفصحى منطلقا لتعليم العربية لغير الناطقين بها لعدة أسباب علمية وعملية ثم تكلمنا عن حقيقة تفاوت المستويات الثقافية لهؤلاء المتعلمين وكذلك اختلاف أهدافهم وأغراضهم من تعلّم العربية وأشرنا أيضا الى أهمية التنبه الى أمر اختلاف اللغات القومية بين

المتعلمين الاجانب ودور هذا الاختلاف في دفع عجلة تعليم اللغة الى الأمام · وفيما يلي مجموعة من الأفكار العامة لوضع خطة منهجية لتعليم العربية لغير الناطقين بها بحيث تلبى لأغراض المتعلمين وتفي بحاجاتهم كما تخدم اللغة العربية على المدى البعيد :

أ ـ الطريقة المباشـرة :

إن عامل الاحتفاظ بعربية جوّ الدروس في الفصول أو قاعات التعليم من أهم العوامل التى تساعد الطلاب الاجانب على معايشة جوّ اللغة العربية والتأثر بخواص هذه اللغة نطقا واستعمالا في أرضية واقعية · ولهذا يجب أن تكون الطريقة التى يقوم عليها تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها هى الطريقة المباشرة بأن تكون لغة التخاطب والتعليم بين المدرس والطالب في قاعات الدروس هى اللغة العربية فقط دون الالتجاء الى الترجمة أو أستخدام اللغات الاجنبية ·

وتظهر قيمة هذه الطريقة ماثلة أمام أعيننا . لأنه كلما نطبق نظام الطريقة المباشرة تكون النتيجة اعتماد الطالب الاجنبى في الفهم والمناقشة مع المدرس على اللغة العربية نفسها فيستذكر الكلمات المحفوظة في ذاكرته ويدرب نفسه على التقاط النطق والأصوات اللغوية الصحيحة مباشرة من فم المدرس · وبهذه الطريقة سيصبح الطالب الاجنبى الذى تعودّ لسانه على لغات أخرى أكثر تأثرا وأشد اتصالا بخواص اللغة العربية · وتتاح له الفرصة لاستخدامها مع العرب بنبرات واضحة ونطق صحيح ·

وجدير بالذكر أن الطريقة المباشرة هى النظرية التربوية المعروفة لدى خبراء تعليم اللغات في العصر الحديث والمتبع في معاهد اللغات ومعاملها في الدول الأخرى · واذا اضطر المدرس الى ترجمة كلمة أو مصطلح أو نحو ذلك في مادة أو أخرى فعليه أن يختصر على قدر الضرورة وبنطاق ضيق فقط ثم يعود فورا . بمجرد انقضاء هذه الضرورة . الى اللغة العربية في المخاطبة · ولا يخفى ما لهذه الطريقة من أثر في إيلاف الطـلاب الأجانب الجو العربى أثناء الدروس ·

ب ـ أسـلوب التدريبات اللغـوية :

إن التدريبات اللغوية هى الهدف الأول والأساسى في تخطيط منهج تعليم العربية لغير الناطقين بها · ومن ثم فلا بد أن يلتزم منهج تدريس هذه المادة لهؤلاء الطلاب بالطرق التالية :

الأولى ـ البدء بالتدريب على نطق الكلمات الواردة في المادة المقررة ويليه فهم المعانى · هذا قبل قيام الطلاب بقراءتها وكتابتها . لأن الطالب الاجنبى لو تدرب على نطق الكلمات المطلوبة فتسهل عليه قراءتها ثم كتابتها · والطريقة لهذا التدريب أن يطلب المدرس من الطلاب الاصغاء اليه جيدا ثم ينطق كل واحد بوضوح بالكلمة التى نطقها المدرس . وبعد أن درج الطلاب على قدر كاف وصحيح من نطقها يحاول المدرس افهامهم معنى تلك الكلمة بأية وسيلة مناسبة بالأشارة أو الصورة أو الرسم وأخيرا بالترجمة ولا ينبغى أن تستعمل الترجمة الا كآخر محاولة لتحقيق هذا الغرض ·

والثانيــة ـ العمل لزيادة حصيلة الطالب من المواد اللغوية من المفردات والجمل يوما فيوما . بحيث تكون تلك الحصيلة متدرجة في الألفاظ والمعانى . سواء في الكم أو الكيف . بمعنى ضرورة البـدء بجمل قصيرة ثم الطويلة وكذلك ذات المعانى المتداولة سهلة المنال ثم المعانى العميقة التى لا تستعمل الا في حالات وظروف خاصة . ومثال ذلك : يجب أن يكون الدرس المقرر يشتمل على أسماء وأفعال معروفة وشائعة في الاستعمال اليومي مثل : « قال » و « وذهب » و « وقرأ » و « كتب » . ويستبعد في البداية تلك الأفعال صعبة النطق ونادرة الاستعمال مثل : « صعق » و « نعق » و « احدودب » و « تقهقر » ونحوها . وكذلك أن يكون الدرس مشتملا على جمل متدرجة في قصرها وطولها وسهولتها وصعوبتها . فمثلا : تقدم أولا عبارات مستعملة في المعاملات اليومية للانسان بحيث تتناول المحادثات اليومية عن الأكل والشرب أو اللعب أو الدرس وما الى ذلك . وليس عن المسائل السياسية أو الاقتصادية أو الرحلات الطويلة . ويقدم ما يحتاج اليه في هذه المجالات في المراحل المتقدمة قليلا وبحسب فترات التدريب وتخصصات الطلاب .

والثالثـة ـ بعد الخطوات المذكورة يأتى دور التدريب على الاسئلة والأجوبة باللغة العربية بين المدرس والطلاب تارة وبين الطلاب فيما بينهم تارة أخرى . وهذا بهدف تقويم لسان الطالب على نطق الأصوات ومقاطع الجمل وعلى تكوين المهارات فيهم على استخدام تلك الكلمات والعبارات التى تعلّموها في التعامل الفعلى بدون خجل ولا خوف ولا صعوبة . وهذه الطريقة تساعد أيضا على ترسيخ ما دَرَسَهُ الطالب من الجمل والعبارات في أذهانهم كما أنها تحقق الهدف الرئيسى من تعلّم هذه اللغة أى التدريب على التحدث بها وفهم أساليب استخدام اللغة العربية في مجالات الحياة المتنوعة .

وفي هذا المجال يجب على المدرس أن يكرر هذه العملية بعد كل درس جديد الى أن يأنس في الطلاب القدرة على استيعاب ما درسوا . فهما واستعمالا . ويوجه أولا أسئلة لكل طالب ليجيب عليه وكذلك يمكن أن يطلب من أن يوجه بعضهم اسئلة الى زميله فيجيب عليه سواء أكانت الأسئلة مدرجة في الدروس المقررة أو مستنبطة من أصول الدروس وقواعدها . وفي كلتا الحالتين ينبغى أن يؤخذ في الاعتبار أن هذه الطريقة تعتمد أساسا على عنصر اكتساب الطالب التراكيب وأساليب المحادثات باللغة العربية .

والرابعة ـ يراعى في تدريس مادة التدريبات اللغوية إفهام الطلاب الاجانب ما للغة العربية من خصائص تمتاز بها عن اللغات الأخرى ليكون هؤلاء الطلاب على ادراك وبينة لطبيعة العربية حتى تزول من اذهانهم محاولة قياس نظام وقواعد اللغة العربية على اللغات التى تعودوا عليها . ويقبلوا على تعلم اللغة العربية بفكرة مستقلة واضحة . ومن هذه الخصائص :

موضع « الفاعل » من الفعل « والصفة » من الموصوف . فبينما يقدم الموصوف على الصفة في العربية فيؤخر في الانجليزية . مثلا . وكذلك الحال بالنسبة الى الفاعل ففى الانجليزية يقدم الفاعل على صيغة الفعل عكس النظام العربى المعروف . ويجب أيضا تنبيه هؤلاء الطلاب الى حقيقة بعض الحروف الهجائية باللغة العربية والتى لا يوجد لها مثيل في أية لغة في العالم في النطق والمخارج مثل : الضاد والعين والخاء والصاد والطاء والقاف .

جـ ـ طريقة القراءة والكتابة :

اذا كان افهام الطلاب الاجانب خصائص اللغة العربية يؤدى الى تدريبهم على النطق الصحيح والتركيب اللغوى الذى تمتاز به العربية عن اللغات الأخرى فان تعليمهم القراءة العربية يأتى في المقام الأول ويليها تعليمهم الكتابة العربية . ويجب أن تكون مادة القراءة التى يتدربون عليها من بين الجمل والعبارات التى درسوها فعلا أثناء التدريبات اللغوية من المحادثات أو الاسئلة والأجوبة على أن تكون تلك الجمل قصيرة والكلمات سهلة النطق وفهم معانيها . وأما في مجال تلك المادة فلا بد من مراعاة نظام التدرج فمثلا : تبدأ القراءة بالجمل القصيرة فعبارات موجزة من بعض النصوص .

وبعد اختيار المادة المناسبة يطلب المدرس من الطلاب واحدا فواحدا . لأن يقرأها بصوت عال وبنطق صحيح . ويقوم المدرس بتصحيح أخطاء القراءة فورا بدون أن ينتظر انتهاء الطالب من قراءته للعبارة أو الفقرة كلها . واذا وجد نص مادة القراءة المطلوبة صعبة النطق يقرأ بنفسه أولا ثم يطلب من الطلاب أن يرددوها مرات لكى تتعود ألسنتهم على ذلك . والبساطة والايجاز في الكلمات والعبارات أمران ضروريان في تدريب الطلاب الاجانب في المرحلة الأولى من التدريبات اللغوية . ويستحسن تدريبهم على القراءة من العبارات التى لهم المام بمعانيها وموضوعاتها بحكم ثقافتهم العامة أو مستواهم العلمى أو وضعهم الاجتماعى . فعلى سبيل المثال . اذا كان معظم الطلاب في ذلك الفصل من المسلمين من بلاد غير عربية ولهم خلفية اسلامية يستحسن أن تشمل مادة القراءة التى تقدم اليهم على موضوعات عن أركان الاسلام والعبادات وسيرة الرسول والتاريخ الاسلامى وما شابه ذلك . ويمكن أن تكون فيما بعد مدخلا لهم الى العلوم الاسلامية في المراحل المتقدمة . واذا وجد المدرس مستوى طلابه غير ذلك فعليه أن يختار لهم عبارات في موضوعات عامة اجتماعية وأخلاقية وسياسية وغيرها

وعلى المدرس أن يوجه اليهم عقب انتهائهم من القراءة المطلوبة اسئلة تعين على فهم المعانى والأفكار التى انطوت عليها المادة المقروءة . كما أن هذه الطريقة تنمى فيهم قدرة الحوار والنقاش في اللغة العربية . ويجب على المدرس كذلك أن يأخذ في اعتباره زيادة حصيلة الطلاب من التراكيب والعبارات العربية يوما فيوما بمعنى أن يكون ما يقدم اليهم من المواد متجددة ومتدرجة في الشكل والمضمون معا .

إن الكتابة العربية ـ في الحقيقة والواقع ـ أقصر كتابة . وأن اختصار الكتابة العربية واقع ملموس لكل ناظر . وذلك عند الموازنة بين الكلمات المعجمية والنصوص المحددة في اللغات الاجنبية ونظائرها في اللغة العربية . وأن الموازنة الصحيحة تثبت أن الكتابة العربية تتطلب مساحة أقل مما تتطلبه الكتابات الاجنبية في مختلف اللغات . وجدير بالذكر أن الكتابة العربية تقتضى اختصار الحروف المفردة عند استخدامها في الكلمة . فالحروف في حال اتصالها في الكلمة الواحدة تختزل بمقدار نصفها أو أقل أحيانا . وأن كتابة هذه الحروف متراكبة تتيح لحجم الكلمة مزيدا من الاختصار في المساحة . هذا الى جانب كون الحروف العربية عادة أقل من حجم الحروف الاجنبية .

والحقيقة الأخرى التى يجب أن ترسخ في أذهان الطلاب هى أن الكتابة العربية العامة لا تقتضى كتابة علامات الأعراب ـ أى التشكيل ـ على عكس الكتابة في اللغات الاجنبية · والنتيجة الحتمية لهذا النظام أن كمية الحروف في أى كلمة عربية تعتبر بمقدار نصفها اذا روعى تعداد علامات الحركات للحروف في كلمة أجنبية · وفي حالة وضع علامات الحركات ـ في بعض الحالات ـ فانما توضع فوق الحروف وتحتها · وبذلك لا تشغل من المساحة شيئا يذكر ·

واذا نظرنا الى تنوع الكتابة العربية وتطوراتها ، فنرى أن الكتابة العربية قد احتفظت برسومها الجوهرية منذ عصورها الأولى · وأما الذى حدث فهو تصرف وتنوع في تكوين نفس الحروف الأساسية ، من تشابك وتدامج وما الى ذلك من التنميق والتجميل وغيرهما · ومسايرة لهذا التطوير قد نشأت أنماط عديدة للخط العربى مثل : النسخى والرقعى والثلثى والفارسى والكوفى والديوانى وغيره · ولكل منها معالمه المميزة كما له استخدامه الخاص · وهكذا دخل في المكتبة العربية الجمال الفنى والتفنن في النماذج الخطية · ونتج عن ذلك الاحتفاظ بنماذج زخرفية لتزيين الجدران والحجرات وانتقال عناصر من الحضارة العربية والاسلامية الى الدول الأخرى عن طريق النقوش والزخارف العربية المعروفة بالابداع الجمالى والامتاع الفنى ·

وأما هدفنا الأساسى في هذه المرحلة فهو تهيئة أذهان الطلاب الاجانب للتدريب على كتابة اللغة العربية بيسر وسهولة حسب قواعد العربية وأوضاعها نحوا وصرفا واشتقاقا وفيما يلى بعض القواعد الأساسية لتدريب هؤلاء الطلاب على رسم الخط العربى في المراحل الأولى :ـ

١ ـ تعويد الطالب على كتابة الجمل والعبارات العربية بخط « النسخ » وبحروف كبيرة بدون تشكيل ـ الا للضرورة ـ فان التشكيل يضاعف وقت الكتابة ويشغل فكر الطالب بعلامات الضبط وتحرى وضعها · وأن الزام الطالب بالشكل في الكتابة يؤديه في المستقبل الى الاضطراب والخوف في قراءة مكتوبات غير مشكولة ·

٢ ـ إن الكتابة العربية منضبطة بغير ضابط من التشكيل ـ فمثلا : أن « اسم الفاعل » و « اسم المفعول » وغيرهما من الصيغ الاشتقاقية والقياسية لها ضوابط شكلية معروفة فلا بد من تعويد الطلاب على معرفتها من الكتابة نفسها دون الالتجاء الى مساعدة الشكل · وكذلك حروف المد : الواو والألف والياء ، فان كلا منها يدل على حركة ما قبله فلا يحتاج الى الشكل الا نادرا ، فعلى المعلّم أن يدربهم على النطق الصحيح من الكتابة الصحيحة بدون مساعدة الشكل ·

٣ ـ التدريب على التزام مواضع الشدة والمدة وهمزة القطع وكذلك تنبيههم على طريقة كتابة بعض الاعلام والأعداد من زيادة حروف خشية اللبس وتسهيل النطق مثل كتابة : « عمرو » و « مائة) . ونظام كتابة الهمزة : فاذا كانت في أول الكلمة ترسم الفا : « إن » و « أن » . وإن دخل على الكلمة حرف نحو : « فإن » و « لأن » . وإن كانت في وسط الكلمة ترسم على حرف مجانس لحركة ما قبلها ان كانت

ساكنة : فأس ، بئر ، سؤل · والهمزة في آخر الكلمة ترسم على حرف مجانس لحركة ما قبلها اذا سبقت حركة مثل : « يجرؤ » و « يبدأ » و « يستهزئ » · وعلى الرغم من بعض التعقيدات الاملائية في هذا النوع من الرسم فلا بد من تنبيه هؤلاء الطلاب الى ذلك لكى يتكيفوا بالتدريج مع خصائص الكتابة العربية ويحسنوا ارتسامها في كتاباتهم في المراحل المتقدمة ·

د ـ طريقة تعليم القواعد العربية :

يجب أن تكون الغاية من تعليم القواعد العربية للطلاب الاجانب ، تزويدهم ببعض القواعد النحوية والصرفية الأساسية التى تساعدهم على تعلم العربية والتحدث بها بدون خطأ لغوى يغير المعنى ، هذا في المراحل الأول وكذلك اعدادهم لمواصلة الدراسات النحوية والصرفية في المراحل المتقدمة لو أرادوا الاستمرار في فصول متخصصة · ولتحقيق هذا الهدف المنشود لا بد من مراعاة الأمور الآتية :ـ

ا ـ عدم تقديم التعريفات أو الحدود النحوية المعروفة للقواعد النحوية بل يجب الأكتفاء بالأمثلة للباب المطلوب تعليمه مع ذكر اسمه · ويمكن تقديم تعريف مختصر بلغة مبسطة مثلا : «المبتدأ والخبر مرفوعان » بدون أن يتطرق الى ما هو رافع المبتدأ والخبر وغيره من المسائل النظرية العويصة ·

ب ـ مراعاة التدرج في تعليم القواعد النحوية ، مثلا : عند تعليم « إن وأخواتها » و « كان وأخواتها » ، يستحسن الاكتفاء بتقديم بعضها مع الأمثلة ولا ينبغى استيعاب جميع هؤلاء الأخوات لئلا يصعب عليهم حفظها وفهم أماكن أستخدام كل منها · وكذلك في تقديم الأمثلة يراعى المألوف والشائع ، وبصيغ مبسطة وباستخدام المفردات والتركيبات الكثيرة الاستعمال وبتجنب الالفاظ النادرة ·

جـ ـ نماذج من القواعد المتدرجة :

١ ـ أقسام الكلمة في اللغة العربية ، من : اسم وفعل وحرف مع الأمثلة ·

٢ ـ أقسام الفعل ، من : ماض ومضارع وأمر ونهى مع الأمثلة ·

٣ ـ أبواب الفعل الثلاثى : المجرد والمزيد وأبواب الفعل الرباعى : المجرد والمزيد ، مع الأمثلة · ولا ينبغى تقديم التفاصيل عن الفعل الصحيح والمعتل للمبتدئين من الطلاب الاجانب ·

٤ ـ ثم تدريبهم على تصريف الماضى والمضارع والأمر والنهى من بعض أبواب الأفعال السهلة التى درسوها جيدا خلال الدروس السابقة ·

٥ ـ وتليها أمثلة لنواصب المضارع وجوازمه ، تكملة لقواعد قسم الفعل من الكلمة ·

٦ ـ قواعد مبسطة للاسماء المرفوعة مع الأمثلة ، مثل : المبتدأ والخبر والفاعل ونائب الفاعل وكذلك المنصوبة منها مثل : المفعول به والحال واسم إن وخبر كان ، وأخيرا المجرور منها مثل : المضاف إليه والاسم المسبوق بحرف من حروف الجر ·

٧ ـ قواعد استعمال كتابة الاعداد مهمة جدا بالنسبة الى دارسى اللغة العربية وصعبة لهم في نفس الوقت · ولهذا تجب مرعاة التدرج في تدريبهم على هذا الباب من القواعد لانه متداخل ومتشابك الى حد ما ·

٨ ـ لا ينبغى أن تقدم اليهم في المرحلة الأولى المسائل المتعلقة بحركات الاعراب الأصلية والفرعية والظاهرة والمقدرة وغيرها · ويكتفى تدريبهم على بعض الأمثلة لاستخدام هذا النوع من الاسماء مثل : المنقوص والمقصور والممنوع من الصرف وغيرها بدون الدخول في تفاصيل القواعد والتعريفات خشية اللبس والاضطراب ·

نظرة على منهج شعبة تعليم اللغة العربية ـ بالجامعة الاسلامية بالمدينة

افتتحت شعبة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة عام ٨٦ / ١٣٨٧ هـ · وهى تهدف تعليم اللغة العربية للطلاب الوافدين الى الجامعة ، الذين لا يتكلمون اللغة العربية أو لا يجيدونها حتى يتمكنوا من الدراسة والتخاطب بها · والدراسة فيها سنتان · وبعد نجاح الطالب فيها يلحق باحدى الكليات أو الثانوية أو المتوسطة حسب مؤهلاته العلمية التى يحملها قبل الالتحاق بالشعبة ·

وأما خطة التعليم في شعبة اللغة العربية في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، في الاطار العام لأهداف الجامعة ، تعتنى بالأمور الآتية :

الأول ـ انها تعلّم الطلاب الاجانب اللغة العربية والمواد الاسلامية معا ، لان هدفها اعداد الطلاب لمتابعة دراساتهم الاسلامية باللغة العربية التى هى وعاء هذه الدراسات ومنبعها الأصلى ·

والثانى ـ تعليم اللغة العربية من خلال المواد الاسلامية ، وكذلك تزويد الطلاب بالمصطلحات الاسلامية الضرورية في الدراسات المتقدمة ـ وتشمل مواد الدراسة الاسلامية : التوحيد والتفسير والحديث والفقه والثقافة الاسلامية ·

والثالث ـ اتباع الطريقة المباشرة في التدريس أى يجرى تعليم جميع المواد باللغة العربية الفصحى دون أى اعتماد على الترجمة أو البيان باللغات الأخرى حتى يكون جوّ الدروس عربيا محضا ·

والرابع ـ التزام الشعبة باستخدام اللغة الفصحى في مخاطبة الطلاب التزاما تاما · ومراعاة النطق الواضح السليم بدون أى التجاء الى العامية أو اللهجات المحلية · وبهذه الطريقة يألف الطلاب اللغة العربية الصحيحة العامة والمشتركة في العالم العربى كله ·

الخامس ـ أن الجامعة تضم الآن طلابا من أكثر من مائة جنسية من شتى بقاع العالم · ويفدون الى الجامعة الاسلامية لتعلّم اللغة العربية كلغة القرآن والعلوم الاسلامية ، ولا يتعلّمونها بهدف التعامل التجارى والاجتماعى والسياسى كما لا يأتون اليها لتعلّم العاميات المحلية ·

والسادس ـ تقدم المادة المقررة ، لكل طالب في فصول الشعبة ، مطبوعة بخط نسخ وحروف كبيرة ومشكولة حسب الحاجة · ويكون للشعبة اختباران في السنة : أحدهما في منتصف العام والآخر في نهاية العام الدراسى ·

مختارات من التراث

نكبة دمشق

لأمير الشعراء أحمد شوقى

سلام من صبا (بَردى) أرقّ ... ودمع لا يُكفكف يا دمشقُ

ومعذرةُ اليراعةِ والقوافى ... جلالُ الرُّزْء عن وصفٍ يدِق

وذكرَى عن خواطِرها لقلبى ... إليكِ تلفَّتُ أبداً وخَفْق

وبى مما رمتكِ به الليالى ... جراحاتٌ لها فى القلب عُمق

دخلتُك والأصيلُ له ائتلاقٌ ... ووجهُك ضاحك القسماتِ طَلق

وتحت جِنانك الأنهارُ تجرى ... وملء رُباك أوراقٌ ووُرْق

وحولى فتيةٌ غرٌّ صِباح ... لهم فى الفضل غايات وسَبق

على لَهواتهم شعراءُ لُسْنُ ... وفى أعطافهم خطباءُ شُدْق

رواة قصائدى فأعجبْ لشعرٍ ... بكل محلَّةٍ يرْويه خَلق

غمزتُ إباءهم حتى تلظَّتْ ... أنوفُ الأسدِ واضطرم المَدَق

وضجَّ من الشكيمةِ كلُ حُرٍ ... أبىٍ من أميَّة فيه عِتق

لحاها الله أنباءً توالت ... على سمْع الولِّي بما يَشُقُّ

يُفصلها إلى الدنيا بَريدٌ ... ويُجملها إلى الآفاق بَرْقٌ

تكاد لروعةِ الأحداث فيها ... تخال من الخُرافةِ وهى صِدْق

وقيل معالمُ التاريخ دُكّت ... وقيل أصابها تَلَفٌ وحَرْق

ألستِ دمشقُ للإسلام ظِئراً ... ومُرضِعةُ الأبوَّة لا تُعق

صلاحُ الدين تاجُك لم يُجمَّل ... ولم يُوسَم بأزين منه فَرْق

وكلُّ حضارةٍ في الأرض طالتْ ... لها من سَرحك العُلوى عِرْق

سماؤكِ من حُلى الماضى كتابٌ ... وأرضُك من حُلى التاريخ رَقُّ

بنيت الدّولة الكبرى ومُلكا		غبار حضارتيْهِ لا يُشق
له بالشام أعلامٌ وعُرسٌ		بشائره بأندُلسٍ تدَق

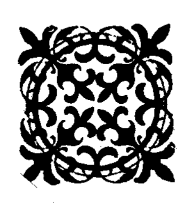
• • •

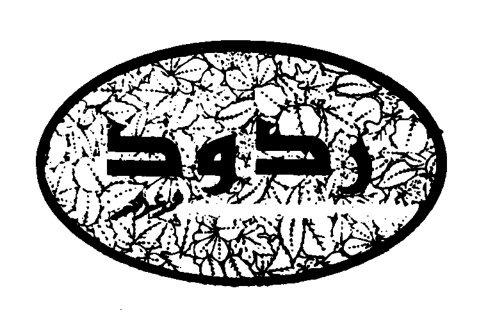
رباعُ الخلد ويحك ما دهاها		أحق أنها درَست أحق
وهل غُرف الجنان منضَّداتٌ		وهل لنعيمهن كأمس نَشق
وأين دُمى المقاصر من حِجَالٍ		مُهتَكة وأستارٍ تُشقُّ
برزْن وفي نواحى الأَيْكِ نار		وخلفَ الأَيكِ أفراخٌ تزقُّ
إذا رُمن السلامةَ من طريقٍ		أتتْ من دونه للموت طُرق
بليلٍ للقذائف والمنايا		وراء سمائهِ خطف وصعْقُ
اذا عصف الحديدُ احمرَّ أُفقٌ		على جنباته واسود أُفْقَ
سَلي من راعَ غِيدَك بعدَ وهنٍ		أبينَ فؤاده والصخر فرْق ؟
وللمستعمرين وإن ألانوا		قلوبٌ كالحجارةِ لا ترق
رماكِ بطيشهِ ورمى فرنسا		أخو حربٍ به صَلَفٌ وحمق
إذا ما جاءه طُلابُ حقٍ		يقول عصابة خرجوا وشقوا
بنى سوريةَ اطّرحوا الأمانى		وألْقوا عنكم الأَحلامَ ألْقوا
فمن خِدَع السياسةِ أن تُغرُّوا		بألقاب الإمارة وهى رِق
فتوق الملكِ تحدُث ثم تمضِى		ولا يمضى لمُختلفينَ فتَق
نصَحت ونحن مُخْتَلِفون داراً		ولكن كلنا في الهم شَرق
ويجمَعُنا إذا اختلفتْ بلادٌ		بيان غير مختلِف ونُطق
وقفتم بين موتٍ أو حياة		فإن رمْتُم نعِيمَ الدهر فاشقوا
وللأوطانِ في دم كلِّ حُر		يدٌ سلفتْ ودَيْن مستحِق
ومَن يَسْقى ويشربُ بالمنايا		إذا الأَحرارُ لم يُسْقَوْا ويَسْقوا ؟
ولا يَبنى الممالكَ كالضحايا		ولا يُدْنى الحقوقَ ولا يُحق
ففى القتلى لأجيالٍ حياةٌ		وفي الأَسرى فدى لهمُو وعتق
وللحرِّيةِ الحمراء بابٌ		بكلِّ يدٍ مضرّجةٍ يُدَقُّ
جزَاكم ذو الجلالِ بنى دمشقٍ		وعزُّ الشرق أوَّلُهُ دمشق
نصرْتم يومَ محْنتِه أخاكم		وكلُّ أخ بنصر أخيهِ حَق

كيف يتفرق أهل الحق !

يوسف الهمذانى الشافعى
المدرس بالمعهد الثانوى بالجامعة الاسلامية

تداعى علينا الآكلون وأولمتْ   بنا في نواحى الأرض حمرُ المآدب
فيا أمة الاسلام ماذا دهاكمو   وفيمَ تداعيكم لدى كل جانب
على فرقة حتى وقد جمعوا لكم   وخَضَّبَ فيكم رمحه كلُّ خاضب
تَظَلُّون شتى حين تدعون واحدا   وما كان نهج الحق يوما بنا كب
ولكنَّ فيكم مؤمنا مُتَوَجِّهًا   الى الله لا يخشى طُرُوَّ العواقب
وفيكم على رغم التبصر عصبة   تُؤَرِّقُهم أطماعهم بالمذاهب
وفيكم اناس غافلون أضَلَّهم   صياحٌ بتزويق من القول خالب
يسيرون في أرجائها في عَمَاية   وقد كثرت فيها فخاخ الثعالب
نسوْا ماضيا كادت تُعفَّى معالمٌ   به غير تقدير من الله غالب
أراد ليبقى نوره مُتَوهِّجا   يضىء سناه كل شرق وغارب
يضىء سناه من كنانة أرضه   وقد نزل الطاغوت كل المسارب
فان تنصروه تنصروا أبدا به   وان تتولوا يوُلِه خيرَ صاحب
الى أن يشاء الله أمرا وننتهى   ليومٍ حساب عند أعدل حاسب





ومناقشات



الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي

لفضيلة الشيخ عبد المحسن العباد
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

٢٤ ـ قال الشيخ بن محمود في ص ٦٩ : ونحن في كلامنا على السنة انما نتكلم على الأحاديث الصحيحة الصريحة التى قام جهابذة النقاد العلماء على تمحيصها وتصحيحها حتى جعلوها عمدة في العقائد والأحكام وأمور الحلال والحرام . والا فانه من المعلوم أن الوضاعين الكذابين قد أدخلوا كثيرا من الأحاديث المكذوبة في عقائد المسلمين وأحكامهم حتى صار لها الأثر السيئ في العقائد والأعمال لكن المحققين من علماء المسلمين قد قاموا بتحقيقها وبينوا بطلانها وأسقطوها عن درجة الاعتبار وحذروا الأمة منها من ذلك أحاديث المهدى المنتظر وأنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً ونحو ذلك مما يقولون ٠

والجواب أن نقول : أفلح إن صدق في قوله : ونحن في كلامنا عن السنة انما نتكلم عن الأحاديث الصحيحة التى قام جهابذة النقاد العلماء على تمحيصها وتصحيحها حتى جعلوها عمدة في العقائد والأحكام وأمور الحلال والحرام فان الجهابذة النقاد من العلماء مثل العقيلى والبيهقى والخطابى والقرطبى والذهبى وابن تيمية وابن القيم وابن كثير والسخاوى وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين قالوا بصحة كثير من الأحاديث الواردة في المهدى ومنهم من قال بأنها متواترة وهم أهل الخبرة في الحديث والاختصاص فيه واليهم المرجع في معرفة صحيحه وضعيفه ٠ أما ما ذكره الشيخ ابن محمود من أن الوضاعين الكذابين قاموا بوضع الأحاديث وأن المحققين من العلماء قاموا بتحقيقها وبينوا بطلانها وأسقطوها عن درجة الاعتبار وحذروا الأمة منها فهو كلام حق لكن تمثيله لهذه الأحاديث الموضوعة بأحاديث المهدى منكر من القول لأن الجهابذة النقاد الذين يعتمد على حكمهم لم يقل أحد منهم أنها ضعيفة كلها فضلا عن القول بأنها موضوعة والذى اشتهر عنه في القرون الماضية محاولة تضعيف أحاديث المهدى وهو ليس من أهل الاختصاص ابن خلدون ومع ذلك اعترف بسلامة بعضها من النقد كما سبق ايضاح ذلك ٠

وبناء على هذا فما زعمه ابن محمود من أن أحاديث المهدى من قبيل الأحاديث الموضوعة التى قام المحققون من العلماء بتحقيقها وبينوا بطلانها وأسقطوها عن درجة الاعتبار وحذروا لأمة منها هو زعم باطل وكلام ساقط عن درجة الاعتبار ولا يستطيع أن يسمى واحدا من العلماء المحققين المعتد بهم قال بأن أحاديث المهدى موضوعة مبينا المصدر الذى استند اليه في ذلك اما مجرد الزعم الخاطئ العارى عن الصحة الخالى من الصدق فقد نسب الى الامامين الجليلين الدارقطنى والذهبى أنهما يعتبران أحاديث المهدى مما لا يجوز النظر فيه وهما بريئان من هذه الفرية براءة الشمس من اللمس وبراءة الذئب من دم يوسف عليه الصلاة والسلام وسبق - أن أوضحت هذا في رقم (١٩) .

٢٥ - وقال في ص ٧٠ : ولست أنا أول من قال ببطلان دعوى المهدى وكونه لا حقيقة لها فقد سبقنى من قال بذلك من العلماء المحققين ومثل بالشيخ محمد بن عبد العزيز المانع والشيخ محمد رشيد رضا .

وقال في ص ٦ : اننا لسنا بأول من كذب بهذه الأحاديث يعنى الأحاديث الواردة في المهدى فقد أنكرها بعض العلماء قبلنا فقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في المنهاج بعد ذكره لأحاديث المهدى . أن هذه الأحاديث في المهدى قد غلط فيها طوائف من العلماء فطائفة أنكروها مما يدل على أنها موضع خلاف من قديم بين العلماء كما هو الواقع من اختلاف العلماء في هذا الزمان .

يجاب على ذلك بما يلى : -

أولا : أن شيخ الاسلام بن تيمية قال في منهاج السنة : وهذه الأحاديث غلط فيها طوائف . طائفة أنكروها واحتجوا بحديث ابن ماجه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا مهدى الا عيسى بن مريم وهذا الحديث ضعيف وقد اعتمد أبو محمد بن الوليد البغدادى وغيره عليه وليس مما يعتمد عليه . هذا ما قاله شيخ الاسلام عن هذه الطائفة التى أنكرت هذه الأحاديث فانها قد عولت على حديث ضعيف لا يعول عليه ولم يسم شيخ الاسلام سوى أبى محمد بن الوليد البغدادى وقد بحثت عن هذا الرجل فلم أقف له على ترجمة . أما الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع فلم يضعف الأحاديث الواردة في المهدى بل قال بتصحيح بعض هذه الأحاديث وقد بين ذلك في رسالة سماها . « تحديق النظر بأخبار الامام المنتظر » وقد نقلت جملا من كلامه في ذلك في رقم (١٣) وأما الشيخ محمد رشيد رضا فقد أوضحت في رقم (١٥) انه سقط وتردى في انكار رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حيا ونزوله من السماء وأنه ليس بمستغرب عليه أن يسقط ويتردى في انكار خروج المهدى في آخر الزمان ومن كانت هذه حاله يحصل من قلده في سقوطه وترديه الإضرار بنفسه .

ثـانيا : أنه قد عرف من قديم الزمان عن الشيخ ابن محمود أنه عندما يشذ في مسألة يشعر بالوحشة فيسلى نفسه بمثل هله العبارات فيقول لست أنا أول من قال بكذا بل سبقنى اليه فلان وفلان فقد ألف رسالة قبل ربع قرن من الزمان تخبط فيها في بعض مسائل الحج وقد رد عليه سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ مفتى الديار السعودية في زمانه رحمه الله تعالى في رسالة سماها : تحذير الناسك مما أحدثه ابن محمود في المناسك طبعت في عام ١٣٧٦ هـ قال رحمه الله في ص ٥٠ . وقد أحس هذا الرجل -

يعنى الشيخ ابن محمود أنه وقع في أسوء ورطة فقال : وبالتأمل لما قلناه يعلم أن كلا منا ليس بأول مطرا أصاب أرض الفلاة ولا هو أول آذان أقيمت له الصلاة فوجد وحشة الوحدة وظلمة فقد الحجة فسلى نفسه بذكر من تصور أن قولهم بمثل مقاله ينفى الوحدة - ولعمرى ماله في هذا الطريق من رفيق وهولاء الذين اعتمدهم في مسلكه لم يشاركوه في سوء صنيعه ومهلكه فهم أن صح النقل عنهم انما هو القول بالجواز لا الرد على العلماء ولا السعى في أن يجمعوا على خلاف السنة والخروج عن طريق أهل الجنة جميع الورى ولم يرموا واحدا من الأمة بالجمود والتقيد بدين الآباء والجدود فضلا عن أن يرموا بذلك كافة العلماء وحينئذ تكون مقالته أول مطر سوء أصاب أرض الفلاة وأول بوق اذان برفض السنة أصغى اليه الجفاة فوالله ما دعا قبله الى هذه المقالة من انسان ولا جلب بخيله وبرجله في زلزلة مناسك الحج ذو ايمان . هذا ما قاله سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله في الشيخ ابن محمود وفقه الله قبل خمسة وعشرين عاماً . .

وإذا تأمل القارئ قوله رحمه الله . وحينئذ تكون مقالته أول مطر سوء أصاب أرض الفلاة وأول بوق أذان برفض السنة أصغى اليه الجفاة يتبين له بوضوح صدق فراسة هذا الرجل العظيم عليه من الله الرحمة والمغفرة فان الشيخ ابن محمود قد ألف بعد ذلك عدة رسائل حاد في بعضها عن الصواب من ذلك رسالته التى أسماها الايمان بالقضاء والقدر على طريقة أهل السنة والأثر « ورسالته التى أسماها » اتحاف الاحفياء برسالة الأنبياء فقد تخبط في هاتين الرسالتين وقد رد عليه في أخطائه فيهما فضيلة الشيخ حمود بن عبد الله التويجرى وفقه الله في رسالة سماها : فتح المعبود في الرد على ابن محمود تقع في مائة وسبع وثمانين صفحة وقد قامت بطباعتها لتوزيعها رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ومن ذلك رسالته التى أسماها « الدلائل العقلية والنقلية في تفضيل الصدقة عن الميت على الضحية وهل الضحية عن الميت شرعية أو غير شرعية » وقد رد عليه في أخطائه في هذه الرسالة سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء في رسالة سماها « غاية المقصود في التنبيه على أوهام ابن محمود » تقع في مائة واثنتى عشرة صفحة كما رد عليه في أخطائه في هذه الرسالة الشيخ على بن عبد الله الحواس في كتاب سماه « كتاب الحجج القوية والأدلة القطعية في الرد على من قال أن الأضحية عن الميت غير شرعية » يقع في مائتين وخمس وثمانين صفحة ومن ذلك رسالته التى أسماها . فصل الخطاب في اباحة ذبائح أهل الكتاب له فيها أخطاء منها اباحته ذبائح المشركين ورسالة له تقع في أربع ورقات سماها جواز الاحرام من جدة لركاب الطائرات والسفن البحرية وقد رد عليه في هاتين الرسالتين سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد في رسالة سماها « حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب وغيرهم » يليه تنبيهات على أن جدة ليست ميقاتا وهى تقع في مائة واثنتى عشرة صفحة وهذه الأخطاء التى وقع فيها في رسائله المتعددة متفاوته فان بعضها من الأمور الفرعية التى يكون للاجتهاد فيها مجال لكن في حق من يكون أهلا للاجتهاد وبعضها من الأمور التى لا مجال فيها للاجتهاد مثل مسائل القضاء والقدر ومسألة خروج المهدى في آخر الزمان فانه لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك .

وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة » فان نصيحتى لفضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود أن يعمل على أن تكون رسالته في المهدى هذه آخر رسالة من هذا النوع من الرسائل التى شغل طلاب العلم فى الرد عليها وأن يجتهد - وقد دخل في العقد الثامن من عمره - في عمارة ما بقى من حياته فيما يعود عليه وعلى المسلمين بالخير والعاقبة الجميدة في الدنيا والآخرة ·

٢٦ - قال الشيخ ابن محمود في ص (٧٠) وأنه بمقتضى التأمل للأحاديث الواردة في المهدى نجدها من الضعاف التى لا يعتمد عليها وأكثرها من رواية أبى نعيم في حلية الأولياء وكلها متعارضة ومتخالفة ليست بصحيحة ولا صريحة ولا متواترة لا باللفظ ولا بالمعنى ·

والجواب : أن هذا الكلام واضح في أن الشيخ ابن محمود يعتبر كتاب حلية الأولياء لابى نعيم أوسع مصدر اشتمل على أحاديث المهدى وليس الأمر كذلك فقد جمع الشيخ عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغمارى أطراف أحاديث الحلية فى كتاب مطبوع سماه « البغية فى ترتيب أحاديث الحلية » يشتمل على أكثر من أربعة آلاف حديث وليس فيها حديث طرفه المهدى الا حديث المهدى منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة وهذا دليل واضح من كلام ابن محمود على قلة معرفته بأحاديث المهدى وأنه لا يعرف أين تقل وأين تكثر وبالتالى فحكمه عليها أنها من الضعاف التى لا يعتمد عليها وأنها كلها متعارضة متخالفة ليست بصحيحة ولا صريحة ولا متوافرة باللفظ ولا بالمعنى حكم على غير بينة وهدى بل على ظن لا يغنى من الحق شيئا ورحم الله من قال خيرا فغنم أو سكت فسلم ·

٢٧ - وقال في ص (٢٩) · والمهدى متى قلنا بتصديق الأحاديث الواردة فيه ليس بملك معصوم ولا نبى مرسل ما هو الا رجل عادى كأحد أفراد الناس الا أنه عادل يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وكل الأحاديث الواردة فيه ضعيفة ويترجح بأنها موضوعة على لسان رسول الله ولم يحدث بها ·

والجواب :أن أهل السنة والجماعة يقولون بتصديق الأحاديث الصحيحة الواردة في المهدى لثبوتها عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عندهم غير معصوم وما هو الا رجل كأحد أفراد الناس الا أنه عادل يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ولو قال بذلك الشيخ ابن محمود لكان على منهج أهل السنة والجماعة المتبعين لما صحت به الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه قلد بعض كتاب القرن الرابع عشر الذين حكموا العقول في النقول فحادوا عن جادة الصواب أمثال أحمد أمين ومحمد فريد وجدى ومن على شاكلتهما أما قوله ·· وكل الأحاديث الواردة فيه ضعيفة ويترجح بأنها موضوعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحدث بها فليس له فيه سلف في الماضين حتى ابن خلدون فانه لم يقل بتضعيفها كلها كما سبق ايضاح ذلك في رقم (١٠) ولكن مثل هذا الكلام من مجازفات وتخرصات بعض كتاب القرن الرابع عشر نعوذ بالله من الخذلان ·

٢٨ ـ وقال الشيخ بن محمود في ص (٩) : لكن المتعصبين لخروجه ـ يعنى المهدى ـ لما طال عليهم الأمد ومضى من الزمان أربعة عشر قرنا وما يشعرنى أن يأتى من الزمان أكثر مما مضى بدون أن يروه حتى تقوم الساعة لهذا أخذوا يمدون في الأجل ليثبتوا بذلك استقامة قولهم عن السقوط . فأخذوا يبثون في الناس بأنه لن يخرج الا زمن عيسى بن مريم مع العلم أن الأحاديث التى بأيديهم والتى يزعمونها صحيحة ومتواترة والتى رواها الامام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه أنها وردت مطلقة لم تفيد بزمن عيسى الا حديث صلاة عيسى خلف المهدى قال الذهبى وعلى القارى أنه موضوع أى مكذوب فسقط الاحتجاج به انتهى .

أقول أبرز الأخطاء التى اشتمل عليها كلام ابن محمود هذا خطأن أحدهما زعمه أن أهل السنة القائلين بصحة خروج المهدي لما مضى من الزمان أربعة عشر قرنا دون أن يخرج المهدى أخذوا يمدون في الأجل ليثبتوا بذلك سلامة قولهم من السقوط فأخذوا يبثون في الناس بأنه لن يخرج الا زمن عيسى ابن مريم وكأن القول بخروجه زمن عيسى بن مريم ، نشأ في القرن الرابع عشر والثانى زعمه أن حديث صلاة عيسى خلف المهدى موضوع وعزوه ذلك الى الذهبى وعلى القارئ . والجواب عن الخطأ الأول أن القول بتحديد وقت خروج المهدى في الزمن الذى يكون فيها عيسى عليه الصلاة والسلام هو قول أهل السنة والجماعة في القديم والحديث وقد بدأ ذلك من حين تكلم به الذى لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم حيث تلقى الأحاديث في ذلك عنه صحابته الكرام وتلقاه عنهم التابعون وسار على نهجهم في ذلك التابعون لهم باحسان ولم يكن القول به بدأ في القرن الرابع عشر كما يقتضيه كلام ابن محمود وقد قال الامام أبو الحسين محمد بن الحسين الأبرى المتوفي سنة (٣٦٣ هـ) في كتابه مناقب الشافعى . وقد تواترت الأخبار ـ واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر المهدى وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلا وأن عيسى يخرج فيساعده على قتله الدجال وأنه يؤم هذه الأمة ويصلى عيسى خلفه وكلام أبى الحسين الأبرى هذا نقله عنه الامام ابن القيم في كتابه المنار المنيف في الصحيح والضعيف ونقله عنه قبله القرطبى في التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة وأبو الحجاج المزى في كتابه تهذيب الكمال ونقله بعدهم الحافظ ابن حجر العسقلانى في كتابيه تهذيب التهذيب وفتح البارى ونقله السيوطى في العرف الوردى في أخبار المهدي ونقله غير هؤلاء من الأئمة .

وكلام أبى الحسين الأبرى هذا يوجد في كتاب ابن القيم المنار المنيف قبل الكلام الذى نقله ابن محمود في ص ٥٣ من رسالته عن ابن القيم في المنار المنيف يوجد قبله بورقة واحدة ومع ذلك يزعم ابن محمود في كلامه هذا أن القائلين بخروج المهدى لما مضى أربعة عشر قرنا دون أن يخرج أخذوا يمدون في الأجل ليثبتوا بذلك سلامة قولهم من السقوط فأخذوا يبثون في الناس بأنه لن يخرج الا زمن عيسى بن مريم وليس بمستغرب أن يعمى الشيخ ابن محمود أو يتعامى عن كلام أبى الحسين الأبرى المتوفي سنة ٣٦٣ هـ هذا فقد عمى أو تعامى عن كل ما أورده . ابن القيم في المنار المنيف من تصحيح لاحاديث المهدى وعزا الى ابن القيم أنه يضعف أحاديث المهدى وينتقدها وهو خلاف الواقع كما سبق

أن أوضحته في رقم (١١) وكما في قوله في ص ٥٥ · فهذا كلام ا بن القيم قد انحى فيه الملام وتوجيه المذام على سائر الفرق التى تدعى بالمهدي ولم يستثنى فرقة عن فرقة لكونها دعوى باطلة من أصلها انتهى قال ا بن محمود هذا الكلام وغيره عن ا بن القيم مع أن كلام ا بن القيم في المنار المنيف في اثبات خروج المهدى آخر الزمان وفي تصحيحه لكثير من الأحاديث الواردة فيه واضح وضوح الشمس في رابعة النهار كما مر ايضاح كلامه رحمه الله في ذلك ·

والجواب عن خطئه الثانى وهو زعمه أن حديث صلاة عيسى خلف المهدي موضوع وعزوه ذلك الى الذهبى وعلى القارئ أن يقال لم يذكر ا بن محمود لفظ الحديث الذى زعم أنه موضوع وقد ذكره في ص ٥١ حيث قال ·· وهنا حديث كثيرا ما يحتج به المتعصبون للمهدى وهو أن المهدى مع المؤمنين يتحصنون به من الدجال وأن عيسى عليه السلام ينزل من منارة مسجد الشام فيأتى فيقتل الدجال ويدخل المسجد وقد اقيمت الصلاة فيقول المهدى تقدم يا روح الله فيقول انما هذه الصلاة اقيمت لك فيتقدم المهدي ويقتدى به عيسى عليه السلام اشعارا بأنه من جملة الأمة ثم يصلى عيسى عليه السلام في سائر الأيام قال على ا بن محمد القارى في كتابه الموضوعات الكبير بأنه حديث موضوع انتهى هكذا عزا الشيخ ا بن محمود الى الشيخ على القارى في كتابه الموضوعات الكبير أنه يقول عن هذا الحديث أنه موضوع مع أن الذى قاله الشيخ على القارى عنه أنه ثابت وذلك في ص ١٦٤ من كتاب الموضوعات الكبير وقد أوضحت هذا في رقم (٢٢) وبينت أن نزول عيسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقى دمشق وقتله الدجال بباب لد وصلاته خلف أمام المسلمين في ذلك الزمان ثابت في صحيح مسلم وغيره وكون ذلك الامام الذى يصلى عيسى بن مريم خلفه يقال له المهدي ثابت في مسند الحارث ا بن أبى اسامة وبهذا يتضح أن عزو ا بن محمود الى الشيخ على القارى القول بأن حديث صلاة عيسى خلف المهدي موضوع خلاف الواقع وقد أضاف هنا أن الذهبى قال أن حديث صلاة عيسى خلف المهدى موضوع وهذا أيضا بلا شك خلاف الواقع ·

٢٩ ـ وقال الشيخ ا بن محمود في ص ٣١ ـ لم يكن من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من شرعه أن يحيل أمته على التصديق برجل في عالم الغيب وهو من أهل الدنيا ومن بنى آدم فيخبر عنه أنه يفعل كذا وكذا مما يوجب الاختلاف والاضطراب بين الأمة ·

والجواب أن من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه أنه يخبر أمته عما شاء الله أن يخبرهم به من أمور الغيب سواء كان ذلك عن الماضى أو المستقبل أو عما هو موجود غير مشاهد ولا معاين ومن ذلك أخباره صلى الله عليه وسلم عن أمور مستقبلة منها ما هو قبل قيام الساعة ومنها ما هو بعدها ومنها ما هو في زمن قريب من زمن النبوة ومنها ما هو بعيد عن زمنها وسامثل فيما يلى لأخباره صلى الله عليه وسلم عن أشخاص يأتون بعد زمنه وهم من أهل الدنيا ومن بنى آدم منهم من أتى وفقا لما أخبر به صلى الله عليه وسلم ومنهم لم يأت زمنه وسيأتى في حينه طبقا لما أخبر به صلى الله عليه وسلم

وأهل السنه والجماعة لا يترددون في تصديق ما صح عنه من أخبار ويعتقدون أن ما صح أخباره به لا بد أن يقع على النحو الذى أخبر به الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه ٠

فمن ذلك إخباره صلى الله عليه وسلم بمجيء اويس القرنى من اليمن وذكره صلى الله عليه وسلم له باسمه وبيان بعض صفاته وقد حصل مصداق خبره صلى الله عليه وسلم بذلك على النحو الذى جاء عنه صلى الله عليه وسلم ففى صحيح مسلم بسنده عن اسير بن جابر قال : كان عمر ابن الخطاب اذا اتى عليه امداد أهل اليمن سألهم : أفيكم اويس بن عامر حتى أتى عليه اويس فقال : أنت اويس بن عامر ؟ قال نعم ٠ قال : من مراد ثم من قرن قال نعم . قال : فكان بك برص فبرأت منه الا موضع درهم قال : نعم قال لك والدة ؟ قال : نعم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يأتى عليكم اويس بن عامر مع امداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فان استطعت أن يستغفر لك فأفعل) فأستغفر لى فأستغفر له ٠ قال له عمر ٠ أين تريد ؟ قال الكوفة قال ٠ الا أكتب لك الى عاملها ؟ قال ٠ أكون في غبراء الناس أحب الى ٠ وفي صحيح مسلم ايضا عن عمر رضى الله عنه قال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أن خير التابعين رجل يقال اويس وله والدة وكان به بياض ٠ فمروه فليستغفر لكم ٠) ٠

ومن ذلك أخباره صلى الله عليه وسلم عن اثنين من ثقيف بوصفهما أحدهما كذاب والثانى مبير وقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم فالكذاب هو المختار بن أبى عبيد الثقفى والمبير أى المهلك الحجاج بن يوسف الثقفى وقد قالت ذلك للحجاج أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها كما في صحيح مسلم ٠ أما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن في ثقيف كذابا ومبيرا ٠ فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك الا اياه قال النووى في شرحه صحيح مسلم ٠ واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبى عبيد وبالمبير الحجاج بن يوسف والله أعلم انتهى ٠

هذان مثالان لما أخبر به صلى الله عليه وسلم عن أشخاص في زمن قريب من زمن النبوة أحدهما في جانب المدح والثانى في جانب الذم وقد وقع صدق خبره صلى الله عليه وسلم فيهما على النحو الذى أخبر به صلى الله عليه وسلم ٠ أما في الزمن البعيد عن زمن النبوة فقد صحت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواترت عنه في خروج المهدى وخروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء وذلك في آخر الزمان ولا بد من وقوع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم طبقا لما جاء عنه عليه الصلاة والسلام وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يخبر به عن أمور مغيبة هو من الايمان بالغيب الذى امتدح الله أهله وأما الدعاوى الكاذبة التى تحصل من متمهدين دجالين في بعض الأزمان وما ينتج عنها من فتن فان ذلك لا يقدح بالحقيقة الثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أوضحت ذلك فى رقم ٤ ٠

٣٠ ـ وقال الشيخ ابن محمود في ص (٢٥) ففكرة المهدى وسيرته وصفته لا تتفق مع سيرة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته بحال فقد أثبت التاريخ الصحيحة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بداية مولده الى حين وفاته كما أثبتها القرآن وليس فيها شىء من ذكر المهدى كما لا يوجد في القرآن شئ من ذلك فكيف يسوغ لمسلم أن يصدق به والقرائن والشواهد تكذب به .

والجواب : ان هذا الكلام من النوع الذى لا ينتهى عجب الواقف عليه لاسيما قوله فيه فقد أثبت التاريخ الصحيحة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بداية مولده الى حين وفاته كما أثبتها القرآن وليس فيها شئ من ذكر المهدى كما لا يوجد في القرآن شئ من ذلك فان كان الكاتب يقصد الحياة العملية فلا وجه للبحث عن خروج المهدى في آخر الزمان ضمن السيرة النبوية العملية وان كان يقصد بحياته صلى الله عليه وسلم ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال وتقريرات فلا وجه لقوله « وليس فيها شئ من ذكر المهدى » ومعلوم أن حد الحديث النبوى الشريف عند أهل الحديث ما أضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقى أو خلقى . وكتب الحديث الشريف مليئة بالنصوص الواردة في المهدى وفيها كما قال أهل العلم بالحديث الصحيح والحسن والضعيف والموضوع .

وعلى هذا فقوله : ففكرة المهدى وسيرته وصفته لا تتفق مع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته بحال من قبيل الكلام البارد الذى لم يفكر في معناه عند تسطيره والا فان خروج المهدى في آخر الزمان لم يعرفه أهل السنة والجماعة المتبعين للنصوص الشرعية الا بثبوته في السنة النبوية ولا يقل عن قوله ذلك قوله . فكيف يسوغ لمسلم أن يصدق به والقرائن والشواهد تكذب به فان المسلم الناصح لنفسه لا يصدق ويكذب تبعا للهوى وانما يكون تصديقه أو تكذيبه متمشيا مع النصوص الشرعية فيجعل النقل حكما على العقل لا أن يجعل العقول محكمة في النقول فيقع في فضول القول ورديء الكلام .

٣١ ـ وقال الشيخ بن محمود في ص ١٧ : ولقد عاش الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون ثم عاش من بعدهم العلماء والسلف الصالحون ممن كانوا في القرون الثلاثة المفضلة ثم عاش من بعدهم جميع العلماء والحكام ومنهم عماد الدين زنكى ونور الدين محمود الشهيد وصلاح الدين الأيوبى وجميع الناس بعدهم وفي مقدمتهم شيخ الاسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم فلم ينقص ايمانهم وتقواهم عدم وجود المهدى من بينهم لعلمهم واعتقادهم أن الدين كامل بدونه فلا حاجة لهم به خرج أو لم يخرج .

والجواب أن يقال أولا : هذا الكلام من النوع الذى يصلح أن يوصف بأنه ليس له معنى مستقيم . وثانيا : أن الزمن الذى يخرج فيه المهدى أو ضحته النصوص الصحيحة وهو آخر الزمان حيث يخرج الدجال في زمنه ، وينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء ويصلى خلفه . وثالثا : أن عدم وجوده بين الناس في أزمنة قبل زمانه لا ينقص الايمان والتقوى وانما الذى ينقص الايمان والتقوى عدم تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يخبر به والقدح بالنصوص الشرعية استنادا الى الشبه العقلية كما هو مسلك بعض الكتاب في القرن الرابع عشر .

٣٢ ـ ذكر الشيخ ابن محمود في مواضع متعددة من رسالته أن القول بخروج المهدى على فرض صحته ليس من عقائد المسلمين فقال في ص ٥٦ وأنه على فرض صحة هذه الأحاديث أو بعضها أو تواترها بالمعنى حسب ما يدعون فانها لا تعلق لها بالعقيدة الدينية ولم يدخلها علماء السنة في عقائدهم ثم مثل بشيخ الاسلام ابن تيمية والطحاوى وشارح عقيدته وابن قدامة والأشعرى في الأبانة ثم قال فعدم ادخالها في عقائدهم مما يدل على أنهم لم يعتبروها من عقائد الاسلام والمسلمين ·

والجواب عن ذلك من وجوه .

الأول : أن مذهب أهل السنة والجماعة التصديق بكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخبار سواء كانت عن أمور ماضية أو مستقبلة أو موجودة غائبة عنا ومن ذلك التصديق بخروج المهدي كما صحت بذلك الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصديق بما صحت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما تقتضيه شهادة المسلم بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في بيان معنى شهادة أن محمدا رسول الله : طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله الا بما شرع . وقال ابو محمد بن قدامة المقدسى في كتابه لمعة الاعتقاد : ويجب الايمان بكل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا نعلم انه حق وصدق وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه مثل حديث الاسراء والمعراج ومن ذلك اشراط الساعة مثل خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله وخروج ياجوج وماجوج وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها وأشباه ذلك مما صح به النقل . فكلام ابن قدامة هذا يدخل فيه التصديق بخروج المهدى في أوله وآخره . فأوله قوله : ويجب الايمان بكل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح به النقل عنه . وآخره قوله بعد أن ذكر أمثلة من أشراط الساعة : وأشباه ذلك مما صح به النقل ·

الثانى : ان من العلماء الذين كتبوا في عقائد أهل السنة والجماعة من نص على خروج المهدى في آخر الزمان ومنهم الحسن بن على البربهارى والسفارينى وسبقت الاشارة الى ذلك في رقم ١٤ ثم ان عدم ذكر بعض الأئمة لخروج المهدى في آخر الزمان في كتبهم لا يدل على عدم اعتبارهم ذلك من عقائد المسلمين لأنهم لم يلتزموا التنصيص على كل شئ يعتقد ولأن منهم من يأتى بعموم يدخل فيه وجوب التصديق بكل ما أخبره به الرسول صلى الله عليه وسلم وصح به النقل عنه كما فعل ابن قدامة المقدسى ··

الثالث : قول ابن محمود وأنه على فرض صحة هذه الأحاديث أو بعضها أو تواترها بالمعنى حسبما يدعون فانها لا علاقة لها بالعقيدة الدينية يجاب عنه بأنه كلام غير مستقيم والا فكيف يقال بصحة النقل ثم لا يصدق به ولا يعتقد مقتضاه وسبق في رقم ١٦ ما نقله السيوطى عن الشافعى رحمه الله أنه روى يوما حديثا وقال أنه صحيح فقال له قائل : أتقول به يا أبا عبد الله فاضطرب وقال : ياهذا أرأيتنى نصرانيا ؟ أرأيتنى خارجا من كنيسة ؟ أرأيت في وسطى زنارا ؟ أروى حديثا عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم ولا أقول به وسبق أيضا في رقم ٦ ماروواه البيهقى باسناده الى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنى أبى قال لنا الشافعى أنتم اعلم بالحديث والرجال منى فاذا كان الحديث الصحيح فاعلمونى أن شاء يكون كوفيا أو بصريا أو شاميا حتى أذهب اليه اذا كان صحيحا . والحاصل أن صحة الحديث في خبر تقتضى التصديق به وأن كلام ابن محمود هذا متناقض وغير مستقيم المعنى ·

٣٣ ـ وصف الشيخ ابن محمود القول بصحة خروج المهدى بأنه اعتقاد سئ وأنه بدعة وانه من محدثات الأمور فقال في ص ١٢ : وكنت في بداية نشأتى أعتقد اعتقاد شيخ الاسلام حيث تأثرت بقوله ـ يعنى في صحة خروج المهدى ـ حتى بلغت سن الأربعين من العمر وبعد أن توسعت في العلوم والفنون ومعرفة أحاديث المهدي وعللها وتعارضها واختلافها فبعد ذلك زال عنى الاعتقاد السيئ والحمد الله وعرفت تمام المعرفة بأنه لا مهدى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد كتاب الله . وقال في ص ١٩ : ومنهم يعنى الذين ردوا الأحاديث الواردة في المهدى ـ الامام الشاطبى صاحب الاعتصام فقد الحق المهدية والأمامية بأهل البدع ويعنى بالمهدية الذين يعتقدون صحة خروج المهدى . وقال في ص ٣٠ : فبسبب مجاورتهم ـ يعنى بعض أهل السنة والجماعة ـ للشيعة واختلاطهم بهم اقتبسوها منهم والا فانها ليست من عقيدة أهل السنة وقال في ص ٣١ : فهما ـ يعنى الشيعة وأهل السنة الذين يصدقون بخروج المهدى ـ في فساد الاعتقاد به يعنى المهدى ـ سيان وقال في ص ٥٨ : ودعوى المهدي في مبدئها ومنتهاها مبنية على الكذب الصريح والاعتقاد السيئ القبيح · وقال في ص ٥٨ أيضا وقال صلى الله عليه وسلم : اياكم ومحدثات الأمور . والمهدى واعتقاده هو من محدثات الأمور ··

ويجاب على ذلك بما يلى :

أولا ـ ما ذكره من أنه في بداية نشأته كان يعتقد اعتقاد شيخ الاسلام ابن تيمية في صحة خروج المهدى وانه بعد أن تجاوز الأربعين من العمر وبعد أن توسع في العلوم والفنون ومعرفة أحاديث المهدى وعللها وتناقضها زال عنه الاعتقاد السيئ ـ جوابه أن اعتقاد خروج المهدى في آخر الزمان هو مذهب أهل السنة والجماعة قبل شيخ الاسلام ابن تيمية وبعده وسلوك ابن محمود بعد تجاوزه سن الأربعين من العمر مسلكا غير سبيلهم انتقال من اعتقاد مبنى على التصديق بالنصوص الشرعية الصحيحة الى اعتقاد سئ مبنى على الشبه العقلية الواهية وليس للشيخ ابن محمود في معتقده الجديد سلف من أهل العلم المعتد بهم أما حمده الله على زوال الاعتقاد السئ عنه ـ على حد تعبيره ـ فانه لا يحمد على مكروه سوى الله تعالى ولقد أحسن من قال :

يقضى على المرء في أيــام محنته حتى يرى ما ليس بالحسن

ثانيا ـ مانقله عن الشاطبى في الاعتصام من أنه الحق المهدية بأهل البدع وأن المهدية في رأى الشاطبى هم الذين يعتقدون في صحة خروج المهدى **جوابه :** أن ما نسب الى الشاطبى غير صحيح ومقصود الشاطبى بالمهدية اتباع المتمهدى المغربى وقد فسر مراده بالمهدية بأنهم الذين يجعلون أفعال مهديهم حجة وافقت حكم الشريعة أو خالفت وسبق ايضاح ذلك في رقم ١٢ ·

ثالثا ـ ما ذكره من أن عقيدة أهل السنة في المهدى مقتبسة من عقيدة الشيعة وأن الشيعة وأهل السنة في فساد الاعتقاد بالمهدى سيان **جوابه** أن عقيدة أهل السنة في المهدي مستقاة من الأحاديث الصحيحة في الأصول المعتمدة عندهم ولا علاقة لها بعقيدة الشيعة وسبق ايضاح ذلك في رقم ٣ ورقم ١٥ ٠

رابعا ـ قوله ـ ودعوى المهدى في مبدئها ومنتهاها مبنية على الكذب الصريح والاعتقاد السئ القبيح جوابـه أن عقيدة أهل السنة والجماعة في المهدى مبنية على نصوص صحيحة قال بصحتها أهل العلم المعتقد بهم وسبق ايضاح ذلك في رقم ١٨ ٠

خامسا ـ قوله : والمهدى واعتقاده من محدثات الأمور ٠

جوابه أن ذلك يقال : لو كان القول بخروجه في آخر الزمان ليس فيه حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أما وقد صحت الأحاديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان القول بأنه من محدثات الأمور يعتبر من الزعم الباطل والقول الخاطئ وانما الذى يعتبر من محدثات الأمور أن يأتى بعض الكتاب في القرن الرابع عشر فيسلكون مسلكا خطيرا حادثا هو رد النصوص الشرعية بناء على شبه عقلية فيرخون لعقولهم العنان ثم يتركونها بدون خطام أو زمام ٠

• • •

٣٤ ـ وقال في ص ٢٤ : والذى جعل أمر المهدى يستفحل بين أهل السنة من المسلمين وكان بعيدا عن عقيدتهم هو عجز العلماء المتقدمين وكذا العلماء الموجودين على قيد الحياة فلم نسمع بأحد منهم رفع قلمه ولا نطق ببنت شفة في التحذير من هذا الاعتقاد السئ وكونه لا صحة له اللهم قد بلغت بل أنهم ينكرون على من يقولون بانكاره فيزيدون الحديث علة والطين بلة ٠

والجواب على هذا أن نقول : هكذا ينحى ابن محمود باللائمة على علماء الأمة متقدميهم والموجودين على قيد الحياة منهم لعدم قيام أحد منهم بانكار خروج المهدى وذلك دليل واضح من كلام ابن محمود على شذوذه في هذا الأمر وانه وحده في واد وعلماء الأمة الاسلامية سابقهم ولاحقهم في واد آخر ٠

هذا وليس له رفيق في الطريق الموحش الذى سلكه الا أمثال محمد فريد وجدى وأحمد أمين ممن حكموا العقل في النقل وردوا النصوص الصحيحة لشبه عقلية واهية ٠ وقد صان الله العلماء المحققين المعتد بهم من الاصابة بأمراض الشبهات العقلية ووفقهم لتعظيم السنة النبوية والتصديق بأخبارها الثابتة عن الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم ٠

ولذلك لم يحصل ابن محمود على واحد منهم يرفع قلمه أو ينطق ببنت شفة في انكار خروج المهدى سواء في ذلك سابقهم ولاحقهم ، وكيف يطمع ابن محمود أن يجد عالما ناصحا لنفسه يتجرأ على رد النصوص الصحيحة ودعوة الناس الى التكذيب بالسنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بماذا بلغ ابن محمود في قوله : اللهم قد بلغت ؟

أن من الواضح للمتعلم فضلا عن العالم أنه بلغ عن عدم معرفته بالحديث النبوى الشريف وعدم تمييز صحيحه من سقيمه وبلغ عن تمكن شبه بعض كتاب القرن الرابع عشر العقلية من فكره بحيث قدمها على النقل وبلغ عن شذوذه وسلوكه مسلكا مخالفا لمسلك أهل السنة والجماعة . وسواء كان صدور ذلك منه عن جهل أو علم هو بلية ومصيبة .

اذا كنت لاتدرى فتلك مصيبـة وان كنت تدرى فالمصيبة أعظم

٣٥ ـ وقال الشيخ ابن محمود في ص ٣٤ : ان العلماء كأبى داود في سننه وابن كثير في نهايته والسفارينى في لوامع أنواره وغيرهم قد أدخلوا أحاديث المهدى في جملة أشراط الساعة مع أحاديث الدجال والدابة وياجوج ومأجوج وأحاديث الفتن فكل هذه لا يتعرض لها نقاد الحديث بتصحيح ولا تمحيص لعلمهم أنها أحاديث مبنية على التساهل ويدخل فيها الكذب والزيادات والمدرجات والتحريفات وليست بالشئ الواقع في زمانهم ولا من أحاديث أحكامهم وأمـور حلالهم وحرامهم .

ثم ذكر أنه في القرن التاسع لما كثر المدعون للمهدى وثارت الفتن بسببه اضطر بعض المحققين من العلماء أن ينقدوا أحاديث المهدى ليعرفوا قويها من ضعيفها وصحيحها من سقيمها فتصدى ابن خلدون في مقدمته لتدقيق التحقيق فيها فنخلها ثم نثرها حديثا حديثا وبين عللها كلها وان من رواتها الكذوب ومنهم المتهم بالتشيع والغلو ومنهم من يرفع الحديث الى الرسول بدون أن يتكلم به الرسول ومنهم من لا يحتج به وخلاصته أنه حكم على أحاديث المهدى بالضعف .

وتعليقى على كلام ابن محمود هـذا أقـول :

ما ذكره من أن أحاديث المهدى وغيرها من أحاديث أشراط الساعة لا يتعرض لها نقاد الحديث بتصحيح ولا تمحيص ، وأنه في القرن التاسع لما كثر المدعون للمهدى اضطر بعض المحققين من العلماء أن ينقدوا أحاديث المهدى ليعرفوا قويها من ضعيفها وصحيحها من سقيمها فتصدى ابن خلدون في مقدمته لتدقيق التحقيق فيها وأنه حكم عليها بالضعف أقول هذا الذى ذكره الشيخ ابن محمود مردود بأن العلماء في مختلف العصور قبل القرن التاسع تكلموا في أحاديث المهدى وبينوا أن فيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع واحتجوا بالثابت منها : واعتقدوا موجبه وهم أهل الاختصاص الذين يعول على قولهم في هذا الشأن يعرف كلامهم في ذلك تصحيحا وتضعيفا من يطالع الكتب التى صنفوها ويقف على الجهود العظيمة التى بذلوها في خدمة السنة وتمييز صحيحها من ضعيفها ومن النقاد الذين تعرضوا لأحاديث المهدى الحافظ أبو جعفر العقيلى المتوفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة فقد قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب في ترجمة على بن نفيل النهدى : قلت ذكره العقيلى في كتابه وقال لا يتابع على حديثه في المهدى ولا يعرف الا به قال وفى المهدى أحاديث جياد من غير هذا الوجه . ومنهم ابن حبان المتوفى سنة (٣٥٤ هـ) فقد قال الحافظ ابن حجر في فتح البارى في شرح حديث أنس بن مالك رضى الله عنه الذى أخرجه البخارى في صحيحه : لا يأتى عليكم زمان إلا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم قال واستدل ابن حبان في صحيحه بأن حديث أنس ليس على عمومه بالأحاديث الواردة في المهدى وأنه يملأ

الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا وقال البيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ٠ بعد كلامه على تضعيف حديث لا مهدى الا عيسى بن مريم قال والأحاديث فى التنصيص على خروج المهدى أصح البتة إسنادا ومنهم الحافظ أبو الحسين محمد بن الحسين الابرى صاحب كتاب مناقب الشافعى المتوفى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة قال رحمه الله في محمد بن خالد الجندى راوى حديث لا مهدى الا عيسى بن مريم : محمد ابن خالد هذا غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل وقد تواترت الاخبار واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر المهدى وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلا وان عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال وأنه يؤم هذه الأمة ويصلى عيسى خلفه نقل ذلك عنه ابن القيم في كتابه المنار المنيف وسكت عليه ونقله أيضا الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب في ترجمة محمد بن خالد الجندى وسكت عليه ونقله عنه أيضا وسكت عليه في كتابه فتح البارى في باب نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ونقله أيضا غير ابن حجر وابن القيم من أهل العلم . ومن صحح بعض الأحاديث الواردة في المهدى الامام الترمذى في جامعه ومنهم الحاكم في المستدرك ووافقه الحافظ الذهبى في تلخيصه في تصحيح جملة منها ومنهم الامام محمد بن أحمد بن أبى بكر القرطبى صاحب التفسير المشهور المتوفى سنة ٦٧١ هـ فقد قال في كتابه التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة بعد ذكر حديث ولا مهدى الا عيسى بن مريم وبيان ضعفه قال : والأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم في التنصيص على خروج المهدى من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث فالحكم بها دونه . ومنهم الامام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ فقد صحح بعض الأحاديث الواردة في المهدى وذلك في كتابه منهاج السنة ومنهم الامام ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ فقد صحح في كتابه المنار المنيف جملة من الأحاديث الواردة في المهدى وأشار الى ضعف بعض ما ورد في ذلك ومنهم الامام ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ فقد تكلم في كتابه النهاية على كثير من الأحاديث الواردة في المهدى مبينا الصحيح والضعيف في ذلك ٠ وهؤلاء العلماء . النقاد كلهم قبل القرن التاسع . وقد تكلموا في أحاديث المهدى مبينين صحة بعض الأحاديث الواردة في ذلك وهم قليل من كثيرين تكلموا في ذلك ويتضح بهذا بطلان ما ذكره الشيخ ابن محمود من أن أحاديث المهدى وغيرها من أشراط الساعة لا يتعرض لها نقاد الحديث بتصحيح ولا تمحيص . أما ما ذكره من أنه في القرن التاسع لما كثر المدعون للمهدى اضطر بعض المحققين من العلماء . أن ينقدوا أحاديث المهدى ليعرفوا قويها من ضعيفها وصحيحها من سقيمها فتصدى ابن خلدون في مقدمته لتدقيق التحقيق فيها فيجاب عنه بأن العلماء النقاد تكلموا في أحاديث المهدى لمعرفة صحيحها من ضعيفها ٠ قبل القرن التاسع ومنهم الذين أسلفت ذكرهم قريبا وبأن ابن خلدون ليس من المحققين في علم الحديث الذين يعول على كلامهم في التصحيح والتضعيف وسبق أن أوضحت وجه ذلك في رقم ١٠ وأيضا فان ابن خلدون كانت وفاته سنة ٨٠٨ هـ ٠ فلم يدرك من القرن التاسع الا ثمان سنوات وكان كلامه على أحاديث المهدى في مقدمة تاريخه التى فرغ من وضعها وتأليفها ٠ قبل التنقيح والتهذيب في منتصف عام

٧٧٩ هـ كما ذكر ذلك في آخر المقدمة أى قبل عشرين سنة من انتهاء القرن الثامن وهذا يوضح عدم استقامة ما ذكره الشيخ ابن محمود من انه في القرن التاسع لما كثر المدعون للمهدى وثارت الفتن بسببه اضطر بعض المحققين من العلماء بأن ينقدوا أحاديث المهدى ليعرفوا قويها من ضعيفها وصحيحها من سقيمها فتصدى ابن خلدون في مقدمته لتدقيق التحقيق فيها الخ ·

٣٦ ـ وقال الشيخ ابن محمود في ص ٢٣ تحت عنوان : المقارنة بن أقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين : اننا متى قابلنا بين العلماء المتقدمين والمتأخرين نجد الفرق واسعا فلا مداناة فضلا عن المساواة اذ العلماء المتقدمون قد جمعوا بين العلم والعمل فهم أحق وأتقى وأقرب للتقوى . ولكن العلماء المتقدمين يغلب عليهم حسن الظن بمن يحدثهم ويستبعدون تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مؤمن بالله ولهذا أكثروا من أحاديث المهدى المتنوعة والمتضاربة والمختلفة حتى بلغت خمسين حديثا في قول الشوكانى كما نقلها عنه السفارينى في لوائح الأنوار وأورد ابن كثير في نهايته الكثير منها وفي كتب الشيعة أنها بلغت الفا ومائتى حديث . والسبب أن من عادة علماء السنة المتقدمين (عمل) ؟ التساهل فيما يرد من أحاديث أشراط الساعة . كأحاديث المهدى والدجال ويأجوج ومأجوج وما كان من قبيل ذلك فلا يتكلفون في نقدها ولا اخضاعها للتصحيح ولا للتمحيص لعلمهم أنها أخبار آخرة متأخرة بخلاف أحاديث الأحكام وأمور الحلال والحرام وما يحتاجه الناس في عبادتهم ربهم والتعامل فيما بينهم في أمور دنياهم فقد بالغوا في تحقيقها بمعرفة رواتها وما يجوز فيها فهم بعلم صحيح نطقوا وببصر ناقد كفوا ·

وتعليقى على هذا الكلام ما يلى :

أولا ـ ما ذكره عن العلماء المتقدمين من أنهم جمعوا بين العلم والعمل وأنهم أحق وأتقى وأقرب للتقوى وان المتأخرين لا يدانونهم فضلا عن أن يساووهم هو كلام حق لكن الشيخ ابن محمود عقبه بما يكدر صفوه وهو لمزه للعلماء المتقدمين بالتغفيل اذ وصفهم بأنه يغلب عليهم حسن الظن بمن يحدثهم ويستبعدون تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مؤمن بالله وأنهم لذلك أكثروا من أحاديث المهدى المتنوعة والمتضاربة والمختلفة . والواجب احسان الظن بسلف هذه الأمة والثناء عليهم بما هم أهله دون تعرض لهم بلمز أو حط من شأنهم ·

ثانيا ـ علل الشيخ ابن محمود لاكثار العلماء المتقدمين من أحاديث المهدى المتنوعة والمتضاربة والمختلفة على حد قوله بتعليلين أحدهما ما وصفهم به من أنهم يغلب عليهم حسن الظن بمن يحدثهم وأنهم يستبعدون تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مؤمن بالله والثانى ان من عادتهم التساهل فيما يرد من أحاديث أشراط الساعة كأحاديث المهدى والدجال ويأجوج ومأجوج وان ما كان من هذا القبيل لا يتكلفون في نقدها ولا اخضاعها للتصحيح ولا للتمحيص لعلمهم أنها أخبار آخرة متأخرة · وقد أجبت عما تضمنه التعليل الأخير من أن العلماء لا يتكلفون في نقد الأخبار المتعلقة بأشراط الساعة ولا اخضاعها للتصحيح ولا للتمحيص وذلك في رقم ٣٥ اذ نقلت على سبيل التمثيل كلام جماعة من العلماء النقاد في تصحيح بعض الأحاديث الواردة في المهدى ·

أما وصف الشيخ ابن محمود العلماء المتقدمين بأنه يغلب عليهم حسن الظن بمن يحدثهم وأنهم يستبعدون تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مؤمن بالله وأنهم لذلك أكثروا من أحاديث المهدى المتنوعة والمتضاربة والمختلفة فهو وصف لامز لا يليق بسلف الأمة ونقلة السنة الذين حفظ الله بهم دينه وأقام شريعته فان الله قد منحهم من الذكاء والفطنة والتثبت واليقظة ما جعلهم به أهلا لحفظ هذا الدين وأوعية لسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن أبى حاتم في كتابه الجرح والتعديل عن أحمد بن سنان قال سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : خصلتان لا يستقيم فيهما حسن الظن . الحكم والحديث يعنى لا يستعمل حسن الظن في قبول الرواية عمن ليس بمرضى انتهى وروى أيضا عن أبيه عن أبى بكر المعيطى عبيد الله بن أبى وهب قال : سمعت يزيد بن هارون يقول : لا يجوز حديث الرجل حتى تجوز شهادته .

وروى بسنده الى عمرو بن قيس قال : ينبغى لصاحب الحديث أن يكون مثل الصيرفى الذى ينتقد الدراهم فان الدراهم فيها الزائف والبهرج وكذلك الحديث وروى عن أبيه عن عبدة بن سليمان قال : قيل لابن المبارك هذه الأحاديث الموضوعة ؟ قال : يعيش لها الجهابذة . وروى عن أبيه عن نعيم ابن حماد قال قلت لعبد الرحمن بن مهدى كيف يعرف الكذاب ؟ قال : كما يعرف الطبيب المجنون وروى بسنده الى ابن سيرين . قال : كان يقال انما هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذونها وروى بسنده الى يعقوب بن محمد بن عيسى قال : كان ابن شهاب اذا حدث أتى بالاسناد ويقول لا يصلح أن يرقى السطح الا بدرجة وروى عن محمد بن يحي عن زنيج قال : سمعت بهز بن أسد يقول اذا ذكر له الاسناد الصحيح هذه شهادات العدول المرضيين بعضهم على بعض واذا ذكر له الاسناد فيه شئ قال : هذا فيه عهدة ويقول : لو ان لرجل على رجل عشرة دراهم ثم جحده لم يستطع أخذها منه الا بشاهدين عدلين فدين الله عز وجل أحق أن يؤخذ فيه بالعدول . هذه بعض نقول عن نقلة الآثار تبين مدى تيقظهم وتثبتهم وبعدهم عن التغفيل وانها لاحدى الكبر أن يأتى آت في السنة المتممة للقرن الرابع عشر فيقول لكن العلماء المتقدمين يغلب عليهم حسن الظن بمن يحدثهم ويستبعدون تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مؤمن بالله . ولهذا أكثروا من أحاديث المهدى المتنوعة والمختلفة والمتضاربة حتى بلغت خمسين حديثا في قول الشوكانى كما نقلها عنه السفارينى في لوائح الأنوار وأورد ابن كثير في نهايته الكثير منها ثم ان هذا الناقد للعلماء المتقدمين الذى جاء في نهاية القرن الرابع عشر قد جاء في كلامه هذا بالذات ما يوضح عدم تمييزه بين من هو متقدم ومن هو متأخر اذ نسب الى السفارينى انه نقل في كتابه لوائح الأنوار عن الشوكانى أحاديث المهدى وكانت ولادة السفارينى في عام ١١١٤ هـ ووفاته في عام ١١٨٨ هـ أما الشوكانى فكانت ولادته في عام ١١٧٣ هـ ووفاته في عام ١٢٥٠ هـ وقد ذكر السفارينى في أول كتابه لوامع الأنوار البهية أنه في سنة ثلاث وسبعين بعد المائة والالف طلب منه بعض أصحابه نظم أمهات مسائل اعتقاد أهل الأثر فنظمها في مائتى بيت وبضعة عشر بيتا وسماها الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية ثم بعد ذلك طلب منه هؤلاء الأصحاب شرح هذا النظم فشرحه بكتابه لوامع الأنوار البهية وهو واضح أن السفارينى بدأ بنظم الدرة المضية في السنة التى ولد فيها الشوكانى ثم بعد فراغه من النظم

شرحه بكتابه لوامع الأنوار البهية الذى يقول الشيخ ابن محمود أنه نقل فيه عن الشوكانى أحاديث المهدى أى أن الوقت الذى كان السفارينى يؤلف فيه كتابه لوامع الأنوار البهية كان الشوكانى قبل سن الخامسة عشرة.وأحدهما في أرض الشام والثانى في أرض اليمن · والحاصل أن من العجب أن يجعل الشيخ ابن محمود السفارينى في الزمن بعد الشوكانى وأعجب منه أن يزعم أن السفارينى نقل في كتابه لوامع الأنوار البهية عن الشوكانى أحاديث المهدى وأما ما أشار اليه من رواية العلماء المتقدمين الأحاديث الكثيرة في المهدى المتناقضة والمتضاربة فسبق أن أوضحت أن ما كان منها ضعيفا لا يلتفت اليه وما كان منها صحيحا فهو مؤتلف غير مختلف ومتفق غير مفترق وذلك في رقم ٧ ·

٣٧ ـ أثنى الشيخ ابن محمود في ص ٢٦ على من وصفهم بعلماء الامصار فقال : أن علماء الامصار والحق يقال متى طرقوا بحثا من البحوث العلمية التى يقع فيها الجدال وكثرة القيل والقال فانهم يشبعون البحث تحقيقا وتدقيقا وتمحيصا وتصحيحا حتى يجعلوه جليا للعيان وصحيحا بالدلائل والبرهان وليس من شأن الباحث أن يفهم من لا يريد أن يفهم وقد قرروا قائلين : ان أساس دعوى المهدى مبنى على أحاديث محقق ضعفها وكونها لا صحة لها الخ · وقال في ص٢٨ : ان بعض علمائنا عندما يرى أحدهم شيئا من الرسائل والبحوث الصادرة من علماء الامصار المتأخرين وهى تعالج شيئا من المشاكل الهامة التى يشتد الخلاف فيها ويهتم كل الناس بأمرها كمسألة المهدى ونحوها فلا يعطى هذه الرسالة شيئا من الاهتمام والنظر خصوصا عندما يعرف أنها تخالف رأيه واعتقاده الخ ·

وأقول تعليقا على هذا القول : إن من يطلع على هذا الكلام وهو خالى الذهن قد يظن أن علماء الامصار هؤلاء الذين يشبعون البحث تحقيقا وتدقيقا وتمحيصا وتصحيحا حتى يجعلوه جليا للعيان وصحيحا بالدلائل والبرهان هم من الجهابذة المتضلعين في علمى الرواية والدراية ولم يدر أنه ليس لدى الشيخ ابن محمود من هؤلاء المدققين المحققين المحصين المصححين إلا أمثال أحمد أمين ومحمد فريد وجدى . ثم إن رسالة الشيخ ابن محمود في المهدى هذه هى من بحوث علماء الامصار المتأخرين ويتضح للقارئ من خلال وقوفه على أخطائه الكثيرة التى لا يعذر في مثل بعضها طلاب العلم المبتدئون وخاصة ما أشرت اليه في أرقام ٨ و ١١ و ١٢ و ١٩ و ٢٢ · يتضح للقارئ أن هذا البحث لم يشبع تدقيقا وتحقيقا وتمحيصا وتصحيحا بل لم يشم رائحة هذه الصفات ·

٣٨ ـ وقال الشيخ ابن محمود في ص ٧ وقد أعرض أكثر العلماء المحدثين عن اثبات أحاديث كثيرة في كتبهم عن أهل البيت لتسلط الغلاة على ادخال الشىء الكثير من الكذب في فضائلهم كما تحاشى عنها البخارى ومسلم والنسائى والدارقطنى والدارمى فلم يذكروها في كتبهم المعتمدة وما ذاك الا لعلمهم بضعفها مع العلم أن الدارمى هو شيخ أبى داود والترمذى وقد نزه مسنده عن أحاديث المهدى فلا ذكر لها فيه · ·

ويجاب عن ذلك بأن العلماء المحدثين الذين قاموا بتدوين الحديث الشريف في مصنفاتهم منهم من لا يلتزم باخراج الصحيح ومنهم من يلتزم باخراج الحديث الصحيح دون غيره كالبخارى ومسلم في صحيحيهما لكن لم يقل أحد من أهل العلم أن الأحاديث التى لا يخرجها الشيخان في الصحيحين غير

صحيحة فان الصحيح كما أنه موجود في الصحيحين فهو موجود في غيرهما وقد أوضحت ذلك في رقم ٥ ·

أما الذين لم يلتزموا باخراج الحديث الصحيح في كتبهم فهم يخرجون فيها الصحيح وغيره ومنهم من يبين درجة الحديث صحة وضعفا أو يبين حال بعض رجال اسناده ومنهم من لا يبين شيئا من ذلك اكتفاء بايراده الاسناد الذى يتمكن من له أهلية النظر فيه من معرفة درجة الحديث وذلك بدراسة اسناده وماله من متابعات أو شواهد وهذه المؤلفات المشار اليها للنسائى والدارقطنى والدارمى ليس كل ما فيها صحيحا وليس كل ما لم تشمله يكون ضعيفا كما يعرف ذلك صغار طلاب العلم وبناء على ذلك كان

خلاف الواقع حتما ما زعمه الشيخ ابن محمود من أن البخارى ومسلما والنسائى والدارقطنى ، والدارمى لم يذكروا أحاديث المهدى في كتبهم المعتمدة وما ذاك الا لعلمهم بضعفها وأن الدارمى وهو شيخ أبى داود والترمذى قد نزه مسنده عنها فان تعليله عدم اخراجهم تلك الأحاديث في كتبهم بقوله ، وما ذاك الا لعلمهم بضعفها افتيات عليهم ولا يكون ذلك مطابقا للواقع الا لو وجد عنهم نصوصا تدل على أن سبب عدم ذكرهم اياها علمهم بضعفها ، وأنى له ذلك ، وكذا ما زعمه من أن الدارمى قد نزه مسنده عنها فأنه لا يقال لما لم يخرجه فيه أنه نزهه عنه الا لو وجد عنه نص في شىء من ذلك كما لا يقال ان كل ما أخرجه فيه نزيه لأنه لم يلتزم إخراج الصحيح وقد قال الحافظ العراقى ـ كما نقله عنه السيوطى في تدريب الراوى ـ اشتهر تسميته ـ يعنى مسند الدارمى ـ بالمسند كما سمى البخارى كتابه بالمسند لكون أحاديثه مسندة قال الا أن فيه المرسل والمعضل والمنقطع والمقطوع كثيرا انتهى ·

ومعلوم أن المرسل والمعضل والمنقطع من أنواع الضعيف أما كون الدارمى الذى لم يخرج أحاديث المهدى في مسنده شيخا لأبى داود والترمذى اللذين خرجا أحاديث المهدى في كتابيهما فان ذلك لا يقدح في اخراجهما هذه الاحاديث لانه لا يلزم أن يكون ما خرجه تلميذ في كتابه طبقا لما خرجه شيخ له في كتابه وهذا من البديهيات ولو أن الدارمى خرج أحاديث المهدى في مسنده لما سلم من الدخول تحت قول ابن محمود : ثم ان من عادة العلماء المحدثين والفقهاء المتقدمين ان بعضهم ينقل عن بعض الحديث والقول على علاته تقليدا لمن سبقه الى آخر كلامه الذى سقته وأجبت عنه في رقم ٦ ·

٣٩ ـ وقال الشيخ ابن محمود في ص ٨٥ : فلا حاجة للمسلمين في أن يهربوا عن واقعهم ويتركوا واجبهم لانتظار مهدى يجدد لهم دينهم ويبسط العدل بينهم فيركنوا الى الخيال والمحالات ويستسلموا للأوهام والخرافات ثم يفرض عليهم علماؤهم التحجر الفكرى والجمود الاجتماعى على اعتقاد ما تربوا عليه في صغرهم وما تلقوه عن آبائهم ومشايخهم أو على رأى عالم أو فقيه يوجب الوقوف على رأى مذهبه وعدم الخروج عنه وعلى أثره يوجب عليهم الايمان بشخص غائب هو من سائر البشر يأتى في آخر الزمان فينقذ الناس من الظلم والطغيان ·

أقـول : أن الله قد تكفل ببقاء هذا الدين وان الموفقين لسعادة الدنيا والآخرة في مختلف العصور من جعلهم الله من أنصار دينه وفي صحيح البخارى من حديث معاوية رضى الله عنه سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم : من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما أنا قاسم والله يعطى ولا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله . فلا يخلو عصر من العصور من اقامة شرع الله والمهدى الذى أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ما هو الا حلقة في أواخر سلسلة طويلة ينصر الله به في زمنه دينه ذلك الزمن الذى يستشرى فيه الشر ويخرج الدجال الأعظم . وليس للمسلمين في أى زمن أن يتركوا ما أوجبه الله عليهم من نصرة الدين اتكالا على ما جاء في أحاديث المهدى أما وصف الشيخ ابن محمود . التصديق بخروج المهدى بأنه ركون الى الخيال والمحالات واستسلام للأوهام والخرافات فسبق أن ذكرت أن هذه المسألة من الأمور الغيبية وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في أحاديث صحيحة عن خروجه في آخر الزمان والواجب التصديق بكل خبر يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأما ما تضمنه بقية كلامه من العتب على العلماء في بيانهم ما تضمنته النصوص من التصديق بشخص يأتى في آخر الزمان فان واجب العلماء أن يكون كلامهم وبيانهم مبنيا على الأدلة الشرعية الثابتة لا على شبه عقلية واهية وهذا هو ما قام به علماء هذه الأمة سواء في الاخبار أو الأحكام .

٤٠ ـ وقال الشيخ ابن محمود فى ص ٤ فان قيل : كيف عرفتم أن هذه الأحاديث الكثيرة المسندة والمسلسلة عن عدد من الصحابة بأنها مختلفة وهى فى سنن أبى داود والترمذى وابن ماجة ومسند الأمام أحمد والحاكم وغيرها من الكتب ؟

فالجواب أن هذه الأحاديث الكثيرة التى تبلغ خمسين حديثا فى المهدى عند أهل السنة بعضها يزعمونها صحاحا وبعضها من الحسان وبعضها من الضعاف ـ الى أن قال ـ فهذه الأحاديث هى التى أخذت بمجامع قلوب الأكثرين من علماء أهل السنة على حد ما قيل : والقوة للكاثر . على أن الكمية لا تغنى عن الكيفية شيئا وأكثر الناس مقلدة ، يقلد بعضهم بعضا وقليل منهم المحققون . فان المحققين من العلماء المتقدمين والمتأخرين قد أخضعوا هذه الأحاديث للتصحيح والتمحيص وللجرح والتعديل فأدركوا فيها من الملاحظات ما يوجب عليهم ردها وعدم قبولها ثم ذكر بعض الشبه في ذلك ثم قال : فهذه وما هو أكثر منها مما جعلت المحققين من العلماء يوقنون بأنها موضوعة على لسان رسول الله وأنها لم تخرج من مشكاة نبوته وليست من كلامه فلا يجوز النظر فيها فضلا عن تصديقها . وقال في ص ٣٦ : وقد كاد أن ينعقد الاجماع من العماء المتأخرين من أهل الأمصار في تضعيف أحاديث المهدى وكونها مصنوعة وموضوعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل التعارض والتناقض والمخالفات والاشكالات مما يجعل الأمر جليا للعيان ولا يخفى الا على ضعفة الافهام . والله يهدى الى الحق والى طريق مستقيم .

وقال في ص ٥٧ : وأرجو بهذا البيان أن تستريح نفوس الحائرين ويعرفوا رأى أهل العلم والدين في هذه المشكلة التى تثار من آن لآخر . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ...

... وتعليقى على هذا الكلام أقول :

أورد الشيخ ابن محمود على نفسه سؤالا خطيرا قائلا : فان قيل : كيف عرفتم أن هذه الأحاديث الكثيرة المسندة والمسلسلة عن عدد من الصحابة بأنها مختلفة وهى في سنن أبى داود والترمذى وابن ماجة

ومسند الامام أحمد الحاكم وغيرها من الكتب ؟ وأن من يقرأ هذا السؤال ليشعر بالألم والأسى لهذه الجرأة والتطاول على السنة ودواوينها وحفاظها ثم بعد ايراد هذا السؤال ماذا كانت الأجابة عليه ؟ لقد كانت الأجابة عليه مجوعة من الشبه العقلية مصحوبة بالزعم بدون خجل أن هذه هى التى جعلت المحققين من العلماء يوقنون أن هذه الأحاديث موضوعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك تمويه وتلبيس فان المحققين من العلماء قديما وحديثا بريئون من هذا الزعم الباطل كما سأوضح ذلك بعد ذكر شبهه والاشارة الى الاجابة عنها فشبهتان تتعلقان بما يقع نتيجة للتصديق بخروج المهدى من اثارة الفتن وقد أجبت عن ذلك في رقم ٤ وشبهة تتضمن أنه من المحال أن يوجب النبى صلى الله عليه وسلم على أمته التصديق برجل من بنى آدم مجهول في عالم الغيب وهو ليس بملك مقرب ولا نبى مرسل الخ … وقد أجبت عن ذلك في رقم ٢٩ وشبهة تتعلق بكون البخارى ومسلم لم يخرجا أحاديث المهدى في صحيحهما وقد أجبت عن ذلك في رقم ٥ وشبهة تتعلق بكون الأحاديث الواردة في المهدى متناقضة متعارضة وقد أجبت عن ذلك في رقم ٧ ، وشبهة تتعلق بكونه ليس أول من كذب بأحاديث المهدى وأنه سبقه الى ذلك بعض العلماء وقد أجبت عن ذلك في رقم ٨ ، و ٢٥ .

… هذه هى الشبه التى عرف بها الشيخ ابن محمود كون أحاديث المهدى مختلفة مع كونها كثيرة مسندة مسلسلة عن عدد من الصحابة في سنن أبى داود والترمذى وابن ماجة ومسند الامام أحمد والحاكم وغيرها من الكتب ثم لا يقف الأمر عند هذا الحد بل يسبق هذه الشبه ويعقبها نسبة ذلك الى المحققين من العلماء فيقول قبل ايراد شبهه : فان المحققين من العلماء المتقدمين والمتأخرين قد أخضعوا هذه الأحاديث للتصحيح والتمحيص وللجرح والتعديل فأدركوا فيها من الملاحظات ما يوجب عليهم ردها وعدم قبولها وقال بعد ايراد شبهه : فهذه وما هو أكثر منها مما جعلت المحققين من العلماء يوقنون بأنها موضوعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها لم تخرج من مشكاة نبوته وليست من كلامه فلا يجوز النظر فيها فضلا عن تصديقها انتهى ولا شك أن نسبة هذا الرأى الى المحققين من العلماء المتقدمين والمتأخرين نسبة غير صحيحة وهو من التمويه والتلبيس الذى لا يليق أن يصدر من مثل الشيخ ابن محمود وأوضح دليل على ذلك أن كل الذين سماهم الشيخ ابن محمود في رسالته من المتقدمين ثلاثة ومن المتأخرين خمسة وقد مر ذكرهم وما يتعلق باضافة تضعيف أحاديث المهدى اليهم وذلك في رقم ١٨ وأوضحت في رقم ١١ أن ابن القيم قد صحح كثير من أحاديث المهدى في كتابه المنار المنيف وأن ما عزاه اليه الشيخ ابن محمود من أنه يضعف أحاديث المهدى في الكتاب المذكور عزو غير صحيح وأوضحت في رقم ١٢ أن الشاطبى لم يضعف أحاديث المهدى في كتابه الاعتصام ولم يصف القائلين بخروج المهدى في آخر الزمان بأنهم من أهل البدع وان ما عزاه الشيخ ابن محمود غير صحيح وثالث الثلاثة من المتقدمين الذين سماهم الشيخ ابن محمود في رسالته بن خلدون وقد أوضحت في رقم ١٠ أنه لم يقل أن أحاديث المهدى ضعيفة كلها فضلا عن القول بأنها موضوعة وأوضحت أنه ليس ممن يعتقد عليه في التصحيح والتضعيف أما بالنسبة للخمسة من المتأخرين الذين سماهم الشيخ ابن

محمود في رسالته فان الشيخ محمد بن عبد العزيز قد المانع قد صحح بعض الأحاديث الواردة في المهدى كما أوضحت ذلك في رقم ١٣ وأما الشيخ أبو الاعلى المودودى فانه في كتابه البيانات ذكر أن سند أى رؤية من روايات أحاديث المهدى ليس من القوة يثبت أمام مقياس البخارى ومسلم لنقد الروايات وبعد اشارته الى بعض ضعف فيها في نظره قال : غير أن من الصعب على كل حال القول بأن الروايات لا حقيقة لها أصلا فاننا اذا صرفنا النظر عما ادخل فيها الناس من تلقاء أنفسهم فانها تحمل حقيقة أساسية هى القدر المشترك فيها وهى أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر أنه سيظهر في آخر الزمان زعيم عامل بالسنة يملأ الأرض عدلا ويمحو عن وجهها أسباب الظلم والعدوان ويعلى فيها حكم الاسلام ويعمم الرفاه في خلق الله .

وهذا واضح أن الشيخ أبا الاعلى المودودى لا يقول بأنها موضوعة بل الذى قاله أنها لم تصل الى حد مقياس البخارى ومسلم لنقد الروايات وأن مجموع الروايات يثبت القدر المشترك بينها وهو أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بظهور زعيم عامل بالسنة في آخر الزمان ثم وقفت على رسالة للشيخ أبى الأعلى المودوى بعنوان : « موجز تجديد الدين واحيائه » .

ذكر فيها المهدى الذى يجدد الدين في المستقبل وقدمه في الذكر على المجددين الماضين الا أن تاريخ تأليف هذه الرسالة سابق لتأليف رسالة البيانات ومن المعلوم أن الشيخ أبا الاعلى المودودى رحمه الله ليس من المشتغلين بالحديث النبوى الشريف وإنما هو من الكتاب الاسلاميين لكنه بحمد الله ليس من فئة العلماء المحققين في رأى الشيخ ابن محمود الذين جعلتهم الشبه العقلية يوقنون أن أحاديث المهدى موضوعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها لم تخرج من مشكاة نبوته وأنها ليست من كلامه فلا يجوز النظر فيها فضلا عن تصديقها . وأما الثلاثة الباقون وهم الشيخ محمد رشيد رضا ومحمد فريد وجدى والبلاغى فقد ذكرت في رقم ١٥ أن الشيخ محمد رشيد رضا انكر ما هو أوضح من خروج المهدى وهو نزول عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء وذكرت فى رقم ١٦ أن محمد فريد وجدى زعم أن أحاديث الدجال كلها موضوعة ملفقة وأكثرها في الصحيحين وذكرت في رقم ١٨ أننى لم أقف على كتاب البلاغى لاتمكن من ابداء شئ بشأنه .

.. والحاصل أن الثمانية الذين سماهم الشيخ ابن محمود في رسالته من المتقدمين والمتأخرين خرج منهم ابن اقيم والشاطبى حتما فلم يقولا بضعف أحاديث المهدى كما زعم الشيخ ابن محمود وخرج ابن خلدون أيضا فانه لم يقل بضعفها كلها فضلا عن القول بأنها موضوعة وخرج الشيخ ابن مانع والشيخ أبو الأعلى المودودى وبقى مع الشيخ ابن محمود من المتأخرين الذين سماهم الشيخ محمد رشيد رضا ومحمد فريد وجدى ومن المحتمل أن يكون البلاغى ثالثا لهم ومع الشيخ ابن محمود أيضا اثنان من كتاب القرن الرابع عشر قلدهم الشيخ ابن محمود ولم يسمهما في رسالته أحدهما الاستاذ أحمد أمين وقد مر ذكره في رقم ١٧ والثانى محمد فهيم أبو عبية وقد مر ذكره في رقم ٢٣ .

وهؤلاء الذين بقوا مع الشيخ ابن محمود أو بقى معهم هم الذين كاد أن ينعقد اجماعهم على أن أحاديث المهدى مصنوعة موضوعة اذ قال الشيخ ابن محمود في ص ٣٦ : .

وقد كاد أن ينعقد الاجماع من العلماء المتأخرين من أهل الأمصار في تضعيف أحاديث المهدى وكونها مصنوعة وموضوعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل التعارض والتناقض والمخالفات والاشكالات مما يجعل الأمر جليا للعيان ولا يخفى الا على ضعفة الأفهام والله يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ٠

فان هذا الاجماع المزعوم أعتمده الشيخ محمد رشيد رضا ومحمد فهيم وجدى والبلاغى وأحمد أمين وأبو عبية والشيخ ابن محمود ونتيجته في كلام الشيخ ابن محمود . أن أحاديث المهدى مصنوعة موضوعة بدليل تعارضها وتناقضها ، مما يجعل الأمر جليا للعيان ولا يخفى الا على ضعفة الافهام والوصف بضعف الفهم لم يسلم منه الا أولئك الذين كاد أن ينعقد اجماعهم ومن لف لفهم والله المستعان ٠ ثم إن هؤلاء الذين كادوا أن يجمعوا هم أهل العلم والدين في قول الشيخ ابن محمود في ص ٥٧ وأرجو بهذا البيان أن تستريح نفوس الحائرين ويعرفوا رأى أهل العلم والدين في هذه المشكلة التى تثار بين آن وآخر ٠ وهم أهل الكيفية في قول الشيخ ابن محمود : فهذه الاحاديث هى التى أخذت بمجامع قلوب الأكثرين من علماء أهل السنة على حد ما قيل : والقوة للكاثر على أن الكعبة الكمية لاتغنى عن الكيفية شيئا وأكثر الناس مقلدة يقلد بعضهم وقليل منهم المحققون ٠

وايضاحا للحق ودفعا للباطل أقول : ان علماء أهل السنة المعتد بهم في القديم والحديث مصدقون بالأحاديث الثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم الدالة على خروج المهدى في آخر الزمان ولا ينكرها الا شاذ عنهم وسبق أن أشرت فى مواضع من هذا البحث الى تسمية بعض علماء أهل السنة الذين أحتجوا بأحاديث المهدى وقالوا بثبوت خروجه آخر الزمان وقد يكون من المناسب هنا تسمية عدد من هؤلاء العلماء ليتضح أن علماء أهل السنة المتبعين للنصوص الذين لا يعارضونها بالشبه العقلية كما أنهم أهل الكمية فهم أهل الكيفية وان الذين شذوا عنهم ليسوا ذوى كمية ولا كيفية وليس ذلك للمقارنة والموازنة معاذ الله ٠

الم تر ان السيف ينقص قدره   اذا قيل إن السيف أمضى من العصا

١ ـ الامام أبو داود صاحب السنن المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ٠

٢ ـ الامام أبو عيسى الترمذى صاحب الجامع المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ٠

٣ ـ الحافظ أبو جعفر العقيلى صاحب كتاب الضعفاء المتوفى سنة ٣٢٣ هـ ٠

٤ ـ الامام ابن حبان البستى صاحب الصحيح المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ٠

٥ ـ الحافظ أبو الحسين محمد بن الحسين الآبرى السجزى صاحب كتاب مناقب الشافعى المتوفى سنة ٣٦٣ هـ ٠

٦ ـ الامام أبو سليمان الخطابى صاحب معالم السنن وغيره المتوفى سنة ٣٨٨ هـ ٠ واثباته لخروج المهدى في آخر الزمان ذكره ٠ صاحب تحفة الأحوزى في شرح جامع الترمذى في شرح حديث أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة ٠٠ الحديث ٠

٧ ـ الامام البيهقى صاحب السنن الكبرى وغيره المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ٠ وقد مر حكاية كلامه وكلام غيره في تصحيح بعض أحاديث المهدى في رقم ٣٥ ٠

٨ ـ القاضى عياض صاحب كتاب الشفاء المتوفى سنة ٥٤٤ هـ ٠

٩ ـ الامام القرطبى المفسر المشهور وصاحب كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة المتوفى سنة ٦٧١ هـ ٠

١٠ ـ الامام ابن تيمية صاحب الكتب الكثيرة الشهيرة المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ٠ وكتابه الذى صحح فيه بعض الأحاديث في المهدى منهاج السنة النبوية ٠

١١ ـ الامام أبو الحجاج المزى صاحب كتاب تهذيب الكمال المتوفى سنة ٧٤٢ هـ ٠

١٢ ـ الامام الذهبى صاحب الكتب الكثيرة المتوفى سنة ٧٤٨ والكتاب الذى صحح فيه بعض الأحاديث في المهدى تلخيص المستدرك ٠

١٣ ـ الامام ابن القيم صاحب الكتب الكثيرة المتوفى سنة ٧٥١ هـ ٠ والكتاب الذى صحح فيه بعض الأحاديث في المهدى ، المنار المنيف في الصحيح والضعيف ٠

١٤ ـ الامام عماد الدين ابن كثير صاحب الكتب الكثيرة المتوفى سنة ٧٧٤ هـ وقد صحح بعض الأحاديث في المهدى في كتابه النهاية ٠

١٥ ـ الحافظ ابن حجر العسقلانى صاحب فتح البارى وتهذيب التهذيب وغيرهما المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ٠

١٦ ـ الحافظ السخاوى صاحب كتاب فتح المغيث في شرح الفية الحديث المتوفى سنة ٩٠٢ هـ ٠

١٧ ـ الحافظ السيوطى صاحب الكتب الكثيرة وكتابه في المهدى العرف الوردى في أخبار المهدى وكانت وفاته سنة ٩١١ هـ ٠

١٨ ـ الأمير محمد بن اسماعيل الصنعانى صاحب كتاب سيل السلام وغيره المتوفى سنة ١١٨٢ هـ ٠ وكلامه في المهدى وخروجه في آخر الزمان ذكره صديق حسن في كتابه الاذاعة ٠

١٩ ـ القاضى محمد على الشوكانى صاحب التفسير وكتاب نيل الأوطار وغيرهما المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ ٠ وكلامه في المهدى في رسالة سماها : التوضيح في تواتر ماجاء في المهدى والدجال والمسيح نقل الشيخ صديق في كتابه الاذاعة عن هذا الكتاب ٠

٢٠ ـ الشيخ محمد بشير السهسوانى صاحب كتاب صيانة الانسان عن وسوسة دحلان المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ ٠

٢١ ـ الشيخ شمس الحق العظيم آبادى صاحب عون المعبود شرح سنن أبى داود المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ ٠

٢٢ ـ الشيخ عبد الرحمن المباركفورى صاحب كتاب تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ ٠

وهؤلاء الذين ذكرتهم قطرة من بحر من علماء أهل السنة القائلين بخروج المهدى في آخر الزمان استنادا الى الأحاديث الصحيحة في ذلك وهم أهل الرواية والدراية وهم أهل الخبرة والاختصاص وهم العلماء المحققون الذين يعول على حكمهم وهم أهل الجرح والتعديل والتصحيح والتضعيف وهم أهل العلم والدين وهم أهل الكمية والكيفية ..

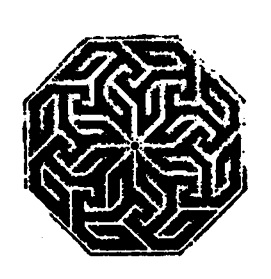
.. .. ..

.. وبهذا القدر أكتفى في كشف أخطاء الشيخ ابن محمود التى اشتملت عليها رسالته وذلك كاف في بيان قيمة هذه الرسالة التى لم تبن على أساس ٠

ولعل فضيلة الشيخ عبد الله المحمود يعيد النظر فيما كتب كما فعل من قبل شيخه الشيخ محمد ابن مانع رحمه الله فان الحق ضالة المؤمن والحق أحق أن يتبع وأسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا لما فيه رضاه والفقه في دينه وأن يثبتنا على صراطه المستقيم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيهم باحســـان ...

عن ثوبان وغيره أن رســول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من قـال حين يُمسى وحين يصبح : رضيت بالله ربًّا ، وبالإســلام ديناً ، وبمحمــد صلى الله عليه وسلم نبيًّــا ، كان حقًّـا على الله أن يُرْضِيَهُ » قال الترمذى : هذا حــديث حسن صحيح ٠



بابُ الفتاوى

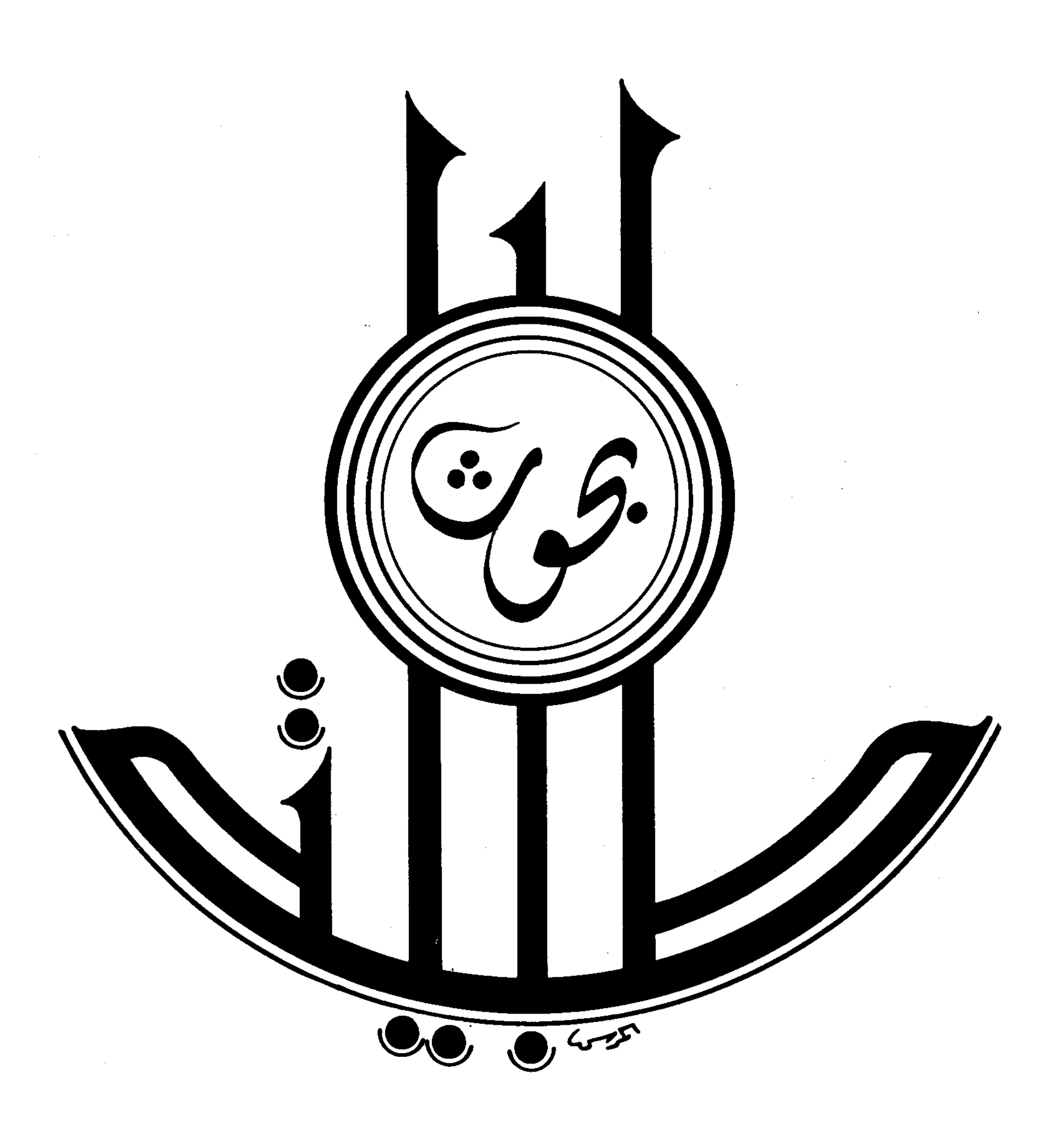
قرار مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة
بشأن منع الحمل وتحديد النسل أو تنظيمه

عبد العزيز بن عبد الله بن الباز
الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد :

فقد سبق أن بحث مجلس هيئة كبار العلماء مسألة منع الحمل وتحديد النسل أو تنظيمه وأصدر قرار برقم ٤٢ وتاريخ ١٣ / ٤ / ١٣٩٦ هـ مضمونه ما يلى :

(نظرا الى أن الشريعة الاسلامية ترغب في انتشار النسل وتكثيره وتعتبر النسل نعمة كبرى ومنة عظيمة منّ الله بها على عباده فقد تضافرت بذلك النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله مما أوردته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء في بحثها المعد للهيئة والمقدم لها . ونظرا الى أن القول بتحديد النسل أو منع الحمل مضادم للفطرة الانسانية التى فطر الله الخلق عليها وللشريعة الاسلامية التى ارتضاها الرب تعالى لعباده . ونظرا الى أن دعاة القول بتحديد النسل أو منع الحمل فئة تهدف بدعوتها الى الكيد للمسلمين بصفة عامة وللأمة العربية المسلمة بصفة خاصة حتى تكون لهم القدرة على استعمار البلاد واستعباد أهلها وحيث أن في الأخذ بذلك ضربا من أعمال الجاهلية وسوء ظن بالله تعالى واضعافا للكيان الاسلامى المتكون من كثرة اللبنات البشرية وترابطها لذلك كله فان المجلس يقرر بأنه لا يجوز تحديد النسل مطلقا ولا يجوز منع الحمل اذا كان القصد من ذلك خشية الإملاق لأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين (**وما من دابة في الأرض إلآ على الله رزقها**) أما اذا كان منع الحمل لضرورة محققة ككون المرأة لاتلد ولادة عادية وتضطر معها الى اجراء عملية جراحية لإخراج الوليد أو كان تأخيره لفترة ما لمصلحة يراها الزوجان فإنه لا مانع حينئذ من منع الحمل أو تأخيره عملا بما جاء في الأحاديث الصحيحة وما روى عن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم من جواز العزل وتمشيا مع ما صرح به بعض الفقهاء من جواز شرب الدواء لإلقاء النطفة قبل الأربعين بل قد يتعين منع الحمل في حالة ثبوت الضرورة المحققة) . انتهى وحيث كثرت الأسئلة والاستفسارات عن حكم منع الحل وتحديد النسل أو تنظيمه ولما لمعرفة الحكم الشرعى من أهمية كبيرة في حياة المسلمين اليوم فقد رأيت نشر ماأصدره مجلس هيئة كبار العلماء في ذلك لتعم به الفائدة . وأسأل الله أن يوفق المسلمين للعمل بطاعته والعمل بأحكام شريعته في أمور هم الدينيه والدنيوية أنه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد .


بحوث



خطورة سوء استعمال الأدوية

للدكتور حسين كامل طه
أخصائي الصدر بمستوصف الجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا أشرف المرسلين ٠ وبعد فإنه يَهمني كثيرا أن أكتب هذا المقال لمجلة الجامعة الإسلامية عن حدث شائع ، وهو الإفراط في استعمال الدواء استعمالا سيئا ، وخطورة ذلك أنني لاحظت أثناء عملي بمستوصف الجامعة أن كثيرا من المرضى يطلبون أدوية معينة بالذات دون أن يفهموا مدى خطورة سوء استعمالها ٠

٠ ويجب علينا أن ننتبه إلى أن سوء استعمال الأدوية أو الإفراط في تناولها قد يؤدي إلى مضار شديدة ٠ وأضرب أمثلة لذلك فيما يلي : ـ

أولا : المضادات الحيـويـة :

ونقصد بالمضادات الحيوية الأدوية التي تقضي على الميكروبات وتعالج الالتهابات ـ وهذه الأدوية بالذات يجب أن تستعمل تحت إشراف طبي دقيق ولمدة يحددها الطبيب . كما أن طريقة استعمالها يجب أن يكون بواسطة الطبيب أيضا ٠

وأول المضادات الحيوية التي اكتشفت هي مركبات السلفا . ثم اكتشف البنسلين في الأربعينيات . وكان ذلك حدثا كبيرا في تاريخ الطب .إذ كان تأثيره قاضيا على كثير من الميكروبات حتى أن رئيس وزراء بريطانيا لما أصيب بالتهاب رئوي حاد ـ وكان من الأمراض المميتة في ذلك الوقت ـ عولج بحقن البنسلين وتم شفاؤه ٠

ثم توالت اكتشافات المضادات الحيوية مثل الستربتوميسين والتتراسيكلين والكلورامفنكول ٠

هذه الأدوية إذا استعملت بكمية أقل من المطلوب تؤدي إلى حدوث مناعة الميكروبات المسببة للمرض وبالتالي لا يتم شفاء المريض . وبالعكس إذا استعملت بكمية أزيد من المطلوب فإنها تؤدي إلى إنبات أنواع جديدة من الميكروبات . وبالتالي تؤدي إلى حدوث مضاعفات . وقد تكون سببا في وفاة المريض .

كذلك من أهم المضاعفات التى قد تحدث من استعمال المضادات الحيوية الحساسية للدواء المستعمل . وكثير منّا يعرف حساسية البنسلين التى قد تؤدى إلى الوفاة في الحال ـ ولذلك في حالات المرضى الذين يعانون من حساسية أو أمراض لها علاقة بالحساسية مثل الربو الشعبى ننصح دائما بعمل اختبار حساسية للمادة المستعملة ٠

كما أنه لوحظ أن كثيرا من هذه المضادات الحيوية قد تؤدى إلى تغييرات في الأمعاء الدقيقة ومحتوياتها . وتؤدى إلى حالات إسهال شديدة . وفقدان كمية كبيرة من السوائل في الجسم ٠ وهناك أنواع من المضادات الحيوية مثل الكلورامفنكول يؤدى إلى نقص في كريات الدم وآثار أخرى ضارة على مكونات الدم وقد تؤدى إلى الوفاة ٠

كلمة أخيرة عن المضادات الحيوية وهى أنه ينبغى على السيدة الحامل أن لا تقدم على تعاطى أى مضاد حيوى إلا تحت اشراف طبى دقيق . ولضرورة فقط . وإلا تعرضت هى والجنين لأخطار كثيرة . فضلا عما قد يحدث من تشوهات في الجنين ـ كما أن مادة التتراسيكلين تؤثر على عظام الجنين ونموه وقد تحول لون الطفل إلى لون غير طبيعى (الطفل الرمادى) ٠

ثانيا : الفيتامينات والأملاح ٠

يحتاج جسم الإنسان العادى إلى كمية بسيطة من الفيتامينات والأملاح والمعادن . وهذه يتحصل عليها الشخص بتناول الطعام العادى . وأى كمية تزيد على ذلك فإن الجسم يفرزها إلى الخارج مع البول . لذلك عندما يتناول الشخص السليم كمية زائدة من الفيتامينات . فإن الجسم لا يستفيد منها . بالإضافة إلى أن هناك أنواعاً معينة من الفيتامينات تؤدى إلى أضرار جسيمة بالجسم فمثلا :

١ ـ فتامين ا زيادته تؤدى الى حدوث اضطرابات بالأمعاء وتغيير في الأغشية المخاطية بالجسم ٠

ويوجد فيتامين ا في الخضراوات الطازجة . والجزر المحتوى على كمية كبيرة منه وخصوصا الأصفر كما يوجد بنسب متفاوتة في الألبان ومنتجاتها ٠

٢ ـ فيتامين د زيادته تؤدى إلى زيادة في ترسيب الكالسيوم في كافة أنحاء الجسم وخصوصا الكليتين وذلك قد يؤدى إلى فشل في الكليتين ٠

وهذا الفيتامين هام بالنسبة للأطفال صغار السن . ولازم لنمو العظام والأسنان ٠ ولكن يجب استعماله بحرص وتحت إشراف طبى دقيق . ويوجد هذا الفيتامين بكثرة في الألبان والزبد والزيوت ٠

وأما بالنسبة للأملاح والمعادن التى يحتاجها الجسم فهى توجد في الخضراوات الطازجة ومنتجات الألبان . ويحتاج الجسم منها كميات بسيطة ٠

وقد لوحظ أن زيادة أنواع معينة منها تؤدى إلى اختلال في الجهاز العصبى للإنسان ٠

لذلك يجب علينا أن نحذر استعمال هذه الأدوية إلا في حالات معينة . فمثلا عند ما يعانى

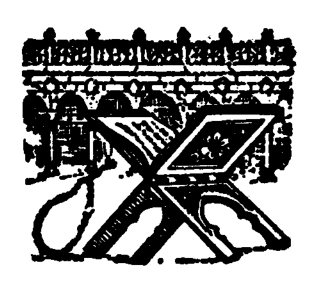
الإنسان من حركة حمية . أو عند إستعمال مضادات حيوية . أو أثناء الحمل . أو عدم انقطاعه عن تناول الطعام . يضطر الطبيب المعالج لصرف فيتامينات لتعويض الجسم ما يحتاجه ٠

ثالثا : الأسبرين والنوفالجين ومشتقاته :

كثير من الناس يتناولون هذه الأدوية باستمرار وبدون أى مبرر إلا من باب التعود ويجب أن نلاحظ أن استعمال هذه الأدوية لفترات طويلة وبكميات كبيرة . قد يؤدى إلى مضاعفات خطيرة فمثلا : ثبت أن مادة النوفالجين ومشتقاته قد تؤدى إلى حدوث نقص في كرات الدم البيضاء وهى التى تختص بمناعة الجسم ضد الأمراض . وكلنا نعلم أنه قد منع تداول حقن النوفالجين بالوريد . أما بالنسبة للأقراص أو النقط . فنرجو استعمالها بحرص ولفترة قصيرة وتحت إشراف طبى ٠

كذلك الأسبرين إذا أكثر استعماله بدون داع . وخصوصا عندما تكون المعدة خالية من الطعام قد يؤدى إلى حدوث قرحة في المعدة . وقد يسبب نزيفا حادا . وخصوصا في المرضى كبار السن . بالإضافة إلى أن هناك احتمال حدوث حساسية من استعمال هذه الأدوية بدون الإشراف الطبى ٠

لعلى بهذه النبذة قد أفدت القارىء . وعليه أن يتجنب استعمال أى دواء مهما كان بسيطا بدون استشارة طبية وأن يراعى استعماله للمدة المقررة وبالكمية المحددة . تجنبا لأى مضاعفات ـ وإلى مقال آخر والله يوفقنا وإياكم ـ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...



وقفة مع كرات الدم الحمراء

للدكتور فكرى السيد عوض
طبيب العيون بالجامعة

يقول العالم ألبرت ماكوب ونشستر أستاذ الأحياء بجامعة بايلور وعميد أكاديمية العلوم بفلوريدا سابقا :

« إن إشتغالى بالعلوم قد دعم إيمانى بالله حتى صار أشد وأمتن أساسا مما كان عليه من قبل وليس من شك أن العلوم تزيد الإنسان تبصرا بقدرة الله وجلاله . وكلما اكتشف الإنسان جديدا في دائرة بحثه ودراسته إزداد إيمانا بالله ... » .

إن الجسم يتركب من عدة أجهزة مختلفة متخصصه (كالجهاز الهضمى ... والجهاز التنفسى ... والجهاز التناسلى ... إلى آخر ذلك) وكل جهاز يتركب من مجموعة أعضاء وكل عضو يتكون من مجموعة أنسجة وكل نسيج يتشكل من مجموعة خلايا تقوم بعمل معين وكل خليه من تلك الخلايا كأى شئ حى تحتاج إلى غذاء وبالتالى يخرج منها فضلات فهى تحتاج إلى من يغذيها ويزيل عنها مخلفاتها .

وسنسير سويا باذن الله تعالى مع خلية خصصت لتوصيل نوع من الغذاء إلى جميع خلايا الجسم وأخذ الفضلات منها ... إنها كرات الدم الحمراء ... الغذاء الذى توصله للخلايا هو الأكسيجين ... والفضلات التى تحمله هى غاز الفحم ... وسنلقى نظرة سريعة على تلك الكريات الصغيرة العجيبة التى تسير في جسدنا ليلا ونهارا في اليقظة وفي المنام تؤدى عملها بدون توقف وبدون تدخل منا فهى تسير مع محتويات الدم في الأوعية الدموية في الجسم مايزيد عن **مائة ألف ميل** ... لنرى من خلال تلك الرحلة الطويلة العجيبة بديع صنع الله في هذا الجسم البشرى المتقن ونشعر أننا مع كل نفس نتنفسه وكل لحظة نعيشها نعيش تحت رحمة الله المنعم المقدر لجميع الأمور .

في الجسم ما يقرب من **٢٥ مليون مليون** كرية حمراء ... تصنع في نخاع العظام ... وموادها الأولية ما بين سكريات ودهنيات وبروتينات وماء وفيتامينات وأحماض عاديه وأحماض أمينيه ومعادن أهمها الحديد ... فكيف جمعت وركبت وخرج منها تلك الأجنه الصغيرة حيث يبلغ قطر الكرية الحمراء ٧ ميكرون (أى سبعة أجزاء من الألف من الميليمتر) ... وعندما عرف العلماء تركيبها جيدا عجزوا عن الاتيان بواحدة مثلها ... « هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين . » ... علما بأن هذا المصنع الربانى لا يتوقف عمله حتى الموت ... ويدفع هذا المصنع إلى الدم حوالى

٥ ر٢ **مليون** كرية حمراء في **الثانية** وتلك الطاقة المهولة ممكن أن تتضاعف أضعافا كثيرة أثناء الأزمات التى تحدث للجسم مثل حالات النزيف ... وذلك بالإضافة إلى المخازن الاحتياطية الموجودة بالجسم ... وتلك العملية تخضع لإتزان مدهش دقيق حيث يتواجد أجهزة مهمتها التعرف على حالة الجسم وإحتياجه لكرات الدم فإذا كان هناك نقص ترسل الأوامر إلى نخاع العظام لافراز المزيد ... وإن كان هناك زيادة ترسل الإشارات لخفض الانتاج ... وكل هذا يتم بدون تدخل من الإنسان فتبارك الله أحسن الخالقين ...

وعندما تخرج الكرية الحمراء من هذا المصنع تنطلق إلى الدم لتباشر عملها الذى فطرها الله عليه وهو حمل وتوصيل الأكسيجين (وهو ما يسمى بغاز الحياة لأن الحياة بدونه تصبح مستحيله ... أى أن بدون تلك الكرية الصغيره التى حجمها أقل من جزء من ألف من المليمتر يفنى الانسان ... حقا ما أضعف هذا الانسان) ويتم نقل هذا الغذاء إلى جميع خلايا الجسم من أخمص القدم إلى مفرق الشعر (والخلية في الجسم البشرى تغلف بغشاء له خاصية عجيبه في دخول وخروج المواد من خلاله وحاول العلماء جاهدين كشف أسرار ذلك الغشاء الخلوى لمعرفة هل يوجد به ثقوب للدخول والخروج وأخيرا وعن طريق المجهر الألكترونى قالوا إن به ثقوبا غير ثابتة أى في حالة متحركة بمعنى أنها تتشكل من وقت لآخر حيث تكون موجودة في منطقة من الخلية ثم تقفل لتحدث ثقوبا جديدة في منطقة جديدة من نفس الخلية وكأنه عند كل ثقب يوجد حارس أمين عاقل حكيم يسمح بدخول مواد محددة معينة ويمنع الأخرى ويسمح بخروج مواد بذاتها ولا يسمح بالأخرى ... صنع الله أتقن كل شىء ...

وعندما تصل الكرية الحمراء إلى الخلية تسلمها الأكسيجين وتأخذ منها الفضلات (غاز الفحم) وكأننا الآن مع مشهد يتمثل في كرية حمراء تدور في الدم مدركة لما تفعل ... والخلية عرفت سبب المجئ إليها فأخذت غذاءها وتخلصت من فضلاتها ... وفي كل لحظه تمر ممكن أن تحدث كارثة لولا تدخل لطف الله عز وجل الذى ينظم البدن بتقدير ربانى متقن ... تلك الكارثة المتوقعة ممكن حدوثها نتيجة تحلل هذا العدد الضخم من الكريات الحمراء حيث يصل إلى **٥ ر٢ مليون في الثانية** ونتيجة لذلك يخرج منها الحديد (الذى يذهب مرة ثانية إلى المستودعات للاستفادة منه في تكوين كريات جديدة) ... وكذلك الأحماض الأمينية ... لكن هناك مادة **صفــراء** مضرة فتاكة بالجسم تسمى بيلروبين غير المتحد (أو بيلروبين غير المباشر) تنطلق نتيجة ذلك التحلل الناتج من موت الكريات ولا بد من وسيلة لتفادى تلك المادة المخربة التى تتكون بصفة دائمة ومستمرة فماذا يحدث ؟ !..... يوجد في **الــدم** مركب خاص (يسمى أليومين) يقوم بالاتحاد مباشرة مع تلك المادة المخربه لتحويلها إلى مركب جديد يتم تسليمه إلى **الكبــد** الذى يتولى التخلص منه عن طريق **القنوات الصفراوية** فيهبط بسلام إلى **الأمعاء الدقيقه** ... والأعجب من ذلك أن الأمعاء الدقيقه **تستفيد منه** حيث يساعد على هضم المواد الدهنية وتجزئه الشحوم واستحلابها واعادتها إلى وحداتها الأوليه لكى تدخل من غشاء الأمعاء فتمتص الأمعاء فيستفيد الجسم من الغذاء ...

وربما تدخل تلك المادة القاتلة إلى الدم فتقوم **الكلية** بالتخلص منها وطردها عن طريق البول حيث تكسبه المادة الملونه له ...

وبذلك يكون الجسم تخلص منها بعد أن استفاد منها وأمن شرها ... تلك المادة الخطرة وجد أن قسما منها مقداره ١٪ في استطاعته أن يختوق الحاجز الدماغى الدموى (حاجز بين الدم والمخ يحجز المواد التى لا يرغب فيها الجسم فلا تصل إلى المخ) فإذا دخلت إلى المخ وارتفعت نسبتها يحدث المرض البشع المسمى باليرقان النووى حيث تتشنج العضلات ويختل التوازن ويقل الفهم والادراك ... كذلك فإن هذه المادة إذا ترسبت في البدن فإنها تحوله إلى ضعف ومرض وهو ما يرى في اليرقان من اصفرار للعينين دليلا على ارتفاع هذه المادة في الدم ... ولكى **ندرك مدى الخطورة التى نعيشها في كل لحظة** نوضح الحقيقة التالية :

انحلال **واحد جرام** هيموجلوبين (وهو من مكونات الكرية الحمراء) يعطى **٣٤ ملجرام** بيلروبين المادة الضارة .

وفي الأحوال الطبيعية ينحل ٢٥ ر٦ جرام هيموجلوبين يوميا أى ٥ ر ٢١٢ **ملجم** بيلروبين .

بينما المعدل الطبيعى لنسبة البيلروبين في الدم يتراوح ما بين ٢ ر ٠ إلى ـ ر٠١ ملجم في كل مليلتر .

وفي الأزمات يصل إنحلال هيموجلوبين إلى **٤٠** جرام أى **١٣٦٠** ملجم بيلروبين .

ومع كل هذا ترتفع طاقة الدم على القنص ... والجسم على المقاومة ... والكبد على الأفراز ... وهذا كله من بديع صنع الله وعظمة الخالق ... فسبحان من خلق وقدر ووضع الميزان ... وأى خلل في أى مرحلة من المراحل الوقائية السابقة سواء كان على مستوى الدم أو على مستوى الكبد أو في القنوات الصفراوية تظهر علامات اليرقان وتبعا لذلك يتم التعرف على مكان الخلل لمعالجته ...

نعود إل **الحـديـد** الذى يعتبر مركبا أساسيا في تكوين الكرية الحمراء :

جميع الحديد الموجود في الجسم كله سواء كان موجودا في كل الكريات ... أو في كــل الأنسجة ... أو في مصانع الدم ... أو في المخازن ...) حوالى **٤** الى **٥** جرام ... فهو مقدار ضئيل لكنه وضع باتقان شديد ولو حدث **نقصـان** في هذا المقدار يؤدى إلى فقر الدم ينتج عنه الضعف والشحوب وعدم القدره على ممارسة النشاط العادى ...

ولو حدثت **زيادة** في هذا المقدار يؤدى إلى تراكمه في الجسم فيسبب فساداً لمعظم أجزاء الجسم من القلب وكبد وبنكرياس وجلد وخصيتين ...

وما بين الزيادة والنقصان ... والتخريب والتجديد .. يتم توازن البدن على أدق ميزان فينعم الانسان بالصحة الشاملة وسبحان من له الحمد على ما أنعم علينا وتفضل على عباده ...

أما الأكسيجين ... فان كريات الدم تحمل **٦٠٠** ليتر أكسيجين خلال **٢٤** ساعة للفرد الواحد ... تدخل عن طريق **الرئتين** في عملية **الشهيق** ... ومع ذلك لم ينفد ذلك الغاز من الهواء حيث تتولى النباتات الخضراء مهمة إمداد الهواء بالكمية المناسبة بصفة مستمرة ... وكأن الكون كله وحدة واحدة

كاملة متفاهمة ... **وفي حالة نقصان** كمية الأكسيجين تحدث تغييرات كيميائية في الجسم فيقوم الجسد بمضاعفة كمية التنفس لعله يأخذ أكبر قدر ممكن منه ويتخلص من الفضلات ويشعر المريض بأشياء أهمها ضيق في الصدر ... واكتشف العلماء أخيرا أنه في الارتفاعات الشاهقة تنقص كمية هذا الغاز ووجد أن مقدار توتره عند سطح البحر ١٠٠ ملم وعند ارتفاع ٨٠٠٠ متر لا يزيد عن ٢٥ ملم حيث يتعسر تبادله مع كريات الدم الحمراء فيصعب التنفس مما يجعل الشخص الغير متمرس يفقد وعيه في خلال دقيقتين ثم يموت ... وهنا نستشعر قوله تعالى : **« فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء » .**

ولو **زادت كمية الأكسيجين** (غاز الحياة) عن نسبته الثابتة لنتج عنه أضرار كثيرة نكتفى بذكر مثال واحد نشاهده في المستشفيات الخاصة برعاية الأطفال ... حيث وجد أن الطفل الذى يولد ووزنه **اقل من واحد ونصف** كيلو جرام فانه يحتاج إلى رعاية خاصة أهمها إعطائه غاز الأكسيجين بنسبه معينه تتراوح ما بين ٣٠ ـ ٣٥ ٪ حتى يكتمل نموه ... فاذا ما أعطى له كمية أكبر من ذلك فماذا يحدث ؟ تحدث تفاعلات على مستوى الجسم كله أهمها على مستوى العينين ففى خلال أسابيع قليلة يصاب الطفل بفقد الأبصار في كلتا العينين وبفحص قاع العين بمنظار خاص تتضح تلك المأساة المروعة التى لا علاج لها ...

أيضا ما بين الزيادة والنقصان تتضح عظمة الله وتدبيره لشئون هذا الخلق ...

ما هو مصير الفضلات ؟!

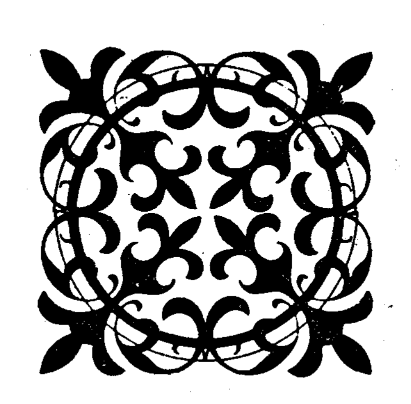
تقوم كرية الدم الحمراء بأخذ غاز الفحم الناتج من العمليات التى تتم في الخليه وتسير به في الأوعية الدموية وتصل إلى الرئتين حيث تتخلص منه هناك في عملية (الزفير) حيث يعود الدم نقيا من جديد ونأخذ بدلا منه الأكسيجين مرة أخرى أثناء (الشهيق) ... وجزء منه (غاز الفحم) يبقى داخل البدن لحفظ التفاعل الحمضى القلوى للجسم بقدر معلوم محدد ... **لو زاد غاز الفحم** بمقدار **٢ ر٠٪** يجعل حجم الهواء للتنفس مضاعفا وإلا دخل الإنسان في غيبوبة تؤدى إلى الموت إذا لم يتم إسعافه ... كما أن **نقص** غاز الفحم عن ٢ر٠٪ يوقف التنفس ... وما بين الزيادة والنقص يتضح بديع صنع الله .

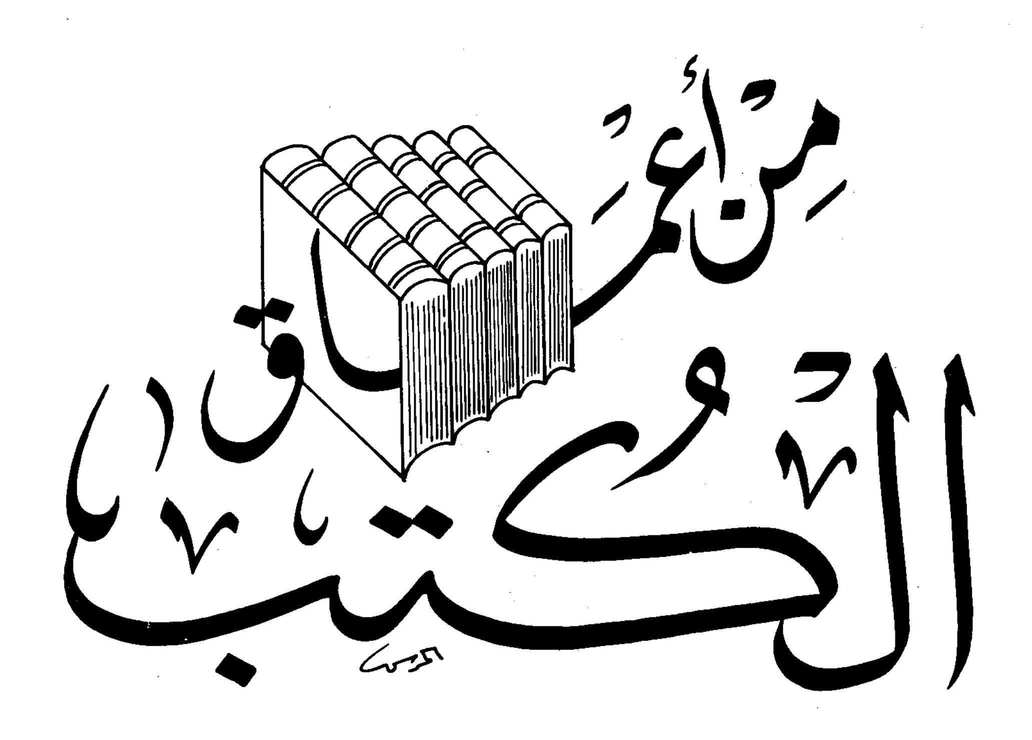
وهذا الغاز الخارج بصفة مستمرة في عملية التنفس بهذه الكمية الكبيرة هل يؤدى إلى تلوث الهواء بحيث يصبح خانقا ؟ ! ... قلنا إن الكون كله وحدة واحدة ... فكما أن الإنسان أخذ غاز الحياة من النباتات المحيطه به ... أيضا فأن تلك النباتات تأخذ غاز الفحم الخارج من الإنسان لتستعمله كمادة أساسيه في غذائها ... فغاز الحياة يأخذه الإنسان من النبات ... وغاز الفحم يأخذه النبات من الإنسان ... « وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون »

وتستمر تلك الكرية الحمراء في أداء رسالتها ذهابا وإيابا دون أن تضل طريقها أو تخطئ في وظيفتها أو تتعدى حدودها ... ودون أن تعرف التعب والملل ... وبعد رحلة طويلة ومسيرة هائلة وفترة

تقارب المائه والعشرون يوما تنتهى مهمتها حيث يقوم الجسم بدفنها ... ثم تتحلل ويستفيد البدن منها في عمليات أخرى قادمة فهى تأتى بالخير في حياتها وبعد مماتها للأجيال الأخرى من بعدها ...
أفلا يحق أن نصف كل من لم يتدبر تلك الآيات الإلهيه بقوله تعالى :
« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ٠

عن عثمان بن أبى العاص أنه شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده منذ أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ضع يدَكَ على الذى يألمُ من جَسَدِكَ وقل : باسم الله ثلاثاً ، وقُلْ سَبْعَ مرَّاتٍ : أعوذ بعزَّةِ الله وقدرته من شرِّ ما أجدُ وأحاذر » خرجَّه مسلم ٠




من أعماق الكتب

من أعماق الكتب

يقول شيخ الاسلام الامام ابن تيمية : ـ

« ومن العجب أن أهل الكلام يزعمون أن أهل الحديث والسنة أهل تقليد ليسوا أهل نظر واستدلال ، وأنهم ينكرون حجة العقل ٠ وربما حكى إنكار النظر عن بعض أئمة السنة ، وهذا مما ينكرونه عليهم ٠

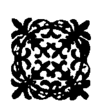
فيقال لهم : ليس بهذا بحق ٠ فان أهل السنة والحديث لا ينكرون ماجاء به القرآن ، هذا أصل متفق عليه بينهم ٠ والله قد أمر بالنظر والاعتبار والتفكر والتدبر في غير آيه ، ولا يعرف عن أحد من سلف الأمة ولا أئمة السنة وعلمائها أنه أنكر ذلك ، بل كلهم متفقون على الأمر بما جاءت به الشريعة ، من النظر والتفكر والاعتبار والتدبر وغير ذلك ، ولكن وقع اشتراك في لفظ « النظر والاستدلال » ولفظ « الكلام » فإنهم أنكروا ما ابتدعه المتكلمون من باطل نظرهم وكلامهم واستدلالهم ، فاعتقدوا أن انكار هذا مستلزم لإنكار جنس النظر والاستدلال ٠

وهذا كما أن طائفة من أهل الكلام تسمى ما وضعه بعضهم « أصول الدين » وهذا اسم عظيم والمسمى به فيه من فساد الدين ما الله به عليم ٠ فإذا أنكر أهل الحق والسنة ذلك ، قال المبطل : قد أنكروا أصول الدين ٠ وهم لم ينكروا ما يستحق أن يسمى أصول الدين ، وإنما أنكروا ماسماه هذا أصول الدين ، وهى أسماء سموها هم وآباؤهم بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، فالدين ما شرعه الله ورسوله ، وقد بين أصوله وفروعه ، ومن المحال أن يكون الرسول قد بين فروع الدين دون أصوله ، كما قد بينا هذا في غير هذا الموضع ، فهكذا لفظ النظر ، والاعتبار ، والاستدلال » ٠

وعامة هذه الضلالات إنما تطرق من لم يعتصم بالكتاب والسنة ، كما كان الزهرى يقول : كان علماؤنا يقولون : الاعتصام بالسنة هو النجاة » ، وقال مالك « السنة سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق » ٠

وذلك أن السنة والشريعة والمنهاج : هو الصراط المستقيم الذى يوصل العباد الى الله ٠ والرسول : هو الدليل الهادى الخريت في هذا الصراط ، كما قال تعالى :

(إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً) وقال تعالى : **(وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم : صراط الله الذى له مافي السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور)** وقال تعالى : **(وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا**



السبل فتفرق بكم عن سبيله) . وقال عبد الله بن مسعود « خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ، وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ، ثم قال : هذا سبيل الله ، وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ : (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ·

واذا تأمل العاقل ـ الذى يرجو لقاء الله ـ هذا المثال ، وتأمل سائر الطوائف من الخوارج ، ثم المعتزلة ، ثم الجهمية ، والرافضة ، ومن أقرب منهم الى السنة من أهل الكلام ، مثل الكرامية والكلابية والأشعرية وغيرهم ، وأن كلًا منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث ، ويدعى أن سبيله هو الصواب ـ وجدت أنهم المراد بهذا المثال الذى ضربه المعصوم ، الذى لا يتكلم عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ·

(مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ج ٤ ص ٥٥ ـ ٧٧)

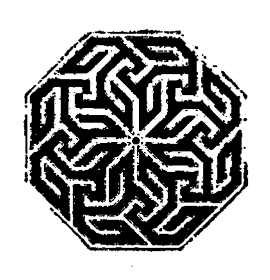
(تعليق)

أيها القارى الكريم اخترت لك هذه القطعة من كلام ذلك الامام الهمام الذى خبر جميع الطوائف المنتسبة الى الاسلام مع تحديد نسبتها · ولقد تحدث عنها حديث خبير وناصح أمين ، ثم حذر عن منيات الطريق التى سلكوها والتى تبتعد بسالكها عن الصراط المستقيم ؛ ولقد ضرب لها أمثلة عدة منها طريقة الخوارج ثم المعتزلة وغيرهما من أولئك الذين ضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، والذين لم يقفوا عند هذا الحسبان ، بل أخذوا يرمون الذين يسيرون على الدرب ولا يخرجون عن نصوص الكتاب والسنة يمنه ولا يسرة · يرمونهم بكل داهية اذ يطلقون عليهم أنهم مشبهة أو مجسمة أو حشوية وأخيرا قالوا بهم سذاجة ، زاعمين أن اثبات صفات الله تعالى على ضوء الكتاب والسنة دون تحريف · والاستنارة بهما في كل شيء والاكتفاء بهما في جميع المجالات يؤدى الى كل ذلك وبذلك صدوا عن سبيل الله وعن التمسك بنصوص الكتاب والسنة التى أنزلت لهداية الناس · وأوهموا السذج من الناس أن التمسك بظاهر الوحى كتابا أو سنة يؤدى الى الهلاك بل هو عين الهلاك والضلال كما صرح بذلك الشيخ الصاوى في حاشيته على الجلالين ، أحسب ذلك في سورة الكهف ، وفي هذه القطعة التى نقدمها لك أيها القارىء الكريم تجد الامام ابن تيمية يضع النقاط على الحروف ـ كما يقولون ـ ويوقفك أمام الطريق الواضح المستقيم والموصل الى الله بإذنه ان سلكته ورزقت الاستقامة عليه · وفي الوقت ذاته يحذرك عن بنيات الطريق · وهى تلك السبل الضيقة الوعرة التى تجدها بجانب سبيل الله المستقيم · والتى تبتعد وتشتط بسالكها عن سبيل ويجلس على كل سبيل صاحب طريقة يزين للناس سلوكهم بأسلوب مزخرف · وهى في يومك هذا أكثر منها وأخطر من ذى قبل ، حيث ازداد عدداً وكثر الدعاة اليها بأساليب مختلفة ومتنوعة من أولئك الجهال الضلال الذين يتشدقون بملىء أفواههم · ويهرفون مالا يعرفون ليضلوا الناس عن الحق وهم يعلمون مستغلين في ذلك كل ما لديهم من جاه ومنصب أو سلطة وقد استطاعوا أن يعلنوا بكل وقاحة ودون أدنى حياء ، أن السنة لا يمكن بقاؤها هذه الفترة الزمنية الطويلة جهلا منهم وتقليدا لامامهم القذافي الذى هو أجهل منهم وأضل سبيلا · ولو سألوا أهل الذكر لأنبؤوهم : بأن

بقاء السنة المطهرة هذه الفترة الزمنية الطويلة ١٤٠٠ سنة بسندها المتصل الى النبى الكريم عليه الصلاة والسلام محفوظة في صدور الرجال أو مدونة في كتبهم نوع من أنواع المعجزات الكثيرة للنبى الأمى محمد عليه الصلاة والسلام وأن ذلك من حفظ الله لدينه اذ يقول عز من قائل « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ولا يختلف اثنان في أن الذكر المنزل المحفوظ هو القرآن الكريم · ويستلزم في حفظ القرآن حفظ السنة المطهرة اذ هى تفسير القرآن وبيان لما أجمل فيه من كثير من الأحكام التى يتوقف معرفتها والعمل بها على فهم السنة ، ولولا السنة لما فهمت تلك الأحكام ولا عمل بها مما يكون سببا لتعطيل الشريعة فإذاً إن السنة داخلة ـ بهذا الاعتبار ـ في الذكر المنزل المحفوظ فهى منزلة بمعناها قطعا وأما ألفاظها فمن عند النبى الأمى المعصوم الذى لاينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » وقصارى القول : إن دين الله محفوظ في كتابه وسنة نبيه ولو جحد المنكرون ، وعاند المعاندون ، وكره الكافرون ·

وهذا المعنى الذى توضحه القطعة المختارة من كلام شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله فاقرأها مرة بعد مرة لما فيها من كلام نفيس له أهميته ولا سيما في هذا الوقت والله الموفق وهو الهادى الى سبيل الرشاد ·

محمد أمان بن على الجامى
عضو أسرة التحرير







مختارات من
الصحف

مختارات من الصحف

الباطل الذى يراد به باطل :

كان الامام على ـ رضى الله عنه ـ يصف مزاعم الخوارج بأنها « حق يراد به باطل » ولكنا أصبحنا في زمن لا يمكن أن نصف مزاعم أحفاد الخوارج الا بأنها باطل يراد به باطل . ونحن نسقط من الحساب والمناقشة حملة الأقلام الحمر ، لأنهم من واقع الالحاد يتحركون ، وحملة الأقلام العميلة للفكر الغربى العلمانى ، لأنهم من واقع العمالة ينشطون ، وانما نحاول مناقشة حملة الأقلام الذين لا يشهد لاسلامهم سوى شهادات ميلادهم ، ولو أنهم من عامة الناس لضربنا عنهم صفحا ، ولكنهم من ذوى الأماكن المرموقة ، وهؤلاء ـ في الواقع ـ ينطلقون من منطلق اتجاه السياسة العليا في دولتهم التى تداور وتناور في قضية تطبيق الشريعة الاسلامية .. ومن منطلق التزلف الى الاتجاه الأمريكى الصليبى الجديد ، الذى تدين لهم دولتهم بالتبعية المهيمنة ، والولاء الأعمى ..

وأقرب الأمثلة الى أذهاننا مثلان يبعثان على الأسى :

المثال الأول : وزير سابق للثقافة في دولة عربية مسلمة ، كان مضرب المثل في الأمية والسطحية والجهل المطبق ، هذا الوزير السابق صرح منذ زهاء عامين ابان شغله المنصب ، لجريدة صليبية تصدر في احدى الولايات الأمريكية ، تعبر عن ألسنة النصارى في دولته ، صرح بتصريح أبدى فيه معارضته الشديدة لتطبيق الشريعة في بلاده ، وقال ـ ولا داعى لأن ندعو عليه أن يفض الله فاه وقد فض بطبيعته ـ قال : « أنا لا أنكر أن هناك نوعا من الاندفاع حتى داخل البرلمان ، به عدد لا يقل عن خمسين عضوا ، مندفعين اندفاعا شديدا ، مطالبين بتطبيق الشريعة والحدود ، فالوزير يسمى المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية اندفاعا ، ومسكين لأنه يعايش قوانين وضعية تستمد أصولها من قوانين الغرب .

ثم قال : « وأنا أكثر الوزراء معارضة لتطبيق الشريعة أو المبادىء الاسلامية » .

وكنا نود أن يعرف هذا المستوزر قدره حتى تدركه رحمة الله ، اذ ليس هو لا في العير ولا في النفير ، وأن معارضته ليست نابعة من ذاته ، وانما قصد بها ـ وقد صرح بذلك أثناء زيارته لأمريكا ـ أن يلفت نظر السياسة الأمريكية اليها لعلها تعمل على مد أجله في الوزارة ، وقد خيب الله أمله ، فخرج من الوزارة ـ غير مأسوف عليه ـ الى الشارع في أول تعديل للوزارة ، وبدلا من أن كان صفرا على الشمال وزيرا ، أصبح مجموعة من الأصفار على الشمال وزيرا سابقا ..

والمثال الآخر : وزير للتعليم العالى في دولة افريقية مسلمة باعتبار شعبها ٩٩ ٪ من السكان لا باعتبار نظامها الحاكم المتأرجح بين أمريكا وروسيا ، والمتزلف أحيانا الى العالمين العربى والاسلامى ، هذا الوزير صرح في اجتماع للشباب ، هاجم فيه الاسلام هجوما عنيفا ، وحضر الاجتماع مع الوزير رئيس

منظمة الشباب ، ورئيس المخابرات ، وجاء على ألسنتهم التى سوف تقرض بمقارض من حديد ، لاتشفع فيه أمريكا ولا روسيا : الاسلام من مخلفات القرون الوسطى ، وأنه لا يصلح لهذا الزمان الذى تقدمت فيه التكنولوجيا .. وتساءلوا : كيف تستقيم الأحكام الاسلامية التى تقلع العيون ، وتقطع الأيدى ، وتقتل الأحياء بالحجارة مع هذا العصر المتمدن المتطور .

ومسكين مثل هذا الوزير التافه ، ونقول أنه أتفه من أن يوصف بالتفاهة ، لأننا حملة أقلام مسلمة ، ولسنا أنظمة حاكمة تجامل على حساب الاسلام ، هذه الأنظمة التى لا تقيم وزنا لكتاب الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) .. ولا جدال في أن قضايا الاسلام والمسلمين تعانى الأمرين من هذه المجاملة على حساب الاسلام ، وبالطبع هذا الوزير الأحمر الحقير من الذين يتشددون في وجود الاسلام نفسه ، فالدولة التى ينتمى اليها ، سبقت لها أن ألغت اللغة العربية في مدارسها ، وان قتلت خيرة علماء الدين الذين تصدوا لقانون الأحوال الشخصية المناقض لشريعة الله .

(مجلة رابطة العالم الاسلامى)

الاسلام في تركية

فى حديث صحفى يقول الأستاذ نجم الدين أربكان رئيس حزب السلامة :

● ان حزب السلامة منذ أن اشترك في الحكم بدأ بحملة « الصناعات الثقيلة » ومنذ أن ترك الحكم في ١٩٧٨ م . توقفت هذه الحملة من طرف شركائه السابقين لأن حزب الشعب الجمهورى وحزب العدالة طبقوا ما يريده الغرب من أن تبقى تركيا بلدا بعيدة عن الصناعات الثقيلة .

● ان ما نهدف اليه لن يكون لصالح تركيا فحسب بل سيكون لفائدة الأقطار الاسلامية الشقيقة الأخرى فان ذلك سييسر ما يحتاجون اليه من الصناعات الثقيلة .

سنبدأ من حيث انتهينا

ان حزب السلامة في حالة وصوله الى الحكم سيبدأ من النقطة التى انتهى اليها سابقا وسيحاول أن ينهى حملته تماما في أقصر وقت ممكن وبهذا الشكل يكون العالم الاسلامى مؤمنا من ناحية الصناعات الثقيلة الى جانب أنه سيصبح ـ اذا تم ذلك صاحب صناعة حربية كذلك .

● ان مبدأ حزب السلامة الأول هو الأخلاق أولا ولهذا فان من أول ما يريد أن يصلحه هو غرس القيم المعنوية وتأسيس نهضة اجتماعية على هذا الأساس الأخلاقى ـ وسيكون بعض نواته تأسيس المدارس التى تعنى بالعلوم الشرعية الاسلامية وسيحاول باذن الله تعميم دروس التربية الاسلامية في كل المؤسسات التعليمية ـ يلاحظ أن دراسة التربية الاسلامية ممنوعة في المدارس التركية بحكم القانون والتحية لاتاتورك فهذه بعض بقاياه » ـ وبهذا سنكفل ونضمن تعليم أجيالنا القادمة ديننا وعقيدتنا وأخلاقنـــا .

(الدعـوة بالرياض)

هذه حضـارة الغرب يـا مقلدى الغرب

نشرت مجلة نوفيل اوبسيرفاثير الفرنسية في عددها ١٦ / ٢٢ / ٨٠ م مقالا مطولا عن الدعارة والعهر المنتشر في فرنسا كصناعة متعددة الأشكال وكان مما ذكرته بأن الدعارة أصبحت توفر العمل لحوالى (٣٠ ألف) فتاة وتدر أرباحا طائلة تحصل الدولة فيها على نصيب الأسد وبحديث الأرقام : تصل مكاسب الدعارة السنوية الى ثلاثة بلايين فرنك فرنسى . في مدينة (بوردر) وحدها . وتكسب الدعارة سنويا بليون ونصف فرنك في مدينة (جرينويل) وفي مدينة مارسيليا تكسب ستة الى سبعة بلايين فرنك وفي مدينة منطقة (أزير) تكسب ثمانية بلايين فرنك كما توجد شركة في مرسيليا شركة لصناعة الأحذية رأسمالها من الدعارة وأودعت في حسابها بالبنك أكثر من سبعة ملايين فرنك خلال أربع سنوات .

ونظرا لضعف القوانين الوضعية وتراخيها ضد الدعارة فقد ترك بعض المهربين للمخدرات مجالهم الخطير وتوجهوا للعمل في بيوت الدعارة لأن العهر أكثر ربحا وأخف عقوبة .

وذكرت المجلة في مكان آخر بأن هناك عاطلين عن العمل يقومون بالدعارة (اللواط) وبعضهم يعملون مع فتاة ما لجلب الزبائن !!

ففى مدينة (نيتس) الفرنسية تم اغلاق خماره مؤخرا وصودرت ممتلكاتها لأن الفتيات كن يستقبلن فيها أكثر من (٦٠) زبونا في اليوم بطريقة غير رسمية وغير صحيحة !! .

كما أن بعض الشبان العاطلين عن العمل في مدينة مارسيليا يعملون كصبيان لدى العاهرين ويتعلمون المهنة في نفس الوقت كما أن بعض البنات العاهرات يتخذن من هؤلاء الشباب العاطلين حارسين شخصيين ضد الزبائن المجرمين .

وتقول في مكان آخر . اذا كان العاهرون في الستينات يزاولون مهنتهم في الخفاء وتحت شعارات غامضة فانهم في عام ١٩٨٠ أصبحت لهم أوكار ثابتة ومعروفة ومنذ عام ١٩٧٥ أمرت السلطات منع الدعارة في الفنادق وتم اغلاق بعض الفنادق التى كان العاهرون يستعملونها لمهنتهم لكنهم لجأوا الى فتح ستوديوهات خاصة للدعارة .

أما علاقة الدولة مع العاهرات فهى علاقة مصالح خيث تطالبهم الدولة بدفع ضرائب دورية منتظمة بعد أن يقوم كل منهم باشعار الجهات الرسمية بمكانتها ومهنتها والشىء الذى يدعو للاشمئزاز أكثر هو أن الدولة تسعى أحيانا لمطالبة بعض الفتيات بدفع تلك الضرائب حتى بعد أن يتركن مهنة الدعارة ليقمن بعمل شريف ولو بأقل أجر ...

هذه هى حضارة القرن العشرين .. الدعارة والعهر والسقوط والأخلاقى الكبير !

(مجلة المجتمع)

تركستان تستنجـــد

دعا الدكتور بيمرزا هابيت أحد العلماء المسلمين باقليم تركستان السوفيتى العالم الاسلامى الى الاهتمام بأحوال المسلمين في تركستان التى تضم خمس جمهوريات إسلامية سوفيتية ، وطالب منظمة المؤتمر الاسلامى بتقديم المساعدات للمسلمين هناك خاصة في هذه الفترة العصيبة ٠

وأبدى الدكتور هابيت أسفه لان الدول الاسلامية لم تتخذ حتى الآن أى موقف ايجابى تجاه هذه القضية ، الا أنه أوضح أن منظمة المؤتمر الاسلامى في اجتماعها الأخير في إسلام آباد قد اتخذت قراراً إيجابيا لصالح تركستان ، لكنه لم يوضح مضمون أو نوع هذا القرار ٠ وأوضح أن مسلمى تركستان ليست لهم أية علاقات اجتماعية مع الجمهوريات السوفيتية الشيوعية الأخرى ... ومؤكدا أن قلوب مسلمى المنطقة السوفيتية ما زالت تنبض بالاسلام مع كل مسلمى العالم ، وقال إنه كان يوجد في منطقة كردستان السوفيتية حتى عام ١٩١٨ حوالى ١٧٠٠ مسجد لم يبق منها الآن سوى مائة مسجـــد !

تركيـــا .. إلى أيـــن ؟

الانقلاب العسكرى الذى وقع في تركيا لم يكن مفاجأة لأحد فقد أنذر جنرالات الجيش التركى من قبل زعماء الأحزاب السياسية منذ شهور وهددوهم بالاستيلاء على السلطة ..

واذا أردنا أن ننظر الى ما وراء الأحداث لنعرف أسباب الانقلاب وتأثيره على الأوضاع في تركيا المسلمة الشقيقة فلا بد لنا من عودة الى الوراء الى الانقلاب الأول الذى قام به مصطفى كمال الخائن ..

ففى سنة ١٩١٨ م انهارت الدولة العثمانية بعد حرب طاحنة حارب فيها الجيش المسلم في غير معركته في الحرب العالمية الأولى حتى أن جحافل اليونانيين قد توغلت داخل تركيا ثم قامت حركة الكماليين بقيادة مصطفى كمال الذى تقمص ثوب الشيوخ وقام باسم الدين يرفع لواء الجهاد واستعان ببعض المجاهدين حتى تم طرد اليونانيين في معركة فاصلة عند جان قلعة واستشهد فيها ربع مليون مسلم ٠

ثم بدأ مصطفى كمال مفاوضاته مع الانجليز حتى أملى عليه المستر كرزن وزير خارجية بريطانيا هذه الشروط الرهيبة :

١ ـ الغاء الخلافة الاسلامية نهائيا من تركيا ٠

٢ ـ أن تقطع تركيا كل صلة مع الاسلام ٠

٣ ـ أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الاسلامية الباقية في تركيا ٠

٤ ـ أن يستبدلوا بالدستور العثمانى القائم على الاسلام دستورا مدنيا بحتا ٠

فقبل مصطفى كمال هذه الشروط ونفذها بحذافيرها فألغى الخلافة الاسلامية في مارس ١٩٢٤ م ٠

ثم أخرج مصطفى كمال من الجيش كل العناصر الاسلامية فأصبح يدين له بالولاء ويدين بأفكاره العلمانية الكافرة ويعبده من دون الله ٠ ثم نفذ الخطة اليهودية ٠

يقظـــة اســـلامية :

كانت المشاعر الاسلامية مستترة في عهد مصطفى كمال وقاد حركة البعث الاسلامية في وجه الأعاصير عالم مجاهد هو بديع الزمان سعيد النورسى الذى كتب رسائل النور ثم جاء عدنان مندريس في عام ١٩٥٠ وطرح برنامج الحزب الديمقراطى الذى اعتمد على اثارة المشاعر الدينية في نفوس الأتراك الذين يمثل المسلمون ٩٩٪ منهم واكتسح خصمه عصمت اينونو خليفة أتاتورك والرجل الذى وقع المعاهدة مع مستر كرزن الذى صاح قائلا « لقد انتصر مندريس ونبيار الحكم بدعايته الدينية » ثم تسلم مندريس ونبيار الحكم وشرعوا في تنفيذ وعودهم التى تمثلت في :

١ ـ اعادة حرية التدين للشعب التركى ٠

٢ ـ اعادة الآذان باللغة العربية حتى بكى الناس عند سماع الله أكبر الله أكبر ٠

٣ ـ رفع الحوافز عن رجال الدين ٠

٤ ـ السماح بتعليم اللغة اعربية ودراسة القرآن الكريم ٠

٥ ـ اعادة فتح المساجد التى أغلقت وحولت الى متاحف ٠

٦ ـ سحب سفير تركيا من اسرائيل واعادة السفير اليهودى الى حكومته ٠

فبدأ اليهود يخططون لاسقاط مندريس وانتصرت القوى السرية التى تخطط لحساب اليهود في اسقاط مندريس بانقلاب مايو ١٩٦٠ الذى قام به قائد الجيش جمال جورسيل والذى اعدم مندريس واثنين معه في ١٩٦١ م بتهمة « خرق الدستور الذى وضعه أتاتورك » وانجز الجيش مهمته فسلم السلطة الى المدنيين وعاد الى ثكناته ليبقى في حماية مبادىء اتاتورك بعد أن كان جيشا مجاهدا في سبيل الله يلقى الرعب في قلوب أعداء الله ٠

(الدعوة القاهرية)



أحداث
العالم الإسلامي



كيف دخلت الشيوعية في أفغانستان ؟

نشرت مجلة المدينة مقالا للأستاذ جلال الدين احمد النورى تحت عنوان :
كيف دخلت الشيوعية في أفغانستان ؟
قال ما يأتى :

ظهرت اثار السياسة الشيوعية أولا في أفغانستان ، اذ هزت الدعاية الشيوعية موقف الأمير حبيب الله في عام ١٩١٩ م عندما أشاعت بأنه آلة في يد الساسة البريطانيين ، اشتروه بثمن بخس ثم أمدت روسيا عملاءها الشيوعيين بالمساعدات المادية فأسسوا حركة الاستقلال الوطنى الأفغانية وظهر على رأسها أخو الأمير ، ولم يمض وقت طويل حتى أغتيل الأمير فملك أصدقاء الروس زمام الأمور ، وتدفقت الأسلحة الى داخل البلاد ، وبعد أن أعلن استقلال أفغانستان ، وقيام المملكة الأفغانية ، وتوقيع المعاهدة الأفغانية الانجليزية في نوفمبر سنة ١٩٢٠ م تلك المعاهدة التى نصت على انهاء الوصاية الانجليزية على أفغانستان ، سارعت روسيا باصدار بيان تقول فيه :

(إن مجلس الوزراء السوفييتى يعلن : أن حكومة العمال والفلاحين بكل هيئاتها تعترف باستقلال افغانستان ، وان على افغانستان المستقلة ابتداء من الان : واجب التحالف مع روسيا لمساعدة شعوب الشرق الاسلامى التى لا زالت ترزح تحت نير العبودية ، لتنال حريتها الوطنية والاجتماعية) … وتبدو في البيان نغمة الثورة الاشتراكية التى تحاول موسكو ان تلزم الحكومات الجديدة في المناطق المستقلة حديثا باتباع النموذج المطبق في موسكو . وأن تحذو حذو البلشفية في روسيا أى اتخاذ موسكو كعبة لها في الاصلاح السياسى والاجتماعى .

نجحت هذه السياسة الى حد ما في أفغانستان فتحقق هذا التحالف الذى نادت به موسكو وذلك بابرام معاهدة الصداقة الروسية الأفغانية التى وقعت في فبراير سنة ١٩٢٠ م ومما يلفت النظر انه نص في هذه المعاهدة على قيام خمس قنصليات لروسيا في افغانستان بجانب سفارتها في كابول ، ولا شك ان المقصــود من وراء انشاء هـذا العدد من القنصليات هو تطوير وتركيز النفوذ السوفييتى الذى يسهل عملية نشر العقائد المـاركسية ولكن لم تصـل روســيا الى هـذا الهدف كما لم تحقق هدفها الحقيقى وهو قيام الثورة السوفييتية الاشتراكية وذلك بسبب معارضة الحكومة التى كانت عاملا هاما في ســد الطريق امام الدعاية الشيوعية حتى لا تنفذ الى الاقاليم الأفغانية فانحصر نشـاط البلشفيين في العاصــمة كابول . حيث انها استخدمت كمركز للدعاية الشيوعية خارج حدود أفغانستان ،

اذ وصل حملة العقائد الماركسية الى الهند وكانوا يتلقون أوامرهم من كابول لا يتحركون الا بتوجيههم وارشاداتهم ، والحق انهم كانوا في الهند (دمى) يحركهم البلشفيون من داخل افغانستان ، وهكذا تمكن الماركسيون من اقامة مركز لهم في هذا البلد تنطلق منه سموم الدعاية الالحادية التى لن تهدأ الا بتحويل هذا البلد الاسلامى المتاخم للاتحاد السوفييتى الى بلد شيوعى وقد ظهرت معالم هذا التحويل بقيام ثورة في هذا البلد في الفترة الأخيرة . وان لم يدرك العالم الاسلامى ذلك . فيهب للحيلولة دون هذا التحويل الالحادى فستظهر ندامة المسلمين فيما بعد حيث لا ينفع الندم ولا يفيد .

تعليـــق المجلـــة :

ان القارىء الكريم عندما يقرأ هذا الخبر المنشور بجريدة (المدينة) ـ وينعم النظر فيه ـ وكان ملما بالاسلوب السياسى ـ يدرك كيف تخطط الشيوعية لمحاربة المسلمين في عقر دارهم على المدى البعيد . بدأت الخطة بتظاهر السوفييت وجعجعتهم بالدعوة الى الحرية . والانتصار لها . والدفاع عنها . تلك الحـــرية التى يزعمون أنهم حماتها لشعوب شرق آسـيا ومسلمى الخليج . ثم بانفعالهـا . ذلك الانفعال المصطنع ضد الاستعمار والامبريالية لتكون عقبة كؤوداً أمام قافلة الحرية إلى آخر المحاضرة السوفييتية المضللة . وبهذه الجعجعة المضللة خدعت كثيرا من الشعوب الإسلامية التى طالما رزحت تحت نير الاستعمار الغربى فيما مضى من حياتها . وبهذا الأسلوب استولت السوفييت على عقولهم . بل استعمرت عقولهم قبل أن تستعمر أراضيهم . وتخرب ديارهم . وتفسد عليهم دينهم . ثم التخطيط السوفييتى بالمطالبة البطيئة والملحة بالتخلى عن الدين . لأنه يتعارض والتقدم في زعمهم ـ لأن التقدمية لا تساير إلا الانطلاق المطلق دون تقيد بأى قيد . ويكون ذلك لقاء المساعدة العسكرية السخية من الأسلحة الحديثة الدفاعية أو الهجومية حسب الظروف ـ هكذا يفعل الاستعمار الشرقى بالشعوب حتى يخربوا ديارهم بأيديهم وأيدى أعدائهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . والله المستعان .

وبهذا الأسلوب تمكن السوفييت من غزو أفغانستان . وقد رأى المجاهدون أن يعلنوا جهاداً إسلامياً مقدساً ضد الغزاة الشيوعيين . وخاضوا معارك دامية . فقاتلوا . وقتَّلوا . وقُتلوا في سبيل الله . لإعلاء كلمته . والانتصار لدينه . وقد حمى الوطيس . فماذا ينتظر المسلمون !! ما عليهم إلا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) .

* * * * *

مــاذا تعرف عـن شـعب أورومــو ؟
(الحلقــة الثانيــة)

لفضيلة الشيخ محمد أمان بن على الجامى
عميد كلية الحديثالشريف

لابـد أن أروى :

أخذًا عن أخبار الثقات التى تردنا أود أن أورد هنا تقريرا خاصا عن سير الإسلام في الحبشة . فأقول :

الحمد لله الذى له الحمد كله . وله الأمر كله . وصل اللهم وسلم وبارك على من أرسلته رحمة للعالمين وآله وصحبه وحزبه .

لقد وافانا بعض القادمين من إثيوبيا بحقائق تثلج الصدور . ما كنا نتوقعها . وملخصها فيما يلى :

عندما اشتدت وطأة الشيوعية على المسلمين في أمهات المدن وأخذ أعداء الإسلام يطلقون عبارة جهمية جريئة (لا بد من التخلى عن الأديان السماوية لوحدة إثيوبيا) . أدرك المسلمون أن الدين المقصود بالتخلى عنه هـو الإسلام وحده على الرغم من مراوغة الماركـسيين والصليبيين معا

ولقد أوجد هذا الموقف لدى الريفيين وسكان القرى والمدن الصغار النائية عن العاصمة أديس أبابا رد فعل يثلج صدر كل مسلم يعتز بإسلامه ويسعى للانتصار له بكل ما يملك . ولديه من الغيرة ما يجعله يتألم من انتشار الشيوعية بشكل مخيف في العالم الإسلامى بصفة عامة . وفي إثيوبيا بصفة خاصة .

التفصيــل :

مما قام به المسلمون كرد فعل للدعوة الماركسية في إثيوبيا ما يأتى :ــ

١ ـ الإكثار من بناء المساجد في القرى والأرياف .

٢ ـ إقامة صلاة الجماعة والمحافظة عليها في كل مكان . ومما لفت نظر السلطة الماركسية وأدخل الرعب عليها وجعلها تتودد الى الشعب أن الفلاحين في مزارعهم أخذوا يؤذنون للصلاة ويقيمون صلاة الجماعة بصورة غير معهودة من قبل . وأنهم أعلنوا مقاطعة كل من لا يصلى . وإذا مات لا يصلى على جنازته .

٣ ـ كثرة المساجد التى تقام فيها صلاة الجمعة . وهو أمر لا عهد لهم به في الأرياف والقرى الصغـيرة سـابقا .

٤ ـ اتفاق شعبى **سرى** وفي صمت على عدم تطبيق التعاليم الماركسية في مجال الزراعة حيث حاولت السلطة أن يشترك سكان كل قرية في الزراعة . بأن يزرعوا معاً ويحصدوا معاً ويشتركوا في المحصول بصرف النظر عن تفاوت مساحات الأراضى وتفاوت الأسر في عددها . ولقد رُفضت هذه الاشتراكية في كثير من الأقاليم وفي مقدمتها إقليم هرر الذى هو أكبر إقليم زراعى في إثيوبيا .

٥ ـ اتفاق شعبى **سرى** على عدم تطبيق نظام التعليم الإجبارى الذى تحاول الماركسية تطبيقه في الأرياف حيث تنشىء مدارس في القرى والأرياف بدعوى محو الأمية ليجتمع فيها الرجال والنساء معا . ولقد كان الهدف من هذه المدارس محو الأخلاق قبل محو الأمية بل محو العقيدة من قلوب المسلمين لو استطاعت الماركسية .

ولقد أدرك المسلمون الأوروميون هذا الهدف فأخذوا يفوتون سنة بعد سنة بأعذار يلهمون بها كطلب المهلة أحيانا . وعدم وجود المدرسين حينا . ونزول القحط والجفاف حينا ... الخ .

هكذا يعيش المسلمون في إثيوبيا وبصفة خاصة في إقليم هرر .

ومما هو جدير بالتنويه به أن هذا العمل الإسلامى الجليل الذى يقوم به شعب أورومو إنما يتم تحت إشراف جبهة تحرير أورومو وبتوجيه منها وتوعية دقيقة تتم سرا ودون جعجعة . تلك الجبهة التى تعمل في صمت ولا تحمل معها بوقا حين تعمل وحين توجه وحين تجاهد . وما النصر إلا من عند الله وحده .

وقصارى القول أن سير الإسلام أخذ في تحسن في الوقت الذى تحاول فيه الماركسية القضاء عليه لو استطاعت . ولكنها أدركت فشلها وأخذت تتودد إلى الشعب لذر الرماد في العيون لتتمكن من تغيير مجرى السياسة إدراكا منها أن سياسة العنف غير ناجحة بل هى فاشلة لتستخدم سياسة النفاق والمكر والخداع .

ونحن نقول لها مسبقا إن فشل هذا النوع من السياسة قد ظهر قبل تنفيذها فهل أنتم مدركون ؟

إن شعب أورومو الذى قد جرب أنواع الأساليب التى يستخدمها أعداء الإسلام من صليبية حاقدة وماركسية ماكرة سوف لا ينخدع بعد اليوم بأى اسلوب إذ (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) . وهو شعب اكتسب دربة وخبرة من طول مدة الصراع بينه وبين الصليبية التى حاولت أن تقول أو قالت : لا وجود للإسلام في إثيوبيا . متجاهلة أن عدد المسلمين يمثل ٧٥ ٪ من سكان الحبشة . ومتجاهلة تاريخ دخول الإسلام للحبشة . وأنه سبق المسيحية إلى المنطقة . وأخيرا حلت الماركسية أو على الأصح تقمصت الصليبية بقميص الماركسية لتحاول ضرب الإسلام لو استطاعت بسلاح آخر يدعى الشيوعية الحمراء التى لا تؤمن بأى دين .

ولكن الشعب الأورومى ـ كما قلت ـ تجاوز مرحلة الانخداع وخبر الأعداء على اختلاف أساليبهم وتلونهم .

ألا أن نصر الله قريب إن شاء الله .



اخـوة فيليبينيون يهتـدون الى الإســلام

في منطقة المدينة المنورة أعداد غير قليلة من العمال والممرضين والموظفين في الحقل الصحى وفدوا من الفيليبين وكوريا . وكما حصل في جدة حيث أقبل الكثير من هؤلاء على الإسلام بعد أن اتيح لهم من يطلعهم على بعض حقائقه . هكذا حصل بين هولاء العمال في منطقة المدينة .. وهانحن نذكر فيما يلى بعضا من هؤلاء وعددهم أحد عشر فيليبينيا يعملون في قرية المليليح على بعد خمسين كم شمال المدينة . في مشاريع الشيخ عبد الوهاب الدخيل . وقد شرح الله قلوبهم لدينه وكان ذلك على أيدى بعض مواطنيهم من طلاب الجامعة الاسلامية نخص بالذكر منهم الطالب (عبد الحليم أمبولوتو) في الثانية بكلية الدعوة وأصول الدين والطالب (عبد الحميد ابراهيم) في الأولى بالكلية المذكورة .. ثم الطالب (واتر واتو ابراهيم) وهو متخرج في كلية الاقتصاد من جامعة الفيليبين الحكومية ويدرس حاليا في الجامعة الاسلامية .. ولا ننسى ونحن نتحدث عن هذه الظاهرة الخيرة أن نسجل بمداد التقدير جهود مكتب الدعوة التابع لدار الافتاء بالمدينة المنورة . وما يلقاه هؤلاء المؤمنون الجدد من رعاية المحسن الكريم الشيخ عبد الله الدخيل الذى لا يضن عليهم بكل مامن شأنه تشجيعهم وتحبيبهم لدين الله .. جزى الله العاملين والمحسنين خير الجزاء .

أما الأخوة المهتدون فهم :

١ ـ على محمد أبو أمين وكان اسمه بالنصرانية روبير توما مانسالان .
٢ ـ عبد الله محمد وكان اسمه روميو غنستو .
٣ ـ محمد مسفير وكان اسمه ماسيموراسون .
٤ ـ محمد عبد العزيز وكان اسمه روى ماهيناى .
٥ ـ محمد عبد التواب وكان اسمه ريدولفو ديمنيس .
٦ ـ أحمد محمد وكان اسمه مارسينو ذيلفين .
٧ ـ محمد يوسف وكان اسمه ماريو ـ ل ـ ماليس .
٨ ـ جمال حميد وكان اسمه بيرنانوو ـ ف ـ هاماند .
٩ ـ أبو بكر محمد وكان اسمه نارسيو ـ س ـ لاكاف .
١٠ ـ عبد العزيز محمد وكان اسمه ماركوس اكينو .
١١ ـ محمد عبد الوهاب وكان اسمه رومار بكو تلوريس .

نسأل الله أن يتم نوره . وينشر دينه . إنه على ما يشاء قدير . وبالاجابة جدير ...

والله من وراء القصد

(صحيفة المدينة المنورة)

أخبـــــار الجـــــامعة

١ ـ « صــورة الجامعة الاسلامية في المستقبل »

الجامعة الاسلامية في نمو مستمر ومطرد وبالمقارنة بين بدء قيامها ١٣٨١ هـ حتى عام ١٤٠٠ هـ ندرك مدى النمو الذى وصلت اليه فقد بدأت بـ ٢٥٦ طالبا في كلية الشريعة وصارت اليوم الى حوالى خمسة آلاف طالب ٠

ولكن ماذا ينتظر الجامعة الاسلامية من توسع في المستقبل القريب إن شاء الله .... ؟

إن نظرة متفحصة لأرقام الميزانية التى اعتمدت للجامعة في الخطة الخمسية الثالثة للتنمية تدرك أن مستقبلا زاهرا ينتظر الجامعة الاسلامية وتنتظره اذ اعتمد لها في الخطة الخمسية للدولة أكثر من بليونى ريال لتنفيذ المشروع العام للجامعة ذلك المشروع الذى وضع على أساس من المخطط العلمى كان المجلس الأعلى للجامعة قد أقره بدورته السابقة التى انعقدت في شهر ربيع الآخر ١٣٩٩ هـ وقد روعى في هذا المشروع النمو الطلابى ومعدلاته مع مراعاة الوضع الراهن للمبانى القائمة الآن والتى تعتبر مبانى مؤقتة حتى يتم تنفيذ هذا المشروع الضخم الذى روعى فيه انشاء مبان جديدة لكل كلية من كليات الجامعة على حدة ولكل من المعهدين الثانوى والمتوسط وأن يكون كل مبنى فيها كامل المرافق والخدمات ٠ وقد تم تصميم المنشآت المطلوبة للجامعة بناء على دراسة تخطيطية أكاديمية شاملة تحددت فيها أهداف كل كلية بل وكل قسم علمى ومركز بحث وتحديد سياستها الرئيسية ومن ثم تحددت متطلباتها المساحية بأسلوب علمى احصائى استخدم فيه الحاسب الآلى ٠

وستحتوى كل كلية من كليات الجامعة على مبنى لكل من : الادارة والمكتبة وقاعة محاضرات تسع كل طلاب الكلية مع قاعات صغيرة بعضها ١٥٠ وبعضها ١٠٠ طالب وفصول دراسية وغرف للأساتذة ومسجد صغير ومكاتب أبحاث ومخازن كتب ومستودعات عامة وعيادة طبية صغيرة ومقصف وخدمة ٠

وتضم المبانى الجديدة منشآت للمراكز الآتية : مركز شئون الدعوة ومركز للتراث الاسلامى ومركز للحاسب الآلى ومركز لوسائل الاتصال ومركز للدراسات والمعلومات ٠

كما تضم مبانى عامة للمكتبة المركزية والادارة المركزية وقاعة كبيرة جدا للمحاضرات العامة والمسجد الجامع والمستشفى الذى يتسع لـ ١٨٠ سريرا مع التوسع المستمر ودار للنشر العلمى ٠

كما سيتم اقامة مدينة اسكان جامعية كاملة تضم وحدات لاسكان الطلاب وهيئات التدريس والجهاز الادارى وتضم وحدات اسكان الطلاب المساجد اللازمة لها بحيث يسع كل مسجد ١٠٠٠ مصلٍّ وكذلك وحدات اسكان هيئات التدريس والموظفين ٠

وقد روعى في هذه المنشآت اقامة مراكز للخدمات الغذائية مثل المطبخ المركزى لمنسوبى الجامعة وضيوفها وللخدمات الرياضية ثم الخدمات المدنية مثل السوق المركزى ومكاتب البريد والبرق والتلكس والهاتف ومكاتب سفريات وطيران وفروع للمصارفة والصيدليات وأسواق فرعية لخدمة قاطنى الحى السكنى من غير الطلاب ٠

وقد روعى في المدينة الاسكانية توفير الخدمات التعليمية مثل انشاء رياض الأطفال والمدارس الابتدائية والمتوسطة بالحى السكنى وكذا توفير خدمات النقل والمرور والخدمات الفنية (شبكة المجارى والمياه والكهرباء والصيانة المركزية) وخدمات الأمن مثل حراسة الأسوار والبوابات والحراسة والدفاع المدنى والشرطة الجامعية ٠

٢ ـ الجامعة الاسلامية مع المسلمين في كل مكان

تلبى رئاسة الجامعة الاسلامية مايمكنها من دعوات لزيارة الهيئات الاسلامية أو الجماعات أو الجامعات الاسلامية سواء في ذلك أقطار العالم الاسلامى أو الأقليات الاسلامية في أنحاء العالم وذلك حرصا من الجامعة على التعرف على أحوال المسلمين وتقديم العون المناسب لهم سواء في ذلك العون المادى أو العون الأدبى والمعنوى ٠

وقد لبى سعادة الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة الاسلامية دعوة جامعة ديوبند الاسلامية بالهند التى وجهتها لكبار الشخصيات الاسلامية في العالم لحضور الاحتفال بعيدها المئوى ـ وقد سافر سعادته على رأس وفد يمثل الجامعة الاسلامية في هذه الاحتفالات وذلك في أوائل شهر جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ ـ وقد ترأس فضيلة الدكتور الزايد الجلسة الثانية الصباحية لاحتفالات جامعة ديوبند بعيدها المئوى الذى حضرته السيدة أنديرا غاندى رئيسة وزراء الهند وألقى الدكتور الزايد كلمة الجامعة الاسلامية في هذه الاحتفالات ٠

وقد طاف وفد الجامعة الاسلامية في هذه الزيارة بكثير من الأقطار الاسلامية والأقليات الاسلامية حيث شملت الزيارة منطقة كشمير بشمال الهند وقدمت الجامعة أوجه الدعم المالى لعدد من المشروعات الاسلامية وتمت زيارة المؤسسات الاسلامية في عدد من المدن الهندية وتم الوقوف على نشاطات هذه المؤسسات خاصة في مجال التربية والتعليم على أسس اسلامية ٠

وقال الدكتور الزايد تعقيبا على مشاركة الجامعة في احتفالات جامعة ديوبند « مما نقلته عنه الصحف في حينه » أن هذه الزيارة والحمد لله قد تركت أثرها الطيب في نفوس العلماء والطلاب والمسئولين عن الجامعة « ديوبند » كما كان للتبرع السخى الذى قام به صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز أثره الطيب في نفوس المسلمين وذلك لما يمثله هذا التبرع من دعم لمشروعات جامعة ديوبند ٠

وزار وفد الجامعة جنوب الهند والتقى بعلماء المسلمين هناك . وزار دار مؤسسات دار الأيتام في مليبار وغيرها من المؤسسات الاجتماعية والدينية وقدم المساعدات لبعض الهيئات الاسلامية ٠ كما زار الوفد كلً من أندونيسيا وتايلاند وباكستان ونيجيريا ٠ تم الاتفاق بين الجامعة الاسلامية وبين كل من من جامعتى عبد الله بايرو في كانو وجامعة سكتو بخصوص دعم الجامعة الاسلامية بالمدينة قسمى الدراسات الاسلامية والعربية في هاتين الجامعتين ٠

* كما دعى الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد لحضور المؤتمر الاسلامى الذى انعقد في لندن في الشهر الماضى ونظرا لانشغال الدكتور الزايد بأعمال هامة أناب عنه الدكتور أكرم العمرى ـ رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة ٠

* كما ينتظر زيارة الدكتور الزايد للمسلمين في استراليا تلبية للدعوة التى تلقاها فضيلته من الاتحاد الاسترالى الاسلامى ٠

٣ ـ « اجتماعات وزيارات في الجامعة الاسلامية »

١ ـ التقى صاحب السمو الملكى الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية مع منسوبى الجامعة وذلك مساء يوم الأربعاء الموافق أول جمادى الآخرة في قاعة الاجتماعات . وفي هذا اللقاء أجاب سموه على جميع الأسئلة التى وجهت من الحاضرين ٠

وكان سموه قد ألقى كلمة في بداية هذا اللقاء أشاد فيها بدور الجامعة الاسلامية وخريجيها وهيئات التدريس فيها وكذا ألقى سعادة الدكتور عبد الله الزايد كلمة في بداية هذا الاجتماع رحب فيها بصاحب السمو الملكى الأمير نايف بن عبد العزيز ووجه شكر الجامعة الى صاحب الجلالة الملك المفدى وصاحب السمو الملكى الأمير فهد على الرعاية الملكية السامية التى يسبغانها على الجامعة الاسلامية ٠

٢ ـ وقد عقد في الجامعة الاجتماع الثانى لمجلس اتحاد الجامعات العربية في الدورة الثالثة عشرة وذلك في الفترة من ١٦ / ١٨ من شهر جمادى الآخرة ١٤٠٠ هـ وقد ضم هذا الاجتماع ممثلين عن احدى وأربعين جامعة عربية ٠

وبدأت الجلسة الافتتاحية لأعمال اتحاد مجلس الجامعات العربية في قاعة المحاضرات بالجامعة ٠

وافتتح صاحب السمو الملكى الأمير نايف بن عبد العزيز الجلسة الأولى لأعمال المجلس ·
وأعقب ذلك كلمة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة الاسلامية أشاد فيها سعادته بدور المملكة في رعاية الجامعة الاسلامية ·

٣ ـ وزار الجامعة الاسلامية في شهر جمادى الأولى وفد يمثل عمداء الكليات الجامعية في المملكة المغربية وكان هذا الوفد في زيارة للمملكة بدعوة من وزارة التعليم العالى في اطار الزيارات المتبادلة بين المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية · وضم الوفد سبعة عمداء من مختلف الجامعات من مملكة المغرب الشقيق وقد تعرف العمداء على أوجه النشاط العلمى والاجتماعى في الجامعة وقاموا بجولة طويلة في مكتبة الجامعة والمستوصف والمطبعة والمهاجع والكليات والمعاهد والدور ، وأثنوا على ما رأوه من أوجه النهضة في الجامعة الاسلامية المبنية على أسس العقيدة والمبادىء الاسلامية وسجلوا اعجابهم برسالة الجامعة وما تقوم به من خدمة تعليمية وتربية لأبناء العالم الاسلامى في كل مكان كما رحبوا بالافادة من تجارب الجامعة الاسلامية في المناهج والطرق والمقررات وخاصة العلوم الشرعية والعربية ·

وقد أقامت لهم الجامعة حفلا تكريميا في فندق شيراتون المدينة ·

٤ ـ وزار الجامعة وفد جامعة عليكرة بالهند برئاسة مدير جامعة عليكرة وبرفقته عدد كبير من هيئات التدريس وذلك في اطار التعاون بين الجامعة الاسلامية وجامعات المسلمين في كل مكان وقد رحب بهم فضيلة نائب رئيس الجامعة الاسلامية الدكتور عبد الله الزايد وتبادل مع هذا الوفد الكريم الحديث في شئون الجامعات والدعوة الى الاسلام ووعد نائب رئيس الجامعة وفد جامعة عليكرة بتقديم الدعم في مجال المشورة الفنية وتبادل الزيارات على مختلف المستويات الى جانب ماتستطيع الجامعة الاسلامية تقديمه من عون مالى وبشرى لجامعة عليكرة يمكن أن يبرم اتفاق في المستقبل بين الجامعتين لتحديده ·

٤ ـ « الدراسات العليا في الجامعة »

زخرت الجامعة الاسلامية منذ أوائل عام ١٤٠٠ هـ برسائل الدراسات العليا للحصول على درجة الماجستير وقد نوقشت خلال الفترة الماضية من شهر المحرم ١٤٠٠ هـ ست عشرة رسالة للماجستير ونقدم فيما يلى بياناً بأسماء طلاب الدراسات العليا وأسماء الرسائل وتاريخ المناقشة والدرجة العلمية التى تحصل عليها واسم الأستاذ المشرف على رسالته والشعبة التى قدم فيها رسالته : ـ

١ ـ الطالب : صغير أحمد محمد ضيف هندى الجنسية وموضوع رسالته « تحقيق كتاب الأوسط لابن المنذر » ونوقشت رسالته في ١٤ / ١ / ١٤٠٠ هـ والمشرف عليها هو الدكتور عبد الحميد الغفارى وقد حصل على تقدير ممتاز وذلك من شعبة الفقه ·

٢ ـ الطالب : ناصر خميس عبد الرحمن كينى الجنسية وموضوع رسالته « العام ودلالته عند الأصوليين » أشرف عليها الدكتور عمر عبد العزيز وقدمت للمناقشة يوم ١٥ / ١ / ١٤٠٠ هـ وحصل على تقدير جيد جدا في شعبة أصول الفقه ·

٣ ـ الطالب : حسين أحمد الباكرى جنسيته يمنى جنوبى وموضوع رسالته : « تحقيق مرويات غزوة أحـــد » وأشرف عليها الدكتور أكرم ضياء العمرى ونوقشت في ٩ / ٥ / ١٤٠٠ هـ وحصل على تقدير جيد جدا من شعبة السنة .

٤ ـ الطالب : أبو بكر عبد الله دكرورى من فولتا العليا وموضوع رسالته « التعارض والترجيح في النصوص الشرعية وأثرهما في اختلاف الفقهاء » وأشرف عليها الدكتور عمر عبد العزيز ونوقشت في ٢ / ٦ / ١٤٠٠ هـ وحصل على تقدير «ممتاز» من شعبة أصول الفقه .

٥ ـ الطالب : فيحان مشالى عتيق المطيرى سعودى الجنسية وموضوع رسالته « القصاص في النفس في الشريعة الاسلامية » وأشرف على رسالته الدكتور محمود العكازى ونوقشت في ٩ / ٦ / ١٤٠٠ هـ وحصل على تقدير « ممتاز » من شعبة الفقه .

٦ ـ الطالب : محمد يعقوب طالب سعودى الجنسية وموضوع رسالته « النفقة الزوجية في الشريعة الاسلامية » وأشرف عليها الدكتور محمود العكازى ونوقشت في ٧ / ٧ / ١٤٠٠ هـ وحصل على تقدير جيد من شعبة الفقه .

٧ ـ الطالب : على أحمد القليصى يمنى الجنسية وموضوع رسالته « جريمة السرقة وعقوبتها في الشريعة الاسلامية » وأشرف عليها الدكتور محمود العكازى ونوقشت في ١٠ / ٧ / ١٤٠٠ هـ وحصل على تقدير جيدا جدا من شعبة الفقه .

٨ ـ الطالب : عبد الرازق على الفحل سعودى الجنسية وموضوع رسالته « أحكام القذف في الشريعة الاسلامية » وأشرف عليها الدكتور محمود العكازى ونوقشت في ١٢ / ٧ / ١٤٠٠ هـ وحصل على تقدير جيد جدا من شعبة الفقه .

٩ ـ الطالب : سعيد درويش الزهرانى سعودى الجنسية وموضوع رسالته « نظام نفقة الأقارب في الاسلام » وأشرف على رسالته الدكتور أحمد فراج ونوقشت في ١٥ / ٧ / ١٤٠٠ هـ وحصل على تقدير جيد جدا من شعبة الفقه .

١٠ ـ الطالب : سالم سقاف الجفرى أندونيسى الجنسية وموضوع رسالته « الربا وأضراره في المجتمع الانسانى » وأشرف عليها الدكتور أحمد فراج ونوقشت في ١٧ / ٧ / ١٤٠٠ هـ وحصل على تقدير « ممتاز » من شعبة الفقه .

١١ ـ الطالب : محمد صالح الفلاح سعودى الجنسية وموضوع رسالته « أبو موسى المدينى محدثا مع تحقيق نزهة الحفاظ والفوائد » باشراف الدكتور أكرم العمرى ونوقشت في ١٣ / ٧ / ١٤٠٠ هـ وحصل على تقدير جيد جدا من شعبة الفقه .

١٢ ـ الطالب : عبد الرحيم محمد أحمد القشقرى سعودى الجنسية وموضوع رسالته « الكنى والأسماء لمسلم ابن الحجاج » باشراف الشيخ حماد الأنصارى ونوقشت في ١٤ / ٧ / ١٤٠٠ هـ وحصل على تقدير جيد جدا من شعبة السنة .

١٣ ـ الطالب : محفوظ الرحمن زين الله هندى الجنسية وموضوع رسالته « تلخيص العلل المتناهية في الأحاديث الواهية » باشراف الدكتور محمود ميرة ونوقشت في ١٥ / ٧ / ١٤٠٠ هـ وحصل على تقدير ممتاز من شعبة السنة ·

١٤ ـ الطالب : محسن أحمد الدوم يمنى الجنسية وموضوع رسالته « فتح مكة ودراسة حديثية » باشراف الدكتور أكرم العمرى ونوقشت في ١٨ / ٧ / ١٤٠٠ هـ وحصل على تقدير جيد جدا من شعبة السنة ·

١٥ ـ الطالب أحمد محمد عبيد حمود لبنانى الجنسية وموضوع رسالته « المسلمون في لبنان في ضوء تاريخهم منذ عهد الاستقلال حتى بداية ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م » باشراف الدكتور أحمد الأحمد ونوقشت في ١٦ / ٦ / ١٤٠٠ هـ وحصل على تقدير ممتاز من شعبة الدعوة ·

١٦ ـ الطالب : عبد القادر منصور سورى الجنسية وموضوع رسالته « تذكرة الأديب في تفسير الغريب » لابن الجوزى باشراف الدكتور محمود ميره ونوقشت في ٥ / ٧ / ١٤٠٠ هـ وحصل على تقدير جيد جدا من شعبة التفسير ·

وهناك خمس رسائل أخرى أعلن عن مواعيد مناقشتها خلال الأسبوع القادم من أواخر شهر رجب والمجلة ماثلة للطبع وهذه هى الرسائل وأسماء الطلاب :

١ ـ الطالب : يوسف محيى الدين أبو هلالة أردنى الجنسية وموضوع رسالته « الغزو التبشيرى في الأردن » باشراف الدكتور على جريشة · وتناقش يوم الاثنين ١٩ / ٧ / ١٤٠٠ هـ ·

٢ ـ الطالب : يوسف محمد الدخيل سعودى الجنسية وموضوع رسالته « سؤلات الترمذى للبخارى » باشراف الشيخ حماد الأنصارى وستناقش يوم ٢٠ / ٧ / ١٤٠٠ هـ ·

٣ ـ الطالب : زياد منصور سورى الجنسية وموضوع رسالته « تحقيق القسم المخطوط من طبقات ابن سعد » باشراف الدكتور أكرم العمرى وتناقش يوم ٢١ / ٧ / ١٤٠٠ هـ ·

٤ ـ الطالب : عوض أحمد الشهرى سعودى الجنسية وموضوع رسالته « مرويات غزوة خيبر » باشراف الدكتور أكرم العمرى وتناقش يوم ٢٤ / ٧ / ١٤٠٠ هـ ·

٥ ـ الطالب : أحمد عبد الله كاتب سعودى الجنسية وموضوع رسالته « زكاة عروض التجارة » باشراف الدكتور أحمد فراج وتناقش يوم الخميس الموافق ٢٢ / ٧ / ١٤٠٠ هـ ·

٥ ـ « الرحلات والمعسكرات لطلاب الجامعة »

نظمت عمادة شئون الطلاب في اطار النشاط الاجتماعى والثقافى لهذا العام الجامى (٩٩ ـ ١٤٠٠ هـ) كثيرا من المعسكرات الكشفية والرحلات العلمية والاسلامية ، ومن خلال هذه الأنشطة يدرب الطلاب على الحياة الاسلامية والعلمية والجامعية الصحية ·

ومن هذه المعسكرات معسكر أقيم لطلاب السنوات النهائية خلال عطلة الربيع بمنطقة ينبع من ٢٠ / ٣ / ١٤٠٠ هـ الى ٢٨ / ٣ / ١٤٠٠ هـ وبلغ عدد المشتركين في هذا المعسكر ٥٠٠ خمسمائة طالب وزعوا

على أربعة أفواج لمدة ثمانية أيام مارس فيها الطلاب كثيرا من ألوان النشاط الثقافى والاجتماعى والرياضى كما تمت فيها برامج ثقافية نافعة وزاروا ميناء ينبع واحدى البواخر الراسية في الميناء ٠

ونظمت رحلة الى مكة لخمسين طالبا لأداء العمرة من ١٥ / ٢ الى ١٩ / ٢ / ١٤٠٠ هـ كما أقيم معسكر كشفى على ساحل بدر لطلبة كلية اللغة العربية أفاد منه ١٠٨ طالباً من ١٧ / الى ٢٠ / ٤ / ١٤٠٠ هـ وفي هذا المعسكر حل طلاب من جامعة الرياض ضيوفا على طلبة الجامعة الاسلامية وكان في قيادة هذا المعسكر فضيلة الشيخ عبد الله أحمد قادرى عميد كلية اللغة العربية وقد زار هذا المعسكر فضيلة الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة الاسلامية وشاهد بعض ألوان النشاط الثقافى لطلاب الجامعة ٠

كما أقيم معسكر كشفى لطلبة كلية الدعوة وأصول الدين وطلبة المعهد الثانوى لـ ١٧٦ طالبا في الفترة من ٢٠ / ٥ / ١٤٠٠ الى ٢٦ / ٥ / ١٤٠٠ هـ ٠

كما أقيمت عدة معسكرات متوالية لثلاث كليات من كليات الجامعة الاسلامية في منطقة العلا وهى معسكر كلية اللغة العربية ومعسكر كلية الشريعة ومعسكر لكلية الدعوة حيث زار الطلاب آثار مدائن صالح ٠

كما قام طلاب الجامعة الاسلامية برحلة الى مدينة الرياض بدعوة من جامعة الرياض قام بها ٣٩ طالبا في الفترة من ١٣ / ٦ الى ١٧ / ٦ / ١٤٠٠ هـ ٠

هذا عدا رحلات داخلية لجميع الطلاب الجدد للتعرف في أول العام الدراسى على معالم المدينة المنورة ٠

٦ ـ « الجامعة تستقبل وفود الجـامعـات » في أجـازة الربيع

استقبلت الجامعة وفدا طلابيا من جامعة الرياض مكونا من مائة وخمسين طالبا برئاسة الدكتور عثمان الفريج ٠ كما استقبلت في نفس الفترة وفدا من ٢٧ جوالا من جوالة جامعة البترول حيث استضافتهم الجامعة لمدة أربعة أيام وأعدت لهم لهذه المناسبة برنامجا ثقافيا حافلا ٠

وقد وصل الفوج الثانى من جامعة الرياض في ٣ / ٤ / ١٤٠٠ هـ من ثمانين طالبا برئاسة الدكتور عبد العزيز السحيالى في ضيافة الجامعة وأعد لهم برنامج حافل والتقى بهم فضيلة عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة ورحب بهم وألقى فيهم كلمة حث فيها الطلاب من الجامعتين على التمسك بالأخلاق الكريمة والبعد عن الأخلاق البذيئة وحذرهم من الجنوح الى التطرف والشاذ من الآراء ٠ وفيما يلى نص كلمة فضيلته : ـ



ان الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . ومن نزعات الشياطين ، من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن سيدنا وإمامنا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وعلى أتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فانه ليسرنى أن نجتمع تتويجا لنشاط عام ١٣٩٩/١٤٠٠ للهجرة فى هذه الجامعة المباركة لنبدأ صفحة مشرقة أشد إشراقاً وأعظم عطاء باذن الله .. اننا - أيها الاخوان في هذه الجامعة - ندرك - كما قلت لكم في أول لقاء بأنه لا انفصام بين التربية والتعليم وان أى خلل في ذلك ولو كان ضئيلا يؤدى الى نوع من الخلل في تكوين شباب الجامعات والمعاهد ويشير في نفس الوقت الى وجود خلل في ادارة هذه المؤسسة أو أجهزة الاشراف عليها بحسبه ولهذا فان الجامعة من أول يوم من العام الماضى وقبله دأبت على حث المسئولين في الأجهزة المختلفة على اعطاء هذا النشاط حظه من العناية وذلك بتوفير الامكانات المادية والمعنوية حتى يواكب هذا النشاط مراحل نمو الطالب في كليته أو معهده أو في داره أو حتى في غرفته التى يأكل وينام فيها . ذلكم بأن الجامعة بجميع أجهزتها يجب أن تتكامل في اتاحة المجال التربوى لنمو هذا الطالب . حتى إذا ما واجه الحياة داعية إلى الله وموجها ومعلما يواجهها بحزم وبصيرة . ان النشاط من أهم ما يجب أن تعنى به الجامعة . ولو تحقق بالقدر الكافي لأطمأننا على أن الجامعة تسير في الطريق الصحيح لتأدية رسالتها . لكن هناك بعض الأمور اللازمة لتحقيق ذلك وأحدها بل أهمها هو الأستاذ الموجه المربى فانه بدون توجيه هذا الأستاذ وبدون أن يكون ذا عناية ذاتية بأمر هذا الطالب لا نستطيع أن نقوم بتكوين هذا الطالب تكوينا متكاملا بأى حال من الأحوال مهما قدمنا له من المال ومن وسائل الراحة . ونكون كمن يبذر في أرض سبخة ولذا فاننا نذكر زملاءنا الأساتذة والمدرسين

بهذه الرسالة ، وانها رسالة سامية إذا أحسن أداؤها والله تبارك وتعالى سائل كل موجه ومرب عما استرعاه وان هذه المهمة ـ أيها الاخوان كما تعلمون ـ هى مهمة المرسلين ، ومحمد صلى الله عليه وسلم سيدهم وخاتمهم هى مهمته ، بل ان الكفار فطنوا لهذا في النبى فقالوا : « انه معلم مجنون » وهذا زعم باطل منهم فى حقيقة الأمر لكن من ناحية فطرية فان كل عالم من البشر انما يكتسب العلم عن طريق التعلم وهذه من المسلّمات البدهية ، فبدون التعلم لا يكون معلما ومعلم النبى (ص) انما هو ربه بالوحى والالهام ، واننى لواثق عظيم الثقة بأن زملائى من أعضاء هيئة التدريس يدركون ذلك حق الادراك ، وقد لمسنا والحمد لله ـ ثمارا مبشرة بالخير في هذه الطلائع الخيرة من الشباب الذين يتخرجون من الجامعة كل عام ليعودوا الى قومهم منذرين ومبشرين .

والأمر الثانى الذى يجب أن يقوم به الأساتذة والمربون هو غرس الفضيلة في نفوس الطلاب وغرس معنى العزة والكرامة التى أرادها الله سبحانه وتعالى للمؤمنين ، وقد تكلمت في هذا المعنى كثيرا مع بعض الاخوان الذين يفدون الى هذه الجامعة من أقطار الدنيا ، وتحدثت معهم عما تعانيه شعوبهم من الكيد والأذى لأنهم يعيشون أقليات ، وقد شاهدت بعض هذه الشعوب تعيش واقعها المرير الممزق لأنها تشعر بالذلة والهوان ، وقد حثثت هؤلاء الاخوان (وخاصة الذين هم يتولون مسئولية الجامعات والمدارس والمعاهد الاسلامية) حثثتهم على أن يعنوا عناية فائقة بايقاظ هذه العزة النائمة في نفوس هؤلاء المساكين ، فانه لا تناقض بين أن يكون المسلم معدما وأن يكون عزيزا ، فقد يكون فقيرا معدما من المال لكنه عزيز بعزة الله « لأن هذه الآية محكمة أعنى قول الله تعالى » « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » فالمؤمن عزيز حتى ولو طوى شهرا كاملا جوعا ، لكن أعداء الاسلام من مستعمرين وغيرهم يحاولون أن يثبتوا هذه الذلة التى ضرب الله جنسها على اليهود ـ يحاولون أن يثبتوها في هؤلاء المسلمين لأنهم حين يشعرون بعزتهم يكون لهم شأن آخر ووضع آخر ، فلا يفتأ هؤلاء الأعداء يكرسون الذلة على المسلمين حتى يظلوا بعيدين عن عزتهم التى أرادها الله ، على أن الأعداء لو أدركوا حقيقة الأمر لكان من الخير لهم أن يكفوا عن عدوانهم ، وأن يتركوا أذاهم للمسلمين . ذلك أن المسلمين متى أفاقوا من غفوتهم ، ومتى استعادوا عزهم ومجدهم كانوا خيرا لا لهم فحسب ، بل للبشرية جمعاء ومنها المجتمع الذى يعيشون فيه ألم يقل الله عز وجل : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس** » فلا بد أن نرعى في تربيتنا لهؤلاء الطلاب أن نغرس فيهم ـ بما يسمعونه وبما يتلقونه ـ معنى العزة التى أرادها الله للمسلم ولا بد أن نعلمهم ما بين عزة الايمان والعنجهية والكبر من تضاد ، فان الله سبحانه وتعالى وصف المؤمن بأعلى وصف ، وذكر أنه ـ مع ذلك ـ دانٍ من اخوانه فقال تعالى « **يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين** » **فأعلى الايمان هو محبة الله التى تتجلى في عبادته باخلاص ، وليست عزة المؤمنين على الكافرين تعنى التجبر والاعراض ، ولكن معناها الترفع وطلب الاستعلاء على الكفر بعزة الاسلام ، والاستغناء بالله عن هؤلاء الكافرين كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « انا لا**

نستعين بمشرك » ولكن فرق بين هذا المعنى وبين الصلة والاحسان فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل جاره اليهودى ويحسن اليه . ويأمر الصحابة أن يبروا بآبائهم الكفار فالله عز وجل يقول : « **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في دينكم ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** » فلا بد أن نفرق بين المعنى وما يتوهم أنه نقيضه فنبين للطلاب هذا الأمر حتى لا ينحرفوا . حتى لا يذلوا لغير الله وحتى لا يتكبروا على عباد الله . وحتى يعرفوا الطريق الصحيح الى العزة والكرامة .

وهناك أمر مهم آخر في تربية الشباب ـ طالما ذكرت به بعض الاخوان وتكلمت فيه معهم ـ وقد يكون من المفيد أن أذكر به في هذه المناسبة . هذا الأمر هو توقير الأئمة واجلالهم أئمة الفقه والعلم والدين . الذين من طريقهم وصل الينا الدين بفقههم وبرواياتهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . فلا يجوز أن يرقى الشك الى هؤلاء الذين شهدت لهم الأمة بالامامة في الدين وبالورع والتقى والعلم . فينبغى أن نعرف لهؤلاء الأئمة أقدارهم . ويجب ألا نتطاول عليهم في الحديث عندما يكون المجال مجال استعراض لأقوالهم وآرائهم الفقهية للمقارنة بينها تمهيدا لاختيار ما يرجحه الدليل مثلا . فلا يصح الترجيح بينهم الا فيمن توافرت فيه أهلية الاختيار بين أقوال أهل العلم ممن يملك عن اقتدار وسائل الاجتهاد على أن يكون ذلك الترجيح في حدود الأدب والتوقير والاجلال الملائم لمقام الأئمة .

فمن باب الأدب الذى أمر الله عز وجل به المومنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا يرفعوا أصواتهم فوق صوته . ولا يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض . والعلماء هم ورثة الأنبياء . فمن الأدب معهم أن أعرف طريقة عرض الرأى الذى ملت اليه فأقول قال العلماء كذا وقال فلان كذا . كلاما يفهم منه العامة بأنى أستهين بالعلماء . فالعوام لا يعرفون مقصدى حين أقول ان العلماء أخطأوا في كذا وكذا لكن قد يفهمون من هذا التعبير الاستخفاف بأهل العلم فيكثر من يقول على الله وعلى رسول الله بغير علم وتفشو الأهواء ويتكاثر الجهل . فلا يكون للأمة سلف صالح تنتمى اليه أو تستهدى به الى معرفة الحق والصواب نعوذ بالله من ذلك البلاء كله . وهذا الأمر ـ أمر اجلال الأئمة ـ يستتبع اختيار الطريقة في توجيهنا الطلاب حتى نضمن باذن الله جيلا يجيد السير على الصراط المستقيم في دعوته الى الله في بيان ما نزل اليهم من ربهم حتى لا يكون شطط أو غلو . ومن الأمور المهمة في تربية الطلاب في معاهد العلم أن نمكنهم ـ وهم في صفوف الدراسة من البحث . فيجب أن نعنى بالبحث غاية العناية . فانه بالبحث يمكن أن تكون هناك روح تجاوبية . بين الطالب وبين المدرس والمربى . وبتمكين الطلاب من البحث يكون التوجيه موضوعيا من المعلم لطلابه في أى مادة لأن كل المواد الشرعية وما في حكمها المقررة تتكامل في بناء الطالب بناء سليما .

هذا ما أردت أن أذكر به الاخوان تذكيرا . والا فعندهم وخاصة أعضاء هيئة التدريس أكثر من هذه الملاحظات يدركونها ويعونها . لكنى أردت أن تكون هذه الملاحظات تذكيرا للجميع .

هذا وبالنسبة للنشاط فان الجامعة يهمها أن توليه الاهتمام الحرى به . لأنه بدون النشاط تكون الجامعة قد أخلت بجزء كبير مما يجب عليها . ولا أقول : اننا نهتم بالنشاط لملء الفراغ . فليس عندنا

فراغ تملؤه . ولكن من أجل أن تتكامل جهود الجامعة في بناء الطلاب لأن الشباب يحتاجون الى أنواع كثيرة من أوجه الرعاية ، والنشاط ـ مما تعارفت عليه المؤسسات التعليمية ـ أنه جزء مهم في تربية الطالب . ولذلك فاننا متى رأينا لونا من النشاط لا يتعارض مع مبادىء الاسلام وتوجيهاته فسوف لا نتأخر بأى حال من الأحوال في تشجيعه وفي اتخاذه حتى يكون لطلاب الجامعة الاسلامية النصيب الأوفر مما هو موجود في الجامعات الأخرى سواء في الداخل أو الخارج ان شاء الله . لأننا نريد أن نهىء الجو المناسب لطلاب هذه الجامعة .

وفي ختام كلمته عقب فضيلته تعقيبا دينيا وتربويا مفيدا على كلمة لأحد الطلاب المجيدين كان قد عرض في الحفل الختامى موجزا عن بحث له في السياسة المالية والاقتصادية في الاسلام ، وقد ورد في حديث الطالب تعبير « الانسان وكيل الله » وتعبير « تفتيت الثروة » ، فقال فضيلته انه لا يصح القول بأن المسلم وكيل الله ؛ فهذا التعبير لم يرد عن السلف فلا يصح أن يقال ، فالله عز وجل اختار كلمة « الخلافة » فكلمة خليفة الله تؤدى معنى الوكيل وزيادة ، وقد اختار الله عز وجل لفظ الخلافة ، ولم يعبر عنها بالوكالة في أى موضع من القرآن » وعلمنا عن السلف أنه ينبغى لنا في تعبيراتنا التى تتصل بالله عز وجل أن نتقيد بما ورد به النص لانعدل عنه فقد وردت كلمة خليفة ولم ترد كلمة وكيل . فالانسان خليفة الله كما قال الله تعالى : « انى جاعل في الأرض خليفة » وقال تعالى « عسى ربكم أن يستخلفكم في الأرض » هذا ما يفوت من معان جليلة لو استعملنا كلمة وكالة بدلا من الخلافة ، مع ورود بعض المعانى المحظورة في حق الله عز وجل ينطوى عليها التعبير بكلمة وكالة مما تواضع عليها الناس في هذا الباب فالوكالة لاتقوم مقام الخلافة وعلى العكس الخلافة تقوم مقام الوكالة ، مع ما في لفظه الخلافة من البعد عن المحترزات التى في لفظه الوكالة بالنسبة لله عز وجل وكذلك ورد في كلمة الطالب كلمة « تفتيت الثروة في الاسلام ، ويجب التيقظ والعلم بأن الاسلام ، لا يفتت الثروة ، لأن تفتيت الثروة معناه محقها ، والاسلام انما ينمى الثروة تنمية مشروعة » وهذا التعبير المتداول الذى يردد كلمة « تفتيت الثروة » انما هو تعبير يسارى ، تعبير اشتراكى ، وبعض الاخوان يستعمله بحسن قصد لاشك . ولهذا فان هذه الكلمة لا يصح أن تأتى على السنتا ولا أن تجرى به أقلامنا بحال من الأحوال لأنه مصطلح يأتى في نظام اقتصادى معروف وقد أغنانا الله بنظام معصوم من الاسلام له مدلولاته وتعبيراته .

حقا ، ان الاسلام حرب على الاحتكار فانه لا يجوز في الاسلام ، والاخوان يعرفون ذلك . فالاسلام لا يجعل حق الملكية لشخص أو أشخاص الا اذا رأت الدولة أن مصلحة المجتمع في جعل هذا المرفق كشركة من الشركات كالكهرباء مثلا . فاننا لو جعلنا للناس كلهم حق انشاء شركات كهرباء . لأدى هذا الى الفوضى ثم لاتكون هناك اضاءة ، فهذه من المصالح التى جعل للدولة ـ من باب المصالح المرسلة ـ النظر فيها للمصلحة العامة ولذا فان الدولة أحيانا تشارك بـ ٥١ ٪ من رأس مال الشركة ثم تترك الأمر للشركة اذا قامت على أقدامها ، المهم في هذا أن كلمة تفتيت الثروة غير واردة في التنظيم الاقتصادى الاسلامى ولكن الوارد هو تنمية الثروة وفق منهج محدد لا يلحق الضرر بالمجتمع ، وترك الاسلام الحرية للناس يكسبون كيف شاؤا في حدود التوجيهات الاسلامية دون احتكار أو ظلم .

ثم أخيرا لى ملاحظة بسيطة وهى ضرورة التفرقة بين السياسة المالية وبين السياسة الاقتصادية فهما مختلفان فالسياسة المالية في الغالب تطلق على طرق الجباية والانفاق . أما السياسة الاقتصادية فانها تعنى أوجه تنمية المال وطرق كسبه والمحافظة عليه مثل الادخار أو تأثيث الشركات وأنواع المعاملات . وهذه الطرق تختلف في الاسلام عنها في النظم الاشتراكية والنظم الرأسمالية .

وفي ختام هذا اللقاء أشكر للاخوان من الأساتذة والطلاب والموظفين حسن استجابتهم لهذا الاجتماع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

٧ - المحاضرات في الموسم الثقافى للعـــام ١٣٩٩ / ١٤٠٠ هـ

١ - حفل الموسم الثقافى بكثير من المحاضرات التى نظمتها وحدة النشاط الثقافى بعمادة شئون الطلاب . ومن الجديد في ذلك أنها جعلت جانبا من هذه المحاضرات للطلاب يلقونها تحت اشراف فضيلة الشيخ جبران أحمد صالح رائد جماعة المحاضرات والندوات بالجامعة . وذلك عقب صلاة المغرب بمسجد الجامعة من كل يوم أحد ومن الطلاب الذين أسهموا في هذه المحاضرات :

- الطالب سامى حلابه : ومحاضرته بعنوان من عوامل بناء الفرد المسلم
- الطالب وائل محمد قبيسى : ومحاضرته بعنوان حاجة البشرية الى الاسلام
- الطالب محمد راشد محمد أيوب : ومحاضرته بعنوان المسلمون في الهند
- الطالب مصطفى الرحمونى : ومحاضرته بعنوان تاريخ المسلمين في الأندلس

٢ - وقد تميز الموسم الثقافى للجامعة لهذا العام بمشاركة كثير من الدعاة وأصحاب الفكر من خارج الجامعة فقد القيت فيه ثلاث عشرة محاضرة لكبار المفكرين والدعاة وأقيمت فيه أمسيتان شعريتان ومن أعلام الدعاة الذين شاركوا في هذه المحاضرات .

- الشيخ عبد المجيد الزندانى ألقى في ٢٤ / ١٢ / ٩٩ محاضرة موضوعها الايمان الحق .
- الشيخ محمد عبد الله الصديق ألقى في ٢٨ / ١٢ / ٩٩ محاضرة عنوانها الاعتصام بالكتاب والسنة .
- الدكتور يوسف العالم ألقى في ٢٩ / ١٢ / ٩٩ محاضرة عنوانها مخطط التنصير في العالم الاسلامى وخاصة في أفريقيا .

ـ الدكتور جاد محمد رمضان ألقى في ٣٠ / ١ / ١٤٠٠ محاضرة عنوانها كيف نجا المسلمون من عاصفة المغول والتتار المدمرة ؟
ـ الشيخ عبد الفتاح عشماوى ألقى في ١٤ / ٢ / ١٤٠٠ محاضرة عنوانها أى رزق تريد ؟ أم أختار لك ؟
ـ الاستاذ محمد قطب ألقى في ٢١ / ٢ / ١٤٠٠ محاضرة عنوانها طريق الدعوة الى الله ·
ـ الشيخ محمد الغزالى ألقى في ٢٨ / ٢ / ١٤٠٠ محاضرة عنوانها عبر لا تنسى في نهاية القرن الرابع عشر ·
ـ الدكتور محمد على البار ألقى في ١١ / ٤ / ١٤٠٠ محاضرة عنوانها خلق الانسان بين الطب والقرآن ·
ـ الاستاذ أبو الحسن الندوى ألقى في ١٧ / ٤ / ١٤٠٠ محاضرة موضوعها حكمة الدعوة وصفات الدعاة ·
ـ الدكتور ف عبد الرحيم ألقى في ٢ / ٥ / ١٤٠٠ محاضرة عن الدخيل في اللغة العربية الحديثة ·
ـ الاستاذ عمر عودة الخطيب ألقى في ٢٣ / ٥ / ١٤٠٠ محاضرة في المسلمون وأبعاد التحديات ·
ـ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى ألقى في ٨ / ٦ / ١٤٠٠ محاضرة في رسالة الاسلام ومسئوليات الشباب ·
ـ الشيخ محمد الراوى ألقى في ٢٢ / ٦ / ١٤٠٠ محاضرة في وحدة المسلمين في مواجهة الأخطار سبيلها وغايتها ·

وقد أقيمت الأمسية الشعرية الأولى في ١٦ / ٥ / ١٤٠٠ أسهم فيها بعض أساتذة الجامعة وطلابها ·
وأقيمت الأمسية الشعرية الثانية في ١٥ / ٦ / ١٤٠٠ وقد أسهم فيها كبار شعراء المملكة ·

= = = =

٨ ـ من أخبار التعليم في الجـــامعة الاسلاميـــة

=====

١ ـ كان المجلس الأعلى للجامعة قد وافق على انشاء عمادة لشئون الطلاب وفي هذا العام تم تعيين فضيلة الشيخ على الحذيفى وكيلا لهذه العمادة ، وتتكون هذه العمادة من الأجهزة الآتية : ـ

١ ـ مكتب عميد شئون الطـــــلاب
٢ ـ مكتب وكيـــل عمادة شئون الطـــلاب
٣ ـ مكتب التخطيط والتنسيق والمتابعة
٤ ـ مكتب التوجيه والتوعية الاسلامية
٥ ـ مكتب التربية الرياضية والنشاط الكشفى والجوالة والمعسكرات

٦ ـ مكتب النشاط الاجتماعى والثقافى
٧ ـ الاسكان والتغذية والنقل الطلابى
٨ ـ الشئون المالية والمستودعات
٩ ـ ادارة الاشراف والتوجيه الاجتماعى
١٠ ـ دار الطلبة وتوزيع الكتب بجده

وصدرت اللائحة التنفيذية للعمادة بموافقة مجلس الجامعة في ١٠ / ٦ / ١٤٠٠ هـ ٠

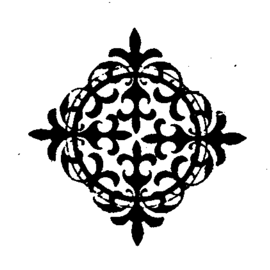
٢ ـ قبلت الجامعة في العام الدراسى ٩٩ / ١٤٠٠ هـ ١٢٥٠ طالبا من جنسيات تبلغ أكثر من مائة جنسية ٠

٣ ـ قامت لجنة المعادلات في الجامعة بمعادلة أكثر من أربعين شهادة دراسية من المعاهد والجامعات الأجنبية وتحديد المستوى الدراسى الذى يقبل فيه أصحاب هذه الشهادات في الجامعة الاسلامية ٠

٤ ـ أعدت الجامعة كتبا باللغة الانجليزية لطلاب المرحلتين المتوسطة والثانوية بحيث تشتمل على الموضوعات الاسلامية التى يحتاج اليها الطلاب في دراستهم الاسلامية ـ وسيبدأ تدريس هذه الكتب في العام القادم ١٤٠٠ / ١٤٠١ هـ ٠

٥ ـ وافق المجلس الأعلى للجامعة على انشاء عمادة للقبول والتسجيل وقد تم تعيين الشيخ عبد الله على أبو سيف وكيلا لهذه العمادة ٠

٦ ـ يبدأ قبول طلبات الراغبين للالتحاق بالجامعة ومعاهدها من أول شهر رجب ١٤٠٠ هـ وينتهى في ١٥ من شعبان ١٤٠٠ هـ وقد أذاعت الجامعة شروط القبول والأوراق المطلوب تقديمها لكل مرحلة دراسية فيها من المعاهد والدور والكليات ٠



مطابع الجامعة الإسلامية

١ - أسست بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مطابع مزودة بأحدث الآلات والأجهزة ، وقد افتتحها رسميا في ١٤ ربيع الأول عام ١٤٠٠ هـ صاحب السمو الملكى / الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز نيابة عن صاحب السمو الملكى / الأمير فهد بن عبد العزيز النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة .

٢ - عين الأستاذ عبد الهادى حسن كابلى مديرا إداريًا لهذه المطابع .
٣ - كما عين الأستاذ ماهل شديد الردادى مساعداً للمدير الادارى .
٤ - وعين المهندس محمد أحمد بكر مشرفا فنيا .
٥ - الأقسام التابعة لهذه المطابع سبعة :
أ - قسم الجمع الألكترونى (الصف)
ب - قسم التصوير
جـ - قسم الرتوش والمونتاج
د - قسم الزنك
هـ - قسم الأوفست
و - قسم التجليد الآلى واليدوى
ز - قسم طباعة التيبو وحفر الاكليشهات
والعاملون بالمطبعة يبلغ عددهم أربعين من الفنيين .

وقد بدأت المطابع بعد افتتاحها بهمة عالية في طبع « مجلة الجامعة الاسلامية » العدد الثانى من السنة الثانية عشرة . فضلا عن عديد من الرسائل والكتب العلمية ورسائل الماجستير والدكتوراه لمن حصلوا عليها من طلاب الجامعة :

واذ تشكر أسرة تحرير المجلة لكل العاملين بالمطابع جهودها المشكورة تسأل الله جل وعلا أن يسدد لهم الخطى . وأن يوفقهم الى خدمة الإسلام والمسلمين .

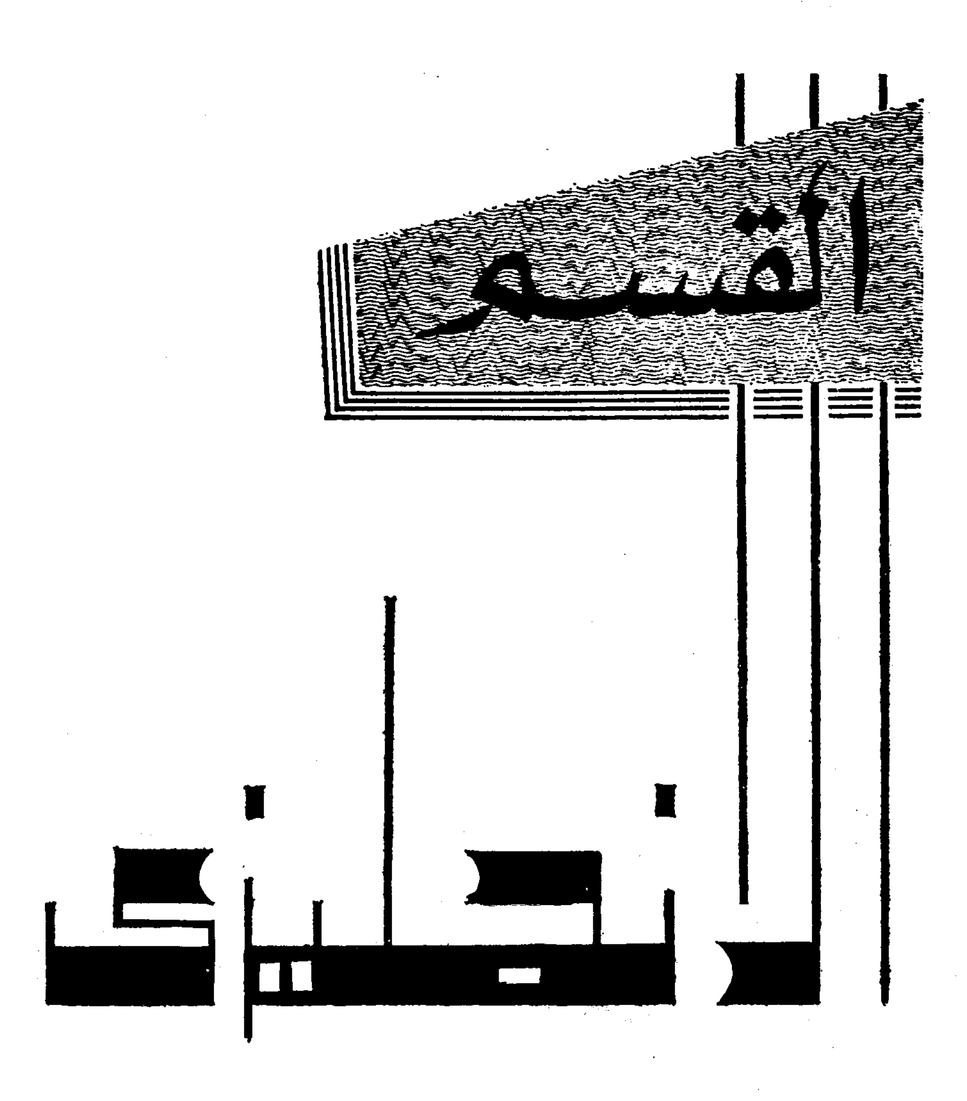
(أسرة تحرير مجلة الجامعة)

محتويات العدد

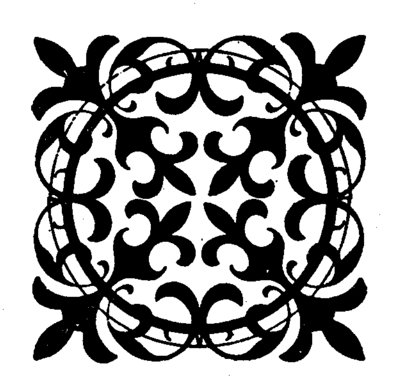
باقى محتويات العدد

باقى محتـويات العـدد




القسم

We have found that peace rests on justic for all. It is obvious that justice can only thrive where laws can be enforced to regulate human conduct and relations in such a way as to ensure that justice is done to one all, irrespective of race, nationality or creed. Now, any legal system having these objectives must necessarily proceed from an intimate knoledge of human nature and a full understanding of the forces at work in the universe, their functions and interrelationships. This legal system must also emanate from an authority which has absolute opower and control over both man and his environment.



man and the universe. The acceptance of this Quranic concept makes all human beingsrulers as well as the ruledequal in status and rights. It makes all humanity, without the least distinction or exception, subservient to one Supreme Authority and one universal law. From this unity of GOD (Tawhid) proceeds the unity of mankind as one universal brotherhood, cutting across and destroying all barriers of racecolour, language, nationality which have so bitterly divided mankind into warring groups. This is no dreem or utopia. This feeling of universal brotherhood engendered by Islem can always be witnessed at the annual pilgrimage when people from different lands joins together as members of one single family. We have to keep alive the spirit of the pilgrimage in our ddaily life to make this universal brotherhood an eternal reality and the world will become a better place to live in.

Incidentally, as we know already, man's knowledge is not only strictly limited both in regard to his own self and the universe in which he lives, but his understanding is very much clouded by prejudices and influenced by personal motivations and self-interest. However sincere and well-intentioned a person may be, he cannot be expected to overcome the defects and weaknesses inherent in his own nature.

This is fundamental to all man-made ideologies evolved to bring peace and social justice to the world and explains basically the failure of such ideologies to solve man's problems. It also proves the necessity for a source of knowledge which is all comprehensive, covering all aspects of human life in this world. That source of knowledge can only be Divine Revelation, based on pure knowledge to provide guidance to the whole of mankind from no other being than God Himself, the Creator of Man, his Sustainer, his Master and his Sovereign, whose knowledge encompasses the past, the present and the future. Reason, therefore, dictates that God alone is capable of providing mankind with that system of law which can ensure real freedom, justice and peace to the whole of mankind.

This brings to mind the following verses from the Holy Quran : -

O mankind, We created you
from a single pair
of a male and a female,
and made you into nations and tribes
that ye may know each other.
Verily, the most honoured of you
in the sight of God
is he who is the most righteous
And God has full knowledge
and is well acquainted (with all things)
Sura Hujurat-verse 13

Once the concept of GOD sovereignty and that of universal brotherhood of mankind are accepted, relations between man and his fellow beings assume the character of brotherly relations and will generate feelings of love, equality, justice, tolerance and fairplay. Such feeling will proceed from inner convictions, rather than imposed by coercive laws or by force of circumstances.

These are indeed the essential elements that will eventually ensure peace and harmony in human society. It is significant that the path chosen by GOD for mankind has been called " AL-ISILAM " which means peace.

One of the distinctive features of the Shariah,i.e. the LAW OF ISLAM is that it aims at changing and improving human relations by changing man himself. The truth is that without such a fundamental change, it is difficult, nay impossible, to expect man to behave properly and to expect human relation to develop harmoniously. The belief in GOD, in the universal brotherhood of mankind, in the Revelations, in the Life Hereafter and in the accountability of one's actions to GOD, are the only elements that can help man to live and act as a responsible creature, and also to set fair limits to individual rights and duties in human society. .

GOD as the Creator and Sovereign Ruler, has no personal relationship with any of His creatures and He is, therefore, the Only Being capable of giving us laws based on absolute justice to all men, to regulate human activities in such a mway as to ensure maximum peace, security, prosperity and happiness to one and all. The era inaugurated by the last Messenger of GOD (peace be upon him) and the rule of his immediate successcrs, i.s. The four pious caliphs, are historically recorded and is a living testimony of the superiority of GOD's lows.

I should like to conclude this paper by drawing attention here to the very serious threats to world peace which exist to-day; due to the perpetuation of injustices in several parts of the world. It is my sincere conviction that there will be no real peace until we all submit to GOD. Now and then, voices are heard clamouring for a world government. It is our duty to prove to the peoples of the world that a world government can become reality through the application of GOD's Law-instrument of peace in this world and salvation in the next. We shall, insha Allah, prove it only by our actions, not by words.

The following conclusions can be derived from the abovementioned verses : -

a) GOD alone is the creator

b) Man and woman being His creatures are therefore equal in status and enjoy equal rights

c) Distinction or discrimination on the basis of sex, nationality, colour or otherwise has no moral authority

d) Humanity is one big family and constitutes one brotherhood in the real sense

e) The best among men and women are those who live in submission to GOD's will.

The logical implication of these conclusions is that GOD alone can be Sovereign Ruler of

3

ISLAM AS INSTRUMENT OF UNIVERSAL PEACE

by

Muhammad H. Dahal
President, Islamic Circle Mauritius

Peace has been a major problem confronting mankind throughout the ages, but never has it assumed such importance and significance as today, owing to the vast arsenal of destructive weapons in the possession of the super powers and their allies. Indeed, there is hardehardly a place in the world to–day where man live in secority and in peace.

Radio, television satellite communications as well as other massmedia systems have redctreduced, so to say, world distances considerably and have made the whole world look like one vcountry. Yet, far from helping beings to know and understand rach other better, creating thus an atmosphere of mutual trust and friendship, we find that the world is apart and human relations are bitterly poisoned by suspicion and distrust, so much so that peoples sharing the same geographical boundaries or having common religious, social and linguistic affinities are fighting each other. The blatant contradiction is that, in the name of peace, everybody is preparing for war.

As I have just stated, maintaining peace has always been a major preoccupation of mankind and, throughout the course of history, we find that repeated attempts have been made to achieve this objective. Yet, all these attempts have unfortunately failed. Rather, in spite of all the achievements and progress in other fields of human activities, the crucial problem of preserving peace in the world remains unsolved and the situation today looks desperate. Man seems to be working for selfannihilation ad the armament industry is becoming the most lucrative business in the world.

If we analyse objectively past and present efforts to achieve peace and security, we shall find that inspite of the different approaches and solutions proposed or implemented at various periods of human history, they all suffered from one major defact and that was the failure to recognise and accept the basic fact that peace rests on justice. Without justice, there can be no peace. It is too wellknown that injustice breeds contempt and revolt. All the attempts made so far have failed and are bound to fail since they are based on wrong concepts and prejudices. More often than not, reforms have been proposed and laws have been framed to safeguard individual or group interests rather than to ensure justice to the common man. Today, the same dramas are being repeated at the United Nations and other world formus to protect the national interests of the big powers, at the expense of the downtrodden which constitute fourfifth of the world population. Obviously, such attempts cannot succeed in preserving world peace. Far from wiping out the injustices in the world, the aim is to devise subtle means and ways of further exploiting the weaker nations.

يقول الله سبحانه وتعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾»

من سورة الأحزاب

Allah سبحانه وتعالى Says:

" O prophet, truly We have sent you as a witness, a bearer of glad tidings,and a warner. And as one who invites to Allah's Grace by His leave, and as a lamp aspreading light. Then give the glad tidings to the believers, that they shall have from Allah a very a great bounty. And obey not the behests of the unbelievers and the hypocrites, and heed not their annoyances, but put your trust in Allah for enough is Allah as a Disposer of affairs ".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي

لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي

وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."

(Qur'an 18:109)

مجلة الجامعة الإسلامية

لا تلتزم

بردّ البحوث والمقالات التي لم تنشر إلى كتّابها،
ولا بإبداء أسباب عدم نشرها.

تم طبع هذا العدد فى المحرم ١٤٠١ هـ

تصويبات

يرجى من القارىء الكريم تصحيح الأخطاء التالية :

صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب
١٩	١٥	يبد	بيد
٢٥	١	المقداد	المقدام
٣٧	٢٤	العلم	العالم
٣٨	٢٠	أحداً	أحد
٤٠	٧	الوارة	الواردة
٤٢	٢٤	الأردية	الى الأردية
٤٥	٤	ود	رد
٥٢	١٨	حسن	حسين
٥٣	١٢	حسن	حسين
٥٨		سقط السطر الأخير وهو :	« بلى قادرين على أن نسويَ بنانه »
٦٧	٢	ومن يريد	ومن يرد
٨٣	٤	أنه	أنَ
٨٤	٢٠	كما	كمالاً
٨٤	٢٤	إنزالها	إنزال
٩٥	٢١	والعذوية	والعذوبة
١٠٢	٨	غره	غيره
١٠٣	٢٢	أر	أمر
١١٤		يحذف السطر الرابع المكرر	
١٤٣	١٨	وداؤول	ورلؤول
١٤٤	١٩	إليه البلاذرى	إليه أن البلاذري
١٥٥	٢٦	كتاب الله الحدود	كتاب الحدود
١٥٦	١	علها	عليها
٢٢٦	١٣	عن بعضهما	بعضهما عن بعض
٢٢٧	٢٠	ألِنّساء	أللِنّساء
٢٣١	٣	وأشهدهم	وأشهرهم
٢٣١	١٥	حديثاً	أحاديث
٢٣٧	٢١	أين	تحذف
٢٣٧	٢٥	عل	على

صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٤٨	٨	ليأخوا	ليأخنوا
٢٤٩	١٦	يخوفه من قائلًا	يخوفه قائلًا
٣٠٥	١٨	بيغته	يبغتـــه
٣٠٦	١٨	يتلته	يتلتله
٣٠٩	٢	وستة	وسنــــة
٣٠٩	٢٩	العاقب	العاتب
٣٠٩	٣٠	حلمه	آلمـــــه
٣١١	٢١	إحدى	وإحدى
٣١٢	١١	إسلامـــه	إســـلام
٣١٢	١٥	المشركين	المشركون
٣١٢	١٩	يتم	ييتم
٣١٢	٢٩	وسرراً يتكئون	وسرراً عليها يتكئون
٣١٣	٢١	بره	يردّ
٣١٣	٢٤	اللهْم	فقال : اللهم
٣١٤	٣	فقلنا إلا	إلّا
٣١٤	١٧	عشرون	عشرين
٣١٤	٣٢	فوالى	فو الله
٣١٥	٢٥	رسول	لرســـول
٣١٧	٧	للقمي	للعمى
٣١٧	١١	وادر	وادرأ
٣١٧	١٤	شأنه الله تعالى لا يقبل	شأنه الله تعالى، فان الله تعالى لا يقبل
٣١٨	٤	يأمير	يا أمير
٣٢٣	٨	يحذف السطر المكرر	
٣٢٦	٣	سقط صدر البيت وهو : رويداً تؤدبك الحياة ولن يُرى	
٣٢٦	١٩	قبضوا الحمى	بضَعوا لحمى
٣٣١	٦	والتعجب	والتعجيب
٣٣١	١٥	هلم	هـــــل
٣٣٢	٢٠	والتفكير	والتنبيـــه
٣٣٤	٢٦	أين	أن

صحيفة	سطر	الخطــــــــــأ	الصـــــواب
٣٧٩	٩	في صحيحهما	في صحيحيهما
٣٧٩	١٣	مختلفة	مختلقة
٣٧٩	٢٣	كثير	كثيرا
٣٧٩	٢٧	غيرصحيح	اليه غير صحيح
٣٧٩	٢٩	يعتقد عليه	يعتمد عليه
٣٨٠	١	قد المانع	المانع
٣٨٠	٢	رؤية	روا ية
٣٨٠	٣	يثبت	حيث يثبت
٣٨٠	٢٨	قلدهم	قلدهما
٣٨١	٥	اعتمده	اعمدته
٣٨١	٥	فهيم وجدى	فريد وجدى
٣٨١	١٢	أن الكعبة الكمية	أن الكمية
٣٨٢	٢٢	ـــمد على	محمد بن على
٣٩٣	٨	أي أن	أي أنه
٣٩٣	١٦	أتقن	الذى أتقن
٣٩٤	١٠	واحد جرام	جرام واحد
٣٩٥	٥	الغير متمرس	غير المتمرس
٣٩٦	١	والعشرون	والعشرين
٤٠٠	١٢	منيات	بُنَيَات
٤٠٠	٢٥	عن سبيل	عن سبيل الله
٤٠٠	٢٧	يهرفون ما	يهرفون بما
٤٠٦	٥	بوردر	بوردو
٤٠٦	٦	(جرينويل)	(جرينوبل)
٤٠٦	١٤	(بيتس)	(نيس)
٤١٣	٤	الحديثالشريف	الحديث الشريف
٤٢١	٢٥	الجابي	الجاري
٤٢٥	٣٠	الجرِي	الجدِي
٤٢٦	١٥	هذاما	هذا مع ما
٤٢٧	٣	تأثيث	تأسيس

صحيفة	سطر	الخطـــــــأ	الصـــــــواب
٣٣٦	١٩	خال	حـــال
٣٣٨	٢٨	بالحمل	بالجمل
٣٣٩	١	تابع المراجع	تحذف
٣٣٩	٨	مغن	مغني
٣٣٩	٩	دار الفكر	البرهـــان
٣٤٣	١	وعاءهما	وعاؤهما
٣٤٣	٥	أصلية	أصيلة
٣٤٤	٣	البلدان	البلدان الاسلامية
٣٤٤	١٣	لأغراض	أغراض
٣٤٧	٢	ليكون	يكـــون
٣٤٧	١٣	من المتخصصين	بالمتخصصين
٣٥١	٢٠	يطلب من	يطلب
٣٥١	٢٦	ويقبلوا	ويقبلـــون
٣٥٢	٨	لأن	أن
٣٥٥	١٥	تعتنى	فتعتنى
٣٦١	١١	كلامنا عن السنة انما نتكلم عن	كلامنا على السنة انما نتكلم على
٣٦٣	٢	مطرا	مطر
٣٦٤	١٤	متوافرة	متواترة
٣٣٦	١	اعلام	باعلام
٣٦٦	٢	ولم يستثنى	ولم يستثن
٣٦٨	١ و ٥	أثبت التاريخ	أثبتت التاريخ
٣٧٠	٢٦	يرى ما	يرى حسنا ما
٣٧٨	١	وسلم من	وسلم يقول : من
٣٧٨	١٣ و ٣٠	مختلفة	مختلقة
٣٧٨	٢٣	العماء	العلماء
٣٧٩	١	الحاكم	والحاكم
٣٧٩	١	وأن	وإن
٣٧٩	٣	مجوعة	مجموعة

Journal of

THE ISLAMIC UNIVERSITY

OF MADINAH MONAWWARAH

46

12 th YEAR